محمد سعد علي علي شاهين
قسم تاريخ

No. 3 (Jan. 1989)

جامعة القاهرة
كلية الآداب



المؤرخ المصري

دراسات وبحوث تاريخية محكمة

٣

يناير ١٩٨٩

يصدرها قسم التاريخ

محتـــوى العـــدد

قواعـــد النشـــر

* ترحب المؤرخ المصرى بنشر الأبحـــاث والدراسات الأصـــيلة ذات المستوى الاكاديمى الجاد بعد التحكيم ، فضلا عن مراجعات وعرض الكتب الجديدة •

* تقبل المؤرخ المصرى للنشر الأبحـــاث التاريخية والحضـــارية المكتوبة باللغتين العربية والانجليزية على ألا يزيد عدد صفحات البحث أو المقال عن ٣٠ صفحة مطبوعة على الآلة الكاتبة على ورق حجم كوارتر بما فى ذلك الهـــوامش والجداول وقائمـــة المراجـــع •

* يجب أن يكون واضحا أن المؤرخ المصرى لا تنشر بحوثا سبق أن نشرت أو أنها معروضة للنشر فى مكان آخر ، وتقوم رئاسة التحرير باخطار المؤلفين باجازة بحوثهم للنشر بعد عرضها على هيئة التحكيم •

* النشر فى المؤرخ المصرى متاحا لأعضاء هيئة التدريس بالجامعات المصرية والعربية والأجنبيـــة وســـائر المهتمين بالدراســـات التاريخيـــة •

* الآراء الواردة بالمؤرخ المصرى تعبر عن وجهة نظر أصحابها •



المؤرخ المصري

دراسات وبحوث تاريخية محكمة

العـدد الثالث **يناير ١٩٨٩**

المراسـلات :

ترسـل البحوث والمقـالات باسم السـيد الاسـتاذ الدكتور/ **حامد زيان غانم** على العنوان التالى :

كلية الآداب ـ جامعة القاهرة (قسم التاريخ)
جمهورية مصر العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

يسعدنا كثيرا أن يصدر العدد الثالث من « المؤرخ المصرى » حاويا عددا كبيرا من الدراسات فى مختلف فروع التاريخ وما يرتبط به من علوم .

وبصدور هذا العدد يكون قد مر على « المؤرخ المصرى » أكثر من عام أثبتت فيه صدارتها بين المجلات التاريخية المتخصصة ، وذلك بفضل الله والأبحاث الجادة التى تنشرها للزملاء الأعزاء ، وبفضل الجهد المبذول من قبل هيئة تحريرها . وانتهز هذه الفرصة لأقدم الشكر للأخ الاستاذ الدكتور رءوف عباس الذى كان له الفضل فى وضع الأساس الاول لمجلة « المؤرخ المصرى » ورئاسة تحريرها طوال العام المنصرم .

كذلك تتقدم أسرة « المؤرخ المصرى » بشكرها وتقديرها الى الدكتور مهندس محمد أحمد الدمرداش على مساعدته المالية التى تقدم بها للمساهمة فى طباعة المجلة ، فله منا خالص الشكر ، وجزاه الله خير الجزاء .

وتكرر أسرة « المؤرخ المصرى » ترحيبها بنشر البحوث والدراسات لكل الزملاء فى داخل مصر وخارجها .

والله الموفق ...

الدكتور حسنين ربيع غانم
رئيس قسم التاريخ
كلية الاداب ـ جامعة القاهرة
ورئيس تحرير « المؤرخ المصرى »

الأبحـــاث والدراســـات

رســالة فى أنســاب القبـــائل
التى ســكنت مدينة صــعدة باليمن (مخطوطة)

للقــاضى بدر الدين محمد بن أحمد بن موسى الدوارى

تحقيــق
د. مصطفى عبد الله شــيحة
قسم الآثار الاسلامية بكلية الآثار
جامعة القاهرة

يتعرض هذا البحث لتحقيــق مخطوطة صغيرة كتبها القــاضى بدر الدين محمد بن أحمد بن موسى الدوارى أحد علمــاء اليمن فى القــرن التاسع الهجرى / ١٥ م بعنــوان « رســالة فى أنســاب القبائل التى سكنت مدينة صعدة باليمن »(١) . وتأتى أهميــة هــذه المخطوطة فى أن كاتبها عاش فى مجتمع مدينة صــعدة ، حيث حفــل هذا المجتمع بحيــاة دينية وثقافية متميزة بين مدن اليمن الأخــرى الكبيرة منذ أن قامت دولة الأئمة الزيدية فى اليمن فى أواخر القــرن الثالث الهجــرى / ٩ م . وقد عاش هذا المؤرخ فى هذه المدينة ، كما عاش فيهــا من قبله آبائه وأجداده الذين ساهموا فى اثراء الحيــاة الدينيــة والفكرية فى مجتمع هذه المدينــة خاصة واليمن عامــة . وتبــدو أهمية هذه المخطوطة فى أن مدينــة صــعدة لازالت تحتفــظ حتى اليوم بجبانة أثرية تنفــرد بها عن جبــانات العالم الاسلامى ، اذ يرجع تاريخها الى القرن الثالث الهجرى ، وظلت تستخدم على مر العصــور الاسلامية وحتى اليوم ، وكانت هذه الجبــانة بما تحتفظ به من آلاف ألواح القبــور أو الشــواهد ضمن بعض الدراسات التى

---

(١) تتكون هذه المخطوطة من ورقتين ، ملحق بهما عدة صفحات تتعلق ببعض الأحداث التاريخية ، التى ترجع الى مؤلف آخر ، وهى محفــوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٩٤٥ تاريخ ، القياس ٣٠ سم × ٢٠ سم .

قمت بها فى مجال الآثار الاسلامية فى اليمن(٢) والتى لا تزال هـذه الدراسات حتى اليوم فى طورها الأول ، ويرتبط دراستها ارتباطا وثيقا بعلم الأنساب التى ترد على شواهدها المتناثرة فى الجبانة والتى تتميز بوضوح الأسماء وتسلسل أنسابها وألقابها ووظائفها بطريقة مميزة ، فضلا عن أسلوب الكتابة والزخرفة عليها مما يجعل من دراسة وتحقيق هذه المخطوطة أهمية خاصة تدخل فى صميم دراسة الجبانة أثريا وتاريخيا ، خاصة وأن الأسماء الواردة فى رسالة الدوارى والتى تخص القبائل والبطون اليمنية يوجد منها عشرات من شواهد القبور فى جبانة مدينة صعدة ، بمعنى وجود صلة تاريخية بين المخطوطة وبين الأثر القائم فى الجبانة وهو المقبرة والشاهد .

عاش القاضى بدر الدين محمد بن أحمد الدوارى فى القرن التاسع الهجرى / ١٥ م بمدينة صعدة وكان فقيها وعالما ومؤرخا ضمن مجموعة المؤرخين فى اليمن فى القرن التاسع الهجرى(٣) ، وهو نفس القرن الذى تميز ببلوغ الكتابة أوج ازدهارها فى العالم الاسلامى عامة ، كما كان فى اليمن خاصة من أكثر فترات تاريخه غنى بالمؤلفات التاريخية والدينية التى شارك فيها المؤرخون اليمنيون

---

(٢) الواقع اننى قمت خلال عملى فى قسم الاثار بكلية الآداب ، جامعة صنعاء بتصوير ما يزيد على الالف من الواح أو شواهد القبور فى هذه الجبانة لدراستها ونشرها ، وقد تم بحمد الله سبحانه وتعالى صدور الجزء الأول من هذه الدراسة حيث تضمن هذا الجزء نشر (٩٠) شاهدا منها لاول مرة مع دراسة تاريخية واثرية تناولت تاريخ مدينة صعدة فى العصر الاسلامى وقيام دولة الائمة الزيدية ، ودراسة هذه الشواهد من حيث النصوص الدينية والالقاب وأسلوب الكتابة والزخرفة .

انظر : مصطفى عبد الله شيحة : شواهد قبور اسلامية من جبانة صعدة باليمن ، الجزء الأول ، مكتبة مدبولى ، ١٩٨٨ .

وانظر ايضا : ايمن فؤاد سيد : مصادر دراسة تاريخ اليمن فى العصر الاسلامى ، القاهرة ١٩٧٢ ، ص ١٨٧ — ١٨٨ .

(3) Brocklmann, C : Geschichte der Arabischen Litteratur, Supp., II, p. 239.

والمصريون والمكيون مشاركة فعالة ، بفضل العلاقات والروابط السياسية والاقتصادية والدينية(٤) . ويبدو لى من الدراسة الميدانية التى قمت بها فى هذه الجبانة أن صاحب هذه المخطوطة تعمد تسجيل أنساب المدينة ومنها أسرته التى وجدت لها شواهد كثيرة فى جبانة صعدة نشرت بعضها فى الجزء الأول السابق الاشارة اليه ، وذلك لدرايته بقبائل وبطون مجتمع مدينته المتميزة ولأهمية الحياة القبلية فى المجتمع اليمنى خاصة . ورغم أن سطور هذه المخطوطة المكونة من ورقتين لم تزد عن ثمانية وثلاثين سطرا ، الا أنها قد حظيت بذكر أنساب المدينة كلها على الأرجح والتى أرجعها الدوارى جميعها الى كهلان(٥) . (انظر : لوحة ١ ، ٢)

ينتمى صاحب هذه المخطوطة (الدوارى) الى بنى عبد المدان الحارثى من أشراف اليمن من بنى الحارث بن كعب بن عمرو بن علة بن جلد بن مالك ، وهو مذحج بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان . هذا وقد أورد المؤرخ أحمد بن أبى الرجال من علماء القرن الحادى عشر الهجرى / ١٧ م أن نسب آل الدوارى شهير فى بنى عبد المدان وليس فى آل النجرانى ، كما ذكر البعض كنسبة لاقامتهم فى قرية الهجر فى مدينة نجران(٦) ، الا أن المؤرخ الحجرى ، يذكر نسبتهم الى ثقيف من ذرية محمد بن يوسف الثقفى أمير اليمن ، ويستند فى رأيه هذا على أن بنى الحارث بن كعب هم الذين أخرجوا آل الدوارى من نجران ، حيث قدموا منها الى مدينة صعدة(٧) . لقد عاش بيت الدوارى كما يطلق عليه فى اليمن عاش فى مدينة صعدة حيث الحياة العلمية والدينية ، وحيث يوجد بالمدينة مسجد صعدة

---

(٤) أيمن فؤاد : المرجع السابق ، ص ١٥٥ — ١٥٦ .

(٥) انظر الحاشية رقم ٢٢ .

(٦) أحمد بن أبى الرجال : مطلع البدور ومجمع البحور ، مخطوط مصور ، ج ٣ ، ص ٢٨٧ — ٢٨٨ .

(٧) محمد بن أحمد الحجرى : مجموع بلدان اليمن وقبائله ، تحقيق اسماعيل الاكوع ، الطبعة الاولى ١٩٨٤ ، ج ٣ ، ص ٤٨٠ .
وانظر الحاشية رقم ٤٠ حيث نسبهم الى بنى الحارث .

الكبير الذى أسسه الامام الهادى يحيى بن الحسين(٨) فى أواخر القرن الثالث الهجرى ، فكان منهم العلماء والقضاة والفقهاء الذين اشتهروا فى كل أنحاء اليمن ، نذكر منهم على سبيل المثال العلامة سليمان بن موسى الدوارى ... كان عالما كبيرا ، تتلمذ عليه الكثير من علماء الحديث وصنف شمس الشريعة فى علوم الفقه والنظام فى أصوله ، وكان من تلامذته الامام أحمد بن سليمان المتوفى عام ٦٥٦ هـ(٩) ، والعلامة زيد بن على وهبة الدوارى(١٠) والقاضى موسى بن على بن موسى الدوارى ، صاحب مؤلف الايضاح الكاشف(١١) ، والقاضى على بن حسن الدوارى المتوفى عام ٧٧٤ هـ(١٢) والقاضى على بن محمد بن هبة الدوارى(١٣) والقاضى عبد الله بن حسن الدوارى ، صاحب المصنفات فى الأصول والفروع والمتوفى عام ٨٠٠ هـ(١٤) والقاضى على بن موسى الدوارى المتوفى عام ٨٨١ هـ والقاضى أحمد بن على الدوارى المتوفى عام ٨٨٤ هـ(١٥) . وقد استمرت هذه الأسرة فى ريادتها الدينية والعلمية فى اليمن بعد ذلك ونذكر من علمائهم فى القرن الحادى عشر للهجرة أحمد بن صلاح الدوارى المعروف بقصعه الدوارى والمتوفى بصعدة عام ١٠١٨ هـ(١٦) وأحمد ابن يحيى بن حابس الصعدى الدوارى اليمانى ، أحد مشاهير

---

(٨) انظر : على بن محمد العباسى : سيرة يحيى بن الحسين ، تحقيق سهيل زكار ، دار الفكر ١٩٨١ وأيضا : حسام الدين حميد بن احمد : الحدائق الوردية فى مناقب ائمة الزيدية ، مخطوط مصور ، دمشق الطبعة الاولى ١٩٨٢ ، جـ ٢ ، ص ١٣ — ٢٨ .

(٩) ابن ابى الرجال : مطلع البدور ، جـ ٢ ، ص ١٢٩ — ١٣٤ .

(١٠) المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ١٠٨ .

(١١) عبد الله الحبشى : مصادر الفكر العربى الاسلامى فى اليمن ، مركز الدراسات اليمنية ، صنعاء ، ص ١٩٣ .

(١٢) ابن ابى الرجال : مطلع البدور ، جـ ٣ ، ص ٢٠٦ .

(١٣) المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٢٤٠ .

(١٤) المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٤٩ .

(١٥) المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٩٦ ، جـ ٣ ، ص ٢٥٥ .

(١٦) الشوكانى : البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، دار المعرفة ، بيروت ، جـ ٢ ، ص ٣٨ ، الحبشى : مصادر الفكر ، ص ٥٥ .

علماء الزيدية ومؤرخيها وقد تولى القضاء بصعدة وكان خطيب جامعها . وبرع فى علوم عدة ومن مؤلفاته المقصد الحسن وشرح تكملة الأحكام وغيرها وقد توفى عام ١٠٦١ هـ (١٧) . هذا وقد أشار المؤرخ ابن أبى الرجال الى قاضى آخر من قضاة هذا البيت هو القاضى محمد بن أحمد الدوارى ضمن ترجمته لعلماء اليمن قيل فيه :

وبالواحد القاضى التقى محمد بن
أحمد حلا من كل ديجور منهل(١٨)

يضاف الى ذلك ما وفقنى فيه الله سبحانه وتعالى من العثور على بعض شواهد قبور هذا البيت (الدوارى) فى جبانة مدينة صعدة منها تسعة شواهد نشرتها بالجزء الأول من كتابنا عن شواهد هذه المدينة(١٩) ، ونضيف فى هذا البحث ثلاثة شواهد أخرى جديدة تنشر لأول مرة :

رقم (١) باسم : سليمان بن موسى الدوارى المتوفى عام ٨٤٢ هـ / ١٤٣٩ م : لوحة (٣) .

رقم (٢) باسم : صفية بنت القاضى يحيى بن موسى الدوارى المتوفية عام ٨٦٨ هـ / ١٤٦٣ م : لوحة (٤) .

رقم (٣) باسم : صفية بنت أحمد بن صلاح الدوارى المتوفية عام ٩٤١ هـ / ١٥٣٥ م : لوحة (٥) .

---

(١٧) الشوكانى : المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٢٧ ، حسين بن عبد الله العمرى : مصادر التراث اليمنى فى المتحف البريطانى ، دمشق ، ١٩٨٠ ، ص ٢٦٦ — ٢٧٠ .

(١٨) ابن ابى الرجال : مطلع البدور ، ج ٤ ، ص ١٣٥ .

(١٩) انظر هذه الشواهد فى : مصطفى شيحة : شواهد صعدة ، ج ١ ، ص ٧٦ — ٧٨ ، لوحة ١٢ ، ص ٩٠ ، لوحة ١٨ ، ص ٩٧ ، لوحة ٢٢ ، ص ٩٩ ، لوحة ٢٣ ، ص ١٣٣ ، لوحة ٤٧ ، ص ١٣٤ ، لوحة ٤٨ ، ص ١٥٨ ، لوحة ٦٦ ، ص ١٥٩ ، لوحة ٦٧ ، ص ١٧٥ ، لوحة ٧٨ .

ونشير فيما يلى الى بعض الملاحظات التى اتضحت لنا من خلال تحقيق هذه المخطوطة الصغيرة :

أولا : هذه المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية رقم ٩٤٥ تاريخ منسوخة من النسخة الأصلية التى كتبها بخط يده القاضى بدر الدين محمد الدوارى ، حيث كان محتفظا بها فى بعض كتب قضاة آل أبى النجم ، بمدينة صعدة فى شهر رجب عام ١١٤٣ هـ / ١٧٣١ م ، كما هو واضح فى نهاية الملحق بها ، حيث ورد فى ختامها اسم الناسخ وتاريخ النسخ من النسخة الأصلية حيث يذكر النص : لوحة (٦) .

« .... رحمهم الله والأشراف الحسنيون والحسينيون كثيرون بصنعاء ومخالفيها والعراق وبلاد العجم نسحب هذا المشجر وما انضاف اليه من الفوايد فى الأنساب وأرجو من الله الثواب والتوفيق وحسن المآب ولنا الفقير الى الله الراجى مغفرته ورضوانه ومسامحته السيد اسماعيل بن الحسن الحميرى المعروف بالحرة وكان تمامه بمحروس صنعاء فى شهر رجب الفرد سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام »

هذا وقد كتبت بخط النسخ وان كان لم يلتزم ناسخها بضبط وتشكيل الحروف والكلما تخاصة فى عدم وضع النقط فوق كثير من الحروف المتشابهة مما شكل لنا صعوبة فى تحقيق ومعرفة بعض أسماء البيوتات فى صعدة خاصة واليمن عامة كما فى حروف : الدال والذال ، الراء والزين ، السين والشين ، الصاد والضاد ، الطاء والظاء ، العين والغين ، وان لوحظ فى بعض الأحيان وضع نقاط أسفل حرفى الدال والطاء وكذلك حرف الخاء .

ثانيا : يتضح من عرضه لذلك العدد الكبير من أسماء القبائل والبطون وما تفرع منها من بيوت عديدة فى سطور ورقتى هذا المخطوط ، والتى أرجعها جميعها الى ذرية كهلان : يتضح أهمية مجتمع هذه المدينة بالذات بين المدن اليمنية فى القرن التاسع الهجرى ، فهو

مجتمع كبير عاش فيه قبائل وبطون من القحطانية والعدنانية وان كان يبدو لى أن نسبة القبائل المتفرعة من القحطانية أكثر بكثير من الفرع الثانى العدنانى ، وهذا أمر طبيعى فى بلاد اليمن عامة ، ويؤكد أهمية أنساب هذه المخطوطة بقاء شواهد الجبانة الأثرية التى يرد عليها نفس النسبة للقبائل والبيوت المختلفة وقد نشرنا منها بعضها وسنوالى ان شاء الله فى الأجزاء القادمة من دراسة بعض شواهد هذه الجبانة بعض القبائل والبطون والبيوت الأخرى الواردة فى رسالة أنساب الدوارى ويزيد أيضا من أهمية هذه المخطوطة ، بقاء كثير من أسماء الأسر فى المدينة نفسها حتى اليوم وانتشار بعضها أيضا فى بعض مدن اليمن الأخرى ، كما أن بعضها لم يعد له بقية .

ثالثا : اتبع الدوارى فى ذكره لبعض الأنساب نسبتها الى البلاد أو المواضع الخاصة التى اشتهرت بها ولا تزال أيضا تشتهر بها كالظفارى نسبة الى مدينة ظفار باليمن والمطرى نسبة الى بنى مطر والظاهر نسبة الى ما ارتفع من الأرض وغير ذلك مما سيرد فى المخطوطة ، كما ذكر أيضا الأبناء وهم من بقايا الفرس باليمن الذين قدموا مع سيف ذى يزن فى تحريرها من السيطرة الحبشية ، كما ذكر فى بعض الأحيان أسماء لبيوت يمنية بذكر حرفتها وصناعتها كطائفة الحدادة بمدينة صعدة ، وهى طائفة هامة عملت فى أعمال الصناعات المعدنية خاصة السيوف الصعدية التى اشتهرت بها هذه المدينة .

رابعا : يلاحظ وجود « بياض » يتخلل بعض سطور المخطوطة ، وقد يرجع ذلك الى وجود نفس الشىء فى الأصل المنسوخة منه ، أو تعذر قراءتها على الناسخ فتركها ، أو أن يكون المؤلف أصلا كان يقصد بتركها التحقق منها ثم فات عليه اثباتها .

وأخيرا فان هذه المخطوطة الصغيرة تشكل فى رأينا أهمية كبيرة فى الحياة الاجتماعية لمدينة صعدة اليمنية ويزيد من أهميتها ارتباطها الوثيق بشواهد القبور الباقية فى جبانة صعدة ، مما يربط بين المخطوط والأثر فى هذا النوع من الدراسة .

الورقة الأولى : (لوحة ١)

سطر ١ — بســـم الله الرحمن الرحيم .

ســـطر ٢ — وجد بخط القاضى بدر الدين محمد بن أحمد بن على بن موسى الدوارى فى بعض كتب القضاة آل أبى النجم(٢٠) ما لفظه فى ذكر نسب

ســـطر ٣ — أهل صعدة الذى يذكره فى كتب الأنساب والله الموفق للصواب فيقول أن همـــدان(٢١) العريض جميعها من ذرية

---

(٢٠) : **آل ابى النجم** : من بيوت العلم وأصحاب السيف والقلم فى اليمن عامة ، وفى مجتمع مدينة صعدة خاصة ، وينتهى نسبهم الى حمير ، وقـــد اشـــارت مصادر يمنية عديدة اليهم ، وذكرت أن اقامتهم كانت فى مدينـــة نجران ونذكر من أعلامهم من القضاة والفقهاء : القاضى العلامة الصدر نجم الدين حمزة المتوفى عام ٥٢٣ هـ والقاضى جعفر بن عبد الله بن أبى النجم ، وصف بأنه « كان عالما عامرا حاكما محكما وتوفى عام ٥٤٠ هـ والقـــاضى عبد الله بن ابى النجم الحميرى الملقب رئيس صعدة والقاضى ركن الدين محمد عبد الله بن حمزة بن ابى النجم قاضى قضاة المسلمين واحـــد علمائهم وكان حاكم مدينة صعدة زمن المنصور عبد الله بن حمزة والمتوفى عام ٦٤٦ هـ والقاضى عبد الله بن أبى النجم قاضى صعدة عام ٦٤٧ هـ والقاضى عبد الله بن أبى عطية بن ابى النجم من أعلام المائة الثامنة والقاضى يحيى بن عطيـــة بن أبى النجم بصعدة ، قتله الأمير احمد بن المسور واسد الدين التركمانى بعد دخولهما مدينة صعدة عام ٨٤٨ هـ وكان امام مسجد الهادى يحيى بن الحســـين بصـــعدة .

انظر : أحمد بن أبى الرجال : مخطوط مطلع البدور : جـ ١ ، ص ٨٦ — ٨٧ ، ١٨١ — ١٨٢ ، جـ ٣ : ص ٢٢٨ — ٢٢٩ ، ٣٨٤ ، الحبشى : مصادر الفكر : ص ٤٢ ، ١٧٧ ، ١٨٥ ، الحجرى : مجموع بلدان اليمن وقبائله ، جـ ٣ ، ص ٤٧٩ ، الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، تحقيق محمد الاكوع ، ص ١١٥ ، وحاشية رقم ٨ بنفس الصفحة ، ص ١٦ .

(٢١) همدان هى أشهر قبائل اليمن ، من ولد اوسلة بن مالك بن يزيد ابن اوسلة بن ربيعة بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان . وتعـــد هذه القبيلة من امنع واقوى القبائل اليمنية واكثرها عددا ، ولد همدان بن مالك ابن نوف بن همدان ، فولد نوف بطوناجمة ، ترجع كلها الى الفرعين الرئيسيين حاشد وبكيل ، ابنى جشم بن خيران بن نوف بن همدان . هذا وقد تفرع =

كهــلان(٢٢) .

حاشد وبكيل الى قبائل وعشائر وبطون وبيوت كثيرة جدا فى اليمن تقطن فى رقعة واسعة من بلاد اليمن ، تنقسم بخط عرضى ما بين صنعاء وصــعدة لشرقيه لبكيل وغربيه لحاشد . كان لقبيلة همدان دورها العظيم فى نشر الاسلام ، اذ كانوا من أوائل القبائل التى دخلت فيه وثبتت عليه من غير حرب ولا قتال ، يقول فيهم سيدنا على بن أبى طالب رضى الله عنه :

تيممــت همــــدان الــذين هــم هــم
اذا ناب خطب جنــتى وســــــهامى
وناديت فيهــم دعــــــوة فأجـــابنى
فــوارسى من همــدان غــــير لئـــام

الى أن يذكر كرم الله وجهه :

فلــو كنت بــوابا عــلى باب جنـــة
لقــلت لهمــــدان أدخلــوها بســلام

انظر : الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ٢٣٣ ، والهمدانى أيضا : الاكليل ، ج ٢ ، تحقيق محمد بن على الأكوع ، ص ٢٢٤ ، نشــوان الحميرى : منتخبات فى أخبار اليمن من كتاب شمس العلوم ودواء كــلام العرب من الكلوم ، تحقيق عظيم الدين احمد ، ليدن ١٩١٦ ، ص ١١٠ ، ابن حبيب : مختلف القبائل ومؤتلفها ، تحقيق ابراهيم الابيارى ، دار الكتاب المصرى ، ص ٢٦ ، ٣٥ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٩٨ ، عمر رضا كحالة : معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، الطبعة الثانية ، ج ٣ ، ص ١٢٢٤ — ١٢٢٦ ، عمر بن يوسف بن رسول : طرفة الاصحاب فى معرفة الانساب ، تصنيف : ك . و . ستسرستين ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٥ ، ص ٤٧ ، القلقشندى : قلائد الجمان فى التعريف بقبائل عرب الزمان ، تحقيق ابراهيم الابيارى ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٢ ، ص ٩٩ — ١٠٠ ، أبى محمد بن حزم الاندلسى : جمهرة أنساب العرب ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧١ ، ص ٣٩٢ — ٣٩٥ ، الحجرى : مجموع بلدان اليمن ، ج ٤ ، ص ٧٥٢ ، ٧٥٩ ، المقحفى : معجم البلدان والقبائل اليمنية ، دار الكلمة ، صنعاء ، الطبعة الثانية ١٩٨٥ ، ص ٧٢٥ — ٧٢٩ .

(٢٢) كهلان : هو كهلان بن ســبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطــان أخو حمير بن سبأ ، وبنو كهلان هم الازد بن الغوث بن النبت بن مالك بن زيد بن كهلان ، وقد تفرع من كهلان عدة قبائل رئيسية كهمدان وبجيــله وخثعم ومذحج والاشعر وطى وكندة وعاملة ، وكهلان أيضا : جبل بناحية الغيل من صـــعدة .

الحجرى : مجموع بلدان ، ج ٤ ، ص ٦٧٤ — ٦٧٥ ، ياقوت الحموى : معجم البلدان ، طبعة دار صادر بيروت ، ج ٤ ، ص ٤٩٦ .

سطــر ٤ : حيث ما كانت، ومنها غســان(٢٣) [وشهران](٢٤) وبنى شــهر(٢٥) وخثعـم(٢٦)

---

(٢٣) غسان : بفتح العين والسين المشددة وبعد الالف نون : اسم قبيلة كبيرة من الأزد ، سميت باسم موضع ماء ، نزلت عليه وشربت منه ، قيل بين زبيد ورمح ، فمن وقف عليه وشرب فهو غسانى ، ومن لم يشرب منه فليس بغسانى . وغسان ماء بسد مارب ، كان شرابا لبنى مازن بن الأزد بن الغوث ، وقيل هو اسم دابة وقيل غير ذلك . هذا وتنتشر قبائل غسان فى بلاد كثيرة ، منها اليرموك والبلقاء ويحمص .

انظر : ابن حزم : جمهرة أنساب ، ص ٣٣١ ، القلقشندى : قلائد الجمان ، ص ٩٧ ، ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٢٠٣ — ٢٠٤ ، عمر بن رسول ، طرفة الاصحاب : ص ٤٦ ، ٥٧ — ٥٨ ، عمر كحالة : معجم القبائل ، ج ٣ ، ص ٨٨٤ .

(٢٤) الكلمة فى الأصل غير منقوط فيها حرف السين ، وقد رجحت أن تكون شهران : بفتح الشين وسكون الهاء وبعد الراء ألف ونون ، نسبة الى شهران بن عفرس بن حلف بن خثعم بن اغار بن اراش ، بطن كبير من خثعم .

انظر : الجزرى : اللباب فى تهذيب الانساب ، طبعة صــادر ، بيروت ، ج ٢ ، ص ٢١٦ ، الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ٨٨ ، ١٨٢ ، ٤٠١ .

(٢٥) بنى شهر : قبيلة تمتد منازلها من تهامة الى أعالى الحجاز ، ثم تنحدر منها الى الشرق حتى وادى شهران وتنقسم الى قسمين : بنى شهر الشام وبنى شهر اليمن ، وشهر ايضا من نهم من بكيل ثم من همدان من القحطانين .

انظر : الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ٢٣٥ ، عمر كحالة : معجم قبائل العرب ، ج ٢ ، ص ٦١٦ .

(٢٦) خثعم : نسبة الى بنى خثعم بن أغار أخو بجيلة ويصـــل الى كهلان وقيل اسم خثعم أقتل ، وورد ايضا أن خثعما جمل كان يحمل لهم ، وكان يقال احتمل آل خثعم ، وورد أيضا أنهم لمـا تحالفوا على بجيلة نحروا بعيرا فتخثعموا بدمه أى تلطخوا به ، وقيل هو جبل تحالفوا عنده . وكان لبنى خثعم مع اخوتهم بجيلة بلاد بسروات اليمن والحجـاز وقد افترقوا أيام الفتح الاسلامى ، فلم يبق منهم فى مواطنهم الا القليل ، ولهم بطون وقبائل عديدة .

=

وبجيــلة(٢٧) وكذلك مذحــج(٢٨) أ شــام ويمن(٢٩) فمنها بنــو الحارث(٣٠) الذى يظهر حول

انظر : الجزرى : اللباب ، ج ١ ، ص ٤٢٣ ، القلقشندى : قلائد الجمان ، ص ١٠٤ — ١٠٥ ، عمر بن رسول : طرفة الاصحاب ، ص ٤٧ ، ابن حبيب : مختلف القبائل ، ص ٨٠ ، الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ٢٣٠ .

(٢٧) بجيلة : بطن عظيم ينسب الى مالك بن زيد بن كهــلان من القحطانية ، وهم يتفرعون الى عدة بطون واسمهم مشتق من اسم أمهم بجيلة من سعد العشيرة ، وكانت بلادهم مع اخوتهم خثعم فى سروات اليمن والحجاز .

انظر : ابن حزم : جمهرة انساب ، ص ١٠ ، عمر بن رسول : طرفة الأصحاب ، الجزرى ، اللباب ، ج ١ ، ص ١٢١ ، عمر كحالة : معجم قبائل العرب ، ج ١ ، ص ٦٣ — ٦٥ .

(٢٨) مذحج : بفتح أوله وسكون ثانيه وكسر الحاء المهملة وجيم : هم بنو مذحج ، واسمه مالك بن أدد بن زيد بن كهلان من القحطانية ، ويتفرع منهم أفخاذ كثيرة ، وأمهما ذله بنت ذى منشجان الحميرى ، ولدت له مالكا وطيئا واسمه جلهمة ، ثم هلك أدد ، فلم تتزوج وأقامت على ولدها مالك وطى فقيل أذحجت على ولدها أى أقامت عليه فسمى مالك وطى مذحجا . كان أغلبهم يسكنون اليمن وقبائلهم كثيرة جدا .

انظر : ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٨٩ ، القلقشــندى : قلائد الجمان ، ص ٨٩ ، عمر كحالة : معجم قبائل العرب ، ج ٣ ، ص ١٠٦٢ ، الحجرى : مجموع بلدان اليمن ، ج ٤ ، ص ٦٩٩ — ٧٠٢ .

(٢٩) يقصد المؤلف بعبارة شام ويمن (شمال وجنوب بلاد اليمن) وذلك بالنسبة لقبيلة مذحج التى انتشرت فى الشمال والجنوب .

(٣٠) بنو الحارث : من قبائل اليمن وهم بنو الحارث بن كعب بن عمرو بن عله بن جلد بن مالك ، ينتهى نسبه الى كهلان ومنهم بنو الحارث الأصغر بن مالك بن ربيعة ، وفى اليمن بلاد عديدة تسمى ببنى الحارث .

انظر : الحجرى : مجموع بلدان اليمن ، ج ٢ ، ص ٢٠٨ — ٢١٣ ، المقحفى : المعجم ، ص١٥٥ — ١٥٦ .

ســطر ٥ ـ صــــــــنعاء [٤](٣١) وجنـــــب(٣٢) والأزد(٣٣) من أولاد كهلان ومنهم الأنصار والاوس والخزرج ومنهم

---

(٣١) صنعاء هى عاصمة اليمن وأكبر مدنها ، ترتفع عن ســطح البحر بحوالى ٧٨٠٠ قدم وسط واد فسيح تحيطه الجبال العالية فجبل نقم من جهة الشرق وجبل عيبان من جهة الغرب ، ويقدر عدد سكانها حاليا بحوالى أكثر من نصف مليون نسمة . يذكرها ياقوت بقــوله : « منسوبة الى جودة الصنعا فى ذاتها ، وكان اسمها فى القديم أزال وسميت بصنعاء بن أزال بن يقطن بن عابر بن شالخ ، وهو الذى بناها وقيــل أنها سميت بصنعاء لأن لما دخلها قال صنع صنعا ،يريد أن الحبشــة أحكمت صنعتها ، وقيل أنها سميت باسم بانيها ازال فكانت تعرف بأزال وتارة بصنعاء ، وقيل أيضا انها أقدم مدن الارض لأن سام بن نوح الذى أســسها .

اشتهرت صنعاء قديما بقصر غمدان وبالقليس وفى العصر الاسلامى بآثارها الاسلامية المتنوعة وأسوارها وأبوابهــا الأثرية وفيها يقــول الرادعى فى أرجوزته :

صــــنعاء ذات الــدرر والاطـــــام
والتــــدم الاقـــدم ذى القـــــدام
والعــز عن ذى الســـطوة الغشـــام
أســت بعــلم لابن نــوح ســــــام

انظر : الهمدانى : صفة جزيرة العــرب ، ص ٦٤ ، ٨١ ، ١٠٣ ، نشوان الحميرى : منتخبات ، ص ٦٣ ــ ٦٤ ، الحجرى : مجموع بلدان ، جـ ٣ ، ص ٤٨٣ ــ ٥٤٧ .

(٣٢) جنب : بالفتح ثم السكون ماء لبنى العدوية بأرض اليمامة ، ومخلاف جنب باليمن ، ينسب الى القبيلة من بطون مذحج السابق الاشارة اليها ، وهم ولد يزيد بن حرب بن كعب بن عله بن جلد بن مالك وهــو مذحج وانما سمى جنبا لأنهم شاقوا اخاهم يزيد بن حرب وحالفوا ســعد العشيرة فدعوا جنبا .

انظر : نشوان الحميرى : منتخبات ، ص ٢٢ ، عمر بن رســول ، طرفة الاصحاب ، ص ٤٨ ، ٦٥ .

(٣٣) الأزد : حى من اليمن هم ولد الأزد بن الغوث بن النبت بن مالك ابن زيد بن كهلان بن ســبأ بن يشجب بن قحطان » وينقسمون الى ست وعشرين قبيلة ، يجمعها جميعا الأزد ومنهم الأنصار الآوس والخــزرج ومنهم
=

ملوك الحـــيرة ومن أولاد كهلان طى(٣٤) ٠

ســـطر ٦ — ومذحـــج وكنـــــدة(٣٥) وخزاعــة(٣٦)

=

أيضا جفنة ملوك الشام أولاد علبه بن عمرو بن مزيقيـــاء وخزاعة وهم أرباب البيت .

انظر : ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٣٣٢ ، عمر بن رسول : طرفة الاصحاب فى معرفة الانســاب ، ص ٥٥ ، نشوان الحميرى : منتخبات ص ٣ ٠

(٣٤) طى : حى من اليمن من ولد طيىء بن أدد بن زيد بن عمـــرو ابن عريب بن زيد بن كهلانبن ســـبأ منهم حاتم بن عبد الله الطائى الذى يضرب به المثل فى الجود وهى أخو مذحج واسمه جلهمة وجميع قبائل طى قبيلتان : جديلة والغوث ، ويتفرع منهما بطون عديدة .

أنظر : نشوان : منتخبات : ص ٦٦ — ٦٧ ، عمر بن رسول : طرفة الاصحاب ، ص ٤٨ ، عمر كحالة : معجم قبائل ، جـ ٢ ، ص ٦٨٩ — ٦٩٢ .

(٣٥) كنده : بكسر الكاف وسكون النون وفتح الدال المهملة وهاء فى الآخر ، هم بنو كندة واسمه ثور بن عفير بن عدى بن الحارث بن مرة بن ادد بن كهلان ، وسمى كندة لأنه كند اباه أى كفر بنعمته ، وهو ابن اخى جذام ولخم وبلاد كندة باليمن جنوب حضرموت وكانت منهم الملوك ومنهم امرؤ القيس بن حجر الكندى الشـــاعر ، ولهم بطون عديدة منها الكاسك والسكون والصدف وتجيب وغيرهم .

انظر : القلقشندى : قلائد الجمان ، عمر بن رسول : طرفة الأصحاب ، ص ٤٩ — ٥٠ ، الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ١٧٢ ، نشـــوان : منتخبات ، ص ٩٤ .

(٣٦) خزاعة : قبيلة كبيرة من الأزد من كهلان القحطانية ، وهم بنو عمر بن ربيعة ، وهو لحى بن حارثة ، وقيل لهم خزاعة لأنهم تخلفوا عن الأزد واقاموا بمكة : قال حسان :

لــــا هبطنــــا بطــــن مــــر تخزعــت
خزاعـــة عنـــا فى حلـــــول كراكـــر

وقد اقام بعضهم بمكة وغيرهم فى المدينة والشام وعمان وكانوا ارباب البيت الحرام ، وكان تفرقهم أيام سيل العرم .

انظر : الجزرى : اللباب ، جـ ١ ، ص ٤٣٩ ، ابن حزم : جمهـــرة أنساب العرب ، ص ٤٨٠ ، عمر بن رسول : طرفة الاصحاب ، ص ٤٦ — ٤٧ ، ٥٧ ، نشـــوان : منتخبات ، ص ٣٢ — ٣٣ .

ولخم(٣٧) وجذام(٣٨) وانمار آل الطاهر(٣٩) من كهلان وآل الدوارى وآل الفهد من بنى الحرث ملاعب الأسنة (٤٠) .

---

(٣٧) لخم : هم بنو لخم بن عدى بن الحارث بن مرة ، ينتهى نسبه الى كهلان ، كان له من الولد جزيلة ونمارة ولهم بطون عديدة ، ومنهم ملوك الحيرة فى العراق ، ومن بقاياهمملوك اشبيلية بالاندلس (دولة بنى عباد) ويقول نشوان الحميرى : لخم مشتق من لخم وجه الرجل اذا كثر لحمه وغلظ ومنهم امراة فرعون المذكورة فى القرآن .

انظر : نشوان : منتخبات ، ص ٩٤ — ٩٥ ، عمر بن رسول : طرفة الاصحاب ، ص ٤٩ ، القلقشندى : قلائد الجمان ، ص ٦٩ — ٧١ .

(٣٨) جذام : هم بنو جذام بن عدى بن الحارث أخو لخم ، ينتهى نسبهم الى كهلان ، ولهم بطون كثيرة ويقال ايضا انهم من مضر ، ثم انتقلوا الى اليمن ، وهم أول من سكن مصر من العرب ، حينما قدموا مع عمرو بن العاص .

انظر : القلقشندى : قلائد الجمان ، ص ٥٤ — ٦٩ ، نشوان : منتخبات ، ص ١٩ ، عمر كحالة : معجم قبائل ، جـ ١ ، ص ١٧٤ .

(٣٩) أنمار : هم بنو انمار بن اراش بن الغوث بن النبت بن مالك ابن زيد بن كهلان ، كانت بلادهم فى سروات اليمن والحجاز ، ثم افترقوا أيام الفتح الاسلامى ، ومنهم بطون عديدة ، ويذكر المؤرخ الحجرى ان آل الطاهر من ذرية سبأ الملطوم الذين سكنوا مدينة صعدة . والواقع أن اسم سبأ يجمع معظم القبائل اليمنية نسبة الى سبأ بن يشجب بن قحطان .

أنظر : الحجرى : مجموع بلدان ، جـ ٣ ، ص ٤١٣ — ٤١٤ ، ٤٧٩ ، نشوان : منتخبات ،ص٤٦ ، القلقشندى : قلائد الجمان ، ص ١٠١—١٠٦ .

(٤٠) يتضح من النص السابق نسبة آل الدوارى ومنهم صاحب المخطوطة الى بنى الحارث السابق الاشارة اليهم ، وهذا هو الصواب لأن المؤلف أدرى هو بنسبه عن غيره فى معظم الأحوال ، كما نسب آل الفهد الى بنى الحارث ايضا . أما استخدام تعبير ملاعب الأسنة كصفة لبنى الحارث ، فقد أورد الزركلى فى كتابه الاعلام هذا التعبير ونسبه الى عامر ابن مالك العامرى « أبو براء » فارس قيس الذى نعت به بقوله :

ولاعب اطراف الأسنة عامر
فراح له حظ الكتيبة أجمع

هذا وقد عثرنا على شاهد قبر بجبانة صعدة تنتهى فيه النسبة
=

سـطر ٧ — ومنهم آل أبى غبـار(٤١) الكل من مذحج وآل العوشى من أمير شاكر أخو وايلة ودهمة(٤٢) وآل محيى الدين(٤٣) وآل النجار(٤٤) وآل البحرى(٤٥) وآل

= الى الفهد الصايدى ، ولعل النسبة فيه الى الصـايدى اشارة الى جودة استخدام أسـنة الرماح فى الصيد .

انظر : الزركلى ، الاعلام ، الطبعة الثالثة ، جـ ٤ ، ص ٢٥ ، عمر بن رسول : طرفة الأصحاب ، ص ١٣٥ ، الحجرى : مجموع بلدان اليمن وقبائله ، جـ ٢ ، ص ٢٠٨ — ٢١٣ ، مصطفى شيحة : شـواهد صـعدة ، جـ ١ ، ص ١١٩ ، لوحة ٣٩ .

(٤١) آل ابى غبار من قبائل مذكر النجرانية فى صاعر وينتهى نسبهم الى مذحج كما ورد فى المخطوطة .

انظر الحجرى : مجموع بلدان ، جـ ٤ ، ص ٧٣٤ .

(٤٢) آل العوشى : بطن من قبيلة شاكر أخو وايلة ودهمة من قبائل همدان ثم من بكيل ، ولد شاكر بن ربيعة بن الدهام بن مالك بن معاوية بن صعب بن دومان بن بكيل ، تقع بلادهم ما بين مارب ونجران ومنها الجوف وبرط وغيرها ، وقبائل دهمة هم ذو غيلان أهل برط والجوف وآل سليمان وغيرهم باليمن .

انظر : الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ٢٦٦ ، ٢٨٧ ، الحجرى : مجموع بلدان ، جـ ٢ ، ص ٣٣٦ ، جـ ٣ ، ص ٤٣٩ — ٤٤٠ ، ٤٧٣ ، نشوان الحميرى : منتخبات ، ص ٢٧ .

(٤٣) آل محيى الدين من سكان صعدة ، نسبهم الدوارى ضمن بيوت اخرى الى وايلة فى السطر رقم ٨ من الورقة الاولى .

(٤٤) آل النجار : لهم بطون عديدة ، وهم من بطون قبيلة الخزرج فى الأصل من كهلان من القحطانية .

انظر : ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٤٧٢ ، عمر بن رسول : طرفة الأصحاب ، ص ٤٦ ، نشوان : منتخبات ص ١٠١ ، ١٠٢ .

هذا ولآل النجار شواهد عديدة فى جبانة صعدة نشرنا بعضها فى الجزء الاول من كتابنا .

(٤٥) آل البحرى : نسبة الى بنى بحر ، من بطون خولان بن عمرو بن قضاعة ، ينتهى نسبهم الى كهلان ، وهم فى بلاد صعدة ، ولهم ايضـا مخلاف من ناحية عتمة على بعد ٦٢ كم ، جنوب غرب مدينة ذمار ، ومنهم =

النجرى(٤٦) .

سطر ٨ — الهرس(٤٧) الخزرج وآل البدرى(٤٨) من وايلة وآل الزوام وطاى صعدة من الأوس(٤٩) وآل زيدان من طيى(٥٠)

=
اشراف تهامة فى المنصورية ، وآل البحر ايضا من قبائل ذو محمد بن غيلان فى ناحية برط ، على بعد مسافة ٢٢٣ كم شمال شرق صنعاء ، ولهم شواهد قبور عديدة بجبانة صعدة .

انظر : عمر بن رسول : طرفة الأصحاب ، ص ٤٦ ، الحجرى : مجموع بلدان ، جـ ٢ ، ص ٢١٥ ، جـ ٤ ، ص ٤٦٩ ، ٤٧٤ — ٤٧٦ ، المقحفى : المعجم ، ص ٦٧ ، مصطفى شيحة : شواهد صعدة ، جـ ١ ، ص ١١٠ ، لوحة ٣٠ .

(٤٦) النجرى : نسبة الى نجرة ، بلدة من ناحية الشغادرة واعمال حجة ، وحجة مدينة كبيرة عامرة شمال غرب صنعاء بمسافة ١٢٧ كم ، وتقع على جبل متوسط ارتفاعه (١٩٠٠ م) فوق سطح البحر .

انظر : الحجرى : مجموع بلدان ، جـ ١ ، ص ١٢٧ ، المقحفى : المعجم ، ص ١٧٠ — ١٧١ ، ٣٦٩ .

(٤٧) نسب الدوارى الهرس الى قبيلة الخزرج من الأزد والهرس نسبة الى حمير .

انظر : عمر بن رسول : طرفة الأصحاب ، ص ٥٠ ، ٧٥ ، ابن حزم جمهرة انساب ، ص ٤٧١ — ٤٧٢ .

(٤٨) آل البدرى : من الأشراف من ذرية محمد بن القاسم الرسى يسكنون ناحية بلاد صعدة ، وربما نسبة الى وادى بدر ايضا فى جماعة من أعمال صعدة ، وقد نسبهم الدوارى الى وايلة .

انظر : الحجرى : مجموع بلدان ، جـ ١ ، ص ١٠٥ .

(٤٩) آل الزوام هم بنو الزوم من ادباء اليمن وينتهى نسبهم وطاى صعدة الى الأوس من الازد .

عمر بن رسول : طرفة الأصحاب ، ص ٤٦ ، الحجرى : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٣٩٧ ، جـ ٣ ، ص ٤٧٩ .

(٥٠) آل زيدان من بطون طى كما ذكر المؤلف (راجع الحاشية ٣٤) . ويذكر الحجرى ان آل زيدان انتقلوا من مكة والمدينة الى صعدة .

انظر الحجرى : مجموع بلدان : جـ ٣ ، ص ٤٨٠ .

وآل الزويد من عبيدة(٥١) وهم من

سطر ٩ — كهلان وآل الطيرى(٥٢) وآل الحداد(٥٣) من كهلان وأصلهم من سفيان بن أرحب بكيل وهم كهلان وآل الشقرى(٥٤) من الأزد وآل

سطر ١٠ — السخى من وسخة(٥٥) وآل صبرة من

---

(٥١) آل الزويد فرع من قبيلة عبيدة جنب بشمال صعدة وعبيدة جنب بطن من قبائل مذحج .

انظر : عمر بن رسول : طرفة الأصحاب ، ص ٤٨ ، الحجرى ، جـ ١ ، ص ١٩٢ ، جـ ٣ ، ص ٤٧٩ ، ٥٧٥ .

(٥٢) آل الطيرى : من قبائل بلاد رداع ، يسكنون فى قرى العرش برداع (تبعد عن مدينة زمار بحوالى ٥٣ كم الى الشرق منها) ، وشيخهم الطيرى من مشاهير الرؤساء فى اليمن .

الحجرى : مجموع بلدان ، جـ ٢ ، ص ٣٦٣ ، جـ ٣ ، ص ٥٦٠ .

(٥٣) آل الحداد : فرع من قبيلة سفيان المشهورة بن أرحب بن الدعام ، وينتهى نسبهم الى كهلان ولهم بلاد واسعة فى اليمن سميت باسم فرعهم آل الحداد ، وهم أيضا من بيوت العلم فى اب ، والاشراف آل الحداد من آل باعلوى فى حضرموت .

انظر : الحجرى : مجموع بلدان ، جـ ٢ ، ص ٢٥٠ ، وقد عثرت لهم على ثلاثة شواهد بالجبانة ترجع الى تواريخ عام ٩٤٠ هـ (اثنان) ، و٩٤١هـ سننشرهم قريبا ان شاء الله ولهم شواهد اخرى بالجبانة .

وأنظر أيضا ابن حبيب : مختلف القبائل ومؤتلفها ، ص ٥٩ .

(٥٤) آل الشقرى : ينتهى نسبهم الى قبيلة الأزد (راجع الحاشية رقم ٣٣) ويحتمل النسبة الى بلدة شقرة على ساحل البحر الهندى شرق عدن .

الحجرى : مجموع بلدان ، جـ ٣ ، ص ٤٥٥ — ٤٥٦ .

(٥٥) النسبة هنا الى قرية وسخة من مخلاف صعدة من خولان قضاعة ، ذكرها الهمدانى فى صفة جزيرة العرب ، ص ٢٢٥ ، وهو الأقرب الى الاحتمال ، اذ ان حرف الخاء فى الكلمتين منقوط فى الأصل ، كذلك توجد قرية تسمى وسحه ، ذكرها الهمدانى أيضا فى صفة جزيرة العرب ، ص ١٢٩ ، أيضا من أعمال صعدة ووشحة بسكون الشين المعجمة حصن من بلاد حجور .

انظر : الحجرى : مجموع بلدان ، جـ٤ ، ص ٧٦٧ ، المقحفى : المعجم ، ص ٧٤٤ — ٧٤٥ .

صنعا [ء] من البقرا وهم الأبقور من سحار(٥٦) وآل حنظلة والحباقرة صنعانيون وهم حميريون(٥٧) وبنو حمزة(٥٨) .

سطر ١١ — من حمير القاضى نشوان (٥٩) من حمير الروابعة

---

(٥٦) آل صبرة من بيوت العلم باليمن ، وهم من قبيلة الأبقور من خولان ولهم بقية ، والأبقور أيضا قبيلة من الأزد والنسبة اليها باقرى ، (وصبر أيضا) بفتح الصاد والباء واد غربى صعدة ، أما سحار فبلدة بناحية صعدة نسبة لسحار من قبائل خولان بن الحاف بن قضاعة أحد أعمال صعدة الخمسة ومركزها السنارة .

انظر : الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ١٢٩ ، حاشية رقم ٦ ، ص ٢٢٥ ، الهمدانى أيضا : الاكليل ، جـ ١ ، ص ٣٤٤ .

(٥٧) آل حنظلة والحباقرة ، ذكرهم الدوارى على أنهم من صنعاء وينتهى نسبهم الى حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، الذى ولى الملك بعد سبأ ، وتذكر عنه المصادر : أنه ملك الارض كلها وزاد ملكه على مائة سنة وهو اكبر من كهلان ، على انه يوجد فى ناحية بنى الحارث شمال صنعاء بيت حنظل لعله من المشار اليه فى مخطوطه الدوارى ، كما يورد المؤرخ الحجرى أيضا أن بنى حنظل أو بيت حنظل يعدون ضمن السدس السادس من بنى الحارث .

انظر عن حمير : كتاب التيجان فى ملوك حمير ، رواية وهب بن منبه ، تحقيق مركز الدراسات اليمنية ، صنعاء ، الطبعة الاولى ، محمد عبد القادر بافقيه : تاريخ اليمن القديم ، بيروت ١٩٨٥ ، ص ١٤١ ، عمر بن رسول : طرفة الأصحاب ، ص ٧٠ ، الحجرى : مجموع بلدان ، جـ ٢ ، ص ٢١٠ .

(٥٨) بنو حمزة من الأشراف ، أولاد حمزة بن أبى هاشم الحسن بن عبد الرحمن بن يحيى بن عبد الله بن الحسين الرسى ، والحمزات بفتح فسكون ، وطن بالشمال من صعدة بمسافة ١١ كم .

الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ٢٢٥ ، الحجرى : مجموع بلدان ، جـ ٢ ، ص ٢٨١ ، المقحفى المعجم ، ص ٢٠٢ .

(٥٩) القاضى نشوان : هو نشوان بن سعيد بن سلامة الحميرى المتوفى عام ٥٧٣ هـ/١١٧٧ م من نسل حسان ذى مراثد الملك الحميرى علامة فى اللغة والأدب والفقه والتاريخ وعلم الأنساب ، شاعر ومؤرخ ، شارك فى علوم كثيرة ، وقام أيضا بدور سياسى فى الحياة اليمنية ومن أشهر مؤلفاته شمس العلوم ودواء العرب من الكلوم فى ثمانى مجلدات ، والقصيدة

=

من سلاطين حجة(٦٠) الحداودن من الأبنا [ء] من الذين خرجوا مع سيف [بن ذى] يزن (٦١) وأكثر .

سطر ١٢ — أهل السر من الأبنا [ء] والأبنا (ء)

=
الحميرية وتسمى النشوانية ، وله مؤلفات أخرى كالفرائد والقلائد وكتاب أحكام صنعاء وزبيد وغير ذلك .

هذا وقد تولى نشوان الحميرى مخلاف صعدة وعاش بها فترة طويلة من الزمن وقبره فى حيدان بناحية خولان من أعمال صعدة ويعرف محله بالشاهد .

أنظر : الهمدانى : الاكليل ، ج ١ ، ص ١٩ ، حسين بن عبد العمرى : مصادر التراث اليمنى فى المتحف البريطانى ، دمشق ١٩٨٠ ، ص ٤١ — ٤٥ ، أيمن فؤاد سيد : مصادر تاريخ اليمن ، ص ١١٠ — ١١١ ، الحجرى : مجموع بلدان ، جـ ٣ ، ص ٤٧٦ .

(٦٠) لعل المقصود بالروابعة النسبة التى آلت الربيع ، من قبائل جماعة بصعدة ، وآلت الربيع أيضا من قبائل رازح من بلاد صعدة أيضا . وحجة : بلد مشهور من بلاد همدان سبقت الاشارة اليه .

أنظر : ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٢ ، ص ٢٢٥ ، الحجرى : مجموع بلدان : جـ ١ ، ص ١٩١ ، جـ ٢ ، ص ٣٤٢ — ٣٤٥ .

(٦١) الحدادون : هم الذين يعملون فى الحدادة فى مدينة صعدة ، كما ذكرهم الحجرى ، وينسبون الى الابناء من الفرس الذين قدموا مع سيف بن ذى يزن لمقاومة الأحباش فى اليمن واستمروا فى العيش فى بلاد اليمن حيث يطلق عليهم مصطلح الابناء . وسيف بن ذى يزن هو ابن النعمان بن زرعة بن الحارث بن النعمان ، ينتهى نسبه الى عدى بن مالك ابن حمير الاصغر ، ومن المعروف أن الفرس ساعدوا سيف بن ذى يزن بجيش كبير فى مقاومته للاحباش فى اليمن ، حتى انتصر عليهم وتملك اليمن فى القرن السادس الميلادى .

انظر : الهمدانى : الاكليل ، جـ ٢ ، ص ٢٥٨ ، الحجرى : مجموع بلدان ، جـ ١ ، ص ٥٤ .

ويوجد للأبناء فى وادى السر بشرقى صنعاء قرية تسمى الأبناء ، من ناحية بنى حشيش من خولان ، وقد أوضح الدوارى فى مخطوطته ذلك فى السطرين رقمى ١١ ، ١٢ حيث يذكر « وأكثر أهل السر من الأبناء والأبناء من الفرس » .

من الفرس [بياض](٦٢) المتميز(٦٣) من الفرس جدهم وهرز الذى خرج مع سيف ذى يزن ومن أولاده بنى بهلول

سطر ١٣ — حول صنعا [،] (بياض)(٦٤) صارم الدين ابراهيم بن محمد بن عبد الله من ولد الهادى (عليكم)(٦٥) [بياض](٦٦)

---

(٦٢) بياض فى الأصل .

(٦٣) آل المتميز : ينسبون الى القائد الفارسى وهرز ، قائد كسرى والذى تراس الحملة الفارسية الى اليمن عام ٥٧٥ م لمساعدة سيف بن ذى يزن ، ثم عاد الى بلاده ، بعد تحقيق النصر على الأحباش ، وقد عينه كسرى واليا من قبله على بلاد اليمن .

انظر : الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٢ ، ص ٤٨ (طبعة دار المعارف ، القاهرة) .

هذا وتوجد شواهد قبور عديدة بجبانة صعدة لآل المتميز ، وينسب اولاد بنى بهلول كما هو واضح من النص الى وهرز الفارسى ، وتوجد حاليا ناحية بنى بهلول فى الشرق من صنعاء بها قرى كثيرة .

انظر : الحجرى : معجم بلدان ، ج ١ ، ص ١٣١ .

(٦٤) بياض فى الأصل .

(٦٥) هو : ابن الوزير ابو محمد صارم الدين ابراهيم بن محمد بن عبد الله الهادى بن ابراهيم بن على المرتضى ، عالم كبير ولد عام ٨٣٤ هـ/ ١٤٣٠ م وتلقى علومه عن علماء صنعاء وصعدة ومنهم على بن موسى الدوارى وعلى بن محمد المرتضى والامام المتوكل على الله المطهر فى جميع الفنون ، وصار المرجع فى عصره لطلبة العلم ، وله مصنفات عديدة اشهرها هداية الافكار والفصول اللؤلؤية والفلك الدوار واشتهر له القصيدة البسامة وغير ذلك وتوفى عام ٩١٤ هـ/١٥٠٨ م وقبره فى جربة الروضة فى صنعاء ، (عليكم) : عليهم السلام .

انظر : عبد الله الحبشى : مصادر الفكر : ص ، ٥٠ ، العمرى : مصادر التراث ، ص ٢٤٣ — ٢٤٥ ، أيمن فؤاد : مصادر تاريخ اليمن ، ص ١٩٢ — ١٩٥ .

(٦٦) بياض فى الأصل .

الهـــــبى(٦٧) [بيــاض](٦٨) المعتـــود(٦٩) [بيــاض](٧٠) علمــان بن ربيعــة

ســطر ١٤ — بن نزار(٧١) وآل ســــهيل من بنى شـــهاب حضور من بيت ردم(٧٢)

---

(٦٧) الهبى من نزار بن معد بن عدنان من ولد مضر بن ربيعة ، وهم من سكان صعدة، ومنهم محمد بن عبد الله الهبى من ادباء القرن العاشر الهجرى باليمن ، عاش بمدينة صعدة .

انظر : ابن حزم : جمهرة انساب العرب ، ص ٩ — ١٠ ، الحبشى : مصادر الفكر ، ص ٣٣٢ .

هذا وقد ذكرهم ابن بطوطة فى رحلته فى اليمن حيث يذكر عنهم : « ... اوصلنى الى بلدة السرجة ، بلدة صغيرة يسكنها جماعة من اولاد الهبى ، هم طائفة من تجار اليمن ، أكثرهم ساكنون بصعداء ولهم فضـــل وكرم واطعام لأبناء السبيل يعينـــون الحجـــاج ويركبونهم فى مراكبهـــم ويزودونهم من أموالهم .... » .

أنظر : ابن بطوطة : الرحلة ، تحقيق على المنتصر الكتانى ، الطبعة الرابعة سنة ١٩٨٥ ، جـ ١ ، ص ٢٧٢ .

(٦٨) بياض فى الأصـــل .

(٦٩) لم استطع ضبط الكلمة او التحقق منها .

(٧٠) بياض فى الأصـــل .

(٧١) علمان : بضم العين وسكون اللام قرية من جبل الاهنوم مشهورة بالعلم والعلماء وايضا قرية من ناحية بنى الحارث بصنعاء ، وبطن من همدان من ولد الأهنوم بن شاحذ بن حذيق بن جشم بن حاشد وديارهم فى الشمال من حجة ، وايضا علمان بطن من قبيلة ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان من سكان صعدة .

انظر : ابن حزم : جمهرة انساب العرب ، ص ٩ ، ١٠ ، الحجرى : مجموع بلدان ، جـ ٣ ، ص ٦١٠ ، المقحفى ، المعجم ، ص ٦٠ .

(٧٢) آل سهيل : فرع من بنى شهاب الذى ينسب على الأرجح الى العاقل بن الأزمع بن خولان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة ، والنســبة الى حضور : بالفتح ثم بالضم وسكون الواو وراء ، بلدة باليمن من أعمال مدينة زبيد ، سميت بحضور بن عدى بن مالك بن حمير بن سبأ ، بيت ردم نسبة الى ذو ردم ، بفتح الراء والدال المهملة واسكان الميم ، فخذ من قبيلة =

[بيــاض](٧٣) بهريون(٧٤) [بياض](٧٥) حجاج(٧٦)
[بيــاض](٧٧) قرضـــة من تميـــم من عــدنان(٧٨)

=
ذو حزفر ، تعرف ببيت ردم ، وهى قرية مشهورة من قرى مخلاف شهاب ناحية بنى مطر ، غرب صنعاء ، يعرف قديما بناحية البستان .

انظر : عمر بن رسول : طرفة الأصحاب ، ص ٥٠ ، ٧٦ ، الحجرى : مجموع بلدان ، جـ ١ ، ص ١١٨ — ١٢٢ ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٢ ، ص ٢٧١ ، المقحفى : ص ٢٧٣ ، ص ٦٣٣ .

(٧٣) بياض فى الأصـــل .

(٧٤) يحتمل : بهريون : قبيلة باليمن ، تنسب الى بهراء بن عمـرو ابن الحاف بن قضاعة ، والنسبة اليهم بهرانى ، ويحتمل أيضا يهريون : نسبة الى يهر : قصر حميرى كان فى بيت حنبص من ناحية البســـتان ، وذويهر ملك من ملوك حمير ، ومن ولده يعفر ذويهر بن الحـــارث ، ومن نسلهم أبو نصر محمد بن عبد الله بن يعفر العلامة النسابة ، الذى اخذ عنه الهمدانى مؤرخ اليمن فى القرن الرابع الهجرى /١٠ م ، وقد هــرب من القرامطة الى مدينة صعدة ، ليعيش فيها ، ولعله هو أصل هذه القبيلة فى صعدة ، ولذلك فاننا نرجح المقصود يهريون وليس بهريون فى المخطوطة .

انظر : نشوان الحميرى : منتخبات : ص ١١٨ ، القلقشندى : قلائد الجمان ، ص ٤٩ — ٥٠ ، الحجرى : مجموع بلدان : جـ ١ ، ص ١٣٠ ، جـ ٤ ، ص ٨٠٦ .

(٧٥) بياض فى الأصـــل .

(٧٦) حجاج : آل حجاج من قبائل وادعة بصعدة ، نسبة الى وادعة التى اختلف فى نسبها فقيل وادعة بن عمرو الملطوم بن عامر ماء السماء الأزدى ، وقيل من همدان من ولد وادعة بن عمرو بن حاشد ، وقيل هم من حمير من ولد وادعة بن عمرو بن الفقاعة ، وفى صنعاء : بنو الحجاج من الازد .

انظر : نشوان : منتخبات ، ص ١١٤ ، الحجرى : مجموع بلدان ، جـ ٢ ، ص ٢٢٩ ، جـ ٣ ، ص ٥٢٣ .

(٧٧) بياض فى الأصـــل .

(٧٨) قرضة بيت من عدنان ، نسبة لتميم بن طانجة بن اليـــاس بن مضر بن نزار بن عدنان من أولاد اسماعيل عليه السلام .

انظر : عمر بن رسول : طرفة الأصحاب ، ص ٧٩ ، الهمــدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ٢٥٤ .

[بيـــــــاض](٧٩) قـــرة(٨٠) [بيـــاض](٨١)

ســـطر ١٥ — الجميلى وآل النويرى وآل الفلوة وآل الوراق وآل اليامى وآل الخدينة وآل المبتـــدع ينسبون الى أمية(٨٢) وآل

ســـطر ١٦ — الحطروم من نزار الظاهر وقيل من هران(٨٣)

---

(٧٩) بياض فى الأصـــل .

(٨٠) قرة : ربما نسبة الى ابن قرة صاحب المسند المتوفى عـــام ٢٠٢ هـ ، وقرة أيضا من قبائل حضرموت تقيم على الجبال المشرفة على ظفـــار .

أنظر : الهمدانى : صفة جزيرة العرب : ص ١٠٠ ، ١٠١ ، المقحفى : المعجم ، ص ٥٢٥ .

(٨١) بياض فى الأصـــل .

(٨٢) نسب الدوارى البطون السبعة فى هذا السطر (١٥) الى بنى امية بنى عبد شمس ، بطن عظيم من قريش ، ابن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك ابن النضر بن كنانة بن معد بن عدنان . وقد تكون النسبة الى أميـــة بن عوف ، بطن من الأوس من القحطانين وهذا الأرجح فى رأينا .

والواقع أن هذه البيوت السابقة هى من سكان مدينة صعدة ونواحيها وترجع أصولها أيضا الى بعض القبائل فى أرض حاشـــد وبكيل باليـــمن فالجميلى ربما نسبة الى ذو جميل من آل عمار من بكيل فى بلاد صـــعدة وآل النويرى كما أخبرنى المؤرخ عبد الله الحبشى يقال لهم آل النويرة ، وقف هو على بعض أعلامهم فى تاريخ مسلم اللجمى ، وهم من كبار علماء المطرفية فى اليمن ، وآل الفلوة من قريش الذين سكنوا صعدة من العدنانية ، وآل اليامى ينسبون الى السلطان حاتم بن أحمد اليامى : اول من اختـــط روضة حاتم ، وهو من سلاطين القرن السادس الهجرى باليمن .

انظر : عمر كحالة : معجم قبائل العرب ، جـ ١ ، ص ٤٢ — ٤٥ ، ٤٦ ، ابن حبيب : مختلف القبائل : ص ٥١ ، عمر بن رسول : طرفة الأصحاب ، ص ٧٩ ، الحجرى : مجموع بلدان ، جـ ١ ، ص ١٠٩ ، ١٢٧ ، ١٩٢ .

(٨٣) نسب الدوارى الحطروم الى نزار الظاهر من حاشد . وقـــد عثرنا على شاهد قبر بجبانة صعدة مؤرخ بعام ٨٤٩ هـ ، تنتهى فيـــه =

وآل عزيو من بنى سريح(٨٤) وآل معتق من نهم(٨٥) وآل سوادة وآل الصعدى من تغلب(٨٦)

=

النسبة الى الحطروم » اضافة الى شاهد قبر سبق نشره ايضا بنفس النســبة .

أنظر : مصطفى شيحة : شواهد قبور صعدة ، جـ ١ ، ص ١٠٣ — ١٠٤ ، لوحة ٢٥ ، وايضا : مصطفى شيحة : شواهد قبور أثرية محفوظة بمتحف قسم الآثار بجامعة صنعاء ، القاهرة ١٩٨٤ ، ص ٦ — ٨ .

وهران : بلد وواد من بلاد بكيل فى ناحية ذى بين شمال غرب صنعاء بمسافة ٩٤ كم ، بها اثار حميرية ، وهران أيضا حصن معروف فى مدينـــة ذمار ، وهران سد حميرى قديم فى حقل بلاد بريم .

أنظر : الحجرى : مجموع بلدان ، جـ ٤ ، ص ٧٥١ ، وياقوت : معجم البلدان ، جـ ٤ ، ص ٥٧ ، الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٥٢ .

(٨٤) آل عزيو : ينسبون الى بنى سريح بن سهل بن صاع ، ينتهى نسبه الى بكيل ومنهم علماء .

الحجرى : معجم بلدان : جـ ٣ ، ص ٤١٩ .

(٨٥) آل معتق : من قبيلة نهم الكبيرة وهى من الفـــروع الاربعـــة الرئيسية لقبيلة بكيل بن جشم بن همدان ، وتنقسم قبائلهم فى اليمن الى غفيرى ومحلفى .

انظر : الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ٢١٧ ، ٢٥٠ ، نشوان : منتخبات ، ص ١٠٥ .

(٨٦) آل سوادة : هم آل عبد الله بن يحيى من ذى موسى وهم آل سوادة فى وادى ذى الحيط ببرط ، وهم من سكان وادى هبـــة من بلاد حاشد ، ينتمون الى (ذو جواد) من بطون حاشد .

والصعدى ، ربما النسبة فيه الى غيل صعدة ، خرج منه بعـــض الشعراء ، وقد نسبهم الدوارى الى بنى تغلب بن وائل بن بكر ، ينتهى نسبه الى عدنان .

أنظر : القلقشندى : قلائد الجمان ، ص ١٢٩ — ١٣٢ ، عمر كحالة : المعجم ، جـ ٢ ، ص ٥٦٣ ، الحجرى : معجم بلدان ، جـ ١ ، ص ١١٠ ، جـ ٢ ، ص ٢٢٠ .

سـطر ١٧ : وآل الرقيمى من مذحج(٨٧) وآل العقيلى من بنى عوير(٨٨) وآل الحكيمة وآل (الثور) وآل جعيرة وآل قشيع من الزيود

سـطر ١٨ : من مازن من عدنان(٨٩) وآل أبى السهم وآل الخراط وآل أبى اللخم وآل أبى النجم حميريون(٩٠) وآل محرم(٩١) وآل (السنة)(٩٢) من صعدة

---

(٨٧) آل الرقيمى ، ينتهى نسبهم الى مذحج ، وهم من اهل صعدة ، منهم على بن عبد الله بن سليمان الرقيمى ، من علماء اليمن اجازه العلامة يحيى بن ابى بكر العامرى باجازة مؤرخة عام ٩٠١ هـ .

عن/ الحبشى : مصادر الفكر العربى ، حاشية رقم ٩ ، ص ٢٠٦ .

(٨٨) آل العقيلى من بطون بنى عوير من قبائل سحار فى بلاد صعدة .

انظر عنهم : الحجرى : معجم بلدان : جـ ٢ ، ص ٢١٦ ، جـ ٣ ، ص ٤٧٤ ، ٦١٨ .

(٨٩) نسب الدوارى آل الحكيمة وآل الثور وآل جعيرة وآل قشيع الى الزيود من مازن من عدنان (العدنانية) وقد عثرنا بهذه الجبانة على شاهد قبر من آل الحكيمة مؤرخ بعام ٧٠٥ هـ . آل جعيرة من بلدان ريحة قرب سهام وادى مشهور باليمن .

والواقع أن قبائل الزيود كثيرة جداً وبطونها عديدة من العدنانيين والقحطانيين .

انظر : عمر كحالة : معجم قبائل العرب : جـ ٢ ، ص ٤٨٨ — ٤٩٢ ، القلقشندى ،قلائد الجمان ، ص ١١٣ — ١١٧ ، الحجرى : معجم بلدان : جـ ١ ، ص ١٦٩ ، ١٩٠ ، جـ ٢ ، ص ٢١٦ ، ٣٧٩ ، جـ ٣ ، ص ٤٧٤ ، المقحفى ، المعجم ، ص ٣٣٩ .

(٩٠) راجع الحاشية رقم ٢٠ ، ٥٧ .

(٩١) نشرنا عدة شواهد لآل المحرم من جبانة صعدة مؤرخة بعام ٩١٨ هـ ، ٩٦٠ هـ .

انظر : مصطفى شيحة : شواهد صعدة ، جـ ١ ، ص ١٣٨ ، لوحة ٥١ ، ص ٦٨ ، لوحة ٧٧ .

(٩٢) لم استطع ضبط الكلمة والتحقق منها . وربما آل السبينة أو الشبينة ؟

ســطر ١٩ : القديم وآل حامد وآل ربيع وآل المداهنى من ذرية اسحق بن (عبد) الباعث(٩٣) وآل القليتى (الخطــابين) من همدان(٩٤) [والقصاورين](٩٥)

ســطر ٢٠ : الهادى وأصحابه وبنى عميم من بنى الحارث(٩٦)

---

(٩٣) أرجع الدوارى نسبة البيوت : آل حامد ، آل ربيــع ، آل المداهنى الى اسحق بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الملك بن عبد الباعث ، من علماء الزيدية باليمن عامة وبمدينة صعدة خاصة ، فقد عاش بها وتولى الخطابة فى جامع الامام الهادى يحيى بن الحسين ، وقد توفى عام ٥٥٥ هـ وقبره بصعدة وله عدة مصنفات .

انظر : الحبشى : مصادر الفكر العربى الاسلامى ، ص ١٧٢ — ١٧٣ . هــذا وقد عثرنا فى هذه الجبانة على شـــواهد قبور عديدة لآل حامــد ولآل الربيــع .

انظر : مصطفى شيحة : شواهد صعدة ، جـ ١ ، ص ١٥٧ ، لوحة ٦٥ ، ص ١٦٨ ، لوحة ٧٣ .

(٩٤) بنو قليتة من بنى الخطاب من قبائل جماعة فى بلد صعدة ، وبنو خطاب أيضا : بلد فى حراز باليمن وينتهى نسبهم الى قبيلة همدان الكبيرة .

انظر : المقحفى : المعجم : ص ٢٢٣ ، الحجرى : مجموع بلدان ، جـ ٢ ، ص ٣٠٨ ، جـ ٣ ، ص ٤٧٥ .

(٩٥) أرجح أن تكون نسبة آل القصاورين الى موضع قصائره التى أوردها الهمدانى ضمن حديثه عن ديار ربيعة من العروض ونجد أو ربما تكون النسبة الى قصير بن درما بطن من طيى من كهلان من القحطانين ؟

انظر : الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ٢٩٤ ، عمر كحالة : معجم قبائل العرب ، جـ ٣ ، ص ٩٥٦ .

(٩٦) آل هادى من قبائل بنى نوف فى ناحية الجوف ، وبيت الهادى فى المداير من ناحية ظليمة ، أولاد الامام الحسن بن القاسم بن المؤيد بن الامام القاسم بن محمد ، وآل هادى ايضا قرية من عزلة آل عامر ناحية الصفراء شرقى مدينة صعدة .

بنو الحارث أولاد كعب ينتهى نسبه الى مذحج ثم كهلان ومنهم بنو الحارث الأصغر بن مالك .

بنو عميم ربما النسبة فيهم الى عمير ؟ من قبائل وادعة بصعدة .

انظر : الحجرى : مجموع بلدان ، جـ ٢ ، ص ٢٠٨ ، جـ ٣ ، ص ٦١٢ ، جـ ٤ ، ص ٧٤٩ ، المقحفى ، المعجم ، ص ٧١٣ .

وآل فليتــه من بنى عبد المدان(٩٧) مذحج وآل الزايدى من بنى سريح(٩٨) وآل داود

ســطر ٢١ : الحوك من القد من رازح(٩٩) [بيــاض](١٠٠) المطــرى (١٠١)

---

(٩٧) آل فليتة : فرع من بنى عبد المدان من أشراف اليمن من بنى الحارث بن كعب بن مالك وهو مذحج بن أدد بن كهلان ، والحارثيون هم ملوك نجران ومنهم عبد المدان .

انظر : عمر بن رسول : طرفة الأصحاب ، ص ٦٥ ، الحجرى : معجم بلدان : ج ٤ ، ص ٦٣٤ — ٦٣٥ ، ٦٩٧ .

(٩٨) آل الزيدى من بنى سريح من قبائل همدان ولد سريح بن سهل ابن صاع . ينتهى نسبهم الى بكيل ولهم بلاد تعرف ببــلاد عيال سريح شمال صــنعاء .

راجع الحاشية رقم ٨٤ .

(٩٩) ربما المقصود بآل داود الحوك نسبة الى حرفة الصناعة فى المنسوجات (الحياكة) ، بمعنى أن تكون هذه الاسرة قد عملت فى صناعة المنسوجات وقد يكون خطأ فى الكتابة من الناسخ ؟ . الا انه يلاحظ ان الدوارى نسبهم الى العد : وهو بالكسر والفتح من سراة خولان ، أورده الهمدانى ضمن حديثه من جبل السراة والعد هو سنام خولان ، كذلك ينتمى داودد الى رازح بلواء صعدة على اسم رازح بن خولان ، وقبائل رازح حلفى وجبوزى وغمرى . وقد نشرنا فى الجزء الاول عدة شواهد لهذا البيت .

انظر : مصطفى شيحة : شواهد صعدة ، ج ١ ، الهمدانى : صــفة جزيرة العرب ، ص ١٢٨ .

(١٠٠) بياض فى الاصــل .

(١٠١) المطرى : عثرنا على عدة شواهد قبور فى جبانة صعدة ينتهى فيها النسب الى المطرى الفقيه ، وبعضها ينتسب الى الظفارى نسبة الى ظفار فى اليمن وان كان الاسم يكون مشتركا بين جملة بلدان فى اليمن ويذكر ياقوت الحموى فى معجمه : ظفار : « بفتح أوله والبناء على الكسر ، هى مدينة باليمن ، فى موضعين أحدهما قرب صنعاء ، وكان به سكن ملــوك حمير ، وظفار المشهور اليوم ، فليست الا مدينة على ساحل بحر الهند من أعمال الشحر وقريبة من صحار » . ومن المدن الاخرى المسماة بظفار :

=

[بيــــاض](١٠٢) الفقيـــــه(١٠٣) [بيـاض](١٠٤) صــبرة من ظفــــار(١٠٥) [بيــاض](١٠٦) عمــران الظفــارى من ظفــار(١٠٧)

ســطر ٢٢ : [بيـــــاض](١٠٨) فاعـــة من ثـــلا(١٠٩) [بيـــاض](١٠) مسعود الحوك من بنى مطــرف من ثــلا(١١١)

=
ظفار حصن فى حازة صنعاء وظفار حصن فى بلاد همدان الشام من اعمال صعدة ، لعلها المقصودة فى المخطوطة ، وظفار حصن فى بنى سويد أيضا من بلاد آنس باليمن .

أنظر : ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٤ ، ص ٦٠ ، الحجرى : مجموع بلدان ، جـ ١ ، ص ١٢٤ ، جـ ٣ ، ص ٥٦٤ — ٥٦٧ ، جـ ٤ ، ص ٧١٠ ، نشوان : منتخبات ، ص ٦٧ ، المتحفى : المعجم ، ص ٦٧ ، مصطفى شيحة : شواهد صعدة ، جـ ١ ، جـ ١ ، ص ١١٨ ، لوحة ٣٨ ، ص ١٤٧ ، لوحة ٥٦ ، ص ١٧٨ ، لوحة ٨١ .

(١٠٢) بياض فى الاصل .

(١٠٣) الفقيه : راجع الحاشية رقم ١٠١ .

(١٠٤) بياض فى الاصــل .

(١٠٥) آل صبرة ، ينتمون الى ظفار السابق الاشارة اليها فى الحاشية رقم (١٠١) « ويذكر عنهم الحجرى قوله : بنو صبرة : من بيوت العلم باليمن منهم فقهاء ومحدثون » ، وبنو الصبرى : من مشايخ بلاد المخادر واعمــال مدينة اب ، وصبر واد غربى صنعاء .

أنظر : الحجرى : مجموع بلدان ، جـ ٣ ، ص ٤٦٢ .

(١٠٦) بياض فى الأصــل .

(١٠٧) راجع الحاشية رقم ١٠١ .

(١٠٨) بياض فى الاصــل .

(١٠٩) فاعة او قاعة ؟ ، نسبة الى مدينة ثلا ، تبعد عن صنعاء الى الشمال الغربى بمسافة ٤٥ كم وترتفع المدينة عن مستوى سطح البحــر بحوالى ٢٤٠٠ م وبها آثار قديمة واسلامية .

أنظر ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٢ ، ص ٨٢ .

(١١٠) بياض فى الأصــل .

(١١١) ينتهى نسب بنى المطرف الى العدنانية .

أنظر : عمر كحالة : معجم قبائل العرب ، جـ ٣ ، ص ١١١٠ .

| بيـــاض](١١٢) الأحـــوش عتقـــا(١١٣) [بيـــاض](١١٤) التهوم موالى ينسبون الى

ســـطر ٣٣ : سيدهم وهو من آل أبى طويلة وآل صــــفرانة ينسبون الى آل أبى طويلة (١١٥) وآل حرمل ينســـبون الى سربة مالك بن نجـــار(١١٦) وآل

---

(١١٢) بياض فى الأصـــل .

(١١٣) يتضح من « الأحوش عتقا » كما ورد فى المخطوطة من الأسر التى أعتقت .

(١١٤) بياض فى الأصـــل .

(١١٥) التهوم من الموالى الذين عاشوا فى مدينة صعدة ونســـبهم الدوارى الى ساداتهم فى قبيلة أبى طويلة ، اما آل صفرانة فقد نسبهم المؤرخ مباشرة الى أبى طويلة والأرجح أن أبا طويلة نسبة الى الطويلة : قرية فى أعمال صعدة ، كما أن الطويلة أيضا مدينة تقع الى القرب من مدينة كوكبان على مسافة ٢٥ كم ، ويوجد عدة قرى تسمى بهذا الاسم فى اليمن ايضـــا .

هذا ويلاحظ أن آل الصفرانة ربما يمكن نسبتهم أيضا الى الصفراء من قرى آل عمار فى بلاد صعدة حيث تفرعوا من الفرع الرئيسى وعاشوا فى قريتهم التى تتبع صعدة .

هذا وقد عثرنا على عدة شواهد قبور ينتمى فيها اصـــحابها الى ابى طويلة .

انظر : مصطفى شيحة : شواهد صعدة ، ج ١ ، ص ١٠٨ ولوحة ٢٨ وشكل ١٤٠ ، ص ١٦١ ، لوحة ٣٦ ، الحجرى : مجموع بلدان ، ج ٣ ، ص ٤٨٠ ، ٥٥٩ — ٥٦٠ ، المقحفى : المعجم ، ص ٤١٥ .

(١١٦) آل حرمل : من قبائل ذو حسين ثم من الرابعة وهم فى حاشد وأيضا آل حرمل من قبائل الجدعان فى بلاد نهم وبنو مالك بطن من سحار فى بلاد صعدة .

انظر : الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ٢٠٧ ، الحجرى : مجموع بلدان ، ج ٢ ، ص ٢٥٧ ، المقحفى : المعجم ، ص ٥٨٠ .

سطر ٢٤ : مريم من نهم(١١٧) وآ لجعمل من آل الحصين مالكيون(١١٨) وآل عبيد من يرسم(١١٩) وآل عياش من صحر من بنى حى(١٢٠) وآل الطاهرى من العروس(١٢١)

---

(١١٧) آل مريم من قبائل ذو حسين بن غيلان بناحية برط ونهم من بكيل ثم من همدان .

انظر : الحجرى ، معجم بلدان ، ج ١ ، ص ١١٣ .

(١١٨) آل جعمل : يسكنون فى وادى نشور بناحية همدان من توابع صعدة ، والنسبة الى آل الحصين ، وهم مالكيون من قبائل سحار وقد وجدنا لهم بعض الشواهد بجبانة صعدة .

انظر : مصطفى شيحة : شواهد صعدة ، ج ١ ، ص ١٣٩ ، لوحة ، ٥٢ ، الحجرى : مجموع بلدان ، ج ٣ ، ص ٤٧٤ ، ٤٧٨ .

(١١٩) آل عبيد نسبهم الدوارى الى يرسم ، ويرسم جماع قبائل من الكلاع ضمن قبائل حمير ، ويرسم ايضا أرض فى الغرب الجنوبى باليمن بمسافة نحو ميل واحد من صعدة ، واسم قبيلة ايضا سبأية فى منطقة شبام الغراس شمال شرق مدينة صنعاء .

انظر : الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ٢٢٤ ، المقحفى ، المعجم ، ص ٧٥٧ .

(١٢٠) بنو حى : بكسر الحاء قوم باليمن من نسل خولان ، وبنو حى بكسر الحاء المهملة ايضا والياء المثناة من تحت قبيل من خولان قضاعة وقد نسب اليهم الدوارى آل عياشى ، وهم ايضا (آل عياشى) من وصاب السافل وهو جبل متسع بالغرب الجنوبى من صنعاء نسبة الى وصاب ابن سهل بن حمير الاكبر وقيل انه من ولد سبأ الأصغر .

انظر : الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ١٦٣ وحاشية رقم ٥ بنفس الصفحة ، عمر بن رسول : طرفة الاصحاب ، ص ٧٨ ، المقحفى : المعجم ، ص ٧٤٥ — ٧٤٦ .

(١٢١) نسب الدوارى فى مخطوطته آل الطاهرى الى العروس : حصن من ناحية البستان ، فى الجهة الغربية من صنعاء ، وحصن العروس ايضا فى اعلى قمة جبل صبر من اعمال مدينة تعز ويذكر ياقوت فى معجمه قوله : العروس : « من حصون البحار باليمن » .

وقد وجدنا لآل الطاهرى شواهد كثيرة جدا فى جبانة صعدة نشرنا بالجزء الاول بعضها .

انظر : ياقوت : معجم البلدان » ج ٤ ، ص ١١٢ ، الحجرى : مجموع بلدان ، ج ١ ، ص ١١٨ ، ١٢٢ ، ج ٣ ، ص ٥٩٨ .

سطر ٢٥ : وآل سيلان من بنى سويد(١٢٢) وآل دويرة وآل (غبيط) من كشر من قرب شظب(١٢٣) وآل النصيف من العرين(١٢٤)

سطر ٢٦ : الجراشى والجهادعة من ظاهر همدان(١٢٥)

---

(١٢٢) آل سيلان من بنى سويد من قبائل جماعة واعمال صعدة وبنو سويد أيضا بلد من آنس باليمن .

انظر : الحجرى : مجموع بلدان ، ج ٣ ، ص ٤٣٥ ، ٤٧٥ ، عمر كحالة ، معجم قبائل العرب،ج ٢ ، ص ٥٦٥ — ٥٦٦ .

(١٢٣) آل دويرة وآل غبيط ينسبون الى كشر التى ذكرها ياقوت بقوله فقط « كشر من نواحى صنعاء » ، ويذكر عنها المؤرخ الحجرى : كشر « بالضم » جبل فى حجور من بلد همدان ن، وكشر ايضا قرية من عزلة الحيدة من أعمال البيضاء وكشر أيضا من قرى حبانة وأعمال ثلا ، وأيضا كشر قرية من أعمال البستان ، الا أن الدوارى حددها فى مخطوطته بقوله « قرب شظب » ، وشظب كما ذكرها ياقوت فى معجمه خطأ باسم شطب بقوله « وباليمن جبل اسمه شطب وفيه قلعة سميت به ، ولا أدرى اهذا أم غيره » ، وقد حقق الموقع المؤرخ محمد بن الاكوع على أنه شظب ، بفتح الشين والظاء المعجمتين وآخرها باء موحدة : « جبل عظيم فيه مزارع وقرى وافر السكن والاهل ويطل على مركز السودة شمال غربى مدينة عمران بمسافة ٤٤ كم » .

انظر : ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٣٤٣ ، الهمدانى : صفة جزيرة العرب حاشية رقم ١ ، ص ١٣٦ ، الحجرى : مجموع بلدان ، ج ٣ ، ص ٤٥٢ ، ج ٤ ، ص ٦٦٥ ، المقحفى : المعجم ، ص ٣٣٧ — ٣٣٨ .

(١٢٤) آل النصيف نسبة الى وادى النصيف ببرط وهو جبل مشهور فى الشرق الشمالى من صنعاء على بعد مسافة ٢٣٢ كم ، وهو من بلدان همدان ثم من بكيل ، العرين : عزلة من ناحية رجوزة بقضاء برط .

انظر : المقحفى : المعجم ، ص ٤٥١ ، الحجرى : مجموع بلدان ، ج ١ ، ص ١٠٨ .

(١٢٥) المقصود بظاهر همدان : جبال همدان المرتفعة فى اليمن وتطلق كلمة الظاهر على الاراضى المرتفعة كقول الشاعر :

=

والحطيبا والشـــطط وآل كيـدمة من صـــنعا [ء](١٢٦) وآل العريمى من بنى سعد حوان

ســطر ٢٧ : من موالى عيان(١٢٧) وآل عاطف من بحر بنى وهب ابن مذحج(١٢٨) وآل الغزى [؟] من شريف من الحرجة(١٢٩) وآل موحمــة

=

ظهــرنا بحمــد الله والنـــاس دوننــا
كذلك مذ كنــا الى الخــير نظهـــــر

وقد اطلقت هذه التسمية فى اليمن على مواضع مرتفعة ، الجراشى : نسبة الى جرش ، بلد مشهور شمالى صعدة ، **الجهادعة نسبة الى قبيلة** همدان ، اذ انها احد بطونهم .

انظر : ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٥٧ ، المقحفى : المعجم ، ص ٥٦٣ ، الحجرى : مجموع بلدان : ج ٣ ، ص ٤٧٤ .

(١٢٦) الحطيبا : نسبة الى بنى حطيب بن اسعد التبع الملقب الكامل ، لهم بقية فى أكانط وهى قرية اثرية ، على بعد ٨٠ كم شمال صنعاء وتسمى اليوم كانط وبها بقايا قصور ناعط ، الشطط : ربما نسبة الى الشطبة من قبائل حاشد . آل كيدمة ؟ ، وقد أرجعهم الى صنعاء .

انظر : الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ٦٥٩ ، المقحفى : المعجم ، ص ٥٠ .

(١٢٧) نسب الدوارى فى تسلسله آل لعريمى الى قبيلة سعد حوان وجعلهم من موالى عيان وعيان نسبة الى موضع يسمى عيان بتشديد الياء وفتح العين من بلاد مدينة حجة باليمن وعيان ، بكسر العين وفتح اليـــاء من قرى بلاد سفيان ، اليها ينتسب الامام القاسم بن على العيانى المتوفى عام ٣٩٣ هـ ، وربما كانت نسبه آل العريمى اليه هو .

انظر : الحجرى : مجموع بلدان ، ج ٣ ، ص ٦١٨ .

(١٢٨) آل عاطف من قبائل همدان يسكنون صلع همدان وصنعاء ، وسبهم الحجرى الى بنى بحر السابق الاشارة اليهم .

راجع الحاشية رقم : ٤٥ .

(١٢٩) آل الغزى من قبائل حاشد نسبا وبلدا ، وبنو الغزى أيضا عزلة من ناحية الجعفرية وأعمال ريمه ، شريف نسبة الى بنى شريف بضم الشين من قبائل خولان من بلاد صعدة ، الحرجة : ربما المقصود بها

=

سطر ٨ ٢: هم من آل سحان لكنهم أنكروا النسبة الى لحيان(١٣٠) وآل ناجى الفقها [ء] من حملان من همدان حاشد(١٣١) وآل تريك من تميم(١٣٢) .

سطر ٢٩ : [بياض](١٣٣) عبقر من سنحان(١٣٤) [بياض](١٣٥) النحوى(١٣٦)

=
حاليا : الحرجية موضع من بلد شمير (مقنبة) بالغرب الشمالى من تعز ، والحرجة أيضا : بطن من همدان من كهلان من القحطانية وهو الارجح فى النسبة فى هذا النص .

انظر : عمر كحالة : معجم قبائل العرب ، جـ ١ ، ص ٢٦٣ ، المقحفى : المعجم ، ص ١٧٩ .

(١٣٠) نسب الدوارى آل موحمة بصعدة الى آل سحان الذين أنكروا النسبة الى لحيان من بطون خزاعة من قبيلة الأزد القحطانية ، وآل سحان بطن من قحطان عسير .

انظر : عمر بن رسول : طرفة الأصحاب ، ص ٤٧ ، عمر كحالة : معجم قبائل العرب ، جـ ٢ ، ص ٢٨١ .

(١٣١) آل ناجى من علماء اليمن وفقهائه وهم من حملان من بلاد حجة ، وينتهى نسبهم الى قبيلة همدان حاشد .

انظر : الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ١٢٤ — ١٢٥ ، حاشية رقم ٤ ، الحجرى : مجموع بلدان ، جـ ٢ ، ص ٢٨١ .

(١٣٢) آل تريك ينتسبون الى قبيلة تميم . راجع الحاشية رقم ٧٨ .

(١٣٣) بياض فى الأصل .

(١٣٤) عبقر اسم موضع فى اليمن ينسج به الوشى ، سنحان ، اسم مشترك بين بلاد وقبائل يمنية ، منها سنحان قرب صنعاء ، وسنحان من قبائل جنب ، وبلاد سنحان نسبة لسنحان بن عمرو بن حارثة بن قضاعة فى عسير وسنحان من مذحج .

(١٣٥) بياض فى الأصل .

(١٣٦) النحوى : آل النحوى من بيوت العلم فى صنعاء ، وينتسبون الى عنس ، وهو مخلاف واسع من أعمال ذمار باسم عنس بن مذحج ، وقد
=

[بيــاض](١٣٧) حمــدين من آل يعيش العالم شارح المفصل من مذحج(١٣٨) .

الورقة الثانية : لوحة (٢)

ســطر ١ : الصنعانى الخرازين حسينيين فاطميين من بنى هاشم(١٣٩) وآل مرغم(١٤٠) صــنعا [ء] منهم الا أنهم أنكــروا

=
وجدنا لهم بجبانة صعدة عدة شواهد نشرنا بعضها منها شاهد يرد فيه النسبة الى عنس .

انظر : مصطفى شيحة : شواهد صعدة ، جـ ١ ، ص ١٦٩ ، لوحة ٧٤ .

(١٣٧) بياض فى الأصــل .

(١٣٨) حمدين : من بيت آل يعيش ، ينتهى نسبهم الى قبيلة مذحج ، وقد ذكرهم الدوارى بذكر عالم منهم وهو الفقيه محمد بن على بن أحمد يعيش شارح المفصل فى النحو للزمخشرى ، وله تصانيف أخرى فى علوم اللغة وقد توفى عام ٦٨٠ هـ .

أنظر : الحبشى : مصادر الفكر ، ص ٣٧٣ .

(١٣٩) ينتهى نسب بيت الصنعانى (الخرازين) الى بنى هاشم بن عبد مناف بطن من قريش من العدنانية وهم بنو هاشم واسمه عمرو بن عبد مناف بن قصى بن كلاب . وربما « الخرازين » تعنى لقب حرفة وصناعة لهم فى أعمال الخرز والحلى الذى اشتهرت به مدينة صعدة فى العصر الاسلامى ، ومما تجدر الاشارة اليه وجود مسجد بصنعاء ، يرجع الى فترة مبكرة من العصر الاسلامى ينسب الى أرحب الخراز .

انظر : عمر كحالة : معجم قبائل العرب ، جـ ٣ ، ص ١٢٠٧ ، الحجرى : مساجد صنعاء ، الطبعة الاولى ، ص ٥١ .

(١٤٠) نسب الدوارى آل مرغم الى صنعاء وربما لوجود آل مرغم آخرين خارج صنعاء ولكنه حددهم بنسبتهم الى صنعاء وقد نسبهم أيضا الى بنى هاشم رغم أنهم أنكروا النسبة الى بنى هاشم ، وقد وجدنا لهم عدة شواهد بجبانة صعدة ، وهم عامة من بيوت العلم فى اليمن ومنهم العالم يحيى بن أحمد بن على بن مرغم ، صاحب كتاب شرح البحر الزاخر والمتوفى عام ٨٧٥ هـ / ١٤٧٠ م . وبنو مرغم حاليا عزله من ناحية حبيش
=

النســبة وآل غازى(١٤١) .

ســطر ٢ : من وادعــة والطاهــر (وآل ســحــرة) مــن وادعــة (١٤٢) الطاهـــر وآل دنيـــور من بنى الحـــرث من

=

من أعمال مدينة اب ، وذو حبيش من قبائل سحار من بلاد صعدة .

أنظر : مصطفى شيحة : شواهد صعدة ، جـ ١ ، ص ٢٠٠ ، لوحة ٩١ ، حسين العمرى ، مصادر التراث ص ٢٢٤ — ٢٢٥ ، المقحفى : المعجم ، ص ١٦٥ — ١٦٦ .

(١٤١) آل غازى : من قبائل حجور ، بلد واسع من بلاد همدان فى شمال غربى صنعاء ، عرف باسم حجور بن أسلم بن عليان بن زيد بن جشم بن حاشد ، وينتهى نسبهم الى قبيلة وادعة بن عمرو بن عامر بن حاشد وقبائلهم متفرقة فى ثلاث جهات ، ومنها وادعة صعدة ، حيث تنقسم قبائلهم الى باسى وعميرى ومنهم بطون وبيوت عديدة ، وقد وجدنا لهم عدة شواهد بالجبانة .

أنظر : مصطفى شيحة : شواهد صعدة ، جـ ١ ، ص ٩٣ ، لوحة ٢٠ ، ١٠١ ، الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ١٦٢ ، نشوان : منتخبات ، ص ١١٤ ، ابن حبيب : مختلف القبائل ومؤتلفها ، ص ٣٥ ، الحجرى : مجموع بلدان ، جـ ٣ ، ص ٤٧٨ — ٤٧٩ ، جـ ٤ ، ص ٧٦١ — ٧٦٢ وراجع الحاشية رقم (٧٦) .

(١٤٢) نسب الدوارى آل الطاهر الى وادعة ، وقد وجـــدنا لهم شواهد كثيرة جدا بالجبانة ، وربما تكون النسبة الى الطاهرية كبلد أصلى لهم من أعمال رداع منها السلاطين بنو طاهر بن معوضـــة تاج الدين ويذكر عمر كحالة : طاهر : من قبائل اليمن وطاهر فخذ من بنى قاصد وطاهر بن حبيشة بطن من خزاعة وقد حسم الدوارى ذلك بالنســـبة الى قبيلة وادعة الكبيرة بصعدة .

أنظر : مصطفى شيحة : شواهد صعدة ، جـ ١ ، ص ١٠٦ ، لوحة ٢٧ ، ص ١٠٩ ، لوحة ٢٩ ، ص ١١٤ ، لوحة ٣٤ ، ص ١١٥ ، لوحة ٣٥ ، ص ١٦٠ ، لوحة ٦٨ .

وأنظر أيضا : عمر كحالة : معجم قبائل العرب ، جـ ٢ ، ص ٦٧٤ — ٦٧٥ ، الحجرى : مجموع بلدان ، جـ ٣ ، ص ٥٥٧ .

نجران(١٤٣) وآل ظبير من بنى عوير(١٤٤)٠

سطر ٣ : وآل الجندى وآل قعيل وآل مقبل وآل حليان حميديون(١٤٥) وآل شهوان ينسبون الى يرسم(١٤٦) وأهل يرسم منهم ٠

سطر ٤ : بيتان أو ثلاثة من الأبناء(١٤٧) وآل ذبيان من موالى الهادى(١٤٨) وآل شيبان من تميم وآل حطير من موالى نجران(١٤٩) وآل

سطر ٥ : قعيش(١٥٠) [بياض](١٥١) شويل من

---

(١٤٣) لم استطع التحقق من اسم البيت ؟

(١٤٤) ربما المقصود آل الظبير ، وهم من بنى عوير ضمن القبائل الموجود ببرط فى شمال اليمن ، وايضا (بنو عوير) من قبائل سحار فى بلاد صعدة .

انظر الحجرى : مجموع بلدان ، ج ١ ، ص ١٠٧ — ١١٥ .

(١٤٥) تنسب البيوت الاربعة السابقة الى قبائل ذو حسين بن غيلان ببرط وينقسمون فى الأصل الى يحياوى وزوملى ، خاصة فرع آل يحيى (حميدانى) وأحمدى وتفرع منهم بيوت عديدة فى اليمن .

أنظر : الحجرى : مجموع بلدان ، ج ١ ، ص ١١٢ — ١١٤ .

(١٤٦) راجع الحاشية رقم ١١٩ .

(١٤٧) راجع الحاشية رقم ٦١ ، ٦٣ .

(١٤٨) راجع الحاشية رقم ٦٥ .

(١٤٩) آل شيبان من الاشراف باليمن من ولد المطهر بن الامام شرف الدين .

انظر : عمر بن رسول : طرفة الأصحاب ، ص ٥٣ ، الحجرى : مجموع بلدان ، ج ٣ ، ص٤٦٠ ، آل حطير : لم استطع التحقق من اسم هذا البيت وربما يكون آلحطير أو آل خطير ؟ وواضح انهم مهاجرون الى صعدة من مدينة نجران كما يفهم من نص الدوارى .

(١٥٠) آل قعيش نسبة الى ذو قعشان من قبائل حاشد ، وبنو قعشة من قبائل أرياب فى بلاد يريم وأصلهم من حاشد .

انظر : الحجرى : مجموع بلدان اليمن وقبائله ، ج ٤ ، ص ٦٥٦ .

(١٥١) بياض فى الأصل .

احما [ء] بنى مالك(١٥٢) مداعيس من بنى هميم من وايله الشاكرى(١٥٣) [بيـاض](١٥٤) الشـوابى من شوابة من همدان(١٥٥)

سطـر ٦ : القضـاة آل شـاور من بنى شـاور من مغرب صنعـا [ء] (١٥٦) بيـاض (١٥٧) ، ظرامـة من همـدان وهـم بقيـلة من بـلاد صـنعا [ء] (١٥٨)

---

(١٥٢) آل شويل من أحماء بنى مالك ، والأحماء من أسماء بـلاد العرب والمناهل النجدية بمعنى تحديد المكان الاصلى لآل شويل ونسبتهم الى منطقة بنى مالك ثم هجرتهم الى مدينة صعدة .

(١٥٣) بنو مداعس : من سكان صعدة ، ذكرهم الحجرى أيضا على انهم من سكان هذه المدينة طبقا لتاريخ المدهجن . بنو مداعس : أيضا وطن من بلاد الحيمة الداخلية ، على بعد مسافة ٣٧ كم بالغرب الجنوبى من صنعاء واليه ينسب بنو مداعس . هميم بطن من وايلة من قبائل بكيل ثم من شاكر من سكان صعدة وينتهى نسبهم الى همدان .

انظر : الحجرى : مجموع بلدان ، ج ٣ ، ص ٤٧٩ ، المقحفى : المعجم ، ٥٩٧ .

(١٥٤) بياض فى الأصـل .

(١٥٥) آل الشوابى : نسبة الى بلدة شوابة ، حددها القـاضى اسماعيل الاكوع بقوله : « شوابة بضم الشين المعجمة وفتح البـاء الموحدة آخرها هاء موضع واد مغيول من أعمال ذى بين فى بلاد بكيل ، واليه تنسب قرية شوابة ، وقد حددها ياقوت خطأ غير ذلك والشوابى من همدان » .

انظر : الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ٢١٨ وحاشية ٢ بنفس الصفحة ، المقحفى ، المعجم ، ص ٣٧٥ .

(١٥٦) القضاة آل شاور من بنى شاور من غرب صنعاء ، ويبدو ان فرعا منهم انتقل الى العيش فى مدينة صعدة ، اذ وجدنا لهم شواهد عديدة فى الجبانة نشرنا بعضها .

انظر : مصطفى شيحة : شواهد صعدة ، ج ١ ، ص ١٥٥ ، لوحة ٦٣ .

(١٥٧) بياض فى الأصـل .

(١٥٨) آل ظرامة : ينتهى نسبهم الى قبيلة همدان ، وقد حـدد الدوارى اصلهم من منطقة قيله وقيلة : حصن من نواحى صنعاء على =

« بيـــاض »(١٥٩) الروم الموالى

ســـطر ٧ : أصلهم من الروم(١٦٠) وآل الكبيش من الطاهر من السود(١٦١) وآل الزميلى يقربون الى مهنا(١٦٢) وآل قزمان من آل المحمل .

ســـطر ٨ : بوادى قللة(١٦٣) وآل ناجى النصف مـــوالى للجهادعة والجهادعة من همدان(١٦٤)

=
رأس جبل يقال له كنن ، وهو جبل واسع يمتد على معظم بلاد سنحان فى اليمن ، كما يطلق كنن ايضا على حصون خولان العالية وسنحان وهو من أشهر الحصون وأعلاها .

أنظر المقحفى : المعجم ، ص ٥٤٥ ، ٥٦٢ .

(١٥٩) بياض فى الأصـــل .

(١٦٠) يطلق مصطلح الروم فى اليمن على الوافدين من القسطنطينية أو من أهل الدولة البيزنطية ، ويتضح اقامتهم فى مدينة صعدة ضـــمن مجتمعها الكبير خلال العصر الاسلامى ، وكانوا من الموالى .

(١٦١) آل الكبيش من الطاهر السود ، نسبة الى سود بن الحجر ، بطن من مزيقياء من الأزد من القحطانية وهم بنو سود بن الحجر بن عمرو مزيقياء . وسود بن أسلم أيضا بطن من قضاعة . وسود بن عدنان بطن من الأزد من القحطانية أيضا .

أنظر : عمر كحالة : معجم القبائل العربية ، ج ٢ ، ص ٥٦٥ .

(١٦٢) الزميلى يقربون الى آل مهنا ، وآل مهنا على الأرجح نسبة الى مهنا بن فضل من طيى بن أدد من القحطانية .

انظر : عمر كحالة : المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ١١٥٢ .

(١٦٣) آل قزمان من آل المحمل بوادى قللة ، وهم هجرة من قبائل بنى جماعة فى بلاد صعدة فيما بين حذيفة وبنى سويد وبنى بحر من خولان ولهم ناحية تعرف بناحية بنى جماعة من توابع صعدة .

أنظر : الحجرى : مجموع بلدان ، ج ٣ ، ص ٤٧٤ ــ ٤٧٥ ، ج ٤ ، ص ٦٣٩ .

(١٦٤) حدد الدوارى نسبة بطون الجهادعة الى قبيلة همدان ، وقد سبق أن حدد مكانهم فى ظاهر ارض همدان .

راجع الحاشية رقم ٢١ ، ١٢٦ .

وآل الهجرى من بنى عوير (١٦٥) والزيود آل الزيدى و

سطر ٩ : ينسبون الى قشير وهم من عدنان(١٦٦) وآل زديق من الطاهر(١٦٧) **هذا الموجود المنقول من خط القاضى المذكور والله أعلم . . . . (انتهى)**

والواقع أن هذه المخطوطة رغم اشتمالها على ورقتين فقط الا أن مؤلفها القاضى بدر الدين محمد بن أحمد بن موسى الدوارى ، الذى كتبها فى القرن التاسع الهجرى / ١٥ م ، تعد ذات أهمية كبيرة فى دراسة الأنساب فى مجتمع مدينة صعدة الكبير ، خلال العصر الاسلامى ، خاصة وأن الكثير من الأنساب الواردة فى مخطوطته لا يزال لهم بقية فى مجتمع هذه المدينة ولا زالوا بطبيعة الحال يعتزون بأنسابهم وأصولهم الأولى حتى اليوم(١٦٨) .

وتوضح هذه المخطوطة ذلك العدد الكبير من القبائل والبطون

والها

---

(١٦٥) آل الهجرى ، ربما نسبة الى الهجر ، وهو سوق معروفة شرقى جبل الاهنوم باليمن ونسبهم يقع فى بنى عوير من قبائل سحار فى بلاد صعدة .

راجع الحاشية رقم ١٤٤ وأنظر أيضا : الحجرى : مجموع بلدان ، ج ٤ ، ص ٧٥٠ .

(١٦٦) الزيود آل الزيدى : ينسبون الى قشير بن كعب [illegible] بطن من عامر بن صعصعة من [illegible] وهو [illegible] قشير بن كعب [illegible] وفيه عدة أفخاذ [illegible] ٢٠٥

أنظر : [illegible] كحالة : معجم قبائل العرب ، [illegible]

(١٦٧) [illegible] واجع الحواشى ٣٩ ، ١٢٦ ، ١٤٤ [illegible]

(١٦٨) [illegible] ذلك خلال [illegible] الجبانة [illegible] هذه المدينة [illegible] حيث لا يزال [illegible] الطويلة [illegible] على [illegible] الجبانة [illegible] لا يوجد [illegible] الاثرية [illegible] الاسلامى [illegible] وكانها متحف اثرى للكتابات الاثرية الاسلامية . [illegible]

والأفخاذ التى تفرعت من كهلان وفق ما ذكره الكاتب فى السطر الثالث من الورقة الاولى ، ويزيد من أهمية هذه المخطوطة ، ارتباطها بالجانب الأثرى من خلال ألواح القبور أو الشواهد المتناثرة فى الجبانة والتى تعد بالآلاف وعليها تسلسل لكثير من الأسماء الواردة فى المخطوطة والتى تمكنا بفضل الله سبحانه من تحقيق عدد كبير منها نوالى نشره فى الأجزاء القادمة عن شواهد قبور هذه المدينة والتى تقدم لفروع أخرى من العلم معلومات قيمة فى الأنساب والألقاب والأحداث والتراكيب اللغوية ، فضلا عن دراسة أسلوب الخط ، ونمط الزخرفة الاسلامية فى اليمن خلال العصور الاسلامية المتتابعة .

ولعل مجموعة الأنساب الكبيرة التى قدمها القاضى الدوارى فى مخطوطته ، تعد ترجمة صادقة لمجتمع مدينة صعدة وما عاصره من أحداث سياسية ودينية ، كان فيها للمذهب الزيدى الدور الرئيسى فى الحياة الدينية خلال العصر الاسلامى فى هذه المدينة بالذات دون غيرها من مدن اليمن . هذا فضلا عما تميزت به المدينة من موقعها الهام على طريق الحج بالنسبة لليمن وغيره من بعض البلاد الأخرى(١٦٩) ، ولأهميتها التجارية والصناعية(١٧٠) ، بل كان لها

---

(١٦٩) انظر : الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ٣٠٤ .

(١٧٠) انظر : الهمدانى : الاكليل : جـ ١ ، تحقيق محمد بن على الاكوع ، بغداد ١٩٧٧ ، ص ٩١ — ٩٢ ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٣ ، ص ٥٠٣ ، البغدادى : مراصد الاطلاع على اسماء الأمكنة والبقاع ، تحقيق على محمد البجاوى : جـ ٢ ، ص ٨٤١ ، محمد عبد المنعم الحميرى : الروض المعطار فى خبر الاقطار ، تحقيق احسان عباس ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ص ٣٦٠ ، القلقشندى : صبح الأعشى فى صناعة الانشا ، طبعة وزارة الثقافة المصرية ، جـ ٥ ، ص ٤١ ، نزيه مؤيد العظم ، رحلة فى بلاد العرب السعيدة ، مطبعة الحلبى ، مصر ، جـ ١ ، ص ٢٣٧ ، ابن المجاور : صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز ، المعروف بتاريخ المستبصر ، تحقيق أوسكر لوفجرى ، ليدن ، ١٩٥١ ، ص ٣٠٤ .

أهمية خاصة فى اعداد الواح القبور بالنسبة لكل مدن اليمن الرئيسية ، بما تميزت به محاجرها الغنية بالأحجار والرخام وغيره من المـواد التى كان يكتب عليها فى مثل هذه الشواهد(١٧١) •

لقد ذكر الدوارى فى مخطوطته هذه كثير من أسرات مجتمع هذه المدينة ، وكما وضح فى نسبة بعض القبائل الى مواضعها ، وفضـلا عن عناصر مجتمع هذه المدينة الرئيسية ، أورد أيضا هذا المـؤرخ دور الموالى الذين عاشوا فى هذا المجتمع سواء كانوا من الفرس أو من الروم أو من غيرهم •

---

(١٧١) الكبسى : اللطائف السنية فى اخبار الممالك اليمانية ، القاهرة ١٩٨٣ ، ص ١١٣ •

المصـــادر والمراجع

ـ ابراهيم المقحفى : معجم البلدان والقبائل اليمنية .
(دار الكلمة ، صنعاء ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٥) .

ـ اسماعيل الأكوع : البلدان اليمانية عند ياقوت الحمــــوى .
الكويت ، ١٩٨٥ .

ـ أيمن فؤاد ســيد : مصادر تاريخ اليمن فى العصر الاسلامى .
(طبعة المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية ،
القاهرة ١٩٧٤) .

ـ البغــدادى : (صفى الدين عبد المؤمن) ت ٧٣٩ هـ .
مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ،
تحقيق على محمد البجاوى ، جـ ٢ ، (القاهرة ،
١٩٥٤) .

ـ الجــزرى : (عز الدين بن الأثير) ت : ٦٠٦ هـ
اللباب فى تهذيب الأنســاب (جــزءان ، دار
صادر ، بيروت) .

ـ ابن حزم : (أبى على بن محمد بن أحمد الأندلسى) ت ٤٥٦ هـ .
جمهرة أنساب العرب .
تحقيق عبد السلام هارون ، دار المعارف ، مصر .

ـ حسن الباشــا : الألقاب الاسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار .
(القاهرة ١٩٧٨) .

ـ حسين بن عبد الله العمرى : مصادر التراث اليمــنى فى المتحف
البريطانى . (دمشق ١٩٨٠) .

ـ الحميــرى : (أبو عبد الله محمد عبد المنعم) ت ٨٦٦ هـ .
الروض المعطار فى خبر الأقطار .
تحقيق احسان عباس ، (مكتبة لبنان ، بيروت) .

— ابن خلكان : (أبى العباس شمس الدين) ، ت ٦٨١ هـ .
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان .
تحقيق احسان عباس (دار الثقافة ، بيروت) .

— الدوارى : (بدر الدين محمد بن أحمد) ت القرن ٩ هـ / ١٥ م .
رسالة فى أنساب القبائل التى سكنت مدينة صعدة باليمن . (مخطوطة من ورقتين ، دار الكتب المصرية ، رقم ٩٤٥ تاريخ) .

— أبى الرجال : (أحمد بن صالح بن محمد بن على) ت ١٠٩٢ هـ .
مطلع البدور ومجمع البحور (مخطوط مصور) اليمن . (٥ أجزاء) .

— ابن رسول : (عمر بن يوسف) ت : ٦٩٦ هـ .
طرفة الأصحاب فى معرفة الأنساب .
(تحقيق : ك. و. ستسترستين ، الطبعة الأولى ١٩٨٥) .

— الزبيرى : (عبد الله بن مصعب) ت : ٢٣٦ هـ
كتب نسب قريش . تحقيق ليفى بروفينسال .
(دار المعارف ، مصر ، الطبعة الثانية) .

— السمعانى : (أبى أسعد عبد الكريم) ت : ٥٤٢ هـ
الأنساب .
(تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمى)
(الطبعة الأولى ، ١٩٦٤) .

— السويدى : (أبى الفوز البغدادى)
سبائك الذهب فى معرفة قبائل العرب .
(مخطوط مصور ، بيروت) .

— الشوكانى : (محمد بن على) ت : ١٢٥٠ هـ .
البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع .
(جزءان ، دار المعرفة ، بيروت) .

ـ الطبــــرى : (أبى جعفر محمد بن جرير) ت ٣١٠ هـ •
تاريخ الأمم والملوك •
(دار القلم ، بيروت) •

ـ عبد الله الجــرافى : المقتطف فى تاريخ اليمن •
(دار الكتاب الحديث ، بيروت ، ١٩٨٤) •

ـ عبد الله الحبشى : مصادر الفكر العربى الاســلامى فى اليمن •
نشر مركز الدراسات اليمنية (اليمن) •

ـ العــلوى : (على بن العباس) ت القرن ٣ هـ / ٩ م •
سيرة يحيى بن الحســين •
تحقيق سهيل ذكار ، (بيروت ، ١٩٨١) •

ـ القلقشـــــندى : (أبى العباس أحمد) ت : ٨٢٠ هـ •
ـ صبح الأعشى فى صناعة الانشا •
(طبعة وزارة الثقافة والارشاد بمصر) •
ـ قلائد الجمان فى التعريف بقبائل عرب الزمان •
(تحقيق ابراهيم الابيارى ، الطبعة الثانية ،
١٩٨٢) •

ـ ابن المجاور : (محمد بن مسعود بن على بن أحمد) ت : ٦٩٠ هـ •
صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز
المعروف بتاريخ المستبصر •
(تحقيق اوسكر لوفجرى ، ليدن ١٩٥١) •

ـ المحــلى : (حسام الدين حميد بن أحمد) ت : ٦٥٢ هـ •
مخطوط الحدائق الوردية فى مناقب أئمة الزيدية •
(مخطوط مصور ، دمشق) جزءان •

ـ محمد بن أحمد الحجرى : مجموع بلدان اليمن وقبائله •
تحقيق اسماعيل الأكوع ، ٤ أجزاء فى مجلدين •
(الطبعة الأولى ، ١٩٨٤) •

ـ محمد بن اسماعيل الكبسى : اللطائف السنية فى أخبار الممالك اليمنية •
(القاهرة ١٩٨٣) •

ـ مصطفى عبد الله شيحة :

ـ شواهد قبور اسلامية من جبانة صعدة باليمن •
القاهرة ١٩٨٨ ، مكتبة مدبولى •

ـ دراسة تاريخية وأثرية لشواهد قبور اسلامية بمتحف
قسم الاثار بكلية الآداب ، جامعة صنعاء •
القـاهرة ١٩٨٤ •

ـ نزيه مؤيد العظم : رحلة فى بلاد العرب السعيدة •
(مطبعة الحلبى ، مصر) •

ـ نشـوان : أبى سعيد الحميرى (ت : ٥٧٣ هـ)
منتخبـات فى أخبار اليمن من كتاب شمس العلوم
ودواء العـرب من الكلـوم • دمشـق ١٩٨١ •
نشر عظيم الدين أحمد •

ـ الهمـدانى : (أبى محمد الحسن بن أحمد) ت : حوالى ٣٣٤ هـ •

ـ صفة جزيرة العرب • تحقيق محمد بن على الأكوع •
(الطبعة الثالثة ، ١٩٨٣) •

ـ كتاب الاكليل ، جـ ١ ، تحقيق محمد بن على الأكوع •

ـ كتاب الاكليل ، جـ ٢ ، تحقيق محمد بن على الأكوع •

ـ كتاب الاكليل ، جـ ٢ ، تحقيق ببية فارس •
(دار العودة ، بيروت) •

ـ وهب بن منبه الابناوى : (ت ١١٤ هـ) •
كتاب التيجان فى ملوك حمير •
نشر مركز الدراسات اليمنيـة ، الطبعة الاولى ،
صـنعاء •

ـ ياقوت الحموى : (أبى عبد الله ياقوت) ت : ٦٢٦ هـ •
معجم البلدان ، (الطبعة الاولى ، دار صـــادر ، بيروت) •

ـ يحيى بن الحســين : غاية الأمانى فى أخبار القطر اليمانى ت/١١٠٥ هـ
جزءان ، تحقيق سعيد عاشور •
(القاهرة ، دار الكاتب العربى ، ١٩٦٨) •

لوحـــة (١) الورقة الأولى

لوحـــة (٢) الورقة الثانية

لوحـــة (٣) الورقة الأخيرة



لوحة (٤) قراءة الشاهد : [٨٤٢ هـ]

سطر ١ : لا اله الا الله محمد رسول الله •

سطر ٢ : سبحان من تعزز بالقدرة والبقا وقهر •

سطر ٣ : العباد بالموت والفنا (سبحانه) •

سطر ٤ : بسم الله الرحمن الرحيم يبشرهم ربهم •

سطر ٥ : برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها •

سطر ٦ : نعيم مقيم خالدين فيها ابدا ان •

سطر ٧ : الله عنده أجر عظيم هذا قبر الغالى الأجل (؟) •

سطر ٨ : (بن) سليمان بن موسى الدوارى (١) توفى شهر الحجة سنة اثنتـــــان •

سطر ٩ : واربعين وثمانى ميه سنة رحمه الله •

---

(١) انظر : مصطفى شيحه ، شواهد صعدة ، جا ، ص ٧٦ — ٧٨ .



لوحة (٥) قراءة الشاهد :   [٨٦٨ ﻫ]

سطر ١ : ... الله محمد رسول الله .

سطر ٢ : ... الله فاطمة أمه الله .

سطر ٣ : يتبع آية الكرسي .

سطر ٤ : بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله .

سطر ٥ : الذى لايبقى الا وجهه ولا يدوم الا ملكه وأشهد •

سطر ٦ : ان لا اله الا الله وحده لاشريك له الها واحدا •

سطر ٧ : احد فرد صمد وتر لم يتخذ صاحبة ولا ولد لم يلد ولم يولد•

سطر ٨ : ولم يكن له كفوا احد وأشهد أن محمد عبد ورسوله •

سطر ٩ : صلى الله عليه وعلى اله جزا الله محمدا عنا خيرا بما هو اهله•

سطر ١٠ : (وصل) عليه وعلى عترته الطيبين الاخيار المصطفين •

سطر ١١ : الابرار الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا هذا •

سطر ١٢ : ضريح الحرة الطاهرة الكاملة الفاضلة صـــفية بنت (حى) القاضى العلامة •

سطر ١٣ يحيى بن موسى بن على الدوارى توفيت الى رحمة الله (تعالى) ليلــه •

سطر ١٤ : يتبع آية الكرسى •

سطر ١٥ : الخميس يوم عشرين من شهر الحجة سلخ سنة ثمانى وستين وثمان ماية سنة •



لوحة (٦) قــراءة الشاهد : [٩٤١ هـ]

سطر ١ : .... الا الله محمد رسول الله (صلته) عليه .

سطر ٢،٣ : سبحان من تعزز بالقدرة والبقا وقهر .

سطر ٤ : بسم الله الرحمن الرحيم (وصلى) .

سطر ٥ : كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ٠
سطر ٦ : ذو الجلال والاكرام هذا قبر الحرة ٠
سطر ٧ : الطاهرة صفية بنت أحمد بن صلاح الدوارى توفيت ٠
سطر ٨ : الى رحمة الله (تعالى) يوم سادس فى شهر (ذا) القعدة ٠
سطر ٩ : سنة احدى وأربعين وتسعمية سنة رحمها الله رحمة (الابرار)٠

يشمل الاطار الايمن والاطار الايسر والسطر الاخير من الشاهد
آيـــة الكرسى

مدينة سجلماسة
ودورها فى تجارة الذهب مع السودان الغربى
فى العصر الاسلامى

دكتور محمد بركات البيلى
كلية الآداب ـ جامعة القاهرة

كانت مدينة سجلماسة من كبريات مدن المغرب فى العصر الاسلامى (١) ، لها فى حولياتنا الاسلامية تاريخ زاهر (٢) . غير أننا لا نعرف على وجه اليقين ـ سبب تسميتها بذلك الاسم لأن جغرافيى المسلمين ومؤرخيهم لم يعنوا بتفسير ذلك الاسم (٣) ، فيما عدا الحسن بن محمد الوزان المعروف بليو الافريقى ، الذى ألقى على اسم سجلماسة بعض الضوء فذكر أن قائدا رومانيا بنى مدينة أسماها سجلوم ماس لتكون شاهدا على انتصاره على دولة ماسة لأنها ـ على حد قوله ـ « آخر مدن دولة ماسة ولأنها كانت كالخاتم الذى يسجل نهاية فتوحاته ، فحرف هذا الرسم بعد ذلك وتحول الى سجلماسة »(٤) .

---

(١) الاستبصار فى عجائب الأمصار لمجهول ، الاسكندرية ، ١٩٥٨ ، ص ٢٠٠ .

والحميرى : الروض المعطار تحقيق : احسان عباس بيروت ١٩٧٥ . مادة : سجلماسة .

(٢) حسين مؤنس : ابن بطوطة ورحلاته ، القاهرة ١٩٨٠ ، ص ٢٢٤ .

(٣) قيل ان الزبيدى شارح القاموس قد ألف كتابا فى تحقيق اصول اسم سجلماسة اسماه « الحاجة الماسة فى تحقيق لفظ سجلماسة » لكن هذا الكتاب لم يعثر عليه حتى الآن .

(محمد الحمداوى : الروايات التاريخية عن تاسيس سجلماسة وغانة، ص ٦ هامش ١) .

(٤) وصف افريقية ، بيروت ١٩٨٣ ، ج ٢ ، ص ١٢٧ .

وعلى الرغم من أن بعض الدارسين يأخذ برواية ابن الوزان (٥)، فلا يكفى ذلك دليلا على صحة ذلك التفسير ، خصوصا وأن ليو الافريقى (ابن الوزان) قد دون وصفه المعروف لافريقية وهو فى الأسر ، يعيش فى الفاتيكان فى كنف البابا ليو العاشر الذى خلع اسمه على ابن الوزان ، وليس ببعيد أن يتأثر ليو الافريقى برواية لاتينية تمجد الرومان •

واذا كانت المصادر لاتتيح لنا — حتى الآن — غير تفسير ابن الوزان مما يزيد فى قيمته لتفرده ، فاننـــا نستطيع أن نستنتج تفسيرا آخــر يستمد معناه من وقوع سجلماسة فى بقعه كثيرة المـــاء بالقياس الى الصحراء التى تحيط بها (٦) ومن ثم يمكن تفسير الشق الأول من الاسم « تجل » بمعنى الدلو المملوءة ماء (٧) •

أما الشق الثانى من الاسم « ماسة » فهى مدينة قديمة كانت تقع على المحيط الأطلسى عند مصب نهــر يحمل اسمها وكان ينسب اليهــا اقليم يمتد حتى سجلماسة فى وسط الصحراء (٨) • ومن ثم يمكن القول

---

(٥) كولن : دائرة المعارف الاسلامية ، مادة سجلماسة .
وماك كول : الروايات التاريخية عن تأسيس سجلماسة وغانة ، ص ٣٩ •

(٦) الحميرى : المصدر السابق ، مادة سجلماسة .
وابن حوقل : صورة الأرض ، بيروت ١٩٧٩ ، ص ص ٦٤ — ٦٥ .

(٧) اذا غضضنا النظر عن ضبط ياقوت لاسم سجلماسة فان التسجل فى لغة العـــرب هو الدلو الضخمة المملوءة ماء . (لسان العرب ، مـــادة سجل) .

(٨) ماسة : مدينة قديمة وجدت قبل الفتح الاسلامى للمغرب ، قيل ان عقبة بن نافع وصل اليها وادخل عندها فرسه فى البحر حتى وصل المـــاء الى تلابيبه . وذكر ليو الافريقى ان دولة كانت تحمل اسمها وان سجلماسة كانت آخـــر مدنها . وقيل ان رباطا للصالحين كان بها ولذلك يدعوها بعض جغرافيى المسلمين باسم رباط ماسة . ويكتبها البعض ماست بالتـــاء المفتوحة .

— الادريسى : انس المهج وروض الفرج ، مخطوط ، ص ٦٨ .

=

ان سجلماسة تعنى « دلو ماسة المملوءة بالمـــاء » .

واذا كان تفسير اسم سجلماسة من الصعوبة بمكان ، فان تحديـــد موقعهـــا تحديدا دقيقا لا يقل عن ذلك صعوبة ولذا جاءت تعيينـــات الدارسين لموقعها تقريبية تكاد تنحصر فى أنها كانت تقع فى المنطقة المعروفة الآن بتا فيلالت (٩) .

وربما ترجع صعوبة تحديد موقع سجلماسة للدواعى الآتية : —

١ — خلط الكتاب القدامى بين مدينة سجلماسة واقليم سجلماسة فقد كانت المدينة قصبة اقليم متسع يحمل اسمها ، ذكر ابن حوقل أنه — فى وقته — عمل خمسة أيام فى ثلاثة (١٠) وعين البكرى جزء منه ثلاثة مراحل فى الجهة المؤدية من سجلماسة الى فاس (١١) ثم يذكر ابن الوزان أنه كان يمتد — فى وقته وبعد اندثار المدينة نفسها — مائة وعشرين ميلا على طول وادى زيز من الجنوب الى الشمال وسعته ثمانـــــون ميـــلا (١٢) .

=

— ابن حوقل : صورة الارض ، ص ص ٦٤ — ٦٥ .

— ابن سعيد : الجغرافيا ، ص ١٢٣ ، الحميرى : الروض المعطار ص ٥٢٢ مادة ماست .

— ابن عذارى : البيان المغرب جـ ١ ص ٢٧ ، ليو الافريقى : وصف أفريقية جـ ٢ ص ١٢٧ .

(٩) انظر : مؤمن : المرجع السابق ، ص ٢٢٤ .

— والسيد سالم : المغرب الكبير ، ص ٥٨٧ .

— ومحمود اسماعيل : الخوارج فى المغرب الاسلامى ص ٨٦ .

— Bovill; The Coldon Trade of the Moors. p. 67.

— Cosley; The Negroland of the Arabs. p. 5.

(١٠) صورة الارض : ص ٩٧ .

(١١) المغرب فى ذكر افريقية والمغرب ص ١٤٧ .

(١٢) وصف افريقية ، جـ ٢ ، ص ص ١٢٥ — ١٢٦ .

٢ — لا يتفق المسالكيون المسلمون على تحديد المسافات بين سجلماسة وغيرها من مدن المغرب الاسلامى ، ولا يستخدمون طريقة موحدة للقياس ، فتارة يحددون المسافات بالأيام التى تقطع فيها ، وتارة أخرى يقيسونها بالمراحل التى تبلغها ولم يكن تقديرا لمراحل متفاوتا بينهم فحسب ، بل كان متفاوتا لدى الواحد منهم أحيانا ، فالبكرى — على سبيل المثال — يستثنى احدى المراحل على طريق فاس — سجلماسة واصفا اياها بأنها مرحلة كبيرة تبلغ نحو ستين ميلا (١٣)•

٣ — يرى نفر من الباحثين المحدثين أن الأطلال الموجودة حاليا على مقربة من تافيلالت ، انما هى بقايا مدينة سجلماسة (١٤) • الا أنه لا ينبغى الجزم بذلك ، فلعل هذه الأطلال لا تخص مدينة سجلماسة وحدها وانما تشاركها فيها بعض القصور المندثرة التى كانت على مقربة شديدة جدا من سجلماسة وورثت أنشطتها بعد خرابها (١٥) بل ان سجلماسة نفسها ورثت مدينتين كانتا تقومان على مقربة من موضعها قبل نشأتها وتخربتا بسبب قيامها (١٦) •

٤ — لعلنا لا نستطيع الاعتماد كثيرا على خطوط الطول ودوائر العرض فى تحديد الموقع الدقيق لسجلماسة ، ليس فقط لتفاوت ما ذكره ابن سعيد (١٧) والقلقشندى (١٨) عما حدده كولن(١٩) ولكن أيضا

---

(١٣) المغرب فى ذكر افريقية والمغرب ، ص ١٤٧ .
(١٤) انظر الهامش (١) ص (٣) .
(١٥) ليو الافريقى : المصدر السابق ج ٢ ، ص ص ١٢٥ — ١٢٧ .
(١٦) البكرى : المصدر السابق ، ص ١٤٨ .
(١٧) الجغرافيا : ص ١٢٤ .
(١٨) صبح الاعشى : ج ٥ ، ص ١٦٣ .
(ذكر ابن سعيد والقلقشندى ، ان سجلماسة تقع عند تلاقى خط طول ١٢ ١٣° بدائرة عرض ٢٤ ٢٦°) .
(١٩) دائرة المعارف الاسلامية ، مادة سجلماسة .
حدد كولن : موقع سجلماسة عند تلاقى خط طول ٣١ ٧° بدائرة عرض ٨ ٣٤° .

لاختلاف أنظمة دوائر العرض وخطوط الطول فى عصرنا عنها فى العصر الوسيط .

غير أنه من الممكن تحديد موقع سجلماسة على نحو أكثر دقة . فقد أقيمت مدينة سجلماسة — أغلب الظن — على شبه جزيرة (٢٠) تكونت فى أقصى جنوب وادى زيز نتيجة تفرع رويفد له يدعوه ابن سعيد الأندلسى نهر سجلماسة (٢١) وينسبه البكرى (٢٢) وصاحب كتاب الاستبصار الى المدينة فيدعوانه نهرها . ويذكر ثلاثتهم أن النهر يتفرع قبليها الى فرعين يمر أحدهما شرقيها ويمر الآخر غربيها . وقريب من هذا قول ابن عبد المنعم الحميرى أن سجلماسة على نهرين من عنصر واحد (٢٣) ويضيف ابن سعيد أنه حيثما من أبوابها ترى النهر ، ومعنى ذلك أن الماء محيط بها وأنها تقوم على شبه جزيرة (٢٤) . ثم يسير نهر سجلماسة فى اقليم سجلماسة خمسة أيام يصب بعدها فى نهر زيز الذى يصب بدوره فى نهر ملوية .

ويبدو أن الرويفد المدعو نهر سجلماسة قد انطمر بعد حين ، فلم يشاهده ليوا الافريقى ، ولم يشر اليه ، وانما ذكر أن المدينة كانت تجلب مياهها من نهر زيز نفسه فى قنوات (٢٥) وليس ببعيد أن ينطمر ذلك الرويفد الذى كان ضحلا يخاض (٢٦) فسهل على رمال الصحراء أن تعفى على آثاره .

---

(٢٠) أنظر خريطة المغرب التى رسمها ابن حوقل فى صورة الارض .

(٢١) الجغرافيا : ص ١٢٤ .

(٢٢) المغرب فى ذكر افريقية والمغرب ، ص ١٤٨ .

(٢٣) الروض المعطار ، مادة سجلماسة ، ص ٣٠٦ .

(٢٤) استبعدنا القول بأن سجلماسة قامت على جزيرة لان نهرها لم يكن من الضخامة بما يسمح بقيام جزيرة فى وسطه فضلا عن أن الجزيرة كانت ستسترعى الانتباه فيشير اليها ابن سعيد أو غيره .

(٢٥) وصف أفريقية ، ج ٢ ، ص ١٢٧ .

(٢٦) ياقوت الحمرى : معجم البلدان ، مادة سجلماسة .

نشأة سجلماسة :

مدينة سجلماسة محدثة اسلامية (٢٧) لاترجع الى ماقبل العصر الاسلامى كما ذكر ليو الافريقى (٢٨) . وانما شيدت — كما أجمع نفر من مؤرخى المسلمين وجغرافييهم (٢٩) فى سنة ١٤٠ هـ / ٧٥٧ م . وتعدد القول فى سبب تشييدها . ولكن الأرجح أن صفرية المغرب شيدوا المدينة ليقيموا فيها دولة لهم . فتوافدوا على أبى القاسم سمكو بن واسول المكناسى الصفرى الذى كان كثيرا ما ينتجع موضع سجلماسة بماشيته قبل نشأتها (٣٠) ، وأختير هذا الموضع لوفرة

---

(٢٧) الاستبصار : ص ٢٠٠ ، — والحميرى : المصدر السابق ، مادة سجلماسة .

(٢٨) وصف افريقية ، ج ٢ ، ص ١٢٧ .

— أورد ابن الوزان روايتين عن نشأة سجلماسة يصعب تصديقهما ، ترجع الاولى منهما نشأة المدينة الى قائد رومانى وليس من الثابت تاريخيا ان الرومان وصلوا الى ذلك الموضع أما الرواية الاخرى فترجع تشييد المدينة الى الاسكندر المقدونى والمعروف أنه لم يتخط واحة سيوة غربا فضلا عن ان ابن الوزان ذكر انه نقل هذه الرواية عن البكرى ولم نجد لها ذكر عند البكرى على الاطلاق . ولكن ربما خلط ابن الوزان بين الاسكندر وبين ذى القرنين الذى ورد ذكره فى القرآن ، فقد جاء على لسان عقبة بن نافع انه حينما أنزل فرسه الماء عند ماسة قال أنه يتوخى خطى ذى القرنين .

(٢٩) كالبكرى وابن عذارى وصاحب كتاب الاستبصار والحميرى وابن خلدون والقلقشندى وغيرهم .

(٣٠) ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ١٣٠ ، وابن عذارى : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ١٥٦ .

والسلاوى : الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى ، الدار البيضاء ١٩٥٤ ، ج ١ ص ١٢٤ .

— ويحاول ماك كول (الروايات التاريخية عن تأسيس سجلماسة وغانة ، ص ٢٢ وما بعدها) ان يثبت أن سجلماسة كانت قائمة قبل سنة ١٤٠ هـ وانها كانت مدينة لجماعة المغاربة السود المعروفين حديثا باسم الخراطين ، وأن عيسى بن زيد الاسود أول أمير لسجلماسة كان ينتسب لتلك =

مياهه وبعده (٣١) .

لم يتم بنيان المدينة دفعة واحدة وانما استغرق بناؤها سنوات طويلة تمتد من سنة ١٤٠ هـ حين شرع فى تخطيطها الى أن اكتمل بنيانها فى عهد أبى منصور اليسع بن سمكو فى آخر المائة الثانية من الهجرة(٣٢).

يبدو أن شكل مدينة سجلماسة بعد تمام بنيانها كان بين التربيع والاستدارة ، فقد ذكر ابن سعيد أن لسورها ثمانية أبواب حيثما خرجت منها ترى النهر (٣٣) ومع أن البكرى يجعل أبوابها اثنى عشر بابا (٣٤)، فقد كانت ثمانية منها فقط رئيسية هى التى أشار البكرى نفسه اليها بأنها كانت مصنوعة من حديد . وكان أحد هذه الأبواب القريبة من القصبة يعرف باسم باب الغدر (٣٥) ، وكانت الشوارع الرئيسية فى

= الجماعة وكان زعيما لها حين وفد الى سجلماسة جماعة المكناسيين الذين خضعوا له مؤقتا ونصبوه أميرا لهم حتى اذا ما اصبحت لديهم القدرة على خلعه خلعوه « ويشتط ماك كول فيشكك فى أن عيسى بن يزيد لم يكن صفريا بل قد لا يكون مسلما على الاطلاق ، ويلوى الحقيقة بطريقة تعسفية فيدعى أن المسيحية كانت لا تزال منتشرة فى شمال افريقية فى القرن الثانى الهجرى / الثامن الميلادى الى حد أن المرء يستغرب الا يكون عيسى هذا مسيحيا .

وحقيقة الامر ان عيسى بن يزيد كان مسلما صفريا أمره الصفرية اتساقا مع مذهبهم الخارجى الذى كان منتشرا فيما يبدو بين المغاربة السود لملائمته لطموحاتهم السياسية .

(٣١) البكرى : المصدر السابق ، ص ١٤٩ ، وكتاب الاستبصار ، ص ٢٠٠ .

(٣٢) ابن خلدون : المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ١٣٠ .

— والقلقشندى : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ١٦٥ .

(٣٣) الجغرافيا ، ص ١٢٤ .

(٣٤) المغرب فى ذكر افريقية والمغرب ، ص ١٤٨ — ويذكر مثل هذا العدد الحميرى (الروض المعطار ، مادة سجلماسة) .

(٣٥) ابن عذارى : البيان المغرب — قسم الموحدين : بيروت ١٩٨٥ ، ص ٣٦٥ .

المدينة تربط بين الأبواب الثمانية ورحبة المدينة أو ميدانها الذى كان موقعه فى وسط كل مدينة اسلامية وكان يطل على رحبة سجلماسة مسجدها الجامع ودار الامارة فضلا عن حصن يدعى العسكر (٣٦) . وان كان هذا الحصن قد انهار ــ فيما يبدو ــ فى بداية القرن الثامن الهجرى فذكر ابن الوردى أنها ليس لها حصن (٣٧) .

كان جامع سجلماسة متقن البناء (٣٨) ، وكانت دورها رفيعة (٣٩)، تحوطها البساتين (٤٠) ويشبهها ابن حوقل بأبنية الكوفة العالية (٤١) . ويشيد ليو الافريقى بأن سجلماسة كانت متحضرة ودورها ومساجدها كذلك وأنها كانت ذات مدارس وسقايات عديدة تجلب لها الماء من النهر فترفعه ناعورات تقذف به من قنوات تحمله الى المدينة (٤٢) . وكانت بسجلماسة حمامات عامة الا أنها لم تنل استحسان البكرى فوصفها بأنها رديئة البناء غير محكمة العمل وماؤها زعاق (٤٣) ، وكانت أسواق المدينة متسعة حتى قيل ان السائر يمضى فيها نصف يوم فلا يقطعها (٤٤). أما سور المدينة فقد بناه اليسع بن سمكو بن واسول وجعل أسفله من الحجارة وأعلاه من الطوب (٤٥) ، وقد ظل هذا السور قائما حتى اقتحمه السلطان المرينى يعقوب بن عبد الحق سنة ٦٧٣ هـ بعد أن حاصرها

---

(٣٦) محمود اسماعيل : المرجع السابق ، ص ٨٦ .
(٣٧) خريدة العجائب وفريدة الغرائب ، القاهرة ١٩٣٩ م ، ص ١٨ .
(٣٨) ابن سعيد : المصدر السابق ص ١٢٤ .
(٣٩) القلقشندى : المصدر السابق جـ ٥ ص ١٦٤ .
(٤٠) البكرى : المصدر السابق ، ص ١٤٨ .
(٤١) صورة الارض ، ص ٩٧ .
(٤٢) وصف افريقية ، جـ ٢ ، ص ١٢٧ .
(٤٣) المغرب فى ذكر افريقية والمغرب ، ص ١٤٨ .
(٤٤) ابن الوردى : المصدر السابق ، ص ١٨ .
(٤٥) البكرى : المصدر السابق ، ص ١٤٨ .
ــ وابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٥٦ .

عاما كاملا واستخدم البارود فى اقتحامه لأول مرة فى التاريخ (٤٦) .

كان مؤسسو سجلماسة — فيما يبدو — خليطا من صفرية البربر والسودان ، وكان للعنصر السودانى وزنا انعكس على اختيار أحدهم كأول أمير لسجلماسة هو عيسى بن يزيد الأسود (٤٧) وكان هذا الاتصال بين البربر والسودان حين نشأة المدينة ارهاصة بالدور الهام الذى ستقوم به فى الربط بين بلاد البربر وبلاد السودان الغربى والقيام بالوساطة التجارية بينهما . غير أن امارة سجلماسة ما لبثت أن أصبحت لبنى واسول المكناسيين (٤٨) ، فحكموها نحو مائة وستين عاما ثم ضمها أبو عبد الله الشيعى للدولة التى شيدها للفاطميين فى المغرب (٤٩) . ولم ترضخ سجلماسة للفاطميين فى يسر فاصطنع الفاطميون ولاة لها من بنى واسول (بنى مدرار) ، لكنهم تأرجحوا بين الولاء للفاطميين حينا ومعاداتهم حينا آخر حتى تحولوا بولائهم الى أمويى الأندلس حوالى منتصف القرن الرابع الهجرى (٥٠) ، وبادلت سجلماسة قرطبة الهدايا ، وقيل أن أول زرافة دخلت الأندلس كانت هدية من ابن مدرار صاحب سجلماسة (٥١) . واحتفظ بنو خزرون الذين أعقبوا المدراريين على سجلماسة بموالاة قرطبة (٥٢) ، وظل الحال على ذلك حتى استولى عليها المرابطون فى سنة ٤٤٦ هـ (٥٣) .

---

(٤٦) السلاوى : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ص ٣٦ — ٣٧ ، ص ٨٩ .

(٤٧) محمود اسماعيل : المرجع السابق ، ص ٨٥ .

(٤٨) ابن خلدون : المصدر السابق ، جـ ٦ ، ص ١٣٠ .

(٤٩) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٥٧ .

— والبكرى : المصدر السابق ، ص ١٥٠ .

(٥٠) ابن خلدون : المصدر السابق ، جـ ٦ ، ص ١٣١ .

(٥١) ابن حيان : المقتبس من أبناء أهل الاندلس ، تحقيق : محمود على مكى ص ٢٧٦ .

(٥٢) القلقشندى : المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص ١٦٧ .

(٥٣) ابن خلدون : المصدر السابق ، جـ ٦ ، ص ١٨٣ .

تعاقب على سجلماسة المرابطون فالموحدون فالمرينيون ، وكان تمردها على الحكم المرينى سببا فى هدم سورها سنة ٦٧٣ هـ (٥٤) ، فكان ذلك ايذانا بانهيار صرح سجلماسة الشامخ . ويمكننا أن نرسم خطا بيانيا هابطا يوضح تدهور سجلماسة التدريجى اذا قارنا بين ماكتبه عنها ثلاثة من أشهر الجغرافيين الذين تسنى لهم رؤية المدينة رأى العين وهم : ابن حوقل الذى زار سجلماسة قبيل منتصف القرن الرابع الهجرى ثم ابن بطوطة الذى زارها عند منتصف القرن الثامن الهجرى وأخيرا ليو الافريقى الذى شاهد أطلالها فى مطلع القرن العاشر الهجرى . فقد وصف ابن حوقل مدينة سجلماسة وصفا مسببا يعكس أهميتها وتألقهـا وأشار الى حسن موقعها ووفـرة زروعها ومهارة صناعها وعلو أبنيتها وغنى أهلهـا وطيب أخلاقهم وجميل عاداتهـم واكتظـاظ المـدينة بالعلماء (٥٥) ، بينما اكتفى ابن بطوطة — وهـو الذى مكث فيها أكثر من أربعة أشهر — بحديث مقتضب جدا عنها لايعدو القول انها من أحسن المدن وبها التمـر الكثير الطيب (٥٦) ، أما ليو الافريقى فلم يجـد من المدينة الا خرائبا فتحدث عنها حديث الذكريات (٥٧) .

استوطن سجلماسة عدد غفير من السكان (٥٨) ، كانوا خليطا من البربر والسودان والأندلسيين (٥٩) فضلا عن اليهود الذين اجتذبتهم

---

(٥٤) السلاوى : المصدر السابق ، ص ص ٣٦ — ٣٧ .
— ودائرة المعارف الاسلامية ، مادة سجلماسة .
(٥٥) صورة الارض ، ص ٩٠ ، ص ٩٦ .
(٥٦) تحفة النظار فى غرائب الامصار ، ص ٤٤١ .
(٥٧) وصف أفريقية ، جـ ٢ ، ص ١٢٧ .
(٥٨) ابن حوقل : المصدر السابق ص ٩٦ ، وابن الوردى : المصدر السابق ، ص ١٨ .
(٥٩) البكرى : المصدر السابق ، ص ١٤٨ — ابن خلدون : المصدر السابق جـ ٦ ص ١٣٠ .
— ابن حيان : المصدر السابق : ص ٢٦٩ — محمود اسماعيل : المرجع السابق ص ٨٣ .

تجارة الذهب مع بلاد السودان فقبلوا أن يمتهنوا فى سجلماسة حرفا وضيعة انتظار الفرصة تواتيهم فى تجارة الذهب (٦٠) ، وقد انضم الى هذا الخليط جموعا أخرى من النصارى المقلبون بالروم (٦١) • والعريان (٦٢) ، الذين كان لهم دور ملموس فى أحداث القرن السابع الهجرى بسجلماسة ويمكننا أن نرجع كثرة سكان سجلماسة الى عدة عوامل منها : —

١ — قامت سجلماسة فى واحة خصيبة على نهر يفيض فى الصيف ويزرع أهلها حسب زروع أهل مصر (٦٣) ، وأحسنوا الرى اذ قسموا أراضيها الى حياض يسهل ريها (٦٤) . وأقاموا السقايات والناعورات وشقوا القنوات (٦٥) . فحصدوا محاصيل جيدة ووفيرة من التمور والأعناب والفاكهة والقمح (٦٦) ، وغير ذلك •

٢ — طيب هواء سجلماسة (٦٧) ، وخلوها من الذباب والجذام (٦٨)، وكان الذباب يكثر فيما عداها من نواحى الصحراء . حتى أن ابن بطوطة أبدى تبرما شديدا من كثرة الذباب فى تغازا (٦٩) • ومن الطريف أن

---

(٦٠) الاستبصار ، ص ٢٠٢ — الحميرى : المصدر السابق ، مادة سجلماسة .

(٦١) ابن عذارى : البيان المغرب — قسم الموحدين ، ص ٣٢٤ .

(٦٢) نفس المصدر ، ص ٣٦٠ ، ص ٣٦٢ ، ص ٤١٢ .

(٦٣) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٩٦ — القلقشندى : المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص ١٦٤ .

(٦٤) البكرى : المصدر السابق ، ص ١٤٨ — الاستبصار ، ص ٢٠١ .

(٦٥) ليو الافريقى : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ١٢٧ .

(٦٦) البكرى : المصدر السابق ، ص ١٤٨ — الاستبصار ، ص ٢٠١ .

(٦٧) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٩٦ .

— ليو الافريقى : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ١٢٧ .

(٦٨) البكرى : المصدر السابق ص ١٤٨ — القلقشندى : المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص ١٦٤ .

(٦٩) تحفة النظار فى غرائب الامصار ، ص ٤٤١ .

سجلماسة كانت على الرغم من خلوها من الذباب قلما يوجد بها سليم العينين (٧٠) . لكن ليو الافريقى يعلل ذلك باشتداد حرارة الصيف وكثرة الغبار مما يؤدى الى التهاب عيون ساكينها لكنهم سرعان مـا يشفون (٧١) .

٣ — غير أن أهم العوامل قاطبة فى كثرة سكان سجلماسة هو اشرافها على طريق التجارة الهام مع بلاد السودان مما جعل أهلها من أغنـى الناس أموالا (٧٢) فقد روى ابن حوقل أنه رأى بأودغست صكا لتاجـر سجلماسى على زميل له اودغستى قيمته اثنى وأربعين ألف دينار ، ويؤكد ابن حوقل أنه لم ير ولم يسمع عن شىء كهذا بالمشرق (٧٣) وينسـب القلقشندى قولا كهذا لابن سعيد أنه رأى صكا لتاجـر سجلماسى على آخـر قيمته أربعون ألف دينار (٧٤) .

تجـارة الذهب مع السودان الغربى :

كان طريق سجلماسة أهم طرق التجارة مع بلاد السودان الغربى فى العصر الاسلامى ، اذ كان الذهب أهم ما يحمل على هذا الطريق حتى ليمكننا أن ندعوه طريق الذهب الذى كان يضاهى فى أهميته طريق التوابل الشهير فى العصور الوسطى .

---

(٧٠) البكرى : المصدر السابق ، ص ١٤٨ — الحميرى : المصدر السابق ، مادة سجلماسة .

(٧١) وصف أفريقية ، جـ ٢ ، صص ١٢٦ — ١٢٨ .

(٧٢) الاصطخرى : المسالك والممالك ، ص ٣٤ .

— وياقوت الحموى :معجم البلدان ، مادة سجلماسة .

(٧٣) صورة الأرض : صص ٩٦ — ٩٧ .

ويدعى صاحب الصك ابا اسحاق ابراهيم بن عبد الله المعروف بفرغ شغله .

(٧٤) صبح الأعشى : جـ ٥ ، ص ٦٤ .

— ولعل القلقشندى قد اخطأ فى نسبة هذا القول لابن سعيد .

كان اجتياز الصحراء الكبرى الافريقية عملية شاقة وعسيرة (٧٥) ، لتوهج حرها وشدة رياحها وفساد مياهها وتعرض عابروها للعطش الشديد (٧٦) ، واعتلال أبدانهم ونفوسهم (٧٧) ، وقد توهم ابن بطوطة أن تلك الصحراء مليئة بالشياطين لكثرة ماعاناه فيها من السراب والرمال المتحركة ولكثرة من يضلون فيها فلا يوقف لهم على أثر (٧٨) . لذلك كان التكشيف ضروريا لعبور تلك الصحراء (٧٩) ، ولا يقدم على ذلك العبور الا ذوى الاقدام والمغامرة (٨٠) ، وقد كان أهل سجلماسة — كما وصفوم الجغرافيون — ذوى جرأة واقدام على اجتياز الصحراء (٨١) .

غير أن تلك الصحراء على الرغم من طبيعتها القاسية لم تكن حاجزا منيعا بين بلاد المغرب وبلاد السودان الغربى (٨٢) ، وانما كانت تخترقها عدة طرق بين حديها الشمالى والجنوبى خصوصا مع وجود الجمل الذى عرفته تلك الصحراء منذ القرن الأول الميلادى (٨٣) . ويشبه

---

(٧٥) الاصطخرى : المصدر السابق ، ص ٣٤ .

(٧٦) ابن سعيد : المصدر السابق ، ص ١١٣ — ابو الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٣٧ . — القزوينى : آثار البلاد واخبار العباد ، ص ١٩ .

(٧٧) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، مادة تبر .

(٧٨) تحفة النظار فى غرائب الامصار ص ٤٤١ .

(٧٩) نفس المصدر ونفس الصفحة .

— والتكشيف : اسم لكل رجل من سوفه يكتريه اهل القافلة دليلا لها ومرشدا فى الصحراء .

(٨٠) ابن فضل الله العمرى : مسالك الابصار (ضمن كتاب مملكة مالى ص ٦٧) .

— والقلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ص ١٢٩١ .

(٨١) ياقوت : معجم البلدان ، مادة سجلماسة — والقزوينى : المصدر السابق ، ص ٤٢ .

(٨٢) جمال زكريا قاسم : الاصول التاريخية ، ص ١٥٩ .

(٨٣) وايدنر : تاريخ افريقيا جنوب الصحراء ، ص ١٥ .

المؤرخ فيج تلك الصحراء بمحيط واسع ، الموانى على شـــواطئه هى المحطات التجارية عند الحدين الشمالى والجنوبى ؛ والواحات فيهـــا أشبه بالجزر التى تمر بهـــا السفن لتتزود بالميـــاه والميرة فى غدوهـــا ورواحهـــا بين الموانى (٨٤) • ويبدو أن الفتح الاسلامى لبلاد المغرب أعقبه تغيير فى خريطة معابر الصحراء الكبرى ، فلمع من بينهـــا طريق جديد ظهـــر مع نشأة مدينة سجلماسة وامتد منها عبر الصحـــراء الى بلاد السودان الغربى وطغت أهميته على ماعداه من الطريق حتى تحدث عنه عدد من المسالكيين وكأنه المنفذ الوحيد الى بلاد السودان (٨٥) •

وجدير بالملاحظة أن الطريق بين سجلماسة وبلاد السودان كانت تحدث فى معالمه بعض التغييرات من فترة لأخرى ، فمع أن حدة الشمالى — سجلماسة — كان ثابتا لم يتغير ، فان حده الجنوبى تغير على الأقل مرة واحدة فى تاريخه ، فحتى زمن الادريسى فى القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى كانت مدينة اودغست هى الحد الجنوبى لهذا الطريق التجارى الهام (٨٦) ؛ غير أن مدينة ايو الاتن حلت محل اودغست وأخذت مكانتها التجارية فى زمن ابن بطوطة الذى زار تلك النواحى فى القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى ولم يشر ابن بطوطة الى اودغست على الاطلاق وانما أشار الى ايوالاتن وأنه قطع المسافة بينها وبين سجلماسة فى شهرين (٨٧) ، والغريب أنها نفس المدة التى استغرقها ابن حوقل فى قطع المسافة بين سجلماسة وادغست (٨٨) ، ولا يشير ليو الافريقى فى عهده الى ايوالاتن وانما يشير الى ولاته كنهاية جنوبية

---

(٨٤) Fage; An Introduction to the History of west Africa, p. 10.

(٨٥) المسعودى : مروج الذهب ج ٤ ، ص ٩٤ — الغرناطى : تحفة الالباب ، ص ٤١ — الشريسى : مملكة مالى ص ١١١ — القزوينى : المصدر السابق ، ص ٢٥ •

(٨٦) الادريسى : أنس المهج وروض الفرج — مخطوط ، ص ٧٠ •

(٨٧) تحفة النظار فى غرائب الامصار ، ص ٤٤٢ •

(٨٨) صورة الأرض ، ص ٩١ •

لهذا الطريق الهام (٨٩) وان كان البعض من المؤرخين يرجع أن ولاته ليو الافريقى هى نفسها ايوالاتن ابن بطوطة ويرجع نشأتها الى مطلع القرن الثالث عشر الميلادى (٩٠) •

ساعدت عدة عوامل على أن تجعل طريق سجلماسة أكثر أهمية من غيره فلقد أقل طريق الجرامنت القديم الذى كان يمر بفزان فى أعقاب الفتح الاسلامى للمغرب (٩١) وازدادت أهمية المغرب ليس فقط كمنطقة اتصال بين المشرق والأندلس وانما كمنطقة اتصال ببلاد السودان الغربى عبر الصحراء ، وأصبحت سجلماسة التى نشأت بعد نصف قـرن من الفتح الاسلامى نقطة بداية لطريق هام الى السودان الغربى ، فقـد جعلت منها محاسنها الذاتية كوفـرة مياهها وتنوع زروعها وطيب هوائها موضع جذب للسكان ومحطة هامة للقوافل التى كانت تصل اليها وتصدر عنها عبر شبكة من الطرق تكفى نظـرة عابرة فى كتب المسالك للتعـرف على مدى تشعبها •

وساعد على ازدهار طريق سجلماسة ماتوفـر لها منذ نشأتها من حكومات منظمة سواء فى فتـرات استقلالها تحت حكم بنى مـدرار وبنى خرزون أو ابان تبعيتهـا للفاطميين والمـرابطين والموحـدين والمرينيين ، فلقد حرصت تلك القوى السياسية على انتظام تلك التجارة لمـا كانت تدره عليها من موارد ضخمة وأرباح طائلة ، فقد كان الفاطميون — على سبيل المثال — يجبون من سجلماسة وحدها ما يســاوى نصف جباية المغرب كله (٩٢) ، ولم يحل تنافس القبائل البربرية دون استقرار ذلك الطريق ، فقد كانت تلك القبائل تحرص على تلك التجارة وتعمـل على خدمتها وحراستها لكونها مصدرا أساسيا ترتزق منه وتحصـل منه على احتياجاتها •

---

(٨٩) وصف افريقية ، ج ٢ ، ص ١٦١ •

(٩٠) طرخان : امبراطورية غانة ، ص ١٦ •

(٩١) — Bovill : op. cit. p. 66

كان اكتمال طريق سجلماسة التجارى بامتداده الطبيعى الى الموانى الساحلية على البحر المتوسط والمحيط الأطلسى من ناحية ومن ناحية أخرى بامتداده الى داخل بلاد السودان حيث مصادر الذهب الرئيسية ، ويمكن القول انه ما من قوة مغربية أو سودانية استطاعت أن تفرض هيمنتها الكاملة على كل أجزاء هذا الطريق ، فمع أن المرابطين اجتاحوا مملكة غانا (٩٣) ، على الطرف السودانى وسيطروا على معظم الطريق من السواحل الشمالية حتى مملكة غانة على نحو لم يتحقق لغيرهم ، فان سيطرتهم لم تكتمل على بقية الطريق الممتد الى داخل بلاد السودان وظلت مصادر الذهب الرئيسية فى أعماق بلاد السودان خارجة عن سلطانهم ، ويخطىء من يظن غير ذلك (٩٤) ، فليس أدل على عدم تحققه من أن المسلمين لم يحددوا بدقة أهم مناطق انتاجه الرئيسية التى أسموها ونقارة (٩٥) ، ولم يستطيعوا اكتشاف سر الذهب فى تلك النواحى حتى توهم بعضهم أنه ينبت فيها بين الرمل كما ينبت الجزر (٩٦) ، ولم يتورع بعضهم أن نسب قولا كهذا الى منسا موسى سلطان مالى الشهير (٩٧) • وكان مما ساعد فى الحفاظ على ذلك السر أن تجارة الذهب كانت تتم فى مناطق انتاجه بطريقة « التجارة الصامتة » التى لم تكن مجرد صمت عن الكلام فحسب ، بل كان المتبادلون السلع فيها لا يلتقون على الاطلاق (٩٨) •

---

(٩٢) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٩٩ .
— ارشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارية ، ص ٢٥٥ .
(٩٣) دافيدسون : افريقيا القديمة ، ص ٤٤ .
(٩٤) عبد الرحمن زكى : تاريخ الدول الاسلامية بافريقية الغربية ، صص ٨٣ — ٨٦ .
(٩٥) ابن سعيد : المصدر السابق ص ٩٢ — الحميرى : المصدر السابق ، مادة ونقارة .
(٩٦) جوليان : تاريخ أفريقية ، ص ٧٥ .
(٩٧) ابن فضل الله العمرى : المصدر السابق ص ٥٧ .
(٩٨) المسعودى : مروج الذهب ، ج ٤ ص ٩٢ — ياقوت الحموى : معجم البلدان مادة تبر — ابن فضل الله العمرى : المصدر السابق ص ٦٧ .

واذا كان المرابطون لم يصلوا الى مصادر الذهب الرئيسية فان سيطرتهم على معظم الأجزاء الشمالية لطريق سجلماسة قد هيأت للتجارة فيه سبلا أكثر للازدهار ، اذ فتحوا أمامها أسواقا واسعة سعة دولتهم التى ضمت الأندلس ، وانعكس نشاط تجارة الذهب على عملة المرابطين التى ارتفعت قيمتها وحظيت بالاحترام فى كثير من بلدان البحر المتوسط (٩٩) ٠

وفى السودان الغربى قامت بعد سقوط مملكة غانة عدة دول كانت التجارة عمادها الأساسى ومن ثم سعت تلك الدول السودانية الى بسط سيطرتها على التجارة بين المغرب والسودان الغربى وذلك ببسط سيطرتها على مصادر الملح الغنية فى الشمال (١٠٠) ، باعتبار الملح هو السلعة التى تساوى وزنها ذهبا لدى السودان فكانوا يبتاعونها وزنا بوزن الذهب وأكثرمن ذلك أحيانا(١٠١)، وترجع قيمة الملحالعاليةالى شدة احتياج السودان له(١٠٢)،اذ كان المادةالرئيسية فى حفظاطعمتهم وتخزينهاوكثير من الاستخدامات الاخرى الهامة بالنسبة لهم(١٠٣) ٠ واذا كانت الدول

=

ـ القلقشندى : المصدر السابق جـ ٥ ص ٢٩١ ـ القزوينى : المصدر السابق ص ١٩ ٠

ـ يصف الجغرافيون المسلمون التجارة الصامتة بأن التجار كانوا يدقون طبولهم اعلانا عن وصولهم ثم يضعون سلعهم، وأهمها الملح اكواما على حافة النهـر ثم يتوارون عن الانظار على بعد مرحلة فيخرج السودان من كهوفهم السرية ويضعون بجوار كل كومة ما تساويه فى نظرهم من الذهب ثم يختفون ليعود التجار فاذا رضوا بالذهب الذى وضع بجوار سلعهم ثمنـا لها اخذوه ورحلوا تاركين للسودان السلع واذا لم يرضوا تركوا كل شىء فى مكانه واختفوا فيظهر السودان مرة أخرى ويزيدون فى مقـادير الذهب حتى يرضى التجار فيحملون الذهب ويرحلون معلنين عن رحليهم بدقات الطبول ٠

(٩٩) ارشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ٣٨٦ ٠

(١٠٠) دافيدسون : المرجع السابق ، ص ٤٤ ٠

(١٠١) الغرناطى : المصدر السابق ، ص ٤١ ٠

(١٠٢) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ١٠١ ٠

(١٠٣) وايدنر : المرجع السابق ، ص ٢٥ ٠

السودانية قد نجحت فى السيطرة على مصادر الذهب الرئيسية والطرق المؤدية اليها فى الجنوب ، فانها لم تنجح فى السيطرة على معادن الملح الصحراوية والتى كانت المصدر الرئيسى لملح السودان ويعتمدون عليها اعتمادا أساسيا لصعوبة نقل ملح البحر لمسافة طويلة عبر الغابة (١٠٤) ، وكانت أهم مناطق تعدين الملح فى الصحراء ، معدن ملح على مسيرة عشرين يوما من سجلماسة يعده البكرى احدى غرايب الصحراء ويقول « تحفر عنه الأرض كما تحفر عن ساير المعادن والجواهــر ويوجد تحت قامتين أو دونها من وجه الارض ، ويقطع كما تقطع الحجارة ويسمى هذا المعدن تانتال وعليه حصن مبنى بحجارة الملح وكذلك بيوته ومشارفه وغرفه كل ذلك ملح ، ومن هذا المعدن يتجهز بالملح الى سجلماسة وغانة وساير السودان والعمل فيه متصل والتجار اليه متسايرون وله غلــة عظيمة » (١٠٥) ، وينطبق وصف البكرى على ما يسميه ابن سعيد حصن الملح (١٠٦) ، كما ينطبق على ما ذكر ابن بطوطة عن تغازا وان كان قد وصل اليها بعد خمسة وعشرين يوما من رحيله عن سجلماسة (١٠٧) ، بزيادة خمسة أيام عن المدة التى حــددها البكرى (١٠٨) .

واذا كانت دول السودان الغربى لم تنجح فى الســـــيطرة على طريق سجلماسة التجارى ، فانها لم تتجه الى تعطيله لشدة احتياجها للملح ، فكان تجار سجلماسة يحملونه من تانتال البكرى أو تغازا ابن بطوطة ويغررون به الى السودان ليبادلوه بالذهب ، وعادت عليهم

---

(١٠٤) — Fage : op cit. p. 9.

(١٠٥) المغرب فى وصف افريقية والمغرب ، ص ١٧١ — الاستبصار ، ص ٢١٤ .

(١٠٦) الجغرافيا ، ص ١١٣ .

(١٠٧) تحفة النظار فى غرائب الأمصار ، ص ٤٤١ .

(١٠٨) لعل الزيادة فى المسافة نتجت التعديلات التى أشرنا اليها فى الطريق فقد كانت تانتال البكرى على يومين من المجابة الكبرى وقت أن كانت نهايتها او دغست أما تغازا فقــد كانت على الطريق الرئيسى مباشرة وقت أن كانت نهايته ايوالاتن .

تجارة الذهب بأموال وفيرة نوة بكثرتها جلة من المؤرخين • واستمرت سجلماسة على حالها هذا قرونا عديدة حتى دب اليها الخراب فى مطلع القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى •

ربما لا تفيدنا المصادر بطريقة مباشرة فى فهم سبب الخـــراب الذى حل بسجلماسة ولكن من الممكن فهم ذلك فى ضوء أحوال المغرب الاسلامى عموما فى تلك الفترة من تاريخه ، فقد كان طرد المسلمين من الاندلس جزء من مخطط كبير لمهاجمة العالم الاسلامى(١٠٩) ولمـــا كان ازدهار سجلماسة أساسه تجارة الذهب ، والموانى التى تعرضت لضربات الاوربيين هى المنافذ الطبيعية لتلك التجارة على البحر المتوسط والمحيط الاطلسى(١١٠) كان من الطبيعى أن تتعطل تجارة سجلماسة التى هى عصب حياتها ، ولم يعد لتجارها حماسهم المعهود فى عبـــور الصحراء الى بلاد السودان حتى أن السودان أصبحوا يجيئـــــون بأنفسهم الى تغازا رأسا ليحملوا منها الملح الى بلادهم على عهد ابن بطوطة الذى ينص فى حديثه عن تغازا على ذلك (١١١) وأصبحت تغازا سوقا رائجة لتجارة الذهب حتى كانت على حضارتها — على حد وصف ابن بطوطة — يتعامل فيها بالقناطير المقنطرة من التبر(١١٢) • وربما كان انهيار هذا الطريق الهام هو الذى جعل التجـــار ينصرفون عن ولاته — نهايته الجنوبية على عهد ليو الافريقى — ويفضلوا عليهـــا مدنا أخرى مثل تنبكتو وكاغو(١١٣) •

واذا كان قد تبقى لطريق سجلماسة التجارى بقية من نشـــاط ،

---

(١٠٩) الفردبل : الفرق الاسلامية فى الشمال الافريقى ، ص ٤١٩ .

(١١٠) السلاوى : المصدر السابق ، ج ٤ ص ٩٢ ، ص ١٠٩ وما بعـــدها .

(١١١) تحفة النظار فى غرائب الأمصار ، ص ٤٤١ .

(١١٢) نفس المصدر ، نفس الصفحة .

(١١٣) وصف أفريقية ، ج ٢ ، ص ١٦٢ .

فقد أجهز على تلك البقية الباقية وصول الاوربيين الى ســواحل افريقية الاستوائية وايجاد طريق بحرى لتجارة السودان ، فقد كان هذا الطريق البحرى ضربة قاصمة لطريق التجارة البرى وانهارت سجلماسة تماما حتى اندثرت وتحولت الى خرائب وأطلال فى القرن السادس عشر الميلادى بعد أن سطرت فى تاريخ تجارة الذهب صفحات يصعب أن تمحى .

مراجـع البحث

أولا ـ المصـــادر :

١ ـ الادريسي : الشريف أبو عبد الله محمـد •
ـ أنس المهج وروض الفـرج
مخطوط حكيم أوغلى ٦٨٨ ، مكتبة السليمانية باستانبول •

٢ ـ ابن بطوطة : أبو عبد الله محمد اللواتى الطنجى •
ـ تحفة النظائر فى غرائب الامصـار وعجائب الاسفار ، القاهرة ١٩٦٦ •

٣ ـ البـكرى : أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز •
ـ المغرب فى ذكر افريقية والمغرب
نشر دى سـلان ، الجزائر ١٨٥٧ •

٤ ـ الحمـيرى : محمد بن عبد المنعم •
ـ الروض المعطار فى خبر الاقطار
تحقيق : احسان عباس ، بيروت ١٩٧٥ •

٥ ـ ابن حوقل : أبو القاسم النصيبى •
ـ صورة الارض ، بيروت ١٩٧٩ •

٦ ـ ابن حيـان : أبو مروان بن خلف القرطبى •
ـ المقتبس من أبناء أهل الاندلس
تحقيق محمود على مكى ، بيروت ١٩٧٣ •

٧ ـ ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد الحضرمى المغربى •
ـ العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الاكبـر ، القاهرة ، بدون تاريخ •

٨ ـ السـلاوى : أبو العباس أحمد بن خالد الناحرى •

— الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى .
تحقيق جعفر الناصرى ومحمد الناصرى ، الدار البيضاء ١٩٥٤ .

٩ — ابن سعيد : أبو الحسن على بن موسى الاندلسى .
— كتاب الجغرافيا .
تحقيق اسماعيل العربى ، بيروت ١٩٧٠ .

١٠ — الشريشى : أحمد بن عبد المؤمن .
— قطعة ضمن كتاب مملكة مالى .
جمع وتحقيق صلاح الدين المنجد ، بيروت ١٩٨٢ .

١١ — الاصطخرى : أبو اسحاق ابراهيم بن محمد الكرخى .
— المسالك والممالك .
تحقيق محمد جابر عبد العال الحسينى ، القاهرة ١٩٦١ .

١٢ — ابن عذارى المراكشى :
— البيان المغرب فى أخبار الاندلس والمغرب .
ج ١ ، تحقيق كولان وليفى بروفنسال ، بيروت ، ١٩٨٠ .
— قسم الموحدين : تحقيق ابراهيم الكتانى وزملائه ، بيروت ١٩٨٥ .

١٣ — الغرناطى : أبو حامد محمد بن عبد الرحيم .
— تحفة الألباب .
نشر : جبريل فران ، باريس ١٩٢٥ .

١٤ — أبو الفدا :
— تقويم البلدان (قطعة ضمن كتاب مملكة مالى)

١٥ — ابن فضل الله العمرى :
— مسالك الابصار فى ممالك الامصار .
(قطعة ضمن كتاب مملكة مالى) .

١٦ ـ القــزوينى : زكريا بن محمد •
ـ آثار البلاد وأخبار العباد •
بيروت ١٩٨٤ •

١٧ ـ القلقشـــندى : أبو العباس أحمد •
صبح الاعشى فى صناعة الانشا •
القــاهرة ١٩١٥ •

١٨ ـ ليــو الافريقى : الحسين بن محمد الوزان الزياتى •
ـ وضف افريقيــة •
ترجمة : ممحد حجى ومحمد الأخضر •
بيروت ١٩٨٣ •

١٩ ـ مجهـــول :
ـ الاستبصار فى عجائب الامصار •
تحقيق : سعد زغلول عبد الحميد •
الاسكندرية ١٩٥٨ •

٢٠ ـ المســعودى : أبو الحسن على •
ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر •
نشر : منهــارد ، باريس ١٩٨٧٥ •

٢١ ـ ابن الوردى : أبو جعفر عمر •
ـ خريدة العجائب وفريدة الغرائب •
القاهرة ١٩٣٩ •

٢٢ ـ ياقوت الحمــوى : شهاب الدين أبى عبد الله •
ـ معجم البلدان •

ثانيا — المراجع :

١ — ابراهيم طرخان :
— امبراطورية غانة الاسلامية .
القاهرة ١٩٧٠ .

٢ — بروفنسال : ليفى .
— مادة تافيلالت ، دائرة المعارف الاسلامية .

٣ — بل : ألفرد .
— الفرق الاسلامية فى الشمال الافريقى .
ترجمة : عبد الرحمن بدوى ، بيروت ١٩٨١ .

٤ — حسن أحمد محمود :
— قيام دولة المرابطين ، القاهرة ١٩٥٧ .

٥ — حسين مؤنس :
— ابن بطوطة ورحلاته . القاهرة ١٩٨٠ .

٦ — جمال زكريا قاسم :
— الاصول التاريخية للعلاقات العربية الافريقية .
القاهرة ١٩٧٥ .

٧ — جوليان : شارل أندريه .
— تاريخ افريقية .
ترجمة : طلعت أباظة ، القاهرة ١٩٦٨ .

٨ — دافيدسون : باسل .
— افريقية القديمة تكتشف من جديد .
ترجمة : نبيل بدر ، وسعد زغلول .
القاهرة ، بدون تاريخ .

٩ — السيد عبد العزيز سالم :
— المغرب الكبير ، ج ٢ ، العصر الاسلامى .
القاهرة ١٩٦٦ .

١٠ — صـــلاح الدين المنجد :
— مملكة مالى عند الجغرافيين المســـلمين .
بيروت ١٩٨٢ .

١١ — عبد الرحمن زكى :
— تاريخ الدول الاسلامية بافريقية الغربيــة .
القاهرة ١٩٦١ .

١٢ — كولن : جــورج .
— مادة سجلماسة ، دائر المعارف الاسلامية .

١٣ — لويس : أرشـــيبالد .
— القوى البحرية والتجارية فى حوض البحــر
المتوســط ، ترجمــة : أحمد محمــد عيسى ،
القاهرة ١٩٦٠ .

١٤ — ماك كول : دانيــل .
— الروايات التاريخية عن تأسيس ســجلماسة
وغانة . ترجمة : محمد الحمداوى .
الدار البيضاء ١٣٩٥ هـ .

١٥ — محمود اسماعيل عبد الرازق :
— الخوارج فى المغرب الاسلامى .
بيروت ١٩٧٦ .

١٦ — وايدنر : رونالد .
— تاريخ افريقيا جنوب الصحراء .
ترجمة : على أحمد فخرى ، وشوقى عطا الله
الجمل ، القاهرة ١٩٧٦ .

18 — Bovill: E. W.

The Golden trade of the Moors.
London, 1958.

18 — Cosley; W. D.

The Negroland of the Arabs.

London, 1841.

19 — Fage; J. D.

An Introduction to the History of West Africa.

Cambridge, 1955.

الطوائف ودورها فى ضـــياع الأندلس

دكتور عبادة عبد الرحمن كحيلة

كلية الآداب ـــ جامعة القاهرة

فى اليوم الثانى من يناير ١٤٩٢ / الثانى من ربيع الاول ٨٩٧ ، ارتفعت راية القديس يعقوب (١) وراية قشتالة Castilla (٢) فوق أعلى الأبراج بحمراء غرناطة Granada ، وحان لشمس الاندلس أن تغيب .

وظاهرة تاريخية هامة كضـــياع الاندلس جديرة بالدراســـة ، وربما لا يوجد فى المكتبة العربية كتاب ، يعالج المقدمات التى أفضت اليهـــا .

بيد أنه مما لا شك فيه أن دول الطوائف(٣) أو ممالك الطوائف كانت علامة هامة ، بل العلامة الاهم ، على الطريق الى ضـــــياع الاندلس .

ودول الطوائف تعبير عن تعدد الولاءات الســـياسية بشـــبه الجزيرة ، فى مقابل ولاء سياسى واحد فى المرحلة السابقة ، وهـــو الولاء للاسرة الأموية .

مجموع هذه الدول نحو من عشرين دولة ، تفرقت اليها البلاد فى

---

(١) اوشنت ياقب Santiago de Compostela ، وهو القديس الحامى لاسبانيا .

(٢) وهى اكبر الممالك الاسبانية ، وقامت بالدور الأولى فى النضال ضد المسلمين .

(٣) انتقل مصطلح طائفة (وطوائف) الى اللغة الاسبانية فصـــار Taifa ,(Taifass)

مطالع القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى ، وقد انتهت الحال بهذه الدول أو الممالك الى سقطوها فى أخريات هذا القـــرن ، الواحدة تلو الأخرى فى أيدى المرابطين حكام المغرب . أو فى أيـــدى القشتاليين . ونستثنى هنا مملكة سرقســـطة Zaragoza التى امتد بها العمر الى أوائل القرن التالى .

كمقدمة فتح العرب الاندلس فى سنة ٩٢ ه / ٧١١ م . وفى سنة ١٣٨ ه / ٧٥٥ م أسس عبد الرحمن الداخل (١٣٨ ه / ٧٥٥ م — ١٧٢ ه / ٧٨٨ م) الامارة الأموية التى تحولت على يدى عبد الرحمن النـــاصر (٣٠٠ ه / ٩١٢ م — ٣٥٠ ه / ٩٦١ م) فى ســـنة ٣١٦ ه / ٩٢٩ م الى خلافة أموية . وفى المرحلة الاخيرة من هـــذه الخلافة . استبد بالحكم فى الاندلس الحاجب المنصور ابن أبى عامر (٣٦٨ ه / ٩٧٨ م — ٣٩٢ ه / ١٠٠٢ م) ثم ولداه المظفـــر (٣٩٢ ه / ١٠٠٢ م — ٣٩٩ ه / ١٠٠٨ م) والناصر .

يبدأ عصر الطوائف بنهاية الدولة العامرية فى ســنة ٣٩٩ ه / ١٠٠٩ م ... ونتساءل لـــاذا ؛ وخلال سنوات قليلة انتثر عقـــد الدولة الاندلســية .

— ١ —

فى تقديرنا أن ظاهرة الطوائف هذه كانت تعبيرا عن الخصوصية الاندلسية (٣) فى أوجها ، والمنطلق لهذه الخصوصية هـــو البيئـــة ، فنحن نلاحظ فى شبه الجزيرة تباينا فى سطح الارض ، وتقطعا حادا

---

(٤) راجع فى هذا الشأن الباب التمهيدى (٢١ — ٤٧) من أطروحتنا لدرجة الماجستير « المولدون فى التاريخ الاندلسى » جامعة القاهرة كلية الآداب ١٩٧٨ غير منشورة ، وراجع أيضا :

Menendez Pidal, R : The Spaniards in their history. Trans by Walter Starkie. London. Hollis & Certer 1950. Passim.

له ، وتعددا للاقاليم المناخية والغطاء النبـاتى وأنماط الحيـاة الاقتصادية ، وهو ما أعان على أن يعيش السكان فى مجتمعات صغيرة ، منعزلة بعضها عن بعض ، تختلف فيما بينها فى درجات الحضـارة وطرائق التفكير ، بحيث يصير الولاء لمجتمع من هذه المجتمعـات ، يفوق فى أحيان كثيرة الولاء للمجتمع الكبير • وقد استجاب الرومان ، ومن بعدهم القوط ثم العرب لهـذه الظاهرة ، فجعلوا الاقسـام الجغرافية أقساما ادارية •

البيئة اذن أسهمت فى تكريس هذه الولاءات المحلية ، وفى نجوم الفتن والثورات بين حين وآخر ، الأمر الذى لم يكن يجعل لأية معركة نتيجة حاسمة ، ولفظة Guerilla ومعناها حرب صغيرة(٥) ، لفظة ابتكرها الاسبان ، ونقلتها عنهم اللغات الأخرى دون تغيير •

فى التطبيق — وكمثال — فان الجبال الشـمالية الوعرة باقليم جليقية Galicia ، كانت وراء عصيان بلاى Pelayo ، وبزوغ نواة المقاومة النصرانية فى مغارة أونجا Covadonga ، بعد سنوات قليلة من الفتح • وبعد الاسبان هذا العصيان بداية لحرب الاسترداد La Reconquista ، أو معركة القرون الثمانى La Batalla de Ocho Siglos.

على أنه ورغما عن هـذه المحليـة الواضحة ، فان الشـعب الاندلسى ، وان تعددت أعراقه ، الا أنه كان — على نحو عام — ينتمى الى أرومة اسبانية ، ولم يكن العرب ولا البربر ولا غيرهم من المسلمين الطارئين سوى أقليات ، تتفاوت فى العدد ، وتتفاوت على نحـو أوضح فى مواقعها من السلم الاجتماعى ، وبعد فتن داخلية متعددة ، بدأت فى أعقاب الفتح ، واستمرت متقطعة نيفا ومائتى عام ، وشـارك فيها النصارى الذمة(٦) ، كانت العصبية قد هدأت الى حد كبير ،

---

(٥) ومعناها اصطلاحيا حرب العصابات .

(٦) أو النصارى المعاهدون اى الذين لهم عهد وعرفهم نصـارى الشمال بالمستعمرين Mozarabez

ومضى الشعب الاندلسى خطوات واسعة نحو الاندماج ، بحيث جاز أن نتحدث عن شعب أندلسى واحد ، يدين معظمه بالاسلام .

كان هذا الشعب ولأسباب كثيرة ، يشعر بالزهو ازاء أنداده المسلمين بالمشرق ، بل ويشعر بالزهو أيضا تجاه المسلمين بالعــدوة المغربية ، وتعبر عن ذلك رسالة مشهورة(٧) للفقيه الكبير والأصولى أبى محمد بن حزم (ت ٤٥٦ ﻫ / ١٠٦٤ م) .

هذا الشعور العارم بالاندلسية كان يؤدى فى أحوال عدة الى نفور واقع بين الاندلسى وبين المغربى الوافد اليه عبر البحــر ، والذى كان وفوده يرتبط على نحو أساسى بمحنة يمر بها رفيقــه الاندلسى فى مواجهة نصارى الشمال .

كذلك فان هذا الشعور كان يؤدى الى اقامة علاقات تحتية بين مسلمى الاندلس وبين نصارى الشمال ، هى علاقات فى معظمها طيبة يسودها التسامح(٨) ، ولم يكن الاندلسى القادم من دار الاســلام يجد غضاضة من المقــام بدار الحرب ، وكذا كانت حــال قرينــه النصرانى القادم من هذه الدار الى دار الاسلام(٩) . بل ان المسلم المدجن (١٠) الذى تحول ولاؤه السياسى الى النصارى ، لم يكن ليشعر فى الغالب بتغيير كبير فى حاله ، خصوصا وأن جيرانه ومن يتعاملون معه من هؤلاء النصارى ، كانوا على دراية بالعربية أو يتحدثون بها

---

(٧) انظر نص الرســالة فى المقرى : نفح الطيب ، تحقيق احســـان عباس . بيروت ، دار صادر ١٩٦٨ م ٣ ص ١٥٦ — ١٧٩ .

(٨) يرتبط التعصب عند الجانب النصرانى بالقرن الخامس عشر وما تلاه ، والى هذه المرحلة ينتمى دوان التحقيق La Inquisicion

(٩) ليفى بروفنســال : الاسلام فى المغرب والاندلس ، ترجمة السيد عبد العزيز سالم ، محمد صلاح الدين حلمى . القاهرة ، نهضة مصر ، ١٩٥٦ ص ٢٨٤ .

(١٠) المدجنون : Mudejares هم المسلمون الاندلسيون الذين آثروا البقاء فى ديارهم بعد سقوطها فى أيدى الاسبان .

وقد يجيدونها(١١) .

الأكثر من ذلك ، فقد حارب بعض النصارى مع المسلمين كمرتزقة ، ومن المسلمين من كانوا يفعلون ذلك فيحاربون مع النصارى ، ولدينا مثال واضح فى ملحمة السيد La Poema de Mio Cid التى استوحاها بعد فترة طويلة الشاعر الفرنسى ، كورنى Corneil

— ٢ —

لم تكن لهذه الخصوصية آثار فادحة ابان الفترة الأموية ، على أن هذه الآثار تبدت فيما بعد ، وأعانت الطوائف على تكريسها ، أو بالأحرى تكريس الجوانب السلبية منها .

ذكرنا أنه حدث ثمة انسجام للشعب الأندلسى فى عصر الخلافة ، على أن هذا العصر كان يحمل فى طياته جرثومة فنائه ، فقد كان النظام الحربى ، يرتبط على نحو أساسى بأبناء هذا الشعب وبخاصة من تحدر من أصل شامى . وجاور هؤلاء الأجناد أجناد طارئون على الاندلس يتحدرون من أصل صقلبى أو من بربر العدوة وهم غير بربر الاندلس ، الذين كان قد تم اندماجهم فى الشعب الاندلسى وكان الاستعانة بهؤلاء تتم على نحو ثانوى فى الفترة السابقة لعصر الخلافة ، لكنها وضحت فى هذا العصر ، بل امتد الأمر الى الاستعانة ، بأجناد نصارى من الاندلس ، ومن ممالك الشمال ، سيما فى عهد المنصور بن أبى عامر(١٢) .

---

(١١) تعبر عن ذلك الوثائق المنسوبة الى مستعربى مدينة طليطلة Toledo النصارى وتعود الى القرنين الثالث عشر والرابع عشر ، وقام على نشرها جونثالث بالنثيا Angel Gonzalez Palencis فى سنة ١٩٢٦ — ١٩٣٠ .

(١٢) راجع فى هذا الشأن ما ورد فى الحولية السياسية والحولية العامة لانفونثى العالم

Simonet, J : Historia de Los Mozarabes de Espana. Madrid 1897. p. 630 Nota n. 1.

نتج عن استقدام الغرباء وترفيعهم على أهل الاندلس فوران اجتماعى عبرت عنه الحركة الشعبية التى تأخرت فى الاندلس عنها فى المشرق ، ومن مظاهرها رسالة ابن غرسية المشـــهورة فى تفضـــيل العجــم(١٣) .

نتج أيضا عن استقذام هؤلاء نفور أجناد الاندلس الاصليين منهم ، هذا النفور الذى يتضح فى وقعة الخنــدق Alhandaga سـنة ٣٢٧ هـ / ٩٣٩ م ، وقد هزم فيها الخليفة الناصر هزيمـــة كبيرة (١٤) ، ومع ذلك فلم يتوقف عن سياسته فى استقدام الصقالبة ، وبلغ عددهم فى مدينة الزهراء وحــدها لدى وفاته ٣٧٥٠ عـــدا النســاء(١٥) .

لم يقف الاندلسيون — والعرب منهم — صــامتين ازاء هــذا الانقلاب ، فقد وقعت منهم عدة مؤامرات للتخلص من الصقالبة ، كانت احداها مؤامرة كبيرة قمعها المظفر ولد المنصـــور(١٦) . كما كانت للاندلسيين مجابهات عديدة مع البربر ، أسفرت عن تخريب هــؤلاء لقرطبة Cordoba عند اقتحامهم لها فى سنة ٤٠٣ هـ / ١٠١٣ م .

---

(١٣) نشرت ضمن مجموعة نوادر المخطوطات ، المجموعة الثالثة ، تحقيق عبد السلام هارون . القاهرة لجنة التاليف والترجمة والنشر ١٩٥٣ ، ص ٢٤٦ — ٢٥٤ ، وتوجد نسخة منها فى ابن بســام : الذخيرة فى محاسن اهل الجزيرة ، تحقيق احسان عباس ، بيروت ، دار الثقافة ١٩٧٩ ق ٣ م ٢ ، ص ٧٠٥ — ٧١٤ .

(١٤) اخبار مجموعة فى فتح الاندلس ونشر لافوينتى الكنترا مدريد ١٨٦٧ ، ص ١٥٥ — ١٥٦ .

(١٥) ابن الخطيب : اعمال الاعلام تحقيق ليفى بروفنسال ، بيروت ، دار المكشوف ١٩٥٦ ، ص ٤٠ — ٤١ .

(١٦) ابن بســام : المصدر نفسه ق ١ م ١ ، ص ١٢٣ — ١٢٨ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، تحقيق ليفى بروفنسال ، بيروت ، دار الثقافة د . ت ، ص ٢٧ — ٣٦ .

ويصور الكاتب المعاصر أبو محمد بن حزم هذا التخريب فى عبارة مشجية وردت بكتابة الطوق(١٧) .

ويرتبط النظام الحربى بنظام الارض ، فقد كان هذا النظـام يقوم على أساس اقطاع كور معينة للاجنـاد العرب ، يقيمون بها ، ويقدمون فى المقابل عددا معينا منهم ، يتناسـب مع حجم الكـورة وخطرها(١٨) . لكن المنصور فى اجهازه على العصبية العربية ، أجهز على هذا النظام(١٩) ، وجعل ارتزاق الاجنـاد — وقد أصبحوا فى معظمهم من الغرباء — مشاهرة(٢٠) . وكان هدفه من ذلك أن يشعر هؤلاء بالانتماء له ، على أن هذا الشـعور تحول بعده الى انتماء الى شخص الحاكم ، وليس الى الدولة ، وعنـدما وقعت نزاعات على السلطة ، توزع ولاء الأجناد بين المتنازعين . ولأنهم لم تكن لديهم اقطاعات ، فقد انصرف همهم الى نهب العامة . وشكلوا فى النهـاية طبقة عسكرية منفصلة عن الشعب الأندلسى ، وكثير منهم لم يكن يحسن العربيـة(٢١) .

أعان على تكوين هذه الطبقة ما جرى من رواج فى أواخر عصر الخلافة ، أدى الى تراكم ما لديها من ثروات ، وأدى أيضا الى حال من الترف والترهل الاجتماعى عند طوائف الشعب الاندلسى المرتبطة بهذه الطبقة ، يوضح ذلك أن مقادير الجباية فى عهد المنصـور ، بلغت أربعة ملايين دينار ، عدا رسوم المواريث وأموال السبى والغنـائم

---

(١٧) تحقيق الطاهر مكى ، القـاهرة ، دار المعـارف ١٩٨٠ ، ص ١٢٦ — ١٢٨ .

(١٨) ابن الخطيب : الاحاطة فى أخبار غرناطة ، تحقيق محمد عبد الله عنان ، القاهرة ، الخانجى ، ١٩٧٣ ، ج ١ ، ص ١٠٣ — ١٠٤ .

(١٩) المقرى : المصدر نفسه ، م ١ ، ص ٢٩٣ .

(٢٠) الطرطشى : سراج الملوك ، القاهرة ، المطبعة الخـيرية ، ١٣٠٦ هـ ، ص ١٠٠ .

(٢١) مثل بنى حمود وهم ادارسة علويون تبربروا ، ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص ١٢١ .

والمصادرات ، فى حين كانت النفقات تبلغ شهريا نحو مائتى ألف ، ترتفع الى خمسمائة ألف لدى الغزو(٢٢) .

على أنه ثمة خطيئة أساسية ارتكبها المنصـــور ، ففى غزواته المتوالية الى دار الحرب ــ وقد بلغت نحو خمسين غزوة ــ كان يكتفى بالنصر ، وليس بالنصر النهائى وهذه حلول وسطية ، أسفرت عن نتائج سلبية ، لأنها استفزت المشاعر الوطنية والدينية عند الجانب الآخر . ولم ينس النصارى ما فعله معهم فى غزوته الكبرى الثامنة والاربعين فىسنة ٣٨٧ هـ / ٩٩٧ م ، فقد أتى ببعض أسراهم يحملـــون على ظهورهم نواقيس الكنائس وصـــلبانها وأبوابها من قاصية بلادهم الى حضرة قرطبة(٢٣) .

خطيئة أخرى ارتكبها المنصور ، وهى أن المساحات الواســعة التى استردها من النصارى أو استولى عليهـــا ، وان صـــارت جزءا من دار الاسلام ، الا أنها كانت فى واقع الأمر مناطق عازلة أو مناطق منزوعة السلاح ، لم يهتم بتعميرها وتوطينها المسلمين ، بخـــلاف ما درج عليه النصارى لدى استيلائهم على أراض اسلامية ، فانهم كانوا يعمرونها ، ويوطنون بها بعض العامة ، وبعض النصارى المهاجرين من الاندلس ، يقوم على خدمتهم رقيق مسلم ، ويقيمون بهـــا قلاعا احتشدت بفرسانهم ، ومن هنا أتى مسمى قشـــتالة ، وهى بـــلاد

---

(٢٢) ابن الخطيب : المصدر نفسه ، ص ٩٨ .

(٢٣) المصدر نفســه ، ص ٦٧ ــ ٦٨ ، ابن خلدون : كتاب العبر ، بيروت ، دار الكتاب اللبنانى ، ١٩٨١ م ٤ ا ، ص ٣٩٠ ، وأنظر ايضـــا محمد عبد الله عنان :دولةالاسلام فى الاندلس ، ع ١ ق ٢ ، ١٩٦٩ ، ص ٥٦٠ .

ويلاحظ أن فرذلند الثالث Fernando ملك قشـــــتالة ١٢١٧ ــ ١٢٦٢ لدى استيلائه على قرطبة فى سنة ٦٣٣ هـ / ١٢٣٦ م استرد ما سبق واستولى عليه المنصور وعاد به على ظهور الأسرى المسلمين الى شنت ياقب .

O'Callaghan : A History of Medieval Spain. Cornell 1975. p. 345.

القـلاع ، والى جوارها أديرة ، احتشدت برهبان متعصبين ، أسهموا على نحو وافر فى اشـعال الروح الصليبية(٢٤) .

— ٣ —

أسفر قيام الطوائف عن تكريس للطائفية السياسية ، فقد توزعت الاندلس ثلاث مجموعات من الممالك عربية وصقلبية وبربرية ، كما جنح الملوك الى اتخاذ ألقاب ، لم يكن ليتخذها قبل ذلك غير الخلفـاء . ولدينا مثال واضح فى بيتين مشهورين لابن رشيق القـيروانى(٢٥) (ت ٤٦٣/١٠٧١) .

مما يزهـدنى فى أرض أندلـس ... ألقـاب معتضـد فيها ومعتمـد
ألقـاب مملكة فى غـير موضـعها ... كالهـر يحـكى انتفاخا صـولة الاسد

سعى الملوك أيضا الى أن يكون للواحد منهم بطانة من الشعراء ، يتغنون بفضائله وفضائل مملكته ، ولدينا نموذج الشـاعر ابن عمار (ت ٤٧٧/١٠٨٥) مع الشاعر الملك المعتمد بن عباد (٤٦١/١٠٦٩ — ٤٨٤/١٠٩١) باشبيلية Sevilla ، وغنى عن البيان أنه الى عصـر الطوائف ، ينتمى القسم الأكبر من تراث الشعر الاندلسى .

الى جانب ذلك فقد اهتم الملوك بالعمائر والانشاءات التى تخلد ذكراهم ، مثل قصر الجعفرية بسرقسطة ، وقد ابتنـاه صاحبها المقتدر ابن هود (٤٣٨/١٠٤٦ — ٤٧٤/١٠٨١) وضم هذا القصر بهوا ذهبيا ،

---

(٢٤) راجع أطروحتنا لدرجة الدكتوراه « المعاهدون فى الاندلس » جامعة القاهرة كلية الآداب ، ١٩٨٣ ، غير منشورة ؛ ص ٦٩ ، ٢٣٩ — ٢٤١ والمراجع المعطاة .

(٢٥) ابن الخطيب : المصدر نفسه ، ص ١٤٤ .

دعى بمجلس الذهب ، وفيه يقول المقتدر :(٢٦)

قصـــــر الســـرور ومجلس الذهــب
بكمــا بلغــت نهــاية الطـــــوب
لــو لــم يحــــز ملــكى خلافكمــا
كانــت لـــــــــدى كفـــــاية الأرب

على أن هذه العمائر والانشاءات كان ينصرف معظمها الى غاية ترفية ، وليس ثم ضرورة أساسية لها •

ما دامت الطوائف قد استكملت استقلالها ، فان كل واحدة منها كانت تسعى الى الحفاظ على هذا الاستقلال من ناحية ، والى مـد حدود سلطانها على حساب غيرها من ناحية أخرى ، وكان ذلك يتطلب نفقات باهظة ، فسعى ملوكها الى ارهاق رعاياهم بالفرائض والاموال • ويشير ابن حزم(٢٧) فى احدى رسائله الى انهم ابتدعوا جزية على رءوس المسلمين ، يسمونها قطيعة وتؤدى مشاهرة ، وضريبة أخـرى على أموالهم من الغنم والبقر والدواب والنحل ، ورسوما تدعى القبالات ، تؤدى على ما يباع فى الاسواق ، ويشير أيضا الى تسليطهم اليهود فى جباية هذه الاموال •• الأكثر من ذلك أن الملك منهم فى حربه مع غيره من ملوك الطوائف ، كان يبيح رعية غنيمه وهم مسلمون ، لجنوده نصارى ومسلمين •

لم يقف الملوك عند هذا الحد ، فانهم فى اصطراعهم مع بعضهم البعض ، سعوا الى طلب العون من الملوك النصارى ، وكان هـؤلاء يؤيدونهم بجنودهم ، فيتمكنون من حرم المسلمين وأبنائهم ورجالهم ــ على قول ابن حزم ــ يحملونهم أسارى الى بلادهم •

(٢٦) ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب ، تحقيق شوقى ضيف ، القاهرة ، دار المعارف ١٩٥٥ ، جـ ٢ ، ص ٤٣٥ .

(٢٧) رسالة التلخيص (فى الرد على ابن النغريلة اليهودى ورسائل أخرى) ، تحقيق احسان عباس ، القاهرة ١٩٦٠ ، ص ١٧٣ وما بعدها .

لدينا أمثلة عديدة ، فقد تحالف المأمون بن ذى النون (٤٣٥/١٠٤٣ — ٤٦٧/١٠٧٥) ملك طليطلة مع غرسيه Garcia Sanchez ملك نبــره Navarra ١٠٣٥ — ١٠٥٤ ضد المقتدر بن هود ملك سرقسطة ، وتحالف هذا الاخير مع فرنانــدو Fernando I ملك قشتالة (١٠٣٥ — ١٠٦٥) ضد خصيمه المسلم ... وهكذا نجد الملكين النصرانيين يعيثان فى وقت واحد وبمساعدة مسلمين فى أراضى مسلمين ، واستمر هذا العيث ثلاث سنوات ٤٣٥/١٠٤٣ — ٤٣٨/١٠٤٦(٢٨) .

لدينا مثال آخر ، فقد تحالف المعتمد ملك اشبيلية مع أذفونش Alfonso VI (١٠٦٥ — ١١٠٩) ملك قشتالة ، وأدى له خمسين ألف دينار ، فى مقابل أن يعينه على فتح غرناطة ، على أن تكون المدينة للمعتمد ، وذخائر القلعة الحمراء لأذفونش ، وفى الوقت نفسه سعى ملك غرناطة عبد الله بن بلقين (٤٦٥/١٠٧٣ — ٤٨٣/١٠٩٠) الى التحالف مع أذفونش نفسه ، دفعا لأذاه ونكاية فى المعتمد (٢٩) .

ولابد — بطبيعة الحال — من مقابل ، وكان المقابل فى البداية مالا يؤدى الى الملك النصرانى ، لم يلبث أن تحول الى جزية ، يقع عبؤها على الرعايا الاندلسيين ، ثم تحول الى تنازل عن أراض الى جانب الجــزية .

والحقيقة أن الريادة فى هذا المجال تعود الى الخليفة هشــام المؤيد (٣٦٦/٩٧٦ — ٤٠٣/١٠١٣) الذى تنازل لملك قشــتالة فى ســنة ٤٠١/١٠١٠ عن مائتى حصن ، سبق أن ضمها أسلافه — أمويين وعامريين — وذلك مقابل توقى عدوان هذا الملك ، واتحاده معه ضد

---

(٢٨) ابن عذارى : المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٢٧٧ — ٢٨٢ .

(٢٩) الامير عبد الله الزيرى : مذكرات الامير عبد الله المســماه بكتاب التبيان ، تحقيق ليفى بروفنســال ، القاهرة ، دار المعارف ١٩٥٥ ، ص ٦٩ — ٧٦ انظر أيضا محمد عبد الله عنان : المرجع نفسه ، ص ٦٣ .

خصومه المنازعين له من البربر(٣٠) .

سياسة التنازلات هذه كانت تؤدى الى مزيد من الدعم للجبهة النصرانية . والى مزيد آخر من العدوان . وعندما كان يتوقف ملك من ملوك الطوائف عنها . فان عقابه يكون شديداً . فقد امتنع المعتمد عن أداء الجزية فى سنة ٤٧٥/١٠٨٢ . وكان جزاؤه أن اقتحم أذفونش مملكته . واخترقها حتى وصل الى بحر الزقاق(٣١) . وخاض بفرسه فى أمواجــه(٣٢) .

الى جانب ذلك فان ملوك الاسبان وأمراءهم كانوا يســتغلون تواجدهم فى مدينة اسلامية ضيوفا عليها . من أجل التجسس ، وكذا كانت حال أذفونش . حين أقام بطليطلة ضيفا على حاكمها ، ابــان خلعه عن مملكته(٣٣) .

الخلاصة أن الأوضاع فى بلاد الاندلس على عهد الطوائف كانت غاية فى التــردى .

يقول أذ فونش الذى دعا نفسه « بالانبيطور ذى الملتين »(٣٤) أى امبراطور النصارى والمسلمين ، يقول لسفير المعتمد لديه :(٣٥)

---

(٣٠) ابن الخطيب : المصدر نفسه ، ص ١١٧ .

(٣١) أى مضيق جبل طارق Gibraltar .

(٣٢) مجهول : الحلل الموشية فى ذكر الاخبار المراكشية ، جـ ٦ ، تصحيح ى. علوش رباط الفتح ، ١٩٣٦ ، ص ٢٩ .

(٣٣) ابن عذارى : المصدر نفسه ، جـ ٣ ، ص ٢٣٢ .

(٣٤) ويعرف أحيانا بالانبراطور ذى الملتين وهو ما يقابل فى الوثائق المعاصرة :

Imperator O. Callaghan : Op Cit p. 207. Constitutus super omnes Hispaniae nationes.

(٣٥) ابن الكردبوس : كتاب الاكتفاء ، تحقيق أحمد مختار العبادى . مدريد ، ١٩٧١ ، ص ٨٩ .

كيف اترك قوما مجانين ، تسمى كل واحد منهم باسم خلفائهم وملوكهم وأمرائهم ، كالمعتضد والمعتمد والمعتصم والمتوكل والمستعين والمقتدر والأمين والمأمون ، وكل واحد منهم لا يسل فى الذب عن نفسه سيفا ، ولا يرفع عن رعيته ضيما ولا حيفا ، قد أظهروا الفسوق والعصيان ، واعتكفوا على المغانى والعيدان ، وكيف يحل البشر أن يقر منهم على رعيته أحدا ، وأن يدعها بين أيديهم سدا .

فى عام واحد وهو عام ١٠٦٣/٤٥٦ — ١٠٦٤ سقط معقلان هامان فى أيدى النصارى هما قلمرية Coimbra فى شمال البرتغال الحالية وبربشتر Barbastro فى مملكة سرقسطة (٣٦) . وأثار ذلك شجون ابن حيان (ت ١٠٧٦/٤٦٩) مؤرخ الاندلس الكبير وهو يعيش آخر أيامه فيقول :

ولأشد مما أفشينا عند أولى الالباب ما أخفيناه مما دهانا من داء التقاطع ، وقد أخذنا بالتواصل والألفة ، وأصبحنا من استشعار ذلك والتمادى عليه ، على شفا جرف يؤدى الى الهلكة لا محالة ، اذ قدر الله زمانها ...

— ٤ —

فى سنة ١٠٨٥/٤٧٨ وقعت الواقعة ، فقد سقطت طليطلة .

تخاذل ملوك الاندلس — باستثناء ملك بطليوس Badajoz عن نجدتها ، ولم ينصتوا الى صريخ القاضى أبى الوليد الباجى

---

(٣٦) راجع الرواية الضافية لسقوط بربشتر ، وما احاط بهذا السقوط من طابع مأساوى حفز المسلمين على استردادها فى العام التالى فى ابن بسام : المصدر نفسه ، ق ٣ ، م ١ ، ص ١٧٩ — ١٩٠ ، ابن عذارى : المصدر نفسه ، ج ٣، ص ٢٢٥ — ٢٢٨ ، الحميرى : الروض المعطار فى خبر الاقطار ، تحقيق احسان عباس ، بيروت ، مكتبة لبنان ، ١٩٨٤ ، ص ٩٠ — ٩١ .

(ت ٤٧٤/١٠٨١) عندما دعاهم الى الجهاد ذبا عنها(٣٧) ، وانصرف الواحد منهم الى أمور مملكته وحدها . بل ان المعتمد — وقد ملأه الرعب من أذ فونش — لم يوظف هـذا الرعب فى مساندة المدينة التاعسة ، ولم يتحرك لمواجهة ملك قشتالة ، الا بعد أن تهدد هذا مملكته نفسها ، كما فرض حصاره على سرقسطة .

لم يجد ملوك الاندلس الا أن يطلبوا معونة اخوانهم عبر البحر ، وكانت قد بزغت عندهم قوة صحراوية كبيرة ، هى المرابطون وأميرهم يوسف بن تاشفين (٤٦٦/١٠٧٣ — ٥٠٠/١١٠٦) .

فى العام التالى حدثت واقعة الزلاقة Sagrajas وانتصر المسلمون المتحدون — أندلسيين ومرابطين — على خصيمهم القشتالى ، الذى لم يتبق من جيشه البالغ نحو أربعين ألفا سوى مائة أو مئات(٣٨) .

---

(٣٧) ابن الأبار : الحلة السيراء ، تحقيق حسين مؤنس ، القاهرة ، الشركة العربية للطباعة والنشر ١٩٦٣ ، ج ٢ ، تر ١٢٨ ، ص ٩٨ .

وقد كان سقوط طليطلة فى أيدى النصارى شديد الوطأة على المسلمين، فقد كانت قاعدة الاندلس فى القديم ، كما كانت قاعدة الثغر الاوسط ، وتميزت بحصانتها ، الأمر الذى أهلها لتكون احدى مدن الاندلس الاربعة الكبار : قرطبة ، اشبيلية ، سرقطة ، طليطلة .

يقول الشاعر ابن العسال :

يا أهل أندلس حثوا مطاياكم
فما المقام بها الا من الغلط

الثوب ينسل من اطرافه وأرى
ثوب الجزيرة منسولا من الوسط

ونحن بين عدو لا يفارقنا
كيف الحياة مع الحيات فى سفط

المقرى : المصدر نفسه ، م ٤ ، ص ٣٥٢ .

(٣٨) راجع ابن الكردبوس : المصدر نفسه ، ص ٩٤ ، الحلل الموشية ، ص ٤٩ .

لكن ... هل تعلم المسلمون من أخطائهم ، واستفادوا من تجاربهم ؟؟

بعد المعركة مباشرة ، انقلب يوسف بن تاشفين عائدا الى بلاده . وكان بامكانه — اذا أراد — أن يسترد طليطلة على الأقل ، لكنه لم يفعل ، ففوت على المسلمين فرصة عزيزة ، وهيأ لأذفونش الفرصة . لأن يلتقط أنفاسه ، ويبعث فى طلب عون اخوانه النصارى فى سائر شبه الجزيرة وخارجها ، وكان هؤلاء يستعدون لأولى الحملات الصليبية(٣٩) .

فى الوقت نفسه لم يلبث أن دبت النزاعات بين الأندلسيين بعضهم ضد بعض ، وبينهم وبين المرابطين ، بل سعى عدد منهم الى الاتصال بالقشتاليين(٤٠) ، ولم يراعوا أن هؤلاء لا عهد لهم ، فلدى فتحهم لطليطلة ، اقتحموا مسجدها الجامع بعد شهرين ، وحولوه الى كنيسة جامعة ، بخلاف ما اتفق عليه فى عهد التسليم(٤١) .

المقارنة مريرة بين موقف المسلمين بعد الزلاقة ، وبين موقف القشتاليين بعد طليطلة ، فقد استثمر هؤلاء استيلاءهم على هذه المدينة أعظم استثمار ، اذ جعلوها عاصمة لهم ، وكون العاصمة على التخوم مع الاعداء يشكل حافزا لمواصلة النضال .

ظهر أثر ذلك كله فى تعثر الحملة الاسلامية للاستيلاء على حصن ليبط Aledo فى سنة ١٠٨٨/٤٨١(٤٢) ، مما دفع ابن تاشفين فى جوازه بعد سنتين الى ازالة ملوك الاندلس جميعهم(٤٣) .

---

(2) O'Callaghan : op cit pp. 209 — 214.

(٣٩) ابن خلدون : المصدر نفسه ، م ٦ ، ق ١ ، ص ٣٨٤ .

(٤٠) ابن بسام : المصدر نفسه ، ق ٤ م ١ ، ص ١٦٨ .

(٤١) الحلل الموشية ، ص ٥٤ — ٥٧ .

(٤٢) نستثنى هنا مملكة سرقسطة ، فقد تأخر سقوطها فى أيدى المرابطين الى سنة ٥٠٣ هـ/١١١٠ م ثم فتحها ملك ارغون اذ فونش المحارب فى سنة ٥١٢ هـ / ١١١٨ م .

على أنه مما لا شك فيه أن التفاوت الحضارى بين الاندلسيين وبين بربر العدوة . وهو الذى نوهنا اليه من قبل ، واحساس الاندلسيين العارم بخصوصيتهم وتفوقهم . كان له دوره فى بروز قدر من عدم الثقة المتبادل بين الجانبين • ويعود ذلك الى قبيل مقدم المرابطين . وعبر عنه الرشيد ولد المعتمد بقوله : يا أبتى : أتدخل علينا فى أندلسنا . من يسلبنا ملكنا ويبدد شملنا • واذا كان رد المعتمد بأن : حرز الجمال والله عندى . خير من حرز الخنازير(٤٤) • وأظهر يوم الزلاقة بطولات . استدعت ثناء المرابطين(٤٥) ، الا أنه لم يلبث أن وقعت الجفوة بينهم وبينهم ، وكاتب ملك قشتالة سرا(٤٦) •

وقد لعب المرابطون من ناحيتهم دورا فى هذه الجفوة ، فقد تعاملوا مع الاندلسيين بخشونة . يوضحها ما جرى للمعتمد ونفيه الى أغمات وحبسه بها الى أن مات فى الاصفاد ، وما جرى لزوجته وأبنائه وبناته من سبى وتشريد وقتل • بل ان المرابطين انصرفوا فى اقتحامهم لاشبيلية وغيرها من مدائن الاندلس الى قتل المواطنين العاديين وسبيهم ونهبهم(٤٧) . وهو ما ينهى عنه الشرع • مما دفع ابن الأفطس عمر المتوكل ملك بطليوس ، لأن يتنازل لاذفونش عن ثلاث مدن هامة ، فى مقابل أن يساعده ضد المرابطين ، كما أن

---

(٤٣) الحلل الموشية ، ص ٣١ — ٣٢ .

(٤٤) المصدر نفسه ، ص ٤٢ ، الحميرى : المصدر نفسه ، ص ٢٩١ .

(٤٥) الامير عبد الله الزيرى : المصدر نفسه ، ص ١٦٩ .

(٤٦) راجع الفصل الضافى عن المعتمد ومأساته فى عنان : تراجم اسلامية شرقية واندلسية ، القاهرة ، الخانجى ، ١٩٧٠ ، ص ٢١٢ — ٢٢٤ ، دولة الاسلام ، ع ٢ ، ص ٣٤٨ — ٣٧٣ والمراجع المعطاة .

(٤٧) الامير عبد الله الزيرى : المصدر نفسه ، ص ١٧٢ — ١٧٤ ، ابن الخطيب : المصدر نفسه ، ص ١٨٦ .

أحد أبنائه لجأ الى القشتالين ، وأقام عندهم وتنصر(٤٨) .

الاكثر من ذلك ، فقد أقام المرابطون بالمغرب والاندلس حكومة ثيوقراطية ، يسيطر عليها الفقهاء ، جنحت الى مطاردة الفكر الحر ، ومطـاردة كتب أحد أئمـة المسلمين الكبار ، هو الامام الغـزالى (ت ٥٠٥/١١١١) وأحرقها(٤٩) .

يقول مؤرخ(٥٠) قريب من هذه المرحلة عن على بن يوسف بن تاشفين (٥٠٠/١١٠٦ — ٥٣٧/١١٤٣) ولم يزل الفقهاء على ذلك ، وأمور المسلمين راجعة اليهم ، وأحكامهم — صغيرها وكبيرها — موقوفة عليهم طول مدته ، فمعظم أمر الفقهاء — كما ذكرنا — وانصرفت وجوه الناس اليهم ، فكثرت لذلك أموالهم واتسعت مكاسبهم .

على أن هذه الثيوقراطية الظاهرة ، كانت تحجب وراءها قدرا كبيرا من الانحلال والترف ، أصاب المرابطين ومهد لقيام الموحـدين عليهم(٥١) .

عند انعكاس هذه الاوضاع على الاندلس ، تجمعت نذر الثورة التى اندلعت فى سنة ٥١٥/١١٢١ ، وقد أعلنها الاندلسيون « ذبا عن الحرم والدماء والاموال »(٥٢) .

---

(٤٨) عبد الواحد المراكشى : المعجب فى تلخيص اخبار المغرب ، تحقيق محمد سعيد العريان ، محمد العربى العلمى ، القاهرة ، المكتبة التجارية الكبرى ١٩٤٩ ، ص ١٧٣ .

(٤٩) المصدر نفسه ، ص ١٧١ .

(٥٠) المصدر نفسه ، ص ١٧٧ .

(٥١) الحلل الموشية ، ص ٧١ .

(٥٢) مثل معركة الارك Alarcos ٥٩١ هـ/١١٩٤ م وقد انتصر فيها المسلمون — اندلسيين وموحدين انتصارا يشبه انتصار الزلاقة .

نتساءل الآن وقد انتهت ممالك الطوائف .. ما الذى أسفرت عنه هذه النهـــاية ؟

النتيجة الاساسية أن الاندلس — ورغما عن موجات مـــد اسلامية تالية(٥٣) — لم يعد الى الأبد لمـــا كان عليه ابان الفتـــرة الأموية ، وصار تابعا للمغرب ، وتابعا للمتغيرات السياسية بالمغرب ، وما حفلت به من تناقضات . ولم ينقطع الاندلسيون عن الثـــورة ضد المرابطين وضد الموحدين بعدهم . ورفعت بعض هذه الثـــورات شعارات دينية متطرفة(٥٤) . وفى الوقت نفسه فان زعمـــاء هـــذه الثورات كانوا يتصلون بالعدو المتربص فى الشمال ، ويستعينون به على أعدائهم المغاربة ، بل ويستعينون به على بعضهم البعض(٥٥) . وعندما تحرك ملك قشتالة لأخذ قرطبة فى سنة ٦٣٣/١٢٣٦ لم يتحرك ابن الأحمر لنجدتها ، والتزم بولائه للملك النصرانى(٥٧) .

واذا كان ابن الأحمر قد نجح فى تأسيس مملكة صغيرة فى غرناطة ، امتد بها العمر الى نحو قرنين ونصف القرن ، فالسبب فى ذلك هـــو الانقسام الذى حدث فى المعسكر النصرانى ، ولم يكن لفضيلة كامنةبهذه المملكة ، ولم تكن معاونة بنى مرين — سادة المغرب المعاصرين — بكافية لحمايتها ودفع الأذى عنها .

---

(٥٣) مثل ثورة المريدين فى غرب الاندلس بزعامة احمد بن قسى ، ويصفه صاحب المعجب بالشعبذة والجراءة على الله سبحانه وتعالى ، ص ٢١٢ .

(٥٤) مثل محمد بن سعد بن مردنيش الثائر على الموحدين فى شرق الاندلس .

(٥٥) محمد بن يوسف النصرى أول ملوك بنى الأحمر (٦٣٥/١٢٣٨ — ٦٧١/١٢٧٢) .

(٥٦) محمد عبد الله عنان : المرجع نفسه ، ع ٣ ، ق ٢ ، القاهرة ، الخانجى ١٩٦٤ ، ص ٤٢٣ — ٤٢٤ .

تأثيرات المغول الحضارية على دولة سلاطين المماليك

دكتور / عبد العزيز محمود عبد الدايم
كلية الآثار ـ جامعة القــاهرة

لقد أثرت العناصر المغولية التى هاجرت الى مصر فى القرن السابع الهجرى ـ الثالث عشر للميلاد وسكنت بعض أحيائها على الحيــاة الاجتماعية فى البلاد فى عصر المماليك تأثيرا كبيرا وبخاصة فى العــادات والتقاليد ، مما أدى الى ظهور بعض النظم السياسية والحربية الجديدة فضلا عن الجوانب الادارية المتعلقة بالدواوين والقوانين وبخاصــة تلك التى تطبق فى المسائل غير الشرعية ، هذا فضلا عن النواحى المعمارية والفنية .

التعريف بالمغــــول :

ولكن قبل أن نتحدث عن تلك التأثيرات يصح أن نشير الى هؤلاء المغول والظروف التى أدت الى هجرتهم واستقرارهم فى مصر ، أمــا عن المغول فهم عنصر من العناصر الأسيوية كانوا يقيمون بصحراء جوبى بوسط أسيا الى الغرب من الصين (١) ، ويحيون حياة بدوية قاسية لا يدرى أحـــد عن أمرهم شيئا (٢) . وقد ظهــر بين صفوفهم تيموجين TEMUCHIN حوالى عام ٥٥٥هـ / ١١٦٠ م (٣) ، وهو الذى قــاد

---

(١) انظر : السيد الباز العرينى : المغول ص ٥ ـ ٨ ، محمد صالح القزاز : الحياة السياسية فى العراق فى عهد السيطرة المغولية ص ٣٠٥ ، فؤاد عبد المعطى الصياد : المغول فى التاريخ ص ١٠ .

(٢) احمد محمود الساداتى : تاريخ الدول الاسلامية بآسيا وحضارتها ص ١٩٢ .

(٣) انظر : دونالدولبر : ايران ماضيها وحاضرها : ترجمة عبد النعيم =

قبائل المغــول عبر أسيا متخذا لقب جنكيز خان (٤) CINKHEZ KHAN وغزا الصين فيما بين سنتى ٦٠٧ ــ ٦١٣ هـ / ١١٢٠ ــ ١٢١٦ م(٥) ، ثم اتجه بعد ذلك غربا فأخضع تركستان الشرقية ثم أتراك خوارزم سنة ٦١٧ هـ / ١٢٢٠ م (٦) ، وقضى على دولتهم التى ظلت قائمة ما يقرب من قرن ونصف القرن فى عظمة وقوة (٧) .

ولم ينتصف القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى حتى كانت جيوش المغول قد اجتاحت فارس ومعظم جنوب روسيا وأجزاء من شرق أوربا وقد ترتب على اتساع سلطان المغول فى الشرق الأوسط وشرق أوربا أن ظهــرت كتلتين كبيرتين منهم لهما علاقات هامة ــ عدائية أو ودية ــ مع دولة سلاطين المماليك فى مصر والشام التى كانت عندئذ تمثل أكبر قوة اسلامية فى الشرق الأوسط .

محمد حسنين ومراجعة ابراهيم امين الشواربى ص ٦٥ ، بينما ذكر فؤاد عبد المعطى الصياد : المغول فى التاريخ ص ١٥ ، السيد الباز العرينى : المغول ص ٤٣ أن ولادته كانت سنة ٥٤٩هـ / ١١٥٥ م وتيموجين لفظة صينيــة معناها الصلب الفائق .

(٤) أنظر : حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى والدينــى والثقافى والاجتماعى جـ ٤ ص ١٣٠ ، السيد الباز العرينى : المغول ص ٤٣ ، القلقشندى : صبح الاعشى جـ ٤ ص ٣٠٥ ، ومعنى جنكيز خان فى لغــة النورانيين (شمال شرق ايران) ملك الملوك وقد تلقب به سنة ٦٠٢ هـ / ١٢٠٥ م ، أنظــر : طه ندا : فصول من تاريخ الحضارة الاسلامية ص ١٥٦ .

(٥) القلقشندى : صبح الاعشى جـ ٤ ص ٣٠٩ ، فايد حماد عاشور : العلاقات السياسية بين المماليك والمغول ص ٣٠ ، سعيد عاشور : مصر فى عصر دولة المماليك البحرية ص ٢٩ .

(٦) عبد السلام عبد العزيز فهمى : تاريخ الدولة المغولية فى ايــران ص ٩٢ ، حافظ حمدى الدولة الخوارزمية والمغول ص ١٩٤ ، النسوى : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى ص ١٦٠ .

(٧) ابن الوردى : تتمة المختصر فى أخبار البشر جـ ٢ ص ١٥٥ ، أحمد محمود الساداتى : تاريخ الدول الاسلامية بأسيا وحضارتهــا ص ١٩٥ ، دونلدولبر : ايران ماضيها وحاضرها ص ٦٥ .

أما الكتلة الأولى فكانت تشمل مغـول فارس وملكها هولاكو بن قولى حفيد جغتاى (٨) ، على حين شملت الكتلة الثانية مغـول القفجاق (جنوب روسيا) الذين عرفوا باسم القبيلة الذهبية تبعـا للـون مخيماتهم وكان مركزهم الرئيسى شمالى بحـر قزوين والبحر الأسود وحوض نهـر الفولجـا وملكهم فى أواسط القرن الثالث عشر باطوخان ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م (٩) .

وهنا نلاحظ ظاهرتين الأولى أن التنافس كان شديدا بين مغـول فارس ومغول القفجاق ولم يكن يفصل بين هاتين الدولتين الا جبـال القوقاز (١٠) ، والثانية أن الخطر الحقيقى الذى هدد الشرق الأدنى — وبخاصة بلاد العراق والشام ومصر جاء من ناحية مغول فارس اذ اعتبر هولاكو نفسه نصيرا وحاميا للمسـيحية بتأثير زوجتـه طقزخاتـون النسطورية ، مما ساعد على التقارب بين المماليك فى مصر والشام من ناحية ومغول القفجاق الذين اعتنق زعيمهم بركة الاسلام من ناحيـة أخـرى وتم هذا التحالف للوقوف فى وجه الخطر المشترك الذى هددهما من جانب مغول فارس الذين أتبعوا سياسة موالية للمسيحية ومناهضة للاسـلام (١١) .

وكان أن أخذ هولاكو — خان مغول فارس — يتطلع للاستيلاء على العراق مركز الخلافة العباسية وقد قضى هولاكو على كل أثر للمقاومة التى اعترضت سبيله بتدبير معاقل طائفة الحشيشية فى فارس الذين اقام زعيمهم ركن الدين خورشاه بمحاولات دبلوماسية لتجنب الخطـر

---

(٨) أحمد محمود الساداتى : تاريخ الدول الاسلامية باسيا وحضارتها ص ١٩٧ ، السيد الباز العرينى : المغول ص ٢٦٧ ، ٢٦٨ .

(٩) سعيد عاشور : مصر فى عصر دولة المماليك البحرية ص ٣٠ .

(١٠) السيد الباز العرينى : المغول ص ٢٦٨ .

(١١) سعيد عاشور : مصر فى عصر دولة المماليك البحرية ص ٣٠ ، السيد الباز العرينى : المغول ص ٢٦٨ ، ٢٦٩ .

المغولى (١٢) ، وبعد ذلك شرع هولاكو فى الزحف على بغداد فحاصرها شهرا حتى سقطت فى يده سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م وخربها ذلك التخريب المشهور فضلا عن انه قضى على ثمانمائة ألف من سكانها قتلا ودمر كل الكنوز المادية والعلمية التى ظل خلفاء بغداد وعلماء المسلمين يجمعونها بها جيلا بعد جيل ، أما الخليفة العباسى المستعصم آخر الخلفاء العباسيين بها فقد قتل ومعه مجموعة من أبناء البيت العباسى (١٣) .

واستمر زحف هولاكو على البلاد الاسلامية فبعد أن استولى على بغداد واصل سيره بعد ذلك شمالا فاستولى سنة ٦٥٧ هـ/١٢٥٨ م على حلب(١٤) فاستباحها وجنوده سبعة أيام قتلوا خلالها خلقا كثيرا امتلأت بهم الطرقات وأسروا النساء والذرية ونهبوا الأموال(١٥) كما استولوا على حماة والمعرة وحمص ، ونتيجة لهذه الانتصارات السريعة الحاسمة وما صاحبها من قتل وتشريد وتخريب ، عم الرعب كل بلاد سورية الاسلامية فسارع الأمراء الأخرون بتقديم فروض الولاء والطاعة للمغول وانهارت المقاومة الايوبية أمامه ، ولم تلبث دمشق أن سقطت فى يد التتار فى منتصف جمادى الأولى سنة ٦٥٨ هـ / ١٢٥٩ م(١٦) .

---

(١٢) السيد الباز العرينى : المغول ٢١١ ، فؤاد عبد المعطى الصياد : المغول فى التاريخ ص ١٥٠ .

(١٣) انظر : السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٤٣٤ ، ابن الاثير : الكامل جـ ١٢ ص ٢٣٦ ، ابن خلدون : العبر وديوان المتبدأ والخبر جـ ٥ ص ٥٤٣ ، ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٠٣ ، ابو الفدا : المختصر فى اخبار البشر جـ ٣ ص ٢٠٣ ، ابن الوردى : تتمة المختصر جـ ٢ ص ١٩٦ ، رشيد الدين : جامع التواريخ جـ ٢ ق ١ ص ٢٥٨ ، فؤاد عبد المعطى الصياد : المغول فى التاريخ ص ١٧٠ ، ١٧١ .

(١٤) المقريزى : السلوك جـ ١ ص ٤١٥ ، ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ٢٧٧ .

(١٥) فؤاد عبد المعطى الصياد : المغول فى التاريخ ص ١٩٧ .

(١٦) المقريزى : السلوك جـ ١ ص ٤٢٥ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ٨٠ ، محمد كرد على : خطط الشام جـ ٢ ص ١٠٧ .

ولقد واكب الهجوم المغولى على بلاد الشــام انقضاء الحــكم الأيوبى فى مصر وقيام الحكم المملوكى ١٢٥٠ م ، ولقد رافق هــذا التغيير فى الحكام اضطراب ساعد فى تقديم الغــزاة فى بلاد الشــام وفى ذلك الوقت وصــلت الأخبــار الى هولاكو بوفاة أخيه الأكبــر « منكوقاآن » وبتنازع أخويه الآخرين (قوبيــلاى) و (أريق بوكا) ولاية العرش ، ويصح أن تقتضى الأحــوال منه أن يتولى الفصــل فى هذا النزاع ، ومن ناحية أخرى ما تعرضت له أطراف مملكته من جهة الحــدود القوقازية من قبل ابن عمه بركة خان القبيجاق الذى كان قد اعتنق الاسلام وصار يتوعد هولاكو بالانتقام منه بسبب ما اقتــرفه من مذابح راح فيها ألوف من الضحايا المسلمين(١٧) .

ولهــذه الأسباب أبقى هولاكو فى الشــام وفلسطين قوة عسكرية اختلف المؤرخون فى تقدير عددها ، بين عشرون ألف ، وعشرة آلاف تحت قيادة قائده « كيتوبوقا » كتبغا ، ثم عاد هولاكو الى فارس(١٨) .

وتقدمت هذه الفرقة التترية الى غزة فى طريقها الى مصر وسلطانها وقتذاك صبى هو على بن أيبك ٦٥٥ ــ ٦٥٧ هـ / ١٢٥٧ ــ ١٢٥٩ م(١٩) .

فاستغل أتابكة(٢٠) قطــز ٦٥٧ ــ ٦٥٨ هـ/١٢٥٩ ــ ١٢٦٠ م(٢١)

---

(١٧) المقريزى : السلوك جـ ١ ص ٣٩٥ ، فؤاد عبد المعطى الصياد : المغول فى التاريخ ص ٢٠٠ ، السيد الباز العرينى : المغول ص ٢٥٤ .

(١٨) فؤاد عبد المعطى الصياد : المغول فى التاريخ ص ٢٠١ ، السيد الباز العرينى : المغول ص ٢٥٤ .

(١٩) هو على بن أيبك التركمانى الصالحى نور الدين ثانى ملوك دولة المماليك البحــرية انظــر ترجمته فى أبو المحاسن : الدليل الشافى على المنهل الصافى جـ ١ ص ٤٥١ . ترجمة رقم ٥٦٤ ، المقريزى : السلوك جـ ١ ص ٤٠٥ ــ ٤١٧ ، بينما اعتبره ابن دقماق الجوهر الثمين فى سير الخلفاء والملوك والسلاطين ص ٢٥٦ اول ملوك دولة المماليك البحــرية .

(٢٠) اتابك (اطابك) مقــدم العسكر والقائد العام للجيش المملوكى انظــر : القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٤ ص ١٨ ، سعيد عاشور : العصر المماليكى ص ٣٨٧ ، حسن الباشا : الفنون الاسلامية والوظائف جـ ١ ص ٣ .

(٢١) هو قطز بن عبد الله المعزى سيف الدين ثالث ملوك المماليك =

الموقف للوصول الى السلطنة وكان حكمه بداية عهد جديد فى تاريخ الشرق وبشكل خاص فى تاريخ الغـزو المغولى للعالم الاسـلامى ، ذلك أن فى عهد هذا السلطان القصير تحول المـد المغولى الى جـزر ، فقد خـرج من مصر لطرد المغـول وتمكن من هزيمتهم لأول مـرة فى تاريخهـم فى الواقعة المشـهورة على عين جالـوت ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م(٢٢) وأسر منهم خلقا كثيرا صاروا بمصر والشام(٢٣) .

المماليـك والمغـول :

ولم تكن هذه هى المرة الأولى التى تعرف فيها مصر العنـاصر المغولية ، بل لقد عرفتهـا منذ أواخر العصر الأيوبى ، فقد نشـطت حركة جلب الرقيق من العناصر المغولية على يد التجـار ، وأقبـل أبناء الملوك من الأيوبيين على اقتناء أعـداد كثيرة من ذلك الرقيـق لانشـاء الجيوش الكافية لحروبهم الداخلية(٢٤) .

وساعد على كثرة أعـدادهم وقائع المغـول فى بلاد المشرق والشمال ، وبلاد القبجاق (جنوب روسيا) ووقوع كثير منهم فى الأسر وبيعهم فى أسـواق الرقيق(٢٥) .

وتشير المصادر التاريخية الى أن الملك الصالح نجم الدين أيوب ٦٣٧ — ٦٤٧ هـ / ١٢٤٠ —١٢٤٩ م(٢٦) ، اشترى أعدادا كبـيرة

=

بمصر : عنه انظـر : ابن شـاكر الكتبى : فوات الوفيات جـ ٣ ص ٢٠١ ترجمة رقم : ٣٩٨ ، ابن العمـاد : شذرات الذهب جـ ٥ ص ٢٩٣ ، أبو المحاسن : الدليل الشافى على المنهل الصافى جـ ٢ ص ٥٤٤ ترجمة رقم ١٨٦٨ .

(٢٢) المقريزى : السلوك جـ ١ ص ٤٣٣ ، أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر جـ ٣ ص ٢٥ ابن الوردى : تتمه المختصر فى اخبار البشر جـ ٢ ص ٢٩٧ .

(٢٣) المقريزى : الخطط جـ ٢ ص ٢٢١ .

(٢٤) السيد الباز العرينى : المماليك ص ٥٥ .

(٢٥) السيد الباز العرينى : المغول ص ٢٦٩ .

(٢٦) هو أيوب (الملك الصالح) بن محمد (الملك الكامل) بن ابى بكر (العادل) بن أيوب أبو الفتوح نجم الدين . أنظـر : ابن العماد : شذرات

=

منهم ، وتثبت الشواهد التاريخية أن معظم سلاطين المماليك فى العصر المملوكى الأول ٦٤٨ ــ ٧٨٤ هـ / ١٢٥٠ ــ ١٣٨٢ م جلبوا من بلاد القبجاق وان تباينت أصولهم وتعددت فالسلطان المعز أيبك ٦٤٨ ــ ٦٥٥ هـ / ١٢٥٠ ــ ١٢٥٧ م(٢٧) تركى الأصل والجنس فعرف بين البحرية بالتركمانى ، وقطز من المغول رغم دعــواه بأنه ابن أخت خوارزم شاه جلال الدين مانجوبرتى(٢٨) الذى قضت عليه جيوش جنــكيزخان(٢٩) .

أما بيبرس فمولده بأرض القبجــاق وجاء الى القاهرة من سوق الرقيــق بســــــيواس(٣٠) وقلاوون ٦٧٨ ــ ٦٨٩ هـ / ١٢٧٩ ــ ١٢٩٠ م(٣١) من جنس القبجــاق كذلك(٣٢) والسلطان الملك العادل كتبغــا المنصورى ٦٩٤ ــ ٦٩٦ هـ / ١٢٩٤ ــ ١٢٩٦ م مغــــولى الأصل جاء الى مصر أسيرا فى موقعه حمص ٦٥٨ هـ/١٢٥٩ م(٣٣) .

= الذهب جـ ٥ ص ٢٣٧، أبو المحاسن : الدليل الشافى على المنهل الصافى جـ ١ ص ١٧٨ ترجمة رقم ٦٣٣ .

(٢٧) هو أيبك بن عبد الله الصالحيى النجمى عز الدين التركمانى اول سلاطين المماليك البحــرية فى مصر والشام : انظــر : ابو المحاسن : الدليل الشافى جـ ١ ص ١٦٠ ترجمه رقم ٥٧١ ، ابن العماد : شذرات الذهب جـ ٥ ص ٢٦٨ .

(٢٨) ابو المحاسن : النجوم الزاهره جـ ٥ ص ٢٦٨ .

(٢٩) سعيد عاشور : المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك ص ١٢ .

(٣٠) ابو المحاسن : النجوم الزاهره جـ ٧ ص ٩٦ ، ١٤٥ ، المقريزى : السلوك جـ ١ ص ٦٣٧ .

(٣١) هو قلاوون : الألفى الصالحى النجمى ، أبو المعالى ، سيف الدين السلطان ، الملك المنصور السابع من ملوك الترك وأولادهم بمصر . عنه انظــر : ابن شاكر الكتبى : الوافى بالوفيات جـ ٣ ص ٢٠٣ ترجمة رقم ٣٩٩ ، أبو المحاسن : الدليل الشافىعلى المنهل الصافى جـ ٢ ص ٥٤٨ ترجمة رقــم ١٨٨٢ ، ابن دقماق : الجوهــر الثمين ، ص ٢٩٥ .

(٣٢) السيد الباز العرينى : المماليك ص ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ .

(٣٣) ابن حجر : الدرر الكامنة جـ ٣ ص ٣٤٨ ترجمة رقم ٣٣٠١ ، أبو =

ومن الطبيعى أن يعتمد كل واحد من سـلاطين المماليـك على المحيط الذى نشـأ فيه فى شراء مماليك جدد يكونون عدته ودعامـة جيشه ، من ذلك أن السلطان الظـاهر بيبرس لم يكتف بما كان يجلب اليه من المماليك من بلاد القبجاق وما يقع من سبى أثناء الحروب مع المغول والسلاجقة الروم ، بل بعث التجـار ليشتروا له المماليـك من بلاد المغول(٣٤) وسـار قلاوون على نهجه فى استجلاب المماليك من الترك والمغول (٣٥) .

وكان لاستمرار الحرب بين ملوك المغول فى الشرق ، وهى الحرب التى دارت بين هولاكو الذى اعتبر نفسه نصيراً وحامياً للمسيحية بتأثير زوجته طقزخاتون النسـطورية وابن عمه بركة خان القبجاق الذى اعتنق الاسـلام (٣٦) . أثـر كبـير فى كثرة السـبى مـن النسـاء والصـبيان الذين جىء بهـم الى مختلـف الأسـواق فى مصر والشـام (٣٧) ولا سـيما زمـن السـلطان النـاصر محمـد بن قلاوون ، ووجد الجنوية وغيرهم من التجار فى السلطان مغنما ، فأمعنوا فى الاستيلاء على أولاد المغول وجلبهم الى ثغر كفـا بالقـرم(٣٨) .

=
المحاسن : الدليل الشافى جـ ٢ ص ٥٥٣ ترجمة رقم ١٨٩٧ ، ابو الفدا : المختصر فى اخبار البشر جـ ٣ ص ٢٠٩ ، ابن الوردى : تتمه المختصر فى اخبار البشر جـ ٢ ص ٣٠٢ ، ابن دقماق : الجوهـر الثمين ص ٣١٩ — ٣٢٢ .

(٣٤) أبو المحاسن : النجوم الزاهـره جـ ٧ ص ١٨٢ ، ١٨٣ ، السيد الباز العرينى : المغـول ص ٢٧٤ .

(٣٥) السيد الباز العرينى : المماليك ص ٥٦ .

(٣٦) عن اسباب العداء بين هولاكو وبركة خان انظـر : السـيد الباز العرينى : المغول ص ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، فايـد حماد عاشور : العلاقات السياسية بين المماليك والمغول ص ٧٥ وما بعدها ، وانظـر أيضا تعليقات د. محمد مصطفى زيادة فى حواشى كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك جـ ١ ص ٤٧٣ حاشية ٥ .

(٣٧) السيد الباز العرينى : المماليك ص ٥٧ .

(٣٨) المرجع السابق : نفس الصفحة .

ولم تؤد الحروب الناشبة بين ملوك المغول الى ازدياد أعـداد الرقيق المجلوب منهم بل أدت كذلك الى هجرة طـوائف وأقوام من الاجناس التى غدت خاضعة للمغول ، ومنها طوائف مغولية ، التحقوا بالجيش المملوكى فى مراتب أعلى من غيرهم وانما تقـل عن مكانة المماليك السلطانية الذين اشتروا بالمال وقضوا مدة الرق فى التعليم الحربى والدينى ثم عتقوا وأصبحوا جنودا مؤهلين(٣٩) .

ويطلق على من قدم من هذه الطوائف المغولية الى مصر فى خلال العصر المملوكى الأول اسم الوافدية والمستأمنين أو المستأمنة(٤٠) .

وهؤلاء الوافدية دخلوا دولة المماليك وهم أحرار وظلوا كذلك وتصاهروا مع أمراء المماليك ، غير أنهم لم يصلوا الى المناصب العليا فى الدولة الا قليلا(٤١) .

وتشـير المصـادر التاريخية الى أن بداية قدوم الوافدية من المغول الى مصر كان فى عهد السلطان الظاهر بيبرس ٦٥٨ — ٦٧٦ هـ / ١٢٦٠ — ١٢٧٧ م وجاءت هذه البداية من الهاربين من وجه هولاكو ، وهم من جند القبيلة الذهبية يبلغ عددها (مائتى فارس بأهليهم)(٤٢) ، فاستقبل السلطان بيبرس بنفسه هؤلاء الوافدية واحتفى بهم وأقنعهم بصحة دين الاسلام حتى اعتنقوه وذلك فى السادس والعشرين من ذى الحجة سنة ٦٦٠ هـ / نوفمبر ١٢٦٢ م ولم يتأخر أحد من مشاهدتهم فنقلهم وأنزلهم فى دور بنيت لهم فى اللوق ظاهر القاهرة(٤٣) ، وأكرم وفادتهم وقدم اليهم الخيول والأموال والخلـع وأمر السـلطان

---

(٣٩) السيد الباز العرينى : المماليك ص ٥٧ .

(٤٠) المقريزى : السلوك جـ ٢ ص ٨ حاشية ٢ ، السيد الباز العرينى : المماليك ص ٥٨ ، المغـول ص ٢٧٤ .

(٤١) السيد الباز العرينى : المماليك ص ٥٩ .

(٤٢) المقريزى : السلوك جـ ١ ص ٤٧٤ ، السيد الباز العرينى : المماليك ص ٦٠ .

(٤٣) المقريزى : السلوك جـ ١ ص ٤٧٤ .

أكابرهم ونزل باقيهم فى جملة المماليــك البحرية(٤٤) ثم أفرد لكل منهم جهــة اقطاعيــة يعيش منهــا وتظــاهر أولئــك الوافــدية بالدين الاســلامى(٤٥) .

فلما بلغ المغــول ما فعله السلطان مع هؤلاء اجتذب أخبـــار هذا الاحسان جماعات أخرى الى مصــر .

ففى ســابع ذى الحجة ســنة ٦٦١ هـ / ١٢٦٣ م قدم البريد من البيرة وحلب بأن جماعة مســتأمنة وردت الى البــاب العزيز عدتها ألف وثلثمائة فارس من المغل ووصلت جموعهم الى القــاهرة أواخــر تلك السنة(٤٦) . وانزلوا فى مساكن عمرت لهم باللــوق بأهليهم وأولادهم .

ويشــير أحد الباحثين الى أن انزال الظاهر لجموع التتــار خارج القاهرة وعدم ارسالهم الى ساحل الشام ، كان نتيجة لتخوفه وعدم ثقته فى اخلاصهم خاصة وأنه قدمت طائفتان أخريان فى السنة التاليــة(٤٧) .

ويرى باحث آخر ، أن سبب احسان الظاهر بيبرس لهــؤلاء المغول هو ضمان عونهم وأن يكونوا له عيونا على المغول وتحركاتهم(٤٨) .

ومن العوامل التى ساعدت على كثرة ورود جماعات المغــول الى مصر السفارات المتبادلة بين بركة خان والسلطان الظاهر بيبرس والتى فيها عبر بركة خان عن حبه للاســلام وكرهه للكافر هولاكو .

---

(٤٤) فايد حماد عاشور : العلاقات السياسية بين المماليك والمغــول ص ٧٨ ، العرينى : المغول ص ٢٧٤ .

(٤٥) السيد الباز العرينى : المماليك ص ٦٠ .

(٤٦) المقريزى : السلوك ج ١ ص ٥٠٠ ، الخطط ج ٢ ص ١١٧ ، على مبارك : الخطط التوفيقية ج ١ ص ٢٩ ، فايد حماد عاشور : العلاقات السياسية بين المماليك والمغول ص ٦٣ .

(٤٧) السيد الباز العرينى : المماليك ص ٦٠ .

(٤٨) فايد حماد عاشور : العلاقات السياسية بين المماليك والمغول ص ٨٧ .

ومثال ذلك السفارة التى أوفدها بركة خان مغول القفجاق فى الحادى والعشرين من رجب سنة ٦٦١ هـ / مايو ١٢٦٣ م برئاسة جلال الدين بن القاضى والشيخ نور الدين على التركمانى الى السلطان الظاهر بيبرس مخبرا باسلامه ، وأرسل مع رسله كتابا يتضمن ذكر من أسلم من بيوت المغول وخرج عن زمرة الكفار ، وقد أوضح بركة خان فى رسالته مدى عمق اسلامه وتضحيته فى سبيله اذ قال : « ... فليعلم السلطان أنى حاربت هولاكو الذى من لحمى ودمى لاعلاء كلمة الله العليا تعصبا لدين الاسلام لأنه باغى والباغى كافر بالله ورسوله » (٤٩) ، ومما لا شك فيه أن من أسباب انتصار الاسلام وانتشاره بين المغول أنه كان الديانة السائدة بين الأقوام الذين خضعوا للمغول(٥٠) .

وقد سر السلطان بيبرس بنبأ اسلام بركة واستجاب لطلباته وأخذ فى تجهيز الرسل اليه فساروا من القاهرة فى شهر رمضان سنة ٦٦١ هـ / يوليو ١٢٦٣ م وبعث معهم الظاهر عماد الدين عبد الرحيم الهاشمى العباسى والأمير فارس الدين أقوش المسعودى ومعهم هدايا ثمينة(٥١) .

ومما لا شك فيه أن هذه السفارات المتبادلة وما تحمله من عبارات الود والهدايا وأن هذا الود وتلك الهدايا وحسن العلاقة التى بلغت حد المصاهرة فقد تزوج بيبرس من ابنه بركة خان(٥٢)

---

(٤٩) بيبرس الدوادار : زبدة الفكره جـ ٩ ورقة ٧١ ، ٧٣ ، العينى : عقد الجمان أحداث سنة ٦٦١ هـ ؛ المقريزى : السلوك جـ ١ ص ٤٩٥ ؛ محمد ماهر حمادة : وثائق الحروب الصليبية والغزو المغولى للعالم الاسلامى ص ٣٦٢ .

(٥٠) السيد الباز العرينى : المغول ص ٣٢٨ .

(٥١) عن هدايا الظاهر بيبرس لبركة خان مغول فارس أنظر : د. محمد مصطفى زيادة . حواشى كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك جـ ١ ص ٤٩٧ حاشية ٣ ، ٤ .

(٥٢) فايد حماد عاشور : العلاقات السياسية بين المماليك والمغول ص ٢٠٨ ، ٢٠٩ .

كانت من العوامل التى ساعدت على قدوم جماعات من المغول الى مصر ، هذا بالاضافة الى أنه أضحى فى استطاعة بيبرس أن يحصل على مماليك من مغول القبجاق يلحقهم بجيشه(٥٣) .

غير أن هجرة الوافدية أخذت تضعف بعد أيام بيبرس ، فلم يقدم الى مصر منهم سوى تسعة عشر فارسا مع نسائهم وأولادهم زمن السلطان قلاوون ٦٧٨ ــ ٦٨٩ هـ / ١٢٧٩ ــ ١٢٩٠ م ، ولم توضح المصادر التاريخية ان كان هؤلاء الفرسان التسعة عشر من مغول القبجاق التى كانت العلاقة معهم طيبة منذ زمن الظاهر بيبرس ، أم أن هؤلاء الفرسان من مغول فارس الذين اعتنق حاكمهم المعاصر للمنصور قلاوون وهو تكودار الاسلام واتخذ لنفسه اسم أحمد ٦٨٠ ــ ٦٨٣ هـ / ١٢٨٢ ــ ١٢٨٤ م(٥٤) .

غير أن العلاقة بين مغول فارس ــ بعد اسلامهم ــ ودولة المماليك لم تصل الى نفس المستوى التى كانت وصلت اليه العلاقة مع مغول القفجاق(٥٥) .

وتشير المصادر التاريخية الى استمرار ورود بعض الهجرات المغولية الى مصر بعد زمن السلطان قلاوون فوصل حوالى ثلثمائة فارس زمن ابنه الناصر محمد بن قلاوون ٦٩٣ ــ ٦٩٤ هـ / ١٢٩٣ ــ

---

(٥٣) السيد الباز العرينى : المغول ص ٢٧٤ .

(٥٤) عن اسلام مغول فارس فى عهد أحمد تكودار وارتدادهم عنه فى عهد ارغون بن أبغا ١٢٨٤ ــ ١٢٩١ م انظر : السيد الباز العرينى : المغول ص ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، محمد جمال الدين سرور : دولة بنى قلاوون فى مصر ص ١٦٦ ، ١٦٧ ، دونالدولبر : ايران ماضيها وحاضرها ــ ترجمة عبد النعيم محمد حسنين ص ٦٧ ، وعن الرسائل المتبادلة بين مغول فارس المسلمون انظر محمد ماهر حمادة : وثائق الحروب الصليبية والغزو المغولى للعالم الاسلامى ص ٣٦٨ وما بعدها .

(٥٥) فايد حمادة عاشور : العلاقات السياسية بين المماليك والمغول ص ٢١٧ ، محمد جمال الدين سرور : دولة بنى قلاوون فى مصر ص ٢٢٢ ، ٢٢٣ .

١٢٩٤ م ، ٦٩٨ — ٧٠٨ هـ / ١٢٩٩ — ١٣٠٨ م ، ٧٠٩ — ٧٤١ هـ / ١٣١٠ — ١٣٤١ م •

وتشير المصادر التاريخية بعد ذلك الى ازدياد هجرة الوافدية مرة أخرى على عهد كتبغا ٦٩٤ — ٦٩٦ هـ / ١٢٩٤ — ١٢٩٦ م الذى كان هو الآخر من المغول بينما الناصر محمد منفى بالكرك سنة ٦٩٥ هـ / ١٢٩٥ م ، حين وصل الى الرحبية(٥٦) نحو الثمانية عشر ألف بيت(٥٧) من عسكر بيد وبن طرغاى بن هولاكو وهم المعروفون بالأويراتية(٥٨) صحبة طرغاى زوج ابنة هولاكو ، وكان سبب قدومهم الى بلاد الاسلام هو الصراع بين مغول فارس ومغول القبجاق(٥٩) •

ونتيجة لذلك كتب كتبغا فى ربيع الأول سنة ٦٩٥ هـ / ١٢٩٥ م الى نائب الشام أن يسير أحد الأمراء لاستقبال الاويراتية فاحتفلوا بهم فى دمشق واحسنوا استقبالهم ، وهناك اتفق رأى الأمراء مع العادل كتبغا على احضار أكابرهم الى مصر وتوزيع باقيهم على بلاد الساحل بالشام •

فكان عدد من حضر الى مصر منهم نحو الثلثمائة فلما اقتربوا من

---

(٥٦) الرحبة : بفتح الراء وسكون الحاء : تسعة مواضع منها الرحبة قرية من قرى دمشق انظر : ياقوت : معجم البلدان جـ ٣ ص ٣٣ ، كتاب المشترك وضعا والمفترق صقعا ص ٢٠٥ .

(٥٧) كذا فى المقريزى السلوك جـ ١ ص ٨١٢ ، بينما يذكر الدكتور السيد الباز العرينى فى كتابه المماليك ص ٦١ ، وكذلك ابو المحاسن فى كتابه النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ٦٠ أن عددهم كان نحو عشرة آلاف بيت .

(٥٨) الأويراتية : من العناصر المغولية الذين نزلوا على الشاطىء الغربى لبحيرة بايكال — انظر : السيد الباز العرينى : المغول ص ٣٤ ، محمد مصطفى زيادة حواشى كتاب السلوك جـ ١ ص ٧٠٨ هامش ٣ ، المقريزى : الخطط جـ ٢ ص ٢٢ ، ٢٣ .

(٥٩) عن هذا الصراع أنظر السيد الباز العرينى : المغول : ص ٢٦٩ ، احمد محمود الساداتى : تاريخ الدول الاسلامية بأسيا وحضارتها ص ١٩٧ .

القاهرة خرج الأمراء بالعسكر الى لقائهم ، واجمتع الناس من كل صوب وصاروا الى قلعة الجبل فأنعم السلطان على مقدمهم طرغاى بأمرة طلبخانة وعلى البقية باقطاعيات ورواتب وأنزلهم بحى الحسينية فى القاهرة (٦٠)ولم يكن هؤلاء الأويراتية قد دخلوا فى الاسلام بعد ، فشق ذلك على الناس وتضرروا منهم ، وصادف قوم الأويراتية حدوث غلاء شديد فاشتد الأمر على الناس ، وأهل شهر رمضان سنة ٦٩٥ هـ / ١٢٩٥ م فلم يصم من أولئك الأويراتية أحد ، فأخبر الأمراء السلطان بذلك فأبى أن يكرههم على الاسلام .

ويعلق على تلك الأحداث المؤرخ المقريزى بقوله « فكتبغا كان مغولى الجنس ، فلا عجب اذا مال اليهم واحتضنهم واهتم بأمرهم اهتماما أثار فى قلوب أمراء الدولة الأحقاد عليه ، وخصوصا عندما ظهر أنهم قد عدلوا عن الدخول فى الاسلام وتمسكوا بعقائدهم الوثنية ، لكن كتبغا رفض أن يتعرض لهم بسوء اذ كان يرمى الى اتخاذهم عونا له فى البقاء على كرسى السلطنة(٦١) . ومع هذا أخذ كثير من الأمراء المماليك أولاد أولئك الأويراتية للخدمة فى بيوتهم ، وكثرت الرغبة فيهم لجمالهم ، وتزوج الناس بناتهم ، واندمج بعضهم فى الجيش المملوكى ودخلوا الاسلام واختلطوا بأهل البلاد(٦٢) .

وكان هؤلاء الأويراتية الذين احتفظوا بوثنيتهم وعاداتهم المغولية التى كان منها أكل الخيل المقتولة بالضرب لا بالذبح ، وعدم صومهم رمضان أمام شعب اشتهر بتمسكه بأهداب الدين ، مما أدى الى انطلاق الألسنة بذم السلطان كتبغا الذى كان دائم المبالغة فى محاباة الأويراتية ،

---

(٦٠) المقريزى : السلوك جـ ١ ص ٨١٦ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك جـ ٨ ص ٢٠٢ .

(٦١) المقريزى : الخطط جـ ٢ ص ٢٢ ، ٢٣ ، السلوك جـ ١ ص ٨١٢ ، ٨١٣ .

(٦٢) السيد الباز العرينى : المماليك ص ٦١ .

وانتهى الأمر بخلعه على يد المنصور لاجين ٦٩٦ — ٦٩٨ هـ / ١٢٩٧ — ١٢٩٩ م(٦٣) .

وتشير المصادر التاريخية الى أن لاجين أمر بالقبض على كبراء الأويراتية وسجنهم بالاسكندرية ومنهم طرغاى ، كما أمر بتفريق صغارهم على الأمراء فاستخدموهم فى مختلف الاغراض(٦٤) ، كما قام لاجين بشنق نحو الخمسين من الأويراتية بثيابهم وكلفاتهم(٦٥) ، ونودى عليهم « هذا جزاء من يقصد اقامة الفتن بين المسلمين ويتجاسر على الملوك »(٦٦) .

ويذكر المؤرخون أنه لم يفلت من أيدى لاجين من الأويراتية سوى جماعة قليلة منهم تمكنت من الخروج من مصر وأقامت ببعض الأطراف الشامية(٦٧) وهذه المجموعة دخلت فى خدمة الناصر محمد بن قلاوون أثناء مقامه بالكرك(٦٨) .

فلما عاد الناصر محمد بن قلاوون الى منصب السلطنة للمرة الثانية وجلس على سرير الملك يوم الاثنين سادس جمادى الأولى ٦٩٨ — ٧٠٨ هـ / ١٢٩٩ — ١٣٠٨ م أمر بطرد أولئك الأويراتية من

---

(٦٣) ابو المحاسن : الدليل الشافى على المنهل الصافى ص ٥٦٦ ، ابن العماد : شذرات الذهب جـ ٥ ص ٤٤٠ ، المقريزى : الخطط جـ ٢ ص ٢٢ ، السيد الباز العرينى : المماليك ص ٦٢ .

(٦٤) المقريزى : الخطط جـ ٢ ص ٢٣ ، السلوك جـ ١ ص ٨٨٣ .

(٦٥) جمع كلفة : وهى غطاء للرأس كانت من مستحدثات عصر الأشرف خليل بن قلاوون انظر : دوزى : المعجم المفهرس بأسماء الملابس عند العرب ص ٣١٢ ، ٣١٣ ، ماير : الملابس المملوكية ص ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٣ .

(٦٦) المقريزى : السلوك جـ ١ ص ٨٨٤ .

(٦٧)بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة ص ٣٥٦ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك جـ ٨ ص ٢٠٥ .

(٦٨) عن أسباب اقامة الناصر محمد بالكرك بعد سلطنته الأولى ١٢٩٣ — ١٢٩٤ م والتى كان من اهمها صغر سنه ، واستبداد زين الدين كتبغا وعلم الدين سنجر الشجاعى بأمور الدولة انظر : سعيد عاشور : العصر المماليكى ص ١٠٤ — ١١١ .

البلاد بتحريض من المماليك السلطانية(٦٩) لأنهم أخذوا يقفون فوقهم فى الخدمة السلطانية . فحرضوا السلطان عليهم وأكثروا من ذمهم والعيب عليهم لكونهم تأمروا سابقا على أستاذيهم من الأمراء زمن كتبغا(٧٠) .

فتنة المغول الأويراتية وبعض الأمراء على الناصر محمد بن قلاوون :

عندما تولى غازان (محمود) بن أرغون بن أبغا ٦٩٤ — ٧٠٣ هـ/ ١٢٩٥ — ١٣٠٤ م عرش دولة المغول(٧١) قام فى أواخر حياته بمحاولة أخيرة لغزو سورية ومصر ، فخرج الناصر محمد بن قلاوون من مصر لمحاربته(٧٢) .

غير أن الأمراء الذين خرجوا معه كانوا متحاسدين غير متفقين فى الرأى فوصلوا الى غزة ونزلوا فى مكان الى الشمال منها يسمى تل العجول وهناك تعطلوا مدة من الزمن بسبب مؤامرة دبرها جماعة من المماليك السلطانية بالاشتراك مع جماعة الأويراتية المغولية

---

(٦٩) المماليك السلطانية : وهم أعظم الأجناد شأنا وارفعهم قدرا ، وهم مشتريات السلطان وجلبانه ، وما يتبقى عنده من مماليك من سبقه فى السلطنة ومرتباتهم جميعا من ديوان المفرد وقضوا مدة الرق فى التعليم الحربى والدينى ثم عتقوا وأصبحوا جنودا مؤهلين أنظر القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٤ ص ١٥ ، سعيد عاشور : العصر المماليكى ٤٥٥ ، السيد الباز العرينى : المماليك ص ٦٢ .

(٧٠) المقريزى : السلوك جـ ٢ ص ٨٣ ، السيد الباز العرينى : المماليك ص ٦٢ .

(٧١) أنظر : ابن حجر : الدرر الكامنة جـ ٣ ص ٢٩٢ ترجمة رقم ٣١٣٣ ، ابو المحاسن : الدليل الشافى جـ ٢ ص ٥١٧ ترجمة رقم ١٧٨٣ ، النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ٢١٢ ، دونالدولبر : ايران ماضيها وحاضرها ص ٦٧ .

(٧٢) عن الرسائل التى دارت بين الناصر محمد بن قلاوون والقان غازان : أنظر محمد ماهر حمادة : وثائق الحروب الصليبية والغزو المغولى للعالم الاسلامى ص ٣٨٣ — ٤١٦ ، وعن اسلام غازان أنظر : اسماعيل عبد العزيز الخالدى : العالم الاسلامى والغزو المغولى ص ٢٢٧ وما بعدها .

الذين جاءوا مصر فى عهد السلطان كتبغا وكان كبيرهم فى ذلك الوقت يسمى ألوص(٧٣) ، وكان هؤلاء المتآمرون يحقدون على جماعة المماليك البرجية ، كما كانوا يريدون الثأر لما حل بزعماء الأويراتية من القتل فى عهد لاجين ، ويرغبون فى اعادة السلطان السابق كتبغا الى العرش ، ولكن فتنتهم فشلت عندما تعاون سلار وبيبرس والمماليك السلطانية وقبضوا على الأويراتية وشنقوا منهم نحو خمسين شخصا ، وأرسلوا الى الجهات المختلفة بالقبض على من يوجد منهم وحبسهم . كما أنهم اكتشفوا اشتراك جماعة من المماليك السلطانية فى المؤامرة وقبضوا عليهم برضاء السلطان وأرسلوهم الى الكرك ليحبسوا هناك ، وبذلك انتهت هذه الفتنة التى كادت تمزق صفوف جيش السلطان الناصر وتمكن الناصر من انزال الهزيمة بغازان قرب دمشق(٧٤) .

وعلى الرغم من قلة قدوم الوافدية الى مصر بعد سنة ٦٩٥ هـ / ١٢٩٥ م جاءت هجرات أخرى من جماعات مختلفة فى أوقات متباعدة(٧٥) .

فقد علم السلطان الناصر بقدوم الأمير بدر الدين جنغلى بن شمس الدين البابا(٧٦) وهو أحد مقدمى المغول ومعه نحو عشرة من أهله وأتباعه وكان أحد عيون الملك الناصر على المغول ، فكتب الملك الناصر الى نائب حلب باستقباله فتلقاه وبالغ فى اكرامه ، ثم تلقاه نائب دمشق الأمير جمال الدين أقوش الأفرم(٧٧) واستمرت

---

(٧٣) مصطفى طه بدر : مغول ايران بين المسيحية والاسلام ص ٨٤ .
(٧٤) انظر : دونالدولبر : ايران ماضيها وحاضرها ص ٦٨ .
(٧٥) السيد الباز العرينى : المماليك ص ٦٢ ، ٦٣ .
(٧٦) توفى فى سادس او سابع عشر ذى الحجة سنة ٧٤٦ هـ / ١٢٤٨م. انظر ترجمته فى : ابن حجر : الدرر الكامنة جـ ١ ص ٥٣٩ ترجمة رقم ١٤٦١ ؛ ابو المحاسن : الدليل الشافى جـ ١ ص ٢٥١ ترجمة رقم ٨٦٢ .
(٧٧) انظر محمد أحمد دهمان : ولاة دمشق فى عهد المماليك (دار الفكر دمشق ١٩٨١) ص ١٤٤ ؛ أبو المحاسن : الدليل الشافى جـ ١ ص ١٤٤ ترجمة رقم ٥١٠ .

الاستقبالات فى كل منزل حتى وصل القاهرة فخرج الامــير بيبرس الجاشنكير لاستقباله ومعه الأمراء ، ثم مثل بين يدى السلطان فى ٣ من ذى الحجة سنة ٧٠٣ هـ / ١٣٠٤ م وأنزل فى دار بقلعة الجبــل حيث منحه الناصر امرة ألف .

وفى ســنة ٧٠٤ هـ / ١٣٠٥ م أرســل طقطقا المســمى أيضــا طقطاى(٧٨) ســفارة الى مصر ومعهم هدية ورسالة للملك النــاصر فى محاربة غازان ملك مغول فارس ووصلت معهم جماعة من المغــول مســتأمنين وكانوا نحو مائتى فارس بنسائهم ومنهم جماعة من أقارب السلطان غازان وبعض أولاد سنقر الأشقر الذى كان ببلاد المغول قبل ذلك فكتب الناصر الى نوابه بالشــام باستقبال الوافدين حتى وصلوا الى القاهرة فى جمادى الاولى ســنة ٧٠٤ هـ / ١٣٠٥ م فرتبت للوافدين الرواتب وأعطوا الاقطاعات ووزع جماعة منهم على الأمراء .

ومما لا شك فيه أن قدوم مثل هذه الجماعات المستأمنة من المغول كان نتيجة طبيعية للعلاقات الطيبة التى ربطت بين مغــول القفجاق وسلطنة المماليك وما كان يلقاه هؤلاء الوافدون من انعامات واقطاعات وحسن استقبال(٧٩) .

واستمر قدوم الهجرات المغولية الى مصر مستأمنين وطامعين فى الحصول على اقطاعات ورواتب ، فتشير المصادر التاريخية الى هجرة أخرى حدثت فى أواخر شعبان سنة ٧١٧ هـ / ١٣١١م فقد عبر جماعة من المغول الفرات ، وقدموا دمشق فى سادس رمضان منهم أمير كبير اسمه طاطاى ، وكانوا نحو مائة فارس بنســائهم وأولادهم ووصلوا

---

(٧٨) هو طقطاى بن منكو تمر بن ساين خان بن جنكيز خان المغلى صاحب القبجاق أنظــر ترجمته فى : أبو المحاسن : الدليل الشافى ج ١ ص ٣٦٧ ترجمة رقم ١٢٦١ ، ابن حجــر : الدرر الكامنة ج ٢ ص ٢٢٦ ترجمــة رقــم ٢٠٤٤ .

(٧٩) المقريزى : السلوك ج ٢ ص ٥ .

الى القاهرة فى شوال من نفس العام(٨٠) .

وفى سنة ٧٢٢ هـ / ١٣٢٢ م قدم البريد من دمشق بحضور أخت الأمير بدر الدين جنكلى بن البابا المعروف بابن البابا العجلى (٨١) من الشرق وصحبتها جماعة كثيرة الى دمشق ، وأنها ماتت بعد قدومهـا بثلاثة أيا مفأستدعى الناصر محمد بن قلاوون من حضر معها الى مصر ، فلما وصلوا أنعم عليهم السطان بالاقطاعات وغيرهم(٨٢) من أجل خاطر الأمير جنـكلى .

وفى سنة ٧٤١ هـ / ١٣٤٠ م وهى السنة التى توفى فيها النـاصر محمد جاءت هجرة أخرى من الوافدية بسبب ما انتشر فى بلاد الشرق (سكن المغول) من غلاء شديد وطواعين مما أدى الى ورود عـالم عظيم الى شرق الفرات وبلاد حلب ، فأذن السلطان الناصر لنائب حلب أن ينزلهم بنيابته فقدم منهم الى القاهرة صحبة قاصد نائب حلب نحو المائتى نفر ، فاختار السلطان منهم طائفة نحو ثمانين شخصا ، جعـل بعضهم فى الطباق(٨٣) .

---

(٨٠) المقريزى : السلوك جـ ٢ ص ١٧٤ ، السيد الباز العرينى : المماليك ص ٦٢ ، ٦٣ .

(٨١) عنه انظـر : ابو المحاسن : الدليل الشافى على المنهل الصـافى جـ ١ ص ٢٥١ ترجمة رقم ٨٦٢ ، النجـوم الزاهرة جـ ١٠ ص ١٤٣ ، ابن حجـر : الدرر الكامنة جـ٢ ص ٧٦ ترجمة رقم ١٤٦١ .

(٨٢) المقريزى : السلوك جـ ٢ ص ٢٣٦ ، السيد الباز العرينى : المماليك ص ٦٢ ، ٦٣ .

(٨٣) الطباق : وهى ثكنات المماليك بقلعة الجبل ، وكانت كل طبقة تضم المماليك المجاوبين من بلد واحد ، وكانت قدر حارة وتشتمل على عدة مساكن ويذكر هليل بن شاهين الظاهـرى ان عدد الطباق كان اثنى عشر طبقة ، غير أن المصادر المملوكية المعاصرة أوردت أسـماء ثمانى عشرة طبقة .

انظـر : خليل بن شاهين الظاهرى زبدة كشف الممالك ص ٢٧ . سعيد عاشور : العصر المماليكى ص ٤٣١ ، السيد الباز العرينى : المماليك ص ٨٦ .

ويرى أحد الباحثين أن هذه كانت أخر هجرة كبيرة من هجرات الأويراتية تأتى الى مصر(٨٤) .

لا شـــك فى أن هذه الهجرات المغولية التى قدمت الى مصـــر وتولت بعض المناصب والامريات وحاز بعضها الاقطاعات كان لهـــا تأثير كبير على أحوال مصر الاجتماعية ونظمها السياسية والحربية والفنية .

فالمغول فى بلادهم الأطلية كانت لهم رسوم وتقاليـــد وآداب تتفق وحياتهم الفطرية البسيطة الخالية من التكلف والتعقيد ، ذلك لأن هذه القبائل جميعها كانت تعيش عيشة بدوية واحدة.

وهذه التقاليد تبدو على وجه الخصوص فى مأكل المغولى وملبسه ومسكنه ودينه وقوانين مجتمعه البسيطة ، وكلها مسائل تدور حـــول تكوين أسرته وتنظيم جماعته وحمايتها من غضب الطبيعة التى يرهبها ويخشاها واعداد نفسه ليكون جنديا ناجحا فى الغزو والحرب ، عندما يشير عليه الخان الأعظم بذلك(٨٥) .

---

(٨٤) السيد الباز العرينى : المماليك ص ٦٣ .

(٨٥) فؤاد عبد المعطى الصياد : المغول فى التاريخ ص ٣٢٩ .

تأثيرات المغول الحضارية على دولة سلاطين المماليك

أولا ـ التأثيرات الغير مباشرة :

فى الواقع أن هناك تأثيرات مغولية كثيرة على دولة المماليك منهـا ما هو غير مباشر ومنها ما هو مباشر .

فمن التأثيرات الغير مباشرة هو أن انتصار المماليك على المغـول فى عين جالوت سنة ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م(٨٦) أدى الى أن احتفظت مصر بمالها من حضارة ومدنية ، فلم تتعرض لما تعرضت له بغداد من الخراب والدمار وتحطيم كل ما كانت تزخر به بغداد من الفنون والعـلوم والآداب ، بينما كانت أوربا تتردى فى الجهل فأضحت القاهرة فى عصر المماليك معقل الاسلام والثقافة العربية اذ هرع اليها عدد كبير من العلماء وأهل الحرف والصناعات الذين لقوا التشجيع من سلاطين المماليـك وأضحوا باعثا لافاقة جديدة للاسلام .

وقد جلب أهل الحرف منهم بعض أساليب بلادهم الفنية ، وتأثر المعمار نتيجة ذلك فى القرن الثـالث عشر ببعض المؤثرات الفارسـية والعراقية كما سنرى فيما بعد ويرى أحد الباحثين أن خطة بناء مسجد الظاهر بيبرس مأخوذة من رسم مسـجد ميافارقين الذى أنشىء فى سـنة ١٢٢٣ م(٨٧) .

وبذلك انتقل مركز الزعامة الفكرية والفنية فى العالم الاسـلامى الى القاهرة التى أضحت بحكم وضعها الجغرافى أقرب من بغداد الى أوربا ، مما ساعد على اقتراب العالم الغربى من الحضارة الشرقية التى ازدهرت فى عصر المماليك .

---

(٨٦) المقريزى : السلوك جـ ١ ص ٤٣٣ ، ابو الفدا : المختصر فى اخبار البشر جـ ٣ ص ٢٥ ، ابن الوردى : تتمة المختصر فى أخبار البشر جـ ٢ ص ٢٩٧ ، السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٤٣٧ .

(٨٧) أحمد مختار العبادى : قيام دولة المماليك الأولى فى مصر والشام ص ١٤٨ ، ١٤٩ .

وكان من نتيجة سقوط بغداد فى يد المغول سنة ٦٥٦ هـ/١٢٥٨ م ومقتل الخليفة المستعصم بالله (آخر الخلفاء العباسيين ببغداد) وقيام السلطان الظاهر بيبرس باحياء الخلافة العباسية بالقاهرة بمبايعة أحد أعمام الخليفة المستعصم واسمه أحمد أبو القاسم بن الظاهر بأمر الله ولقبه بالمستنصر بالله(٨٨) أن هيأ ذلك لمصر فى عصر المماليك أن يصير لها الزعامة والقيادة فى العالم الاسلامى . وعلى الرغم من أنه لم يكن للخلفاء سلطة فعلية ، فانهم كانوا سندا دينيا لسلاطين المماليك طوال حكمهم .

ومن التأثيرات التى أحدثتها غزوة المغول للعالم الاسلامى أيضا على دولة المماليك أن أصبحت دولة المماليك بفضل انتصارها على المغول فى عين جالوت أقوى دولة فى الشرق الأدنى لمدة تزيد على قرنين من الزمان ، الى أن ظهر الأتراك العثمانيون . فما حدث حتى سنة ١٢٥٩ م من انقسام امبراطورية صلاح الدين فى مصر والشام والجزيرة بين الأمراء الأيوبيين ، وما تلى ذلك من العداء بين سلاطين الايوبيين فى مصر وسائر الأمراء الايوبيين ، ثم قيام دولة المماليك سنة ٦٤٨ هـ / ١٢٥٠ م ، وما ترتب على ذلك من العداء بين المماليك فى مصر والايوبيين فى الشام وافادة المغول والصليبيين من هذا الانقسام كل هذه الاوضاع تغيرت بعد زحف المغول على بلاد الشام اذ أسهم المغول فى تدمير سلطان الايوبيين بالشام ، وفى ازالة الانقسام بين المسلمين فى الشام ومصر(٨٩) .

فما قام به المماليك من تحرير بلاد الشام واستخلاصها من المغول ، هيأ لهم الفرصة الى أن يضيفوا الى دولتهم كل بلاد الشام ، ومن استقر من الأمراء الايوبيين فى امارته صار يحكم باسم السلاطين المماليك ، فولى المنصور الثانى محمد أمر حماة والمعرة ١٢٤٤ —

---

(٨٨) السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص ٤٣٩ .
(٨٩) السيد الباز العرينى : المغول ص ٢٦٣ ، ٢٦٤ .

١٢٨٤ م ، وعاد الأشرف موسى (الثانى) بن ابراهيم ١٢٤٥ — ١٢٦٢م الى حمص •

ومما لا شك فيه أيضا أن من التأثيرات المغولية الغير مباشرة على دولة المماليك هو أن انتصار المماليك على المغــول فى عين جالوت عجل بزوال ماتبقى من الامارات الصليبية ، فما كان من مشروع اقامة تحالف بين المغول والصليبيين قد تبدد ولم يعــد بوســع هولاكو وخلفائه أن يوجهوا الحملات لمساندة الأرمن والفرنج دون أن يتعرضوا لهجمات من قبل أقاربهم المغــول الذين اعتنقوا الاسلام وهم مغــول القبيلة الذهبية فى جنوب روسيا وبيت جغتاى فى تركستان (٩٠) ، هذا فضلا عن الحروب الداخلية بين العناصر المختلفة فى مملكة بيت المقدس (٩١)، وما جرى من التنازع بين البارونات وبين الأوصياء على العــرش ، وضعف الأمل فى قدوم أمداد صليبية من الغرب ، فضلا عن مــوقف أنطاكية وقليقيةالعدائى ازاء المسلمين ، وتوحيد الجبهة الاسلامية •

وكان من عوامل اصرار المماليك على التخلص من البقية الباقيــة للصليبيين ، ادراكهم أن الفرنج هم الذين استنجدوا بالمغول الذين يعتبرون مسئولين عن تقويض الحضارة والمدنية (٩٢) ، كل ذلك يؤذن بأن زوال الامارات الصليبية بات محققا (٩٣) •

ومما لا شك فيه أن لغارات جنكيز خان أثر كبير فى تكوين الجيش المملوكى اذ تبين للصالح أيوب ٦٣٨ — ٦٤٧ ﻫ / ١٢٤٠ — ١٢٤٩م(٩٤)، أنه لايمكن الاعتماد على الأكراد الذين اعتقد بعضهم أنهم أسوياء

---

(٩٠) السيد الباز العرينى : المغول ص ٢٦٩ •

(٩١) السيد الباز العرينى : المغول ص ٢٩١ •

(٩٢) المرجع السابق ص ٣٢٦ •

(٩٣) المرجع السابق ص ٢٦٤ •

(٩٤) أنظر ترجمته فى : أبو المحاسن : الدليل الشافى على المنهل الصافى جـ ١ ص ١٧٨ ترجمة رقم ٦٣٣ ، النجــوم الزاهــرة جـ ٦ ص ٣١٩ — ٣٣٨ ، ابن دقماق : الجوهــر الثمين فى سير الخلفاء والملوك والسلاطين ص ٢٤٢ — ٢٤٧ •

له فى السلطنة بحكم الجند فحرص على استخدام طائفة من الخوارزمية الذين هربوا من وجه جيوش جنكيز خان بعد استيلائهم على مملكة خوارزم شاه ، وتشتتوا فى أنحاء الشرق الأوسط فدخل عدد كبير منهم فى خدمة علاء الدين كيقباذ سلطان السلاجقة بالروم ، غير أنهم لم يلبثوا أن خرجوا عن طاعته وأخذوا يعيثون فى البلاد فسادا(٩٥) ، ونجح الصالح أيوب أثناء قيامه بحكم البلاد الجزرية والشرق فى استمالتهم ، وأفاد منهم فى استرداد بيت المقدس من الصليبيين (٩٦) ، غير أنهم لم يتخلوا عن سابق عهدهم بما لجأوا اليه من النهب والسلب والتآمر واثارة الفتن والحروب الداخلية (٩٧) ، فعمد الصالح أيوب الى شراء عدد من المماليك أنزلهم بقلعة الروضة ، وعمل على تنشئتهم وتدريبهم حربيا ، فنشأوا على الولاء والاخلاص له ، وظهرت كفاءتهم الحربية فى وقعة فارسكور سنة ٦٤٨ هـ / ١٢٥٠ م(٩٨) ، حيث انتصروا على الصليبيين وأسروا لويس التاسع ملك فرنسا (٩٩) .

وأدرك المماليك قوتهم فتمكنوا من القضاء على الدولة الأيوبية بسبب سوء معاملة توران شاه بن الصالح أيوب لهم ، وانقسام البيت الأيوبى فى مصر والشام على نفسه ، وتعرض مصر والشام لأخطار الصليبيين والمغول وتفوق العنصر المملوكى فى الجيش الأيوبى . وما لبث الخليفة المستعصم العباسى أن أقر التغيير فى الحكم ، على أساس

---

(٩٥) العينى : عقد الجمان مجلد ٥٣ ورقة ١٧٩ .

(٩٦) المقريزى : السلوك جـ ١ ص ٣١٦ ، ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٣ ص ١٦٤ ، فايد حماد عاشور : الجهاد الاسلامى ضد الصليبيين « فى العصر الأيوبى » ص ٣٥٤ ، ٣٥٥ .

(٩٧) المقريزى : السلوك جـ ١ ص ٣٠٠ — ٣٠٣ .

(٩٨) السيد الباز العرينى : الأيوبيون ص ١٥١ .

(٩٩) المقريزى : السلوك جـ ١ ص ٣٥٥ — ٣٥٦ ، الخطط جـ ١ ص ٢٢٢ ؛ ابو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٦ ص ٣٦٦ ، جوزيف نسيم : العدوان الصليبى على مصر ص ٢٠١ — ٢٠٢ .

أن حكم المماليك لم يخرج عن تقاليد الخلفاء العباسيين بما جرى من تفويض الأمراء فى ادارة البلاد التى يحكمونها ، والدليل على ذلك أنه أمـر بارسال الخلعة الخليفية وسائر شارات الملك الى سلطان مصر والشـام .

ثانيا : التأثيرات المباشرة :

لما سقطت بغداد فى يد المغول سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٦ م وقـام الظاهر بيبرس باحياء الخلافة العباسية بالقاهرة ، كما سبق أن أشرنا، غدا خليفة رسول الله وأمير المؤمنين فى حماية المماليك ، يذكر اسمه فى خطبة الجمعة ويحتفظ بشارات الخلافة التى يفتقر اليها السلطان المملوكى .

فالخليفة يقلد السلطان الولاية والأمور العامة(١٠٠) ، ويتجدد هذا التقليد كلمـا تولى الحكم سلطان جديد . على أن القاعدة المتبعة اقتضت بأن يختار الأمـراء السلطان من بينهم فاذا حاول السلطان ترشيح ابنه لولاية العهـد فلا يتم ذلك الا بموافقة الأمراء ، وهذا الاختيار يتفق مع تقاليد المغـول فى اختيار زعمائهم : انما اقتضى كذلك موافقة الجماعة الاسلامية التى يمثلها الخليفة (١٠١) .

فى الأخذ بأحكام الياسـة :

ومن الامور التى كان للتأثيرات المغولية على دولة المماليك فيها أثـر واضح ، هو قواعد الحكم فى الدولة المملوكية التى كان من أهمها اعداد طبقة للاعتماد عليها فى الحرب والادارة ، وتألفت هذه الطبقـة من المماليك المجلوبين صغار السن من بلاد القبجاق تفضيلا فى العصر المملوكى الأول واستقروا فى الطباق حيث تلقوا التدريب الحـربى والتعليم الدينى (١٠٢) ، وخضعوا لمـا فرض عليهم من أساليب

---

(١٠٠) حسن الباشا : دراسات فى الحضارة الاسلامية ص ٣٦ .
(١٠١) السيد الباز العرينى : المماليك ص ٢٥٤ .
(١٠٢) المقريزى : الخطط جـ ٢ ص ٣٤٧ — ٣٤٨ .

التدريب والتأديب . وهى لاتخرج كثيرا عن التقاليد المعروفة عند المغول . وعلى الرغم من أن هؤلاء المماليك نشأوا بدار الاسلام ، الا أنهم احتاجوا فى ذات أنفسهم الى الرجوع الى حكم الياسة (١٠٣) . وهو القانون الذى وضعه جنكيز خان ونظم فيه علاقة الحاكم بالمحكوم ، وعلاقة المحكومين بعضهم ببعض . كما حدد فيه علاقة الفرد بالمجتمع وقد أورد المقريزى فى خططه بعضا من مواد هذا القانون (١٠٤) ، التى منها أن كل من زنى قتل دون تفريق بين المحصن وغير المحصن ، ومن لاط قتل ، ومن بال فى الماء أو على الرماد قتل ، ومن وجد عبدا هاربا أو أسيرا قد هرب ولم يرده الى صاحبه قتل ، ومن أعطى بضاعة فخسر فيها ، فانه يقتل بعد الثالثة ، ومن أطعم أسير قوم أو كساه بغير اذنهم قتل ، ومن وقع حمله أو قوسه أو شىء من متاعه وهو يكر أو يفر فى حالة القتال وكان وراءه أحد ، فانه ينزل ويناول صاحبه ما سقط منه . فان لم ينزل ولم يناوله قتل ، وشرط تعظيم جميع الملل من غير تعصب لملة على أخرى ، وألزم قومه أن لا يأكل أحد من أحد حتى يأكل المناول منه أولا ولو أنه أمير ومن يناوله أسير ، ولزم أن لا يتخصص أحد بأكل شىء وغيره يراه بل يشركه معه فى أكله وألزمهم ألا يتميز أحد منهم بالشبع على أصحابه ... وان مر أحدهم بقوم وهم يأكلون ، فله أن ينزل ويأكل معهم ، وليس لأحد أن يمنعه ، كما منع من تفخيم الألفاظ وروائع الألقاب ، فلا يخاطب الشخص مهما علت مكانته الا باسمه فقط ، وألزم القائم بعده بعرض العساكر وأسلحتها اذا أراد الخروج الى القتال ، وينظر حتى الابرة

---

(١٠٣) المقريزى : الخطط جـ ٢ ص ٢٢٠ — ٢٢١ ، القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٥ ص ٤٥٠ ، السيد الباز العرينى : المماليك ص ٢٥٥ ، حسن الباشا : الفنون الاسلامية والوظائف على الآثار العربية جـ ١ ص ٣٨٩ .

(١٠٤) المقريزى : الخطط جـ ٢ ص ٢٢٠ — ٢٢١ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٦ ص ٢٦٨ — ٢٦٩ ، المنهل الصافى جـ ٢ ص ٢٩٢ ، فؤاد عبد المعطى الصياد : المغول فى التاريخ ص ٢٣٩ ، السيد الباز العرينى : المغول ص ٦٠ ، حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام جـ ٤ ص ١٣٧ ، ١٣٨ ، اسماعيل عبد العزيز الخالدى العالم الاسلامى والغزو المغولى ص ٣٨ .

والخيط فمن وجده قد قصر فى شيء مما يحتاج اليه عند عرضه ايـــاه عاقبه وألزم نساء العسكر بالقيام بما على الرجال من السخر والكلف فى مدة غيبتهم فى القتال .

ورتب لعساكره أمراء ألوف وامراء مئين وأمراء عشراوات ، وشرع أن أكبر الأمراء اذا أذنب وبعث اليه الملك اخس من عنده حتى يعاقبه فانه يلقى نفسه الى الأرض بين يدى الرسول وهو ذليل خاضع حتى يمضى فيه ما أمـــر به الملك من العقوبة ولو كانت بذهاب نفسه ، كما أمـــر بتنظيم حلقات الصيد (١٠٥) ، لـــا لها من أهمية فى التـــدريب على أساليب الحرب .

وقد تسربت بعض مبادىء وقواعد الياسة الى نظم سلاطين المماليك والعثمانيين (١٠٦) ، وتشير المصادر التاريخية الى أن السلطان الظاهر بيبرس سار على حكم الياسة فيما يتعلق بالنظم الحربية وانزال العقوبات الصارمة لمن يرتكب جرائم اذ لاتكفى الحدود الشرعية فى ردعهم (١٠٧) ، فمن بين الوصايا الموجهة لوالى الحرب وصية بمكافحة الخمر والحشيش وتفقد أرباب النحل واقامة حكم الياسه اذ لم تكف الحدود الشرعية (١٠٨) ، وكان الحاجب يقوم بالفصل بين الأمـــراء

---

(١٠٥) أنظـــر ترجمة قطز بن عبد الله المغرى السلطان الملك المظفـــر ، وخليل بن قلاوون فقد قتلا فى اثناء رياضة الصيد ، أبو المحاسن : الدليل الشـافى جـ ٢ ص ٥٤٤ ترجمة رقم ١٨٦٨ ، جـ ١ ص ٢٩٢ ترجمة رقم ١٠٠٦ .

وانظـــر : خروج شيخ للصيد فى البر الغربى من النيل لصيد الكركى : المقريزى : السلوك جـ ٤ ص ٣٧١ ، ٤٣٣ ، وخروجه للصيد ببركة الحـــاج جـ ٤ ص ٥٠٦ .

وانظـــر عن الصيد فى عصر المماليك واماكنة وادواته وتنظيماته ، عبد المنعم ماجـــد : نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم فى مصر جـ ٢ ص ١٣٣ وما بعـــدها .

(١٠٦) السيد البـــاز العرينى : المغول ص ٦٢ ، فـــؤاد عبد المعطى الصياد : المغول فى التاريخ ص ٣٤١ .

(١٠٧) أبو المحاسن : النجوم الزاهـــرة جـ ١٧ ص ١٨٢ ، ١٨٣ .

(١٠٨) ابن فضل الله العمرى : التعريف المصطلح الشريف ص ١٠٢ .

والجند فى المسائل الديوانية وأمور الاقطاعات وما اختلفوا فيه مــن عوائد والمشكلات غير الشرعية . وكذلك الحكم بين المغول الــذين استوطنوا مصر حسب قوانين الياسة وذلك بعد استشارة السلطــان أو النائب (١٠٩) .

ومن الأدلة على الأخذ باليسق أو الياسة عند المماليك تنظيم الجيش المملوكى وفقا للنظام العشرى المعروف عند المغول ، وتعبئته وحركته طبقا للخطة المتبعة فى الجيش المغولى من حيث تطويق سائر قوات العدو والاحاطة بها من جميع الجهات متخذين فى ذلك نظام الحلقة التى اعتاد المغول نصبها للايقاع بالوحوش ، وساروا عليها فى الايقاع بأعدائهم (١١٠) .

وجــرت عادة سلاطين المماليك على اقامة حلقات الصيد فى الصحراء الشرقية والصحراء الغربية . فعند خروج السلطان بيبرس الى الشام سنة ٦٦١ هـ / ١٢٦٣ م أخذ يمارس الصيد فى أثناء الطريق، فضرب حلقة بالعــريش قوامها ثلاثــة آلاف فــارس كلهــم من خواصه (١١١) .

وعند خروجه للصيد فى الصحراء الغربية ٦٦٨هـ / ١٢٧٠ م ركب فى الحراريق الى الطرانة ثم دخل البرية وضرب حلقة امتدت حتى الأسكندرية (١١٢) ، وسار السلاطين الذين خلفوه على هذه القاعدة .

---

(١٠٩) حسن الباشا : الفنون الاسلامية والوظائف على الآثار العربية جـ ١ ص ٣٨٩ .

السيد الباز العرينى : المماليك ص ٢٥٥ ، المقريزى : الخطط جـ ٣ ص ٣٥٩ .

(110) Polior. A. N. : The influence of Ghingiz – Than's yasa upon The General Organisation of The Mamluk State.

(Bulletin of The School of oriental and African studies vol. x 1942 pp. 862 — 877).

(١١١) المقريزى : السلوك جـ ١ ص ٤٨٠ — ٤٨١ .

(١١٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهــرة جـ ٧ ص ١٤٧ .

فى الخطط الحــربية :

ويشير أحد الباحثين الى أن المماليك قلدوا المغــول فى خططهم الحربية ، فقد قامت خطة الحرب عند المغول على استخدام الكشافة ، وهى طائفة من الجند تسير على مسافة من مقدمة الجيوش ، ومهمتها مراقبة العدو بعد أن تتخذ من التدابير والوسائل ما يكفل عــدم احساس العدو بحــركاتها ، ويليهم فــرقة من الفــرسان يركبــون البراذين (١١٣) ، ويتخذون اماكنهم فى مقدمة الجيش وعلى المجنبتين ، ومهمتهم مباغتة العدو بارسال وابل من ســهامهم عليه حتى يقــع الاضطراب بين صفوفه ، فاذا انتهى هؤلاء من عملهم ، وجد العدو نفسه مشتبكا فى صراع عنيف مع الفرسان المدرعين الذين يتخذون مواضعهم فى قلب الجيش ، ويعتمدون فى قتالهم على استخدام السيوف، وفى كل هذه العمليات يحرص المغول على استدراج عدوهم الى المكان الذى يختارونه للايقاع به فيتظاهرون بالانسحاب من موضعهم حتى يطمع العدو فيهم ، حتى اذا اطمأن المغول الى أن عدوهم ابتعد عن قواعده الأصلية اوقعه فى الكمين الذى نصبه له (١١٤) .

فى الفنــون والعمارة :

كذلك أثر المغول على الفن المعمارى المصرى فى عصر المماليك فمن التأثيرات المعمارية المغولية على دولة المماليك ظهور نوع من القبابيعرف بالقباب السمرقندية ومن أمثلتها قبة مدفن صرغتمش وقبة التــربة السلطانية ، وقبة يونس الدوادار بباب الوزير ، وتشبه هذه الأمثلة القباب السمرقندية ومن أمثلتها قبة تيمــور لنك ٨٠٥ هـ / ١٤٠٥ م

---

(١١٣) التركى من الخيل أو الدابة : الرازى : مختار الصحاح ، المنجــد .

(١١٤) Grousset, Rene : L'Empir des Steppes Paris 1948 284 — 285.

السيد الباز العرينى : المماليك ص ٢٥٣ ، المغول ص ٥٦ ، اسماعيل عبد العزيز الخالدى العالم الاسلامى والغزو المغولى ص ٣٨ ، فؤاد عبد المعطى الصياد : المغول فى التاريخ ص ٢٦٠ وما بعدها .

المعروفة بجوار أمير بسمرقند . وتمتاز القباب السمرقندية برقبتها الطويلة التى يقل قطـرها عن قطـر البدن نفسه . ويبدأ تكوير القبة من الداخل ابتداء من عقد شباك الرقبة ، بينما يبدأ من الخارج على مسافة كبيرة من عتب الشباك المذكور (١١٥) .

وقد اختلف العلماء بشأن هذا النوع من القباب فمنهم من ذكـر أن شيوعه فى بلاد المغول قبل شيوعه فى مصر يؤكد أن هذا الطراز نقل من هناك الى هنا (١١٦) .

ومنهم من ذكر أن خصوبة مصر ورغد العيش فيها ثم بعدها عن أخطار المغول جعل منها خير ملجأ يتوفر فيها الأمن والعيش فهاجـر اليها كثير من مسلمى الفرس وعرب العراق والشام فى ق ٧ هـ / ١٣ م مما جعل تأثيرات معمارية وزخرفية تظهـر فى مصر فى ذلك القـرن والذى يليه .

ومن أمثلة ذلك النهايات العليا من النوع البصلى واسـتخدام الخوذة المفصصة التى تشبه العمامة والتى تكسوها زخرفة خزفية خضراء بأعلى مئذنتى جامع الناصر محمد بن قلاوون بالقلعة ٧٣٥ هـ/ ١٣٣٥ م ، واستخدام الزخارف المعروفة بالدالات فى احدى هاتين المئذنتين ، يدل على توافـد تأثيرات مغولية على مصر ، وهو الشـكل الذى نراه فى بعض القباب التى شيدت فى ذلك العهد مثل قبتى التربة السلطانية (١١٧) .

---

(١١٥) زكى حسن : فنون الاسلام ص ١٥٤ ، حسن عبد الوهـاب : تاريخ المساجد الاثرية .

(١١٦) محمود أحمد : تاريخ العمارة الاسلامية (مدرسة صرغتمش — مجلة الهندسة السنة ١٤ — العدد الاول — أول يناير ١٩٣٤ م) .

(١١٧) فريد شافعى : العمارة العربية فى مصر الاسلامية ص ٢٢٨، السيد عبد العزيز سالم : التاريخ والمؤرخون العرب (بيروت ١٩٨١ م) ص ١٦٣ صالح لمعى مصطفى التراث المعمارى الاسلامى فى مصر ص ٣٥ ، ١٥٥ .

ومما يؤكد هجرة المعماريين والفنانين ما ذكر من أن مهندس خانقاة بيبرس الجاشنكير كان مغوليا (١١٨) •

كما قام معمار تبريزى ببناء منارتى مسجد قوصون على مثال منارة (جوهـر على شاه) فى تبرير وزيـر الملك المغولى الفـارسى أبـو سعيد (١١٩) ، وكان هذا النوع من القباب هـو الشكل المفضل فى بلاد التركستان وفارس وميزوبوتاميا (بلاد ما بين النهرين) ثم انتقل الى مصر •

ومما لا شك فيه أن وجود هذه الروابط قد سـاعد على تبـادل التأثيرات المعمارية والفنية بين البلاطين المغولى والمملوكى يؤكد ذلك أمـرين :

أولا : ماذكره المقريزى فى حوادث سنة ٦٨٦ هـ / ١٢٨٧ م من أن السلطان المنصور قلاوون جهز « هدية سنية الى بركة ومبلغ ألفى دينار برسم عمارة جامع قرم وأن تكتب عليه ألقاب السلطان ، وجهز حجار لنقش ذلك وكتابتها بالأصباغ » (١٢٠) •

ويدل هذا النص على انتقال التأثيرات المملوكية الى العمارة المغولية وانتقال الكثير من العناصر المعمارية والزخرفية الأسيوية الى القاهرة المملوكية وتزدان الفنون التطبيقية والعمارة المملوكية بالكثير من هذه العناصر مما يؤكد وجودها •

فى الألقـــاب :

ومن التأثيرات المغولية أيضا على دولة المماليك هو انتقال كثير من الألقاب المغولية الى المماليك مثل •

---

(١١٨) محمود أحمد : مدرسة صرغتمش •

(١١٩) Lane — Pool (S) : Art of The Saracens in Egypt. (Reprint — Beirut) p. 236.

(١٢٠) المقريزى : السلوك جـ ١ ق ٣ ص ٧٣٨ ، حيـاة حجـى : العلاقات بين دولة المماليك ودولة مغول القفجاق ص ١٥ حوليات : كلية الآداب ـ جامعة الكويت الحولية الثانية ـ الرسالة الثامنة فى التـاريخ ١٩٨١ م

أغــا : وكلمة أغا أصلها أقا وهى من كلمات اللغة المغولية ، ومعناها الأخ الأكبر (١٢١) ، ولمـا كان الاخ الاكبر وفق نصوص الياسا (١٢٢) ، له سلطان على أخوته صارت كلمة أقا تدل على رئيس الأسرة كلها .

وانتقل هذا اللقب الى دولة المماليك فأصبح المشرفين على دور الحريم يسمون أغاوات (١٢٣) ، وخاصة فى العصر المملوكى العثمانى .

ومن الألقاب المغولية التى انتقلت الى دولة المماليك أيضا لقب **خاقان** : الذى كان يطلق على الرئيس الأعلى لدولة المغول (١٢٤) ، ثم انتقل الى دولة المماليك فصار من الألقاب الفخرية التى يتلقب بهـا سلاطين المماليك فتلقب به السلطان الأشرف قايتباى ٨٧٢ — ٩٠١ هـ / ١٤٦٨ — ١٤٩٦ م (١٢٥) ، فوجد بين ألقابه فى نقش بتاريخ سنة ٨٥٥هـ فى وكالة باب النصر ، وفى نقش آخــر فى وكالة السروجية ، وفى نقش ثالث بصيغة النسبة « الخاقانى » فى نص بتاريخ ٩٠١ هـ فى ضريح الأمير يعقوب شاه (١٢٦) .

ويشير أحد الباحثين الى أن تلقب قايتباى بهذا اللقب (خاقان) يشير الى السيادة على العرب والعجم والترك (١٢٧) .

كذلك كانت هناك ألقاب مشتركة بين ســلاطين المماليك وقانـات

---

(١٢١) رشيد الدين : جامع التواريخ م ٢ ج ١ ص ٤٨ حاشية ، ج ٢ ص ٩ .

(١٢٢) انظــر : فؤاد عبد المعطى الصياد : المغول فى التاريخ ص ٢٤٣ .

(١٢٣) حسن الباشا : الفنون الاسلامية والــوظائف على الآثــار العــربية ج ١ ص ٣٦ .

(١٢٤) فؤاد عبد المعطى الصياد : المغول فى التاريخ ص ١٩ حاشية ٢ .

(١٢٥) انظــر : ترجمته فى الشوكانى : البدر الطالع ج ٢ ص ٥٥ ترجمة رقم ٣٧٧ .

(١٢٦) انظــر : حسن الباشا : الالقاب الاسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار ص ٢٧١ — ٢٧٣ .

(١٢٧) المرجع السابق : نفس الصفحة .

(خاقان) المغول مثل لقب الحضرة وهو لقب يدل على زيادة فى التوقير والاحترام لهم (١٢٨) ، بالاشارة الى مكانه بدلا من اسمه .

ومن الألقاب المشتركة أيضا بين المماليك والمغول لقب .

طرخان (ترخان) وهم الأمراء الذين أقعدهم المـرض أو كبر السن عن أداء واجباتهم الحربية (١٢٩) ، فهذا اللقب يفيد امتياز حامله بالاعفاء من كل التكاليف ، فهو لايدفع نصيبا مما يغنم فى الحرب ، ويدخل على الملك وقت ما يشـاء ، ولا يتعـرض لحسـاب اذا وزر وازره (١٣٠) .

فى الـوظائف :

ومن أهم التأثيرات المغولية على دولة المماليك هو قيام السلطان الملك الظاهر بيبرس بسلوك مسلك ملوك المغول فى مملكته من شعائر الملكة واستحداث بعض الوظائف « فعمل ما أمكنه من ذلك ورتب أشياء كثيرة لم تكن قبل ذلك بمصر »(١٣١) ، فمن الوظائف التى استحدثها بيبرس اقتباسا من ملوك المغول وظيفة :

أمير سـلاح :

ولم تكن هذه الوظيفة تعرف قبل ذلك بمصر ، وأمير سلاح هو أمير السلحدارية والمشرف على السلاح خاناه أو مخازن الأسلحة بما فيهـا من أدوات وأسلحة ، وبأمـره كانت تدخل اليها الأسلحة وتخـرج منها وتحفظ بها ، وكان له دور رئيسى فى المراسيم السلطانية ، اذ كان

---

(١٢٨) حسن الباشا : الالقاب ص ٢٦٠ — ٢٦٤ .

(١٢٩) السيد الباز العرينى : المماليك ص ١٩٥ .

(١٣٠) رشيد الدين الهمذانى : جامع التواريخ م ٢ جـ ٢ ص ١٧ حاشية ١ .

(١٣١) ابن اياس : بدائع الزهور جـ ١ ص ٣٢٣ ، ابو المحاسن : النجـوم الزاهـرة جـ ٧ ص ١٨٣ ، المقريزى : الخطط جـ ٢ ص ٢٢١ .

يتولى حمل سلاح السلطان فى المجامع العامة (١٣٢) ، ويناول السلطان آلة السلاح فى الحرب ويوم عيد الأضحى (١٣٣) .

وأصبحت وظيفة أمير سلاح من الوظائف العسكرية الكبيرة فى عصر المماليك اذا اعتبرها القلقشندى الوظيفة الخامسة بين كبرى الوظائف التى يشغلها عسكريون فى القصر السلطانى (١٣٤) ، ثم علت درجتها حتى اعتبرها خليل الظاهرى ثانية الوظائف العسكرية بحيث صارت تلى مباشرة وظيفة أتابك العسكر أو الأمير الكبير (١٣٥) ، وكان يعين لها دائما أمير مائة مقدم ألف (١٣٦) .

ومن الوظائف التى اقتبسها الظاهر بيبرس من ملوك المغول وظيفة :

أمير مجلس :

وكانت مهمة أمير مجلس القيام بترتيب مجلس السلطان (١٣٧) ، وأن يدبر أمر حراسته وازداد قربة منه حتى أصبح يحرسه فى داخل قصره (١٣٨) ، وحجرة نومه ، وكان يقوم أيضا بالتحدث على الأطباء والكحالين والجرائحيين والمجبرين ومن شاكلهم (١٣٩) ، وربما امتد

---

(١٣٢) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٤ ص ١٨ ، المقريزى : الخطط جـ ٢ ص ٢٢٢ ، حسن الباشا : الفنون الاسلامية والوظائف جـ ١ ص ٢٢٥ — ٢٢٧ .

(١٣٣) ابن اياس : بدائع الزهور جـ ١ ص ٣٢٣ ، عبد المنعم ماجد : نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم فى مصر : جـ ٢ ص ٥٠ .

(١٣٤) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٤ ص ١٤ — ٢٩ .

(١٣٥) خليل بن شاهين الظاهرى : زبدة كشف الممالك ص ١١٤ .

(١٣٦) حسن الباشا : الفنون الاسلامية والوظائف جـ ١ ص ٢٢٦ .

(١٣٧) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٥ ص ٤٥٥ ، السيوطى : حسن المحاضرة جـ ٢ ص ص ٨٥ .

(١٣٨) حسن ابراهيم حسن ، على ابراهيم حسن : النظم الاسلامية ص ٢١٣ .

(١٣٩) ابن اياس : بدائع الزهور جـ ١ ص ٣٢٣ ، حسن الباشا : الفنون الاسلامية جـ ١ ص ٢٦٠ .

عمله الى ذلك نظرا للدور الذى يقوم به هؤلاء فى المحافظة على صحة السلطان ووقايته ، ولـم يكن فى بلاط السـلطان غير أمـير مجلس واحد (١٤٠) ، فقط وكان يختار دائما من بين أمـراء المئين مقـدمى الألوف (١٤١) ، وكانت وظيفته جليلة أكبر قدرا من أمير سلاح (١٤٢) .

كما اقتبس الظاهر بيبرس من نظم المغول أيضا وظيفة .

رأس نوبة النوب :

وهى وظيفة عظيمة أكبر من أمير سلاح وأمير مجلس ، ويجعلها خليل بن شاهين الظاهرى الوظيفة السادسة بين الوظائف الكبرى التى يشغلها عسكريون من طبقة أمـراء المئين مقدمى الألوف فى حضرة السلطان المملوكى(١٤٣) ، وكان يجلس عن ميسرة السلطان فوق أمير مجلس (١٤٤) ، وكان عددهم أكثر من خمسة وعشرون ، ومهمتهم حراسة السلطان وقت خروجه فى المواكب (١٤٥) ، وكان أعلاهم يتمتع بمكانة كبيرة فى بلاط السلطان ، وكان يسمى بالأخ أو الجناب الكبير ، وهو الواسطة بين المماليك والسلطان ، وكانت حراستهم للسلطان ليل نهار ، ولكى لا يغفلوا عن حراسة السلطان كان السلطان يأمر أن يخـرج لهم الطعام من القصر كل ساعة فى الليل وأطباق الحلوى والمـاء البارد، وان كان البعض الآخـر يتشاغل بلعب الشـطرنج أو القـراءة فى المصـاحف (١٤٦) .

---

(١٤٠) القلقشندى : صبح الاعشى ج ٤ ص ١٨ .

(١٤١) القلقشندى : صبح الأعشى ج ٨ ص ٢٢٩ ، خليل بن شاهين الظاهـرى : زبدة كشف الممالك ص ١١٤ .

(١٤٢) ابن اياس : بدائع الزهور ج ١ ص ٣٢٣ .

(١٤٣) خليل بن شاهين الظاهرى : زبدة كشف الممالك ص ١١٤ ، السيوطى : حسن المحاضرة ج ٢ ص ٨٥ .

(١٤٤) ابن اياس : بدائع الزهور ج ١ ص ٣٢٤ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهـرة ج ٧ ص ١٨٥ .

(١٤٥) عبد المنعم ماجد : نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم فى مصر ج ٢ ص ٥٣ .

(١٤٦) عبد المنعم ماجد : نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم فى مصر ج ٢ ص ٥٤ .

ومن الوظائف التى استحدثها السلطان الظاهر بيبرس أيضا على طريقة ملوك المغول وظيفة :

أمير اخـــور :

وآخور كلمة أعجمية وهى مزود الفرس الذى يأكل فيه (١٤٧) . وموضوع أمير آخور : النظر فى الأصطبل السلطانى ومعالف الخيول وكانت وظيفة من الوظائف الخطيرة فى السلم والحرب ، فعليه أن يكون مستعدا دائما لسفر السلطان أو انتقاله فى ليل أو نهار . وأن يعد موكب السلطان حسب ماجرت به العــادة . وأن يحصل ماتدعو الحاجة اليه وبالاضافة الى ذلك عليه أن ينظـر فى جميع الاصطبلات السلطانية والجشارات وخيل البريد والركائب المعدة للسفر الطويل وبهائم الركوب والبهائم المرسومة للاطلاق ، والمعدة لمماليك الطباق ، وخيل التلاد وما يجلب من قواد العرب ويجبى من البلاد والمشترى مما يباع من المواريث ويستعرض من الأسواق ، وما يعد للمواكب والسباق ، وعليه أيضـا أن يقوم بتثمين الخيول المشتراه ، وأن يستعين فى ذلك بأهل الخبـرة ، وأن يشرف على ما يصرف من العليق للخيول السلطانية ، أو لمن يمنحه السلطان ، وعليه صرف البراسيم السنوية حسب أوامر السلطان ، وكان من سياسته أن يحسن علاقته بأمراء العربان ، وأن يعاملهم بالحسنى حتى يضاعف رغبتهم فى كل عام ، فيحضروا الدواب من مراعيهم ، كما عليه أن يعنى ببغال الكوسات والأعلام وأبغال الخزانة حتى يعـدها لمـا يجد من ملمات الحرب ، وعليه أن يرتبها فى مواقفها . وفضلا عن ذلك عليه أن يعنى بقماش الاصطبلات السعيدة من الذهب والفضـة والحرير وأن يحفظها من التلف والضياع . ويحرص على توفيرها حسب الضرورة (١٤٨) ، ويبدو أن الأمير آخوريه فى عصر المماليك كانوايقيمون

---

(١٤٧) السيد أدى شير : الالفاظ الفارسية المعربة ، ابن اياس : بدائع الزهور جـ ١ ص ٣٢٤ ابو المحاسن : النجوم الزاهـرة جـ ٧ ص ١٨٣ — ١٨٥ .

(١٤٨) السبكى : معيد النعم ص ٩٩ — ١٠١ ، القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٤ ص ١٩ ، جـ ١١ ص ١٧٠ — ١٧٢ ، جـ ١٢ ص ١٧٨ .

عادة بالرميلة وكانت تعرف باسم بـــاب السلسلة ، وباب الاصطبل وباب الميدان (١٤٩) ، كما اقتبس الظاهــر بيبرس فى دولة المماليك من المغول وظيفة :

أمير جانـــدار :

واسم هذه الوظيفة يتألف من ثلاث كلمات ، أمير العربية ، وجان الفارسية والتركية ومعناها الروح ، ودار الفارسية ومعناها ممسك ،أى الأمير الممسك للروح (١٥٠) ، وكان من مهامه الاشراف على الزردخاناه وهو معتقل أرفع قدرا من السجن ولا تطول به مدة المعتقل ، أما الافراج أو القتل ، وكان هو الذى يتولى تنفيذ العقوبة والقتل حسب رغبـــة الســـلطان ، ومن هنا أطلق عليه أمير جانـــدار أى الأمير الممســك للـــروح (١٥١) .

ومن مهامه القيام على حراسة السلطان فى المجلس ومعه المسمون البردارية أو بردارية ، كذلك يحرس السلطان فى الخروجات عن طريق من يسمون الركبدارية أو الركابدارية أو الركابية (١٥٢) ، أى الـــذين يركبون الخيل وهم يحملون أيضا آلات السلطان وأشعرته ، فيـــكون الأمير جندار على رأسهم ، كما يحرسه فى القصر عن طريق من يسمون الجندارية أو جاندارية (١٥٣) ، الذين بلغ عدد رؤسائهم عشرة أمراء

---

(١٤٩) حسن الباشا : الفنون الاسلامية والوظائف على الآثار العربية جـ ١ ص ١٧٧ .

(١٥٠) عبد المنعم ماجد : نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم فى مصر جـ ٢ ص ٤٨ حاشية ٥ .

(١٥١) حسن الباشا : الفنون الاسلامية والوظائف جـ ١ ص ١٩٦ .

(١٥٢) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٤ ص ٧ ، المقريزى : السلوك جـ ١ ق ٢ ص ٤٤٠ .

(١٥٣) خليل بن شـاهين الظاهـــرى : زبدة كشف الممالك ص ١١٠ .

جندارية وربما يقوم أيضا بحراسة حريم السلطان عن طريق فرقة اسمها « الحرامانية » أى رجال الحريم (١٥٤) .

كما اقتبس الظاهر بيبرس من المغول وظيفة .

نقابة الجيش (١٥٥) :

وكانت مهمة نقيب الجيش القيام بجمع الجند عند الطلب واعلامهم بالمهمات المطلوبة منهم ، وتفقد أحوالهم فى جميع الأوقات ، وكان من مهمته أيضا التكفل باحضار من يطلبه السلطان من الأمراء وأجناد الحلقة ونحوهم ، والترسيم على من يطلب الترسيم عليه ، وكان يتجدث على عدد من النقباء ، كما كان يحلى الجند فى المواكب (١٥٦) .

ويبدو أن هذه الوظيفة قد صارت فى القرن ٩هـ / ١٥ م مصدر ظلم عظيم اذ يذكر المقريزى أن نقيب الجيش قد صار عباره عن كبير من النقباء المعدين لترويع خلق الله تعالى وأخذ أموالهم بالباطل على سبيل القهر عند طلب أحد الى باب الحاجب ، وكانوا يستولون على أموال الناس بحجة حق الطريق وبذلك كانوا أحد أسباب خراب الاقليم (١٥٧) .

وفى أواخر عصر المماليك كان يشغل هذه الوظيفة من بامره أو بغير امره(١٥٨) ، كما اقتبس الظاهر بيبرس من المغول وظيفة :

---

(١٥٤) انظر عبد المنعم ماجد : نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم فى مصر جـ ٢ ص ٤٩ .

(١٥٥) ابن اياس : بدائع الزهور جـ ١ ص ٣٢٤ .

(١٥٦) القلقشندى : صبح الاعشى جـ ٤ ص ٢٢ ، عبد المنعم ماجد : نظم دولة سطين المماليك جـ ٢ ص ٥ .

(١٥٧) المقريزى : الخطط جـ ٢ ص ٢٢٣ .

(١٥٨) خليل شاهين الظاهرى : زبدة كشف الممالك ص ١١٥ ، حسن الباشا : الفنون الاسلامية والوظائف جـ ٣ ص ١٢٩٨ — ١٣٠٠ .

أمير علـــم :

وكـانت مهمتــه هــى الاشراف على الأعــلام الســـلطانية والطبلخاناة (١٥٩) ، وموظفيها وأدواتها وآلاتهــا من طبول وأبواق والتصرف فى أمرها ، وكان من مهمته أيضا الوقوف على الطبلخاناه عند ضربها فى كل ليلة ، وتولى أمرها فى السفر ، والاحتياط عليها فى الحرب، وحث العسكر على الاقدام والمبارزة أو الكف حســب مايقتضــيه الحال (١٦٠) ، وكان من يتولى هذه الوظيفة عسكريا برتبة أمير عشرة ، ولكنها صارت بعد ذلك يشغلها أحيانا قوم بغير أمره (١٦١) .

ويذكر ابن اياس أن الملك الظاهــر هو أول من أحدث البوقات والطبول (١٦٢) كما اقتبس الظاهر بيبرس أيضا من المغول وظيفة :

الدوادار (١٦٥) :

وهى لفظه فارسية معربة ، تعنى من يحمل الدواة للسلطان ، ولذلك كان رنكة المقلمة ، وكان عمله تبليغ أوامر السلطان الى من يريد بالحضور، ويقدم اليه كل ما تؤخذ عليه علامة السلطان سواء فى رد المظالم أو منح الاقطاعات ، ويحمل اليه البريد ، حيث كان له نائب فى عمله الأخير اسمه حامل المزرة ، لأنه كان يحمل البريد فى خريطة أى كيس اسمها المزرة ،

---

(١٥٩) أى بيت الطبل ، وكان يشمل على الطبول والأبواق وتوابعها من الآلات انظر : القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٤ ص ١٣ .

(١٦٠) السبكى : معيد النعم ص ٣٧ .

(١٦١) خليل بن شاهين الظاهرى : زبدة كشف الممالك ص ١١٥ ، حسن الباشا : الفنون الاسلامية والوظائف جـ ١ ص ٢٤٢ ، ٢٤٣ .

(١٦٢) ابن اياس : بدائع الزهور جـ ١ ص ٣٢٤ .

(١٦٣) ابو المحاسن : النجوم الزاهــرة جـ ٧ ص ١٨٥ ، المقــريزى: الخطط جـ ٢ ص ٢٢٢ ، القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٤ ص ٢٣ ، جـ ٨ ص ٢٢٩ .

ولكثرة مهامه عين معه عدد من الخاصكية بلغ عشرة أو أكثر دوادار ثان وثالث .. ، وان كان يقال له « أمير دوادار الكبير » ولوظيفته الدوادارية الكبرى (١٦٤) .

فى تنظيم البـــريد :

وتشير المصادر الى وجود نظام بريد متقدم عند المغول فكان لهم ما يقرب من سبعا وثلاثين دارا للبريد (١٦٥) ، ولما كانت الحروب الهائلة ضد الصليبيين فى عهد الأيوبيين ، وضد المغول فى أوائل عهـــد المماليك قضت على تقدم هذا النظام الذى عرفه المسلمون منذ العهـــد الأموى وأوقفت تطوره ، ولكن مالبث أن ظهـــر نظام البريد فى مصر فى عهد السلطان بيبرس بشكل لم يعرف به من قبل ، فقد اقتبس تنظيمات المغول فى هذا الشأن (١٦٦) ، فقد جعله بيبرس نظاما سلطانيا وسماه البريد المنصور ، وجعله يتناول أمورا عديدة ، كنقل المراسلات الادارية والدبلوماسية والأوامر الحربية ، وارسال الامراء الى السجن ، واخبار السرقة وجرائم القتل ، وكل كبيرة وصغيرة .

وكانت خيل البريد تدمغ بعلامة مثلما كان متبعا عند المغول ، كما كان البريد يحمل علامة خاصة يتميز بها عبارة عن لوحة مدوره ، منقوش على أحد وجهيها عبارات دينية ، وعلى الوجه الآخر اسم السلطان أو

---

(١٦٤) عبد المنعم ماجد : نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم فى مصر جـ ٢ ص ٤٦ .

(١٦٥) انظـــر : الهمذانى : جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيز خان من أو كتابى قاآن الى تيمور قاآن) ترجمة فؤاد عبد المعطى الصياد ، ومراجعه يحيى الخشاب ص ٦٠ ، السيد الباز العرينى : المغـــول ص ٦٢ ، فؤاد عبد المعطى الصياد : المغول فى التاريخ ص ٢٤١ .

(١٦٦) ابن اياس : بدائع الزهور جـ ١ ص ٣٢٤ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهـــرة جـ ٧ ص ١٨٦ حسن الباشا : الفنون الاسلامية جـ ١ ص ٢٩٧ ، عبد المنعم ماجد : نظم دولة سلاطين المماليك جـ ١ ص ٦٠ .

نائب المملكة المتوجهة منها ، فهى أشبه بالعملة المنقوشة الخاصة بالدولة، التى عليها عبارة دينية واسم السلطان أيضا ومكان نقشها ، مما يبين طابعها الحكومى ، فكان البريدى يجعلها فى شرابه من الحرير الأصفر فى عنقه اذ الأصفر هو لون أعلام السلطان ، ليتميز عن لون شعار الخليفة الأسود (١٦٧) .

ومثل هذا النظام فى حمل لوحات البريد وجد أيضا عند المغول وعرفت باسم بيزة Paiza (١٦٨) .

فى العـــادات :

كذلك انتقلت بعض العادات المغولية الخاصة بالاطعمة والأشربة الى دولة المماليك ، فقد انتشر بين المماليك عادة أكل لحم الخيل الذين تعودوا على أكلها فى بلاد أصولهم ، وقد كان المماليك يشربون الخمر سرا وجهرا ، ومن أشهر أنواع الخمور القمز أو القراقمز (١٦٩) ، وهو اللبن الحامض وهو فى الأصل عبارة عن ألبان الافراس ، توضع فى قراب ، ثم تخض وتترك حتى تخمر فتصبح صالحة للشرب ، وتكون لهـا خاصية الخمر ، وهذا النوع من الخمر كان معروفا للمماليك فى موطنهم الأصلى بلاد التتار (١٧٠) ، وكان شربها من شعائر المملكة فى

---

(١٦٧) انظـر : القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٤ ص ١٨ — ١٩ ، ١٨٧ — ١٨٨ ، جـ ٨ ص ٢٢٧ ، ج ١٤ ص ٣٦٦ — ٣٩٧ ، نظير حسان سعداوى : نظام البريد فى الدولة الاسلامية (١٩٥٣) .

(١٦٨) عبد المنعم ماجد : نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم فى مصر جـ ١ ص ٦٢ .

(١٦٩) القمز نبيذ يعمل من لبن الخيل ، واللفظ تترى الأصل ، وقد كان السلطان بيبرس شغفا بهذا النوع من الشراب . انظـر المقريزى : كتاب السلوك جـ ١ ق ٢ ص ٦٠٧ حاشية ٢ . Dozy : Supp'Dict, At.

(١٧٠) رشيد الدين الهمزانى : جامع التواريخ (خلفاء جنكيز خان) ص ٦٠ .

عهد السلطان برقوق ، فكانت تجتمع الأمراء فى الميدان الذى تحت القلعة فى كل يوم أحد ويوم أربعاء ويشربوا مع السلطان القمز .

ولكن يشير ابن اياس الى أن تلك العادة بطلت مع جملة ما بطل من شعائر المملكة وأن آخـــر من كان يصنع ذلك الملك الظاهر برقوق (١٧١)، وأخيرا يتضح لنـــا من هذا العــرض السابق كيف أثـــرت العنـــاصر المغولية التى وفدت الى مصر تأثيرا كبيرا على المجتمع المصرى عامة وفئة الحكام المماليك خاصة فى العادات والتقاليد والنظم السياسية والحربية والدواوين والأحكام فضلا عن الفنون والعمارة .

دكتور / عبد العزيز محمود عبد الدايم
جامعة القـــاهرة

---

(١٧١) ابن اياس : بدائع الزهور جـ ١ ق ٢ ص ٣٩٣ .

القسطنطينية فى ضوء كتابات
الجغرافيين والرحالة المسلمين

دكتورة / ليلى عبد الجواد اسماعيل
كلية الآداب ــ جامعة القاهرة

مقـــــدمة

لم تكن القسطنطينية ــ عاصمة الدولة البيزنطية ــ مقرا تركزت فيه ادارات الحكومة البيزنطية فحسب ، بل كانت الى جـــانب ذلك مدينة لها مكانتها الدينية بوصفها معقل الكنيسة الارثوذكسية الشرقية ومقـــر بطارقة تلك الكنيسة وزعمائها . هذا فضلا عن كونها ســـوقا عظيمة تتدفق عليها الاموال والتجار ، وفوق هذا وذاك ظلت القسطنطينية لقرون عديدة درعا للامبراطورية البيزنطية ، وحصنا حصينا لحضارتها . لذلك لا عجب ان غدت القسطنطينية محط انظار كثير من الجغرافيين والرحالة المسلمين فى العصور الوسطى.

واذا كانت كتب الجغرافيين والرحالة المسلمين تمدنا بفيض هائل من المعلومات الهامة عن العديد من مدن الدولة البيزنطية وعلى رأسها مدينة القسطنطينية ، فان كتب المسالك التى وضعها الجغرافيون المسلمون فى العصور الوسطى لا تقتصر على شرح جغرافية تلك المدينة وتحديد مساحتها وموقعها والطرق المؤدية اليها والمحطات الممتدة على هـــذه الطرق فحسب ، بل تطلعنا أيضا على حياة أهل القسطنطينية وعاداتهم واحوالهم وطباعهم وغير ذلك .

من ذلك ان كتب الرحالة المسلمين تحوى اوصافا لاسوار مدينة القسطنطينية وأبوابها ، ومراكز الحياة الرئيسية فيها ممثلة فى القصر الامبراطورى وكنيسة آيا صوفيا وميـــدان الســـباق (الهبـــدروم

Hippdrome) هذا فضلا عن الحـديث عن اسواقها وشوارعهـا وكنائسها واديرتها وقناطـر المياه بهـا •

وجدير بالذكر ان أول وصف قيم لمدينة القسطنطينية فى كتابات الجغرافيين المسلمين جاء على لسان « هارون بن يحيى » (١) الذى وقع فى أسر جماعة من أهل اطاليا Attaleia بأسيا الصغرى ، وساقوه الى القسطنطينية ، وأقام بها بعض الوقت (٢) ، وقيل انه وصل اليها فى عهد الامبراطور باسل الاول (٨٦٧ — ٨٨٦ م) وقيل فى عهد الاسكندر (٩١٢ — ٩١٣ م) • ويقدم لنا وصـف هـارون بن يحيى لمـدينة القسطنطينية مادة طيبة وشيقة لطوبوغرافية القسطنطينية ، فقد تحدث هارون عن القصر الامبراطورى واحتفالات البلاط ، كما تحدث عن كنيسة آيا صوفيا والاحتفالات الدينية التى تجرى فيها ، وموكب الامبراطور اليها ، كذلك تحدث هارون عن ميدان السباق ودوره فى حياة أهل القسطنطينية •

ومن الجغرافيين المسلمين فى القرن الثالث الهجرى / التاسـع الميلادى الذين كتبوا عن مدينة القسطنطينية كل من ابن خرداذبة (٣) ، وابن فقيه الهمذانى (٤) ، اما عن ابن خرداذبة فقد تحدث عن مـوقع مدينة القسطنطينية ، وعن أسوارها وأبوابها وبطارقتها وكبار موظفيها وديوانها وخراجها وعطاء جندها ، هذا الى جانب أسواقها وكنائسها (٥)•

---

(١) حفظ رواية هارون بن يحيى الجغرافى ابن رستة . انظـر الاعلاق النفيسة ، ص ١١٩ — ١٣٠ . طبعة ليدن ١٨٩١ م .

(٢) كراتشكوفسكى ، تاريخ الادب الجغرافى العربى ، ص ١٣٥ . وانظـر ايضا حامد زيان ، الاسرى المسلمون فى بلاد الروم ، ص ١٠.

(٣) عن ابن خرداذبة انظـر كراتشكوفسكى ، تاريخ الادب ، ص ١٥٥ — ١٥٨ .

(٤) عن ابن فقيه الهمذانى انظـر كراتشكوفسكى ، المرجع السابق ، ص ١٦٢ — ١٦٤ : بلاشر ، منتخبات من آثار الجغرافيين فى القـرون الوسطى ، ص ٧٠ .

(٥) ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، طبعة بريل ١٨٨٩ ، ص ١٠٠ — ١٠٣ ، ١٠٩ — ١١٢ .

واستمد ابن خرداذبة كثيرا من معلوماته عن القسطنطينية وغيرها من المدن البيزنطية من الثقاه وممن لهم دراية ومعـرفة بالروم أو البيزنطيين ، وعلى رأس هؤلاء (مسلم بن ابى مسلم الجرمى) الذى كان كما يذكر المسعودى (٦) : « ذا محل فى الثغور ، ومعرفة بأهل الروم وأرضها ، وله مصنفات فى اخبار الروم وملوكهم وذوى المراتب منهم . وبلادهم وطرقها ومسالكها ، وأوقات الغزو اليها والغارات عليها » . ولذلك تعتبر مصنفات الجرمى مصدرا هاما للغاية فى معـرفة المسلمين بالدولة البيزنطية وعاصمتها ، ويمكن القول بأن مادته قد تناقلها جميع الجغرافيين المتأخرين حتى القرن الثالث عشر فى جميع ارجاء العـالم الاسلامى (٧) .

أما ابن فقيه الهمـذانى فقد اسـتمد كثيرا من معلوماتـه عن القسطنطينية والقصر الامبراطورى من أحد سفراء الدولة العباسية الى القسطنطينية ويدعى « عمارة بن حمزة » الذى ذكر مراسـم الدخول على الامبراطور فى قصره ، والممرات التى اجتازها حتى وصل الى العرش الامبراطورى ، وتحدث ابن فقيه أيضا عن اعوان الامبراطور وموظفيه وديوانه ، وخراج الروم ، والسلسلة التى تغلق ميناء القسطنطينية ، كما ذكر الصفات التى اتصف بها أهل القسطنطينيةوتحدث عن طبائعهم (٨) .

وفى القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى زار القسطنطينية الرحالة والجغرافى والمؤرخ المعروف المسعودى (٩) ، وقدم لنا معلومات

---

(٦) المسعودى ، التنبيه والاشراف ، ص ١٩٠ — ١٩١ .

(٧) كراتشكوفسكى ، تاريخ الادب ، ص ١٣٥ ، وانظـر ايضـا حامد زيان ، الاسرى المسلمون ، ص ٥٦ — ٦٢ .

(٨) ابن فقيه الهمذانى ، مختصر كتاب البلدان ، ليدن ١٣٠٢ هـ ، ص ١٣٦ — ١٤٩ .

(٩) عن المسعودى ومؤلفاته انظـر : نقولا زيـادة ، الجغرافيـة والرحلات عند العرب ، ص ١٥٢ — ١٥٧ : كراتشكوفسكى ، تاريخ الادب ، ص ١٧٧ — ١٩٠ .

طبية عن تأسيس مدينة القسطنطينية ، وعرض لاباطرتها ومن خلال عرضه هذا تحدث عن المجامع المسكونية التى عقدت فيها ، وتلك التى شاركت فيها مــدينة القســطنطينية . وكان لقــراراتها تــأثير على كنيستها (١٠) .

أما القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى فقد حفل بالعديد من الجغرافيين الذين كتبوا عن القسطنطينية ومن هؤلاء ، قدامة بن جعفر (١١) ، وابن حوقل (١٢) ، والمقدسى (١٣) ، وأغلب الظن ان المعلومات التى يوردها قدامة عن بيزنطة ترجع الى الجرمى خاصــة وانه توجد من بينها اشارات الى أوقات الاغارات على بيزنطة (١٤) . على أية حــال فقد تحدث قــدامة عن جيوش القسطنطينية وعددهــا وترتيبهــا واقسامها .

أما ابن حوقل فقد فصل للهيئة الحاكمة ، ومناصب كبار موظفى الدولة ، ونظام الضرائب المعمول به فى القسطنطينية ، وعــرض لاهم الضرائب ومنهــا ضريبــة الموقــد أو المنــازل ، بل وحدد ابن حوقل قيمة هذه الضريبة (١٥) .

وذكر المقدسى فى بداية حديثه عن القسطنطينية الاسباب التى دفعت المسلمين الى وصف الطرق المؤدية اليها ، كما تحدث عن دار

---

(١٠) المسعودى ، مروج الذهب ، جـ ١ ، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ، بيروت ١٩٨٢ ، ص ٣١٧ — ٣٣٨ ، التنبيه والاشراف ، طبعة ليدن ١٩٦٧ ، ص ١٤٢ — ١٥٩ ، ١٧٢ .

(١١) عن قدامة بن جعفر وكتابه الخراج انظــر : كراتشكوفسكى ، تاريخ الادب ، ص ١٦٥ — ١٦٦ ، بلاشر ، منتخبات ، ص ٥٣ — ٥٤ .

(١٢) عن ابن حوقل انظــر : كراتشكوفسكى ، المرجع السابق ، ص ٢٠٠ — ٢٠٢ ، شوقى ضيف ، الرحلات ، ص ١٢ — ١٣ .

(١٣) عن المقدسى ، انظــر : كراتشكوفسكى ، تاريخ الادب ، ص ٢٠٨ — ٢١١ ، شوقى ضيف ، الرحلات ، ص ١٥ — ١٦ .

(١٤) كراتشكوفسكى ، تاريخ الادب ، ص ١٣٤ .

(١٥) ابن حوقل ، صورة الارض ، بيروت ١٩٧٩ ، ص ١٧٨ — ١٨٣ .

البلاط التى خصصت لكبار السفراء والاسرى المسلمين ، وتحدث المقدسى كذلك عن اسواق القسطنطينية واسعار السلع بها وغير ذلك (١٦)٠

وفى القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى ظهرت كتابات البكرى (١٧) الذى روى فى كتابه المسالك والممالك — وخاصة فى الجزء الخاص بأوربا وبلاد الاندلس — الكثير عن مدينة القسطنطينية وكنيستها العظمى ، وموكب الامبراطور الى تلك الكنيسة ويبدو انه اعتمد اعتمادا اساسيا على ماجاء فى كتابات ابن رستة (١٨) ٠

ثم زار القسطنطينية فى القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى الرحالة العربى أبو الحسن الهروى (١٩) ، وذلك فى عهد الامبراطور البيزنطى مانويل كومنين (١١٣٤ — ١١٨٠ م) ، وتحدث الهروى بالتفصيل عن المنارات التى تشتهر بها مدينة القسطنطينية ، كما ذكر قبر أبى أيوب الانصارى وجامع مسلمة بن عبد الملك (٢٠) ٠

كذلك زار القسطنطينية فى غضون ذلك القرن وفى عصر اسرة كومنين — الجغرافى الادريسى (٢١) ، الذى عرض لاسوار المدينة وخليجها ، ووصف ميدان السباق ، والعروض التى كانت تجرى

---

(١٦) المقدسى ، احسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم ، ليدن ١٩٦٧ ، ص ١٤٧ — ١٤٨ ٠

(١٧) عن البكرى انظر كراتشكوفسكى ، تاريخ الادب ، ص ١٩٠ — ١٩١ ، بلاشر ، منتخبات ، ص ١٨٣ — ١٨٥ ٠

(١٨) البكرى ، جغرافية الاندلس واوربا من كتاب المسالك والممالك ، تحقيق عبد الرحمن على الحجى ، بيروت ١٩٦٨ ، ص ١٩٢ وما يليها ٠

(١٩) عن الهروى انظر : نقولا زيادة ، الجغرافية والرحلات عند العرب ، ص ١٦٣ — ١٦٦ ٠

(٢٠) انظر الهروى ، الاشارات الى معرفة الزيارات ، تحقيق جانين سوزديل — طومين ، دمشق ١٩٥٣ م ص ٤٩ ، ٥٦ ٠

(٢١) عن الادريسى انظر : بلاشر ، منتخبات من آثار الجغرافيين ، ص ١٩٠ ، ١٩٢ ، شوقى ضيف ، الرحلات ، ص ١٩ — ٢٠ ٠

بداخلـه (٢٢) .

ومن جغرافى القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى الذين كتبوا عن مدينة القسطنطينية الجغرافى محمد بن زكريا القزوينى (٢٣) ، وعرض القزوينى فى كتابه « آثار البلاد وأخبـار العباد » لـمدينة القسطنطينية ، فتحدث عن قصر الامبراطور والكنيسة الخاصة به ، وعن منارات القسطنطينية ، وقبر ابى أيوب الانصارى ، وبراعة أهل المدينة فى فن التصوير واعتقادهم فى الخرافات (٢٤) .

ويعد ابن سعيد المغربى من جغرافى القرن السـابع الهجـرى كذلك ، وقد تحدث ابن سعيد عن تأسيس قسطنطين لمدينته ، كما حدد موقع المدينة بالنسبة لخطوط الطول والعرض (٢٥) .

واذا كان الجغرافيون المسلمون قد كتبوا عن مدينة القسطنطينية فى القـرن السابع الهجـرى / الثالث عشر الميلادى ، فانه لم يزورها أى من الرحالة المسلمين خلال هذا القرن ، ويرجع السبب فى ذلك الى ان القسطنطينية سقطت فى ايدى الصليبيين فى بدايات هذا القـرن (٦٠١هـ / ١٢٠٤ م) ، والحقوا بهـا الدمار والخراب ، ولكن ما لبث ان استعادها البيزنطيون فى عام (٦٦٠هـ / ١٢٦١ م) (٢٦) . وعندئذ بدأ الرحالة المسلمون يترددون عليها من جديد ، ويدونون ما شاهدوه

---

(٢٢) الادريسى ، نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ، طبعة رومـا ١٩٧٧ ، ص ٨٠١ — ٨٠٤ .

(٢٣) عن القزوينى ، انظـر كراتشكوفسكى ، تاريخ الادب الجغرافى ، ص ٣٦٠ — ٣٦٧ .

(٢٤) القزوينى ، آثار البلاد ، ص ٤٠٦ — ٤٠٨ ، طبعة جوتين ١٨٤٨ م .

(٢٥) ابن سعيد ، بسط الارض فى الطول والعرض ، تحقيق خوان فرنيط انطوان ١٩٥٨ م ، ص ١١٧ .

(٢٦) لمزيد من التفاصيل عن سقوط القسطنطينية انظـر : ليلى عبد الجواد ، السياسة الخارجية للمملكة اللاتينية فى القسطنطينية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، القاهرة ١٩٨٠ م ، ص ٣٢ — ٣٥ .

فيها ، وذلك فى بدايات القرن الثامن الهجـــرى / الرابع عشر الميلادى، ولاحظ المؤرخ والجغرافى ابو الفدا (٢٧) آثار التدمير والتخريب الذى حل بالمدينة على ايدى الصليبيين ، وعبر عن ذلك بقوله : « .. وبالمدينة خراب كثير » (٢٨) .

كذلك زار القسطنطينية فى القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى شيخ الرحالة المسلمين وهو « ابن بطوطة » (٢٩) وذلك فى النصف الاول من ذلك القرن ، ومكث بها شهرا وستة أيام ، واحتفى به خلالها الامبراطور البيزنطى وخلع عليه ، وأمر له بفـــرس ، وعلق ابن بطوطة على ذلك بقوله : « ومن العادات عندهم ان الذى يلبس خلعة الملك ، ويركب فرسه يطاف به فى اسواق المدينة بالابواق والطبـــول ليراه الناس .. لئلا يؤدى ... فطافوا بى فى الاسواق » (٣٠) .

وعندما تحدث ابن بطوطة عن مدينة القسطنطينية ذكر اقســـام المدينة ، ووصف كنيستها العظمى ، والمانستارات (أى الاديرة والزوايا) التى تنتشر حول المدينة ونشاط الرهبان والراهبات بها ، كما تحـــدث ابن بطوطة عن قاضى القسطنطينية ، وعن اسواقها (٣١) .

---

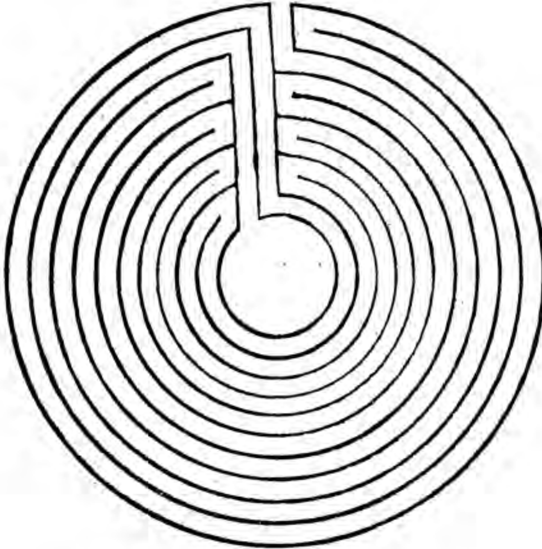
(٢٧) عن ابى الفدا انظـــر بلاشر ، منتخبات ، ص ٢٩٠ — ٢٩٢ .

(٢٨) ابو الفدا ، تقويم البلدان ، طبعة باريس ١٨٤٠ م ، ص ٢١٣ .

(٢٩) عن ابن بطوطة انظـــر : نقولا زيادة ، الجغرافية والرحلات ، ص ١٨٧ — ١٩٠ ، شوقى ضيف ، الرحلات ، ص ٩٥ — ٩٨ .

(٣٠) انظر ابن بطوطة ، تحفة النظار فى غرائب الامصار وعجائب الاسفار ، طبعة بيروت بدون تاريخ ، ص ٢٣٣ — ٢٣٧ .

(٣١) ابن بطوطة ، نفس المصدر ، ص ٢٣٢ — ٢٣٧ .



صورة القسطنطينية كما رسمها القزوينى
آثار البلاد ، ص ٤٠٦

قسطنطين وتأسيس القسطنطينية :

تحدث الجغرافيون والرحالة المسلمون عن تاريخ القسطنطينية فذكروا الامبراطور قسطنطين (٣٠٦ — ٣٣٧م) مؤسس تلك المدينة ، وعرفوه بقولهم : « هو قسطنطين بن قسطنس (٣٢) ، يعرف بامه هيلانى واليها ينسب » (٣٣) . اما عن تشيده لمدينة القسطنطينية فذكروا :

(٣٢) ويطلق عليه القزوينى « قسطنطين بن سويروس صاحب رومية » آثار البلاد ، ص ٤٠٦ .

(٣٣) هيلانى والدة قسطنطين ولدت فى آسيا الصغرى ، وتزوجها قسطنطين او عشقها وانجبت له قسطنطين عام ٢٧٤ ، ثم هجرها لأسباب سياسية سنة ٢٨٩ أو ٢٩٢ ، واعتنقت المسيحية وعملت على رفع شأنها .
انظر حسنين ربيع ، دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ٢٦ .

« انه ملك برومية ، ثم انتقل منها الى بوزنطيا (٣٤) ، وبنى مدينة القسطنطينية فى الموضع المعروف بطابلا من صقع بوزنطيا هذه ، وبالغ فى تحصينها واحكام بنائها ، وجعلها دار مملكة له » (٣٥) .

ومن الطريف ان المسعودى يذكر سبب اختيار قسطنطين لبيزنطة بصفة خاصة ليشيد على خرائبها مدينة القسطنطينية فيقول : « وكان له فى بنائها خبر طريف مع بعض ملوك برجان (٣٦) .. فاحتال قسطنطين على ملك برجان لعلمه بالموضع وحصانته حتى اذن له فى بنائها ، وما يذم من خصالها وهوائها ومائها وتربتها ، وان الخيل لا تنزو بها ولا تصهل لما يلحقها من الزبو لنداوة البلد وعفونته » (٣٧) .

يتضح من ذلك ان موقع بيزنطة كان عاملا اساسيا فى اختيار قسطنطين لها لتكون مدينته الجديدة .

أما الجغرافى أبو طالب الدمشقى فيضيف سببا آخر فيقول : « ان قسطنطين لما استقر ملكه رغب عن سكنى رومية لسبب أن

---

(٣٤) بوزنطيا او بيزنطة مستوطنة يونانية ، اقامها جماعة من سكان مدينة ميجارا اليونانية ، وتنسب الى القائد بيزاس Byzas . وقد اختار قسطنطين هذه المستوطنة القديمة ذات الموقع الممتاز ليشيد عليها عاصمته الجديدة . انظر : بريس « القسطنطينية فى عصر جستنيان » مقال فى موسوعة تاريخ العالم ، م ٤ ، ص ٣١٣ ، ربيع ، دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ٣١ — ٣٢ ، احمد زكى ، قاموس الجغرافية القديمة ، ص ٢٦ — ٢٧ ،

Janin (Constantinople) dans Dict. d'histoire et Geographie Ecclesiastiques, T. 13. pp. 626 — 27.

(٣٥) انظر ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص ١٠٤ ، المسعودى : مروج الذهب ، جـ ١ ، ص ٣١٧ ، التنبيه والاشراف ، ص ١٣٧ ، البكرى : جغرافية الاندلس واوربا ، ص ١٩٣ — ١٩٤ .

(٣٦) برجان بلد من نواحى الخزر ، بينها وبين القسطنطينية خمسة عشر يوما .

لمزيد من التفاصيل انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، م ٢ ، ص ١١٠ ، المسعودى : اخبار الزمان ، ص ٧٤ — ٧٥ .

(٣٧) المسعودى : التنبيه والاشراف ، ص ١٤١ — ١٤٢ ، وانظر ايضا ابن سعيد المغربى : بسط الارض ، ص ١١٧ .

ارجان ومن يجاورهم .. من الامم كانوا يتخطفون اطراف بلاده التى كانت مجاورة لهم » (٣٨) .

وهذا يعنى ان روما لم تعد عاصمة آمنة ، مما دفع قسطنطين الى البحث عن عاصمة أخرى مأمونة ، ولذلك بنى مدينة القسطنطينية .

والمعروف ان قسطنطين قد شرع فى بناء مدينته الجديدة فى عام ٣٢٤ م ، وتم البناء فى عام ٣٣٠ م ، واحتفل قسطنطين فى ١١ مايو من نفس العام بتدشين مدينته ، واطلق عليها اسم « روما الجديدة » تشبها لها بروما القديمة ، ولكن رعاياه فضلوا ان يطلقوا عليها اسم القسطنطينية نسبة الى مؤسسها (٣٩) ، وفى ذلك يذكر الجغرافيون والرحالة المسلمون انها « سميت باسمه أو اضيفت الى اسمه » (٤٠) .

ويذكر المسعودى بشأن تسمية المدينة : « ان الروم يسمونها بولن (أى المدينة) واذا ارادوا العبارة عنها انها دار الملك لعظمها قالوا : استن بولن (٤١) ولا يدعونها القسطنطينية ، وانما العرب تعبر عنها بذلك » (٤٢) .

---

(٣٨) ابو طالب الدمشقى : نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر ، ص ٢٥٩ .

(٣٩) رنسيمان : الحضارة البيزنطية ، الترجمة العربية ، ص ٦ ، جيبون : اضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها ، ج ١ ، ص ٥٠٥ — ٥٠٦ .

ولمزيد من التفاصيل حول تشييد القسطنطينية وافتتاحها أنظر : أومان : الامبراطورية البيزنطية ، الترجمة العربية ، ص ١٦ — ١٧ ، حسنين ربيع : دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ٣١ — ٣٢ ، وسام عبد العزيز : دراسات فى تاريخ وحضارة الدولة البيزنطية ، ص ١٣ — ١٥ ،

Ebersolt, Constantinople Byzantine, pp. 11 — 12.

(٤٠) المسعودى : التنبية والاشراف ، ص ١٣٨ ، ياقوت ، معجم البلدان ، م ٤ ، ص ٣٤٧ .

(٤١) استن بولن Eis tên Polin وتعنى فى اللغة اليونانية « الى المدينة » ، ثم صارت استنبول Stanpol اى مدينة الملك .

(٤٢) المسعودى : التنبيه والاشراف ، ص ١٣٨ — ١٣٩ .

ويبدو ان تسمية القسطنطينية باستنبول قد جاءت من تسمية الروم (البيزنطيين) لها (باستن بولن) ويؤكد ذلك ماذكره الجغرافيون والرحالة المسلمون المتأخرون كياقوت وابى الفدا وابن بطوطة ، فقد اطلق هؤلاء على مدينة القسطنطينية اسم استنبول أو اصطنبول ، فذكر ياقوت ان « القسطنطينية واسمها اصطنبول هى دار ملك الروم »(٤٣)، وذكر أبو الفدا : « ان القسطنطينية هى اصطنبول تقع على الخليج»(٤٤) اما ابن بطوطة فقد قسم المدينة قسمين ، واطلق على أحد القسمين اسم اصطنبول ، وذكر ان فيه « سكنى الامبراطور وارباب دولته وسائر الناس » (٤٥) . كذلك يذكر الجغرافى ابو طالب الدمشقى ان الروم تسميها اصطنبول » (٤٦) .

جغرافية القسطنطينية من خلال كتابات الجغرافيين المسلمين :

وتشمل مساحة المدينة وموقعها والطرق المؤدية اليها . اما عن مساحتها فقد حددها الجغرافيون والرحالة المسلمون فذكروا : ان قسطنطينية مدينة عظيمة اثنا عشر فرسخا فى اثنى عشر فرسخا ، وفرسخهم على ماذكر ميل ونصف ، وهذا يعنى ان طول المدينة تسعة أميال وعرضها تسعة أميال . وعلى هذا تصبح استدارتها أو قطرها ثمانية عشر ميلا (٤٧) .

واتفق تحديد المسلمين هذا لاستدارة القسطنطينية مع ما ذكره

---

(٤٣) ياقوت : معجم البلدان ، م ٤ ، ص ٣٤٧ .

(٤٤) ابو الفدا : تقويم البلدان ، ص ٣٢ .

(٤٥) ابن بطوطة : تحفة النظار ، ص ٢٣٣ .

(٤٦) ابو طالب الدمشقى : نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر ، ص ٢٥٩ .

(٤٧) ابن رستة : الاعلاق النفيسة ، ص ١١٩ ، الادريسى : نزهة المشتاق ، ص ٨٠١ .

وانظر ايضا ابن خرداذبة : المسالك ، ص ١١٣ — ١١٤ ، البكرى : جغرافية الاندلس وأوربا ، ص ١٩٤ ، ابن الوردى : خريدة العجايب ، ص ٧٧ ، الحميرى : الروض المعطار ، ص ٤٨٢ .

الرحالة اليهودى بنيامين التطيلى الذى زار القسطنطينية فى القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى وذكـــر ان « اســـــتدارة القسطنطينية ثمانية عشر ميلا » (٤٨) •

ومن الجدير بالذكر ان استدارة القسطنطينية أو قطرها فى بداية عهدها كانت ميلين ، ولكن مالبثت ان اتسعت بفضل التجديدات التى طرأت عليها (٤٩) ، حتى بلغت ثمانية عشر ميلا كما ذكر الجغرافيون المسلمون •

أما عن موقع القسطنطينية فقد حدد ابن سعيد موقع المدينة من حيث خطوط الطول والعرض فذكر « والقسطنطينية حيث الطول ٤٩ درجة وخمسين دقيقة ، والعــرض فى آخــر الاقليم السادس ٤٥ درجة » وذكر ابن سعيد كذلك ان طولها فى جغرافية بطليموس ٥١ درجة والعــرض ٤٤ درجة و١٥ دقيقة » (٥٠) •

وتحتل القسطنطينية موقعا جغرافيا ممتازا فهى تطل على البحــر من ثلاث جهات هى الشمال والشرق والجنوب ، ولا يمكن الوصــول اليها برا الا من جهة واحدة ولم تغب هذه الحقيقة عن الجغرافيين والرحالة المسلمين فقد ذكروا : « ان مدينة القسطنطينية مثلثه الشكل جانبان منها فى البحر والجانب الثالث منها مما يلى البــر » (٥١) كما ذكروا « ان لها ثلاثة نواح فى البحر والناحية الرابعة مما يلى البــر ، والبــر من الجهة الغربية » (٥٢) •

---

(٤٨) بنيامين التطيلى : الرحلة ، ص ٧٨ .

(٤٩) جيبون : اضمحلال الامبراطورية ، جـ ١ ، ص ٤٩٩ .

(٥٠) ابن سعيد : بسط الارض ، ص ١١٧ .
وانظر أيضا أبو الفــدا ، تقويم البلدان ، ص ٣٤ .

(٥١) الادريسى : نزهة المشتاق ، ص ٨٠١ ، ابن الوردى ، خريدة العجايب ، ص ٧٦ ، الحميرى : الروض المعطار ، ص ٤٨١ .

(٥٢) ابن رستة : الاعلاق النفيسة ، ص ١١٩ ، ١٣٠ ، ابن خرداذبة: المسالك ، ص ١١٢ ، ابن سعيد ، بسط الارض ، ص ١١٧ .

وافاض الجغرافيون المسلمون فى ذكر خليج (٥٣) القسطنطينية ، وهو المعروف باسم « مضيق البوسفور (٥٤) والــذى تطل عليــه القسطنطينية من الشرق والشمال وحددوا طول هذا الخليج وعرضه فذكروا : « ان لها (أى للقسطنطينية) خليج من البحر يطيف بها من وجهين مما يلى الشرق ومما يلى الشمال (٥٥) ، وهو خليج مالح يعرف بخليج القسطنطينية (٥٦) ، أو بالخليج القسطنطينى (٥٧) ، ويأخــذ هذا الخليج من بحــر بنطس (٥٨) ، وماؤه يجــرى على القسطنطينية، ويتضايق عندها حتى يصب فى بحــر الروم » (٥٩) .

واختلف الجغرافيون فى تحديد طول هذا الخليج فذكر كل من ابن خرداذبة والادريسى ان طول الخليج من بحــر بنطس الى مصبه

---

(٥٣) الخليج نهر فى شق من النهر الأعظم وجناحا النهر خليجاه ، وقيل ايضا الخليج نهر يقطع من النهر الاعظم الى موضع ينفع به ، والخليج كذلك شرم من البحر ، وجمع خليج خلج وخلجان .
انظر ميخائيل عواد : « المآصر فى بلاد الروم والاسلام » مجلة المقتطف (يناير ١٩٤٥ م) ، ص ٦٠ .

(٥٤) معنى البوسفور « ممر الثور » وهو يسمى عند الترك بمــا ترجمته « بوغاز البحر الاسود » وبوغاز آيجى وبوغاز اســتانبول .
انظر : احمد زكى : قاموس الجغرافية القديمة ، ص ٢٣ .

(٥٥) ابن خرداذبة : المسالك ، ص ١٠٤ ، المسعودى ، التنبيــه والاشراف ، ص ١٣٩ ، مروج الذهب ، ج ١ ، ص ٣٢٠ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، م ٤ ، ، ص ٣٤٧ ، أبو الفــدا ، تقويم البلدان ، ص ٢٠٠ .

(٥٦) الاصطخرى ، مسالك الممالك ، ص ٦٩ .

(٥٧) ابو الفــدا ، تقويم البلدان ، ص ٣٤ .

(٥٨) أطلق عليه المسعودى اسم مايطس وعرفه بالبحر الخزرى ، كما اطلق عليه بحرنيطش ، اما ابن خرداذبة فاطلق عليه اسم (بحر بنطس) ويجىء من بحر الخزر ، اما ابو الفــدا فقد عرفه ببحر القرم وبالبحــر الاسود وبالبحر الارمنى . انظر المسعودى : التنبيه ، ص ١٣٩ ، مروج ج ١ ، ص ١٢٠ ، ابن خرداذبة ، المسالك : ص ١٠٣ ، أبو الفــدا ، تقويم البلدان ، ص ٣١ — ٣٢ ، ٣٤ .

(٥٩) ابن خرداذبة : المسالك ، ص ١٠٣ — ١٠٤ ، أبو الفــدا : تقويم البلدان ، ٣١ — ٣٢ ، ٣٤ .

فى بحـــر الشام ثلثمائة ميل وعشرون ميلا » (٦٠) فى حين يذكـــر كل من المسعودى والحميرى « ان طول هــذا الخليج نحو من ثلثمائة ميل وخمسين ميلا بين هذين البحرين وهما البحر الرومى ومانطس (الاسود) وقيل أقل من ذلك (٦١) أما أبو الفدا فذكر « أن بين فم الخليج عند بحـــر الروم وبين فمه عند بحـــر القرم سبعين ميلا وهـــو طول الخليج القسطنطينى جنوبا وشمالا » (٦٢) •

وحدد الجغرافيون المسلمون كذلك عرض الخليج عند البحـــر الاسود حيث منبعه فذكر كل من ابن خرداذبة والادريسى « ان عرض الخليج عند فوهته ستة اميال » (٦٣) فى حين ذكر المسعودى ان عرضه عند منبعه عشرة أميال » (٦٤) وحدد الرحالة ابن بطوطة « عرض الخليج مائيه ويابسه باثنى عشر ميلا » (٦٥) • أما عن عرض الخليج عند مدينة القسطنطينية فقد قدره الجغرافيون باربعـــة اميال (٦٦) •

وعن حركة الماء فى هذا الخليج وتياراته المائية يذكر المسعـــودى نقلا عن أهل التحصيل ــ وكانوا قد دخلوا الى خليج القسطنطينية ، وساروا فيه مسافة بعيدة ــ انهم وجدوا الماء فى هذا الخليج يقـــل

---

(٦٠) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص ١٠٤ ، الادريسى : نزهة المشـــتاق ، ص ٨٠٤ .

(٦١) المسعودى : مروج ، جـ ١ ، ص ٣١٩ ، جـ ٤ ، ص ٢١٧ ، التنبيه والاشراف ، ص ١٣٩ ، الحميرى : الروض المعطار ، ص ٢٢١ .

(٦٢) أبو الفـــدا : تقويم البلدان ، ص ٣٤ .

(٦٣) ابن خرداذبة : المســـالك ، ص ١٠٣ ، الادريسى : نزهـــة المشتاق ، ص ٨٠٤ .

(٦٤) المسعودى : مروج الذهب ، جـ ١ ، ص ٣١٩ . وانظر ايضا النويرى : نهـــاية الارب ، جـ ١ ، ص ٢٢٦ .

(٦٥) ابن بطوطة : تحفة النظار ، ص ٢٣١ .

(٦٦) ابن خرداذبة : المسالك ، ص ١٠٣ ، المسعودى : مروج ، جـ ١ ، ص ٣١٩ ، الادريسى : نزهة المشتاق ، ص ٨٠٤ ، الحمـــيرى : الروض المعطار ، ص ٢٢١ .

فى أوقات من الليل والنهار ويكثر كالمد والجزر » (٦٧) ٠

وإذا كان هذا الخليج يحيط بمدينة القسطنطينية من ناحيتى الشرق والشمال فانه يكون فى الشمال اشبه بالمنجل أو بقرن غزال ، ويعـرف فى التاريخ باسم « القرن الذهبى » (٦٨) وبه ميناء محصن بسلسلة موضوعة فى مدخله لحماية المدينة من هجوم اى اسطول معاد ، ولتنظيم حركة الملاحة فى مياهها الاقليمية ، ولسفنها التجارية واساطيلها الحربية (٦٩) ٠ وتحدث الجغرافيون المسلمون عن هذه السلسلـة فذكروا ان على الخليج سلسلة ممتدة تفتح وتغلق فى عمودى حديد من هذا الجانب الى ذلك الجانب وهو باب الخليج (٧٠) ٠ ولا تسـمح هذه السلسلة بعبور سفن البحر الا بأذن وعلامة مثل المأصر (٧١) ، وانفرد ابن حوقل بان ذكر « ان عليها مرصد » (٧٢) ٠

ولا شك ان المرصد من متممات أمور المأصر البحرى ، فعنده ترتبط السلاسل بالاقفال ، وفيه يجلس صاحب القفل يرقب السفن القادمة والمبحرة (٧٣) ٠

---

(٦٧) المسعودى : مروج ، ج ١ ، ص ٣٢٠ . وانظر ايضا الحميرى : الروض المعطار ، ص ٢٢١ .

(٦٨) يعبر لفظ ذهبى عن الثروة التى تدفقت على القسطنطينية من اقصى الأرض الى ثغر المدينة الواسع الآمن ، لأن الميناء كان واسـعا عميقا مناسبا جدا لعملية الشحن والتفريغ حيث يندر فى هذا المكان المـد والجـزر .

أنظر جيبون : اضمحلال الامبراطورية الرومانية ، ج ١ ، ص ٤٩٣ .

(٦٩) انظر العدوى : الامويون ، ص ١٥٠ ، محمود سعيد عمران : معالم تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ٢٩ .

(٧٠) ابن فقيه : مختصر كتاب البلدان ، ص ١٤٥ — ١٤٦ ، ابن خرداذبة : المسالك ، ص ١٠٤ ، المسعودى : التنبيـه والاشراف ، ص ١٤١ .

(٧١) الاصطخرى : مسالك الممالك ، ص ٦٩ ، ابن حوقـل : صورة الارض ، ص ١٨٣ .

(٧٢) ابن حوقل : صورة الارض ، ص ١٨٣ .

(٧٣) ميخائيل عـواد : « مآصر خليج القسـطنطينية » ، مجلة المقتطف (يونيو ١٩٤٤ م) ، ص ٥٠ .

ويبدو ان السلسلة التى كانت تغلق الميناء قد رفعت من خليج القسطنطينية وزال اثرها قبل القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى ، ويتضح ذلك مما ذكره النويرى (ت ٧٣٢ هـ) عند حديثه عن خليج القسطنطينية فى عبارته التالية : « ويقال انه كان بين الشطين سلسلة طرفاها فى برجين تمنع المراكب من العبور الا بـأذن الموكل بهـا » (٧٤) .

أما عن الطرق المؤدية الى القسطنطينية فقد كانت هناك دوافـع قوية دفعت المسلمين الى معرفة تلك الطرق ، ويوضح المقدسى هـذه الدوافع بجلاء فى قوله : « ان للمسلمين بها دارا » (٧٥) يجتمعون فيها ويظهرون الاسلام بها ... ورأيت ان اذكر الطرق اليها لحاجة المسلمين الى ذلك وقصدهم فى شراء الاسارى والرسالات والغـزو والتجارات » (٧٦) . ولذلك أهتم الجغرافيون المسلمون بوصف الطرق التى تؤدى الى القسطنطينية سواء كانت طرق بحرية أم برية .

فبالنسبة للطريق البحرى ذكـر « هارون بن يحيى » انه سبى وحمل الى القسطنطينية على طريق البحر فى المراكب من عسقلان، فساروا ثلاثة أيام حتى بلغوا مدينة يقال لهـا انطالية (٧٧) وهى مدينة على ساحل بحـر الروم — ثم حملوا منها على البريد مسيرة ثلاثة أيام فى الجبال والاودية والمزارع حتى ينتهى بهم الى مـدينة

---

(٧٤) النويرى : نهاية الارب ، جـ ١ ، ص ٢٢٦ .

(٧٥) لعل المقدسى يقصد بهذه الدار هنا دار البلاط التى كان ينزل بها كبار الشخصيات الاسلامية من سفراء واسرى وعن هذه الدار انظر ما يلى ص .

(٧٦) المقدسى : احسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم ، ص ١٤٧ .

(٧٧) عن انطالية يذكر الاصطخرى انها حصن للروم على شـط البحر ، منيع واسع الرستاق ، كثير الاهل .

انظر المسـالك ، ص ٦٩ . وانظر أيضا ياقوت : معجم البلدان ، م ١ ، ص ٣٥٩ ، الحميرى : الروض المعطار ، ص ٣٩ .

يقال لها نقية (٧٨) — وهى مدينة عظيمة بها ناس كثير — حتى انتهوا بعد ثلاثة أيام الى مدينة يقال لها سنقـــرة وهى مدينة صغيرة فى صحراء ملساء — قال ثم خرجنا مشاة •• حتى انتهينا الى البحـــر مقـــدار يومين ، ثم ركبنا البحـــر فسرنا مقدار يوم حتى انتهينا الى مدينـــة قسطنطينية » (٧٩) •

كما وصف ابن حوقل طريقا آخـــر بحـــريا للوصــــول الى القسطنطينية من احدى مدن الروم وهى مدينـــة كمخ (٨٠) فذكر : « كان من كمخ الى (صارخة) (٨١) يومان (٨٢) ، والـــى مدينـــة (خرشنه) (٨٣) يومان ••• ثم الى (صاغرة) (٨٤) — وهى على نهر الس فعبرناه بمركب ، وسرنا بالمراكب فى البحيرة ستة فراسخ ، وسرنا يوما آخـــر ••• الى مدينة تعرف (بنقموذيه) ، وركبنا منهـــا فى البحر يومين ، وصرنا الى مدينة تعرف (بخلقدونيه) فبتنا بها ، وسرنا فى البحـــر ، فركبنا فى الخليج وصبحنا القسطنطينية » (٨٥) •

ثم حدد ابن حوقل المدة التى استغرقها الطريق من كمخ الـــى القسطنطينية بنحو عشرة أيام (٨٦) •

---

(٧٨) نقية أى مدينة نيقية وعنها انظر ياقوت : معجم البلدان ، م ٨ ، ص ٣٦٠ ، الحميرى : الروض ، ص ٥٨٩ .

(٧٩) ابن رستة : الاعلاق النفيسة ، ص ١١٩ .

(٨٠) كمخ مدينة بالروم وعنها انظر ياقوت : معجم البلدان ، م ٧ ، ص ٧٩ .

(٨١) عن صارخة انظر ياقوت : م ٥ ، ص ٣٣١ ، ابن فقيه الهمذانى : مختصر كتاب البلدان ، ص ١٧٥ .

(٨٢) قدر ابن حوقل مسيرة اليوم الواحد بما يتراوح بين ١٥ و٢٠ بريدا (أى فرسخا) .
انظر صورة الارض ، ص ١٧٨ .

(٨٣) عن خرشـــنة انظر ياقوت : معجم البلدان ، م ٣ ، ص ٤٢٠ .

(٨٤) صاغرة بلد فى بلاد الروم وعنها انظر ياقوت : معجم ، م ٥ ، ص ٣٣٢ .

(٨٥) ابن حوقل ، صورة الارض ، ص ١٧٨ .

(٨٦) ابن حوقل ، نفس المصدر والصفحة .

أما عن الطرق البرية المؤدية الى القسطنطينية فقد ذكرها ابن خرداذبة (٨٧) منها الطريق التالى : « من طرسوس الى العليق اثنا عشر ميلا ثم الى الرهوة ثم الى الجوازت اثنا عشر ميلا ... ثم الى البذندون (٨٨) سبعة أميال ... ثم الى معسكر الملك على حمة لؤلؤة (٨٩) والصفصاف (٩٠) عشرة اميال .. ، ومن معسكر الملك الى وادى الطرفاء اثنا عشر ميلا ... ثم الى نهر هرقلة اثنا عشر ميلا .. ثم الى ربض قونية (٩١) ثم الى عمورية (٩٢) اثنا عشر ميلا (٩٣) ». ويستمر الطريق حتى مدينة القسطنطينية .

أسوار القسطنطينية وأبوابها :

رغم موقع القسطنطينية الحصين اذ يكتنفها البحر من ثلاث جهات ولا تطل على البر الا من جهة واحدة الا انه تم تحصين المدينة بالاسوار القوية مما زاد فى مناعتها وحصانتها . فقد حرص الامبراطور قسطنطين عندما شرع فى بناء مدينة القسطنطينية على أن يبنى لها سور من ناحية البر لحمايتها والدفاع عنها وفى ذلك يذكر الجغرافيون المسلمون : « ان قسطنطين الاكبر ملك برومية ثم انتقل الى بزنطية فبنى عليها سور » (٩٤) . وهذا السور هو المعروف « بسور قسطنطين »

---

(٨٧) انظر المسالك ، ص ١٠٠ — ١٠٣ .

(٨٨) البذندون قرية بينها وبين طرسوس يوم . انظر ياقوت : معجم البلدان ، م ٢ ، ص ٩٤ .

(٨٩) لؤلؤة وهى مفتاح الممر المعروف بأبواب قيليقية ، وتتحكم فى عدة ممرات هامة اخرى . وعنها انظر ليلى عبد الجواد : علاقة دولة الروم بمصر ، ص ١٠ — ١١ .

(٩٠) الصفصاف كورة من ثغور المصيصة ، وعنها انظر ياقوت : معجم البلدان ، م ٥ ، ص ٣٦٨ .

(٩١) عن قونية انظر ياقوت : معجم البلدان ، م ٧ ، ص ١٨٦ .

(٩٢) عن عمورية انظر ياقوت : م ٦ ، ص ٢٢٦ — ٢٢٧ .

(٩٣) ابن خرداذبة : المسالك ، ص ١٠٠ — ١٠١ .

(٩٤) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص ١٠٤ ، البكرى : جغرافية الاندلس واوربا ، ص ١٩٣ — ١٩٤ ، ياقوت : معجم البلدان ، م ٤ ، ص ٣٤٧ .

وكان يمتد من البوسفور الى القرن الذهبى بحيث أصبح قاعدة المثلث الذى قامت عليه القسطنطينية (٩٥) .

ولكن مدينة القسطنطينية لم تلبث ان اتسعت مبانيها وامتدت فوق الميناء من جهة وعلى طول شاطىء بحر مرمرة من الجهة الاخرى، ولذلك كان من الضرورى احداث تغييرات جوهرية فى وضع هذا السور لحماية هذه الضواحى الجديدة من اغارات اعداء الامبراطورية التى لا تنقطع . وبالفعل تم تشييد سور ضخم فى عهد الامبراطور ثيودوسيوس الثانى Theodosius II (٤٠٨ — ٤٥٠ م) امتد برا من بحر مرمرة جنوبا الى القرن الذهبى شمالا ، ويبعد حوالى ميلين غربا من سور قسطنطين (٩٦) .

واسترعى سور ثيودوسيوس هذا انظار الرحالة والجغرافيين المسلمين فوصفوه وصفا دقيقا ، وقالوا عنه : « أن لها (اى للقسطنطينية) حائطان أو سوران من حجارة (٩٧) ، وبين الحائطين فضاء طوله ستون ذراعا ، وعرض السور الداخل (٩٨) اثنتا عشرة ذراعا ، وسمكه اثنتان وسبعون ذراعا ، وعرض السور الخارج (٩٩)

---

(٩٥) جيبون : اضمحلال الامبراطورية ، جـ ١ ، ص ٤٩٨ ، العدوى : الامويون ، ص ١٤٦ .

(٩٦) لمزيد من التفاصيل انظر رنسيمان ، الحضارة البيزنطية ، ص ٣١ — ٣٢ ، جيبون : اضمحلال الامبراطورية ، جـ ١ ، ص ٤٩٨ — ٤٩٩ ،
Van Millingen, Byzantine Constantinople, pp. 40 — 58.
Ebersolt, Constantinople Byzantine, pp. 13 — 14.,
Vasiliev, History of the Byzantine Empire, I, pp. 129 — 130.

(٩٧) ذكر ابن فقيه انهما من رخام ، انظر مختصر كتاب البلدان ، ص ١٥٠ .

(٩٨) شيد السور الداخل انثيموس قائد الحرس البريتورى فى عام ٤١٣ م ، وهو سور المدينة الرئيسى ، ويتخلل هذا السور ستة وتسعون برجا . انظر بريس : « القسطنطينية فى عصر جستنيان » ، موسوعة تاريخ العالم ، م ٤ ، ص ٣١٤ — ٣١٥ .

(٩٩) السور الخارج وهو اصغر من السور الداخل ، وبنى فى عام ٤٤٧ م . انظر بريس : المرجع السابق ، ص ٣١٥ .

ثمان اذرع ، وسمكه اثنتان واربعون ذراعا » (١٠٠) .

يتضح من هذا ان سور ثيودوسيوس كان يتكون فى حقيقة الامــر من سورين متوازيين كما ذكر الجغرافيون والرحالة المســــلمون . ومما زاد فى مناعة هذا السور انه كان امامه خنــدق عنــدما يمتلا بالمياه يزيد فى مناعة هذا السور . وتحدث الجغرافيون المسلمون عن هــذا الخنــدق فــذكروا : « وبــين الحــائطين أو الســــورين نهـــر قســــطنطيانوس (١٠١) ، مــاؤه عــذب يــدور فى المدينة ، يــدخل دورهــم مطبــق بدفــوف النحــاس أو مغطــى ببــلاط نحــاسى : ويشتمل على اثنين واربعين الف بلاطة ... كلمــا هم بهم عدو أو انابهم أمــر رفعت تلك الدفوف أو ذلك البلاط فيصــير بين السورين خندقا لايرام » (١٠٢) .

وهكذا شكل سور ثيودوسيوس بتحصيناته واستحكاماته خط دفاع منيع حال دون اجتياح اعداء الامبراطورية لعاصمتها القسطنطينية .

ولم يغفل الجغرافيون المسلمون الحديث عن اسوار القسطنطينية البحرية اذ كان يحميها من ناحية البحــر أيضا سور تتخلله عدة ابــراج وكان هذا السور اقرب ما يمكن للبحــر حتى لاتكون هناك ارض ينزل

---

(١٠٠) انظر ابن رستة : الاعلاق ، ص ١٣٠ ، ابن فقيه : مختصر كتا بالبلدان ، ص ١٥٠ ، ابن خرداذبة : المسالك ، ص ١١٤ ، ابن الوردى : خريدة العجايب ، ص ٧٨ ، الحميرى : الروض المعطــار ، ص ٤٨٢ .

(١٠١) يطلق عليه ابن فقيه اسم وسطيطابرس ، أما ابن خرداذبة فيسميه « قسطيطالس » . انظر مختصر كتــاب البلدان ، ص ١٥٠ ، المسالك ، ص ١١٤ .

(١٠٢) ابن فقيه : مختصر كتاب البلدان ، ص ١٥٠ ، ابن خرداذبة : المســــالك ، ص ١١٤ ، ابن الوردى : خريدة العجــايب ، ص ٧٨ ، الحميرى : الروض المعطار ، ص ٤٨٢ .

عليها جند العدو (١٠٣) • وعن هذا السور يذكر المسعودى : « فأما ما كان مما يلى الخليج فسور واحد ، وفيه قصر وبواشير وابراج كثيرة » (١٠٤) • وحدد ابن خرداذبة سمك هذا السور الذى يلى البحر « بخمسة اذرع » (١٠٥) •

وحافظ اباطرة القسطنطينية قرن بعد آخر على اسوار المدينة سواء كانت برية أم بحرية ، واضافوا اليها التحصينات (١٠٦) ، ويتضح ذلك من خلال ما ذكره كل من الادريسى (وهو من جغرافى القرن السادس الهجرى) وابى الفدا (وهو من جغرافى القرن الثامن الهجرى) من « انه على القسطنطينية سور كبير حصين ارتفاعه أحد وعشرون ذراعا ، ويحيط به فصيل دائر ارتفاع سمكه مما يلى البر عشرة اذرع ، وارتفاع سمك الفيصل مما يلى البحر أيضا عشرة اذرع » (١٠٧) •

اما عن أبواب مدينة القسطنطينية ، فان المرء يستطيع اجتياز اسوار القسطنطينية وتحصيناتها من خلال عدة أبواب وفى ذلك يذكر المسعودى : « وللقسطنطينية أبواب كثيرة مما يلى البر والبحر »(١٠٨)• وعدد الجغرافيون والرحالة المسلمون أبواب القسطنطينية فذكر ابن

---

(١٠٣) لمزيد من التفاصيل عن الأسوار البحرية انظر رنسيمان : الحضارة البيزنطية ، ص ٣١ — ٣٢ ، ٢١٩ ، بريس : القسطنطينية ، ص ٣١٦ ، فتحى عثمان : الحدود ، جـ ٢ ، ص ٢١٣ .

Ebersolt, Constantinople, p. 14.

(١٠٤) المسعودى : مروج الذهب ، جـ ١ ، ص ٣٢٠ .

(١٠٥) ابن خرداذبة : المسالك ، ص ١٠٤ .

(١٠٦) لمزيد من التفاصيل انظر :

Ebersolt, Constantinoplt, pp. 15 — 16.

(١٠٧) الادريسى : نزهة المشتاق ، ص ٨٠١ ، ابو الفدا : تقويم البلدان ، ص ١١٣ .

وانظر ايضا ابن الوردى : خريدة العجايب ، ص ٧٧ .

(١٠٨) المسعودى : مروج الذهب ، جـ ١ ، ص ٣٢٠ .

فقيه : « ان لهــا ثلاثة أبواب من ذهب ، ولها سبعة أبواب ســوى هذه الثلاثة من نحاس » (١٠٩) .

وقيل ان لهــا ثلاثين بابا (١١٠) . ورغم البعض ــ كما يذكر ابن خرداذبة ــ ان عليها مائة باب صغارا وكبارا » (١١١) .

وخصصت بعض أبواب القسطنطينية للاغراض العسكرية والحربية وذلك لتسهيل خروج المدافعين ودخولهم الى المدينة ، فى حين خصص البعض الآخــر للاغراض المدنية ، ورتبت هذه الابواب على أســاس أن يكون هناك باب حربى يليه فى الترتيب باب مدنى ثم باب حربــى وهكذا . وفى ذلك يذكر ابن خرداذبة : « ولها ابواب كثيرة للحرب »(١١٢) ويذكر هارون بن يحيى ان « لها باب مما يلى الجزيرة يقال له (بيغاس) موضع يتنزه الملك اليه ، وهو باب من حديد » (١١٣) . ويتضح من ذلك ان هناك ابواب خصصت للاغراض الحربية وأخــرى للاغــراض المدنية .

ومن اشهــر ابواب القسطنطينية « باب الذهب » (١١٤) ووصفه

---

(١٠٩) ابن فقيه الهمذانى : مختصر كتاب البلدان ، ص ١٥٠ .

(١١٠) المسعودى : مروج الذهب ، ج ١ ، ص ٣٢٠ .

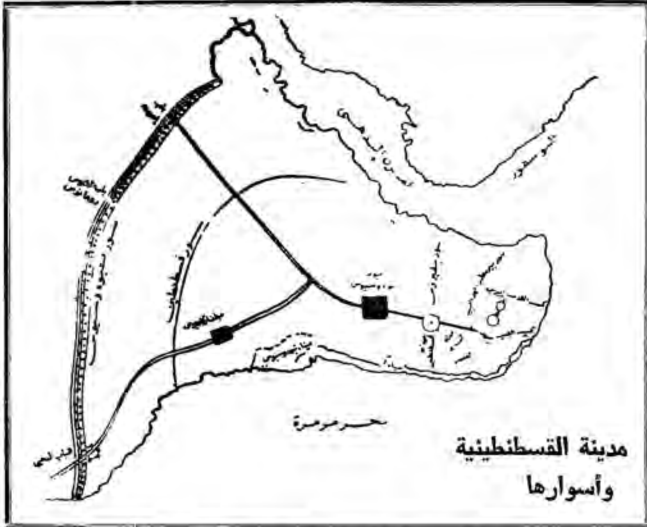
(١١١) ابن خرداذبة : المسالك ، ص ١٠٤ ــ ١٠٥ ، وانظر أيضا البكرى : جغرافية الاندلس وأوربا ، ص ١٩٤ ، الادريسى : نزهــة المشــــتاق ، ص ٨٠١ ، ابن الوردى : خريدة العجــايب ، ص ٧٧ ، الحميرى : الروض المعطار ، ص ٤٨٢ .

(١١٢) ابن خرداذبة ، المسالك ، ص ١٠٤ .

(١١٣) انظر ابن رستة ، الاعلاق النفيسة ، ص ١١٩ .

(١١٤) باب الذهب أو البــوابة الذهبيــــة « Golden gate » وهى المدخل الرئيسى لبحر مرمرة ، شيدهاالامبراطور ثيودوسيوس الكبير (٣٧٩ ــ ٣٩٥ م) تخليدا لذكرى انتصاره على أحد أعدائه ومنافســيه وهو مكسيموس Maximus ، ونجاحه فى القضاء على الثورة التى قام بها ، وذلك فى عام ٣٨٨ م وكانت هذه البوابة أقرب ابواب المدينة لبحر مرمرة ، ويتلوها سائر الابواب الاخرى التى تضمها الاسوار ، وتعد البوابة =

الجغرافيون والرحالة المسلمون بقولهم : « وهو باب مضبب بالحديد المموه بالذهب ، وهو عدة اسوار مما يلى الغرب ، وفيه قصر ، وطوله احدى وعشرون ذراعا » (١١٥) وذكر هارون بن يحيى ان « على جانبه ناس من خدمه ، وعلى الباب تماثيل خمسة على مثال الفيلة وتمثال على صورة رجل قائم قد اخذ بزمام تلك الفيلة » (١١٦) .



حسنين محمد ربيع ، دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ٣٢ .

= الرسمية التى يمر بها الاباطرة عند عودتهم منتصرين . لمزيد من التفاصيل انظر : العدوى : الامويون ، ص ٤٧ — ٤٨ ، فتحى عثمان : الحدود ، ح ٢ ، ص ١٣ ، بريس : القسطنطينية ، ص ٣١٧ ، وانظر ايضا :

Van Millingen, Byzantine Constantinople, pp. 59 — 73., Ebersolt, Constantinople, pp. 15 — 16.

(١١٥) ابن خرداذبة : المسالك ، ص ١٠٤ — ١٠٥ ، المسعودى : مروج الذهب ، ج ١ ، ص ٣٢٠ ، الحميرى ، الروض المعطار ، ص ٤٨٢ .

(١١٦) ابن رستة : الاعلاق النفيسة ، ص ١١٩ .

النظـام الادارى والمـالى :

يمدنا الجغرافيون والرحالة المسلمون بمعلومات قيمة عن الجهاز الادارى فى القسطنطينية ، ويعد مسلم بن ابى مسلم الجرمى (١١٧) ، مصدرا قيما بهذا الشأن ، ونقل عن الجرمى كل من ابن خرداذبة وقدامة ابن جعفـر ، ويتضح من خلال كتاباتهما ان « الامبراطور » يأتى على رأس الجهاز الادارى وهو كما يذكر ابن خرداذبة : « أكبر الروم فى انفسهم واعزه عليهم » (١١٨) ويذكر ابن خرداذبة فى موضع آخـر

« ولباسه الفرفير صنف من الحـرير فيه لمع الى السواد قليلا ، ولا يلبس الفرفير والخف الاحمـر الا الملك » (١١٩) • اما ولى العهـد فمن حقه ان يرتدى فردتى حذاء احدهما حمراء والاخـرى سوداء وفى ذلك يذكر كل من ابن خرداذبة والمسعودى : « ومن ذكـر له الملك أو كان ولى عهد لبس خفا أحمـر وخفا أسود أو فردا أحمر وفـردا اسود » (١٢٠) •

وتحدث ابن خرداذبة عن نظام الحكم بقوله : « ليس الملك فيهم وراثة ولا كتاب متبع وانما هو غلبة » (١٢١) • كما ان منصب الامبراطور لم يكن قاصرا على الرجال دون النساء ويظهـر ذلك بجلاء من عبـارة ابن خرداذبة : « وقد ملكهم رجال ونساء » (١٢٢) •

---

(١١٧) عن مسلم الجرمى انظر ما سبق ص ١٥٣ .

(١١٨) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص ١٠٩ .

(١١٩) ابن خرداذبة : نفس المصدر والصفحة .

(١٢٠) المسـعودى : اخبـار الزمان ، ص ٧٦ ، ابن خرداذبة : ص ١٠٩ .

(١٢١) ابن خرداذبة : المسالك ، ص ١٠٩ .
الحقيقة ان هناك كثير من اباطرة القسطنطينية قد نجحـوا فى ان يكونوا اسر وراثية تعـاقب أفرادها الحكم ومنها اسرة قسـطنطين وجستنيان وهرقل وغيرهم .

(١٢٢) ابن خرداذبة : المسالك ، ص ١٠٩ .

وكان للامبراطور مجلس شورى فيذكر ابن خرداذبة : « ولهـذه المدينة(أى القسطنطينية)اربعمائة رجل لباسهم الطيالسةالخضر المزورة بالذهب وهم لمشورة الملك والقيام بامره » (١٢٣) .

كما كان للامبراطور حرس خاص من الفرسان والمشاة منهم من يصحبه فى حله وترحاله ومنهم من يقيمون على باب قصره ، ويقسم قدامة بن جعفر (١٢٤) فرق الحرس الامبراطورى الى رجالة وفرسان، ويقسم الرجالة الى قسمين فى حين يقسم الفرسان الى ثلاث فرق هى :

الفـــرقة الاولى :

ويطلق عليها اسم (الاسخلارية) (١٢٥) وصاحبها الدمستق الكبير ويعرفه بانه صاحب فرض الفروض والرئيس على الجماعة .

الفـــرقة الثانية :

وصاحبها طرنجار (١٢٦) .

الفرقة الثالثة :

ويطلق عليها اسم (البيرارطيين) وتعنى الحرس المرابط (١٢٧) Peraties وهم يخرجون مع الامبراطور اذا خرج فى ســـفر .

---

(١٢٣) ابن خرداذبة : نفس المصدر والصفحة .

(١٢٤) قدامة بن جعفر : كتاب الخراج ،ص ٢٥٦ .

(١٢٥) عن الاسخلارية أو الاسكلارية . انظر السيد البا زالعرينى : الدولة البيزنطية ، ص ٤٤٣ .

(١٢٦) طرنجار : يذكر قدامة بن جعفر ان له قيادة الف جندى . انظر ، الخراج ، ص ٢٥٥ — ٢٥٦ .

(١٢٧) عن البيراتيين او الحرس المرابط انظر رنسيمان : الحضارة البيزنطية ، ص ٧٦ .

الـــــوزير :

ويلى الامبراطور فى المنزلة الوزير ، ويصف هارون بن يحيى مراسم تقليد الامبراطور لوزيره مهام دولته وذلك فى كنيسة آيا صوفيا، فبعد ان يصف هارون بن يحيى موكب الامبراطور الى الكنيسة ، يذكر: « ويقبل الملك وعليه ثياب الاكسيمون : وهى ثياب من ابريسم منسوج بالجوهـــر ، وعلى رأسه تاج . وعليه خفان احدهما أسود والآخـــر أحمر وخلفه الوزير .. وعند باب الكنيسة يقدم له رجل طشت وابريق فيغسل الملك يده ويقول لوزيره : « انى برىء من دماء الناس كلهم ، والله لا يسألنى عن دمائهم ، وانى قد جعلتها فى عنقك » ثم يخلع ثيابه التى عليه على وزيره ويقول له : « دن بالحق » ويأمر ان يدار بـــه على أسواق القسطنطينية ، ويقال لـــه : « دن بالحق . كما قـــال لك الملك » (١٢٨) .

اللغثيط (اللغتيت Logothete) المراقب أو المستشار : —

كان هناك عدد من الموظفين اشبه برؤساء الدواوين أو الادارات يعرف كل منهم باللغثيط أو باللغتيت Logothete ، فيذكر ابن فقيـــه من بينهـــم : اللغثيط صـــاحب ديوان الخراج ، واللغثيط صـــاحب عرض الكتب ، واللغثيط صـــاحب ديوان البريد (١٢٩) .

والحقيقة انه كان هناك اربعة من الموظفين الكبار يعرف كل منهم باللغتيت Logothete . ويقيم هؤلاء بالقسطنطينية قريبا من الامبراطور

---

(١٢٨) ابن رستة ، الاعلاق النفيسة ، ص ١٢٤ — ١٢٥ ، وانظر أيضا : البكرى : جغرافية الاندلس وأوربا ، ص ١٩٧ — ١٩٨ .

(١٢٩) ابن فقيه الهمذانى : مختصر كتاب البلدان ، ص ١٤٧ ، ابن خرداذبة : المسالك ، ص ١١٢ .

ويعتبرون بمثابة اعوان له ، وهم الذين يتولون نقل اوامر الامبراطور الى سائر انحاء الدولة . ومن أهمهم كما ذكر ابن فقيه اللغتيت المعروف باسم مراقب أو مستشار الخيل والبريد Logothete of the Dromus ويشرف على ادارة النقل والبريد ، ويهيمن على المراسلات المتبادلة بين الامبراطور وغيره . ويلى مستشار البريد ، اللغتيت الذى يشرف على الامور المالية (أى صاحب ديوان الخراج) ثم اللغتيت الــذى يتولى دفع رواتب الجند . والاخير هو الذى يشرف على ضياع الامبراطور وخيوله (١٣٠) .

الفـــرخ :

ويلى اللغثيط بحسب ترتيب الجغرافيين المسلمين لكبار موظفى القسطنطينية الفرخ ويقول عنه ابن حوقل : « وللفــرخ من المنزلة انه يلبس خفين احدهما أحمر والآخــر أسود ، ولا يتزى غيره بهــذا الزى بوجه ، وذلك ان الحكم والقطع والضرب والقود والأدب من مؤامرة الملك اليه » (١٣١) .

ويلى الفرخ **الدمستق** صاحب الحرس ، ويليه **البطارقة (١٣٢)** وهم اثنا عشر رجلا لا ينقصون ولا يزيدون ، اذا هلك احدهم قام مقامه من يصلح له ، ويقيم ستة من هؤلاء الاثنى عشر بطريقا فى القسطنطينية بحضرة الامبراطور ، وستة فى الاعمال وهم : بطريق عمورية ، بطريق

---

(١٣٠) رنسيمان : الحضارة البيزنطية ، ص ١٠٢ ،

Diehl, « The Government and administration of the Byzantine Empire » In Cam. Med. Hist., vol. 4, p. 731,

السيد الباز العرينى : الامبراطورية البيزنطية ، ص ٣٦٦ .

(١٣١) ابن حوقل : صورة الارض ، ص ١٧٨ .

(١٣٢) البطارقة ومفردها بطريق Patrician وهو رتبــة انشأها قسطنطين العظيم ، وجعلها ذات نطاق محدود جدا ، ولم تلبث اعداد البطارقة أن تزايدت شيئا فشيئا ، واعطى عدد منهم الاسبقية .

أنظر رنسيمان : الحضارة البيزنطية ، ص ٩٢ .

انقــرة ، بطريق الارمنياق ، بطريق تراقية ، وبطريق صقلية •• وهو صاحب جزائر البحــر (١٣٣) •

وأكد الرحالة بنيامين التطيلى — الذى زار القسطنطينية فى عهد الامبراطور مانويل فى القرن ٦هـ / ١٢م ما ذكره الجغرافيون المسلمون من انه كان يحكم البلاد باسم الامبراطور اثنا عشر اميرا يأتمرون بأمره ، وكلهم يملك القصور المنيعة والقلاع الحصينة فى قسطنطينية أو فى المدن التى يحكمها ، ولكل من هؤلاء الامراء لقب خاص يعــرف بــه (١٣٤) •

ومن اشهر البطارقة الستة الذين كانوا يقيمون بحضرة الامبراطور كما يذكر ابن خرداذبة « وأمر البطارقة منهم من يتولى أمر القسطنطينية وحجابة الملك •• » (١٣٥) • وعلى هذا فقد كان « حاكم القسطنطينية أو والى المدينة (الابرخوس Eparchos) على رأس هؤلاء البطارقة الستة • وكان منصب حاكم القسطنطينية قديما قدم القســطنطينية نفسها ، وكان صاحبه يحظى باسبقية عالية ، فقــد كان يعين نائبــا للامبراطور على المدينة أثناء غياب العاهل ، وهو المسئول عن القانون والنظــام • وكان ديوانه ينقسم الى قسمين قسم يتولاه محكم بيده ضبط شئون النقابات والاشراف على تنفيذ مختلف التعليمات واللوائح التجارية والواجبات المدنية الملقاة على عاتق السكان ، وقسم يتولاه مستشار دار الوالى الذى كان موكلا بشئون القضاء والسجون ، وكان كل من القسمين مزودا بهيئة من الموظفين كافية ومنوعة (١٣٦) •

---

(١٣٣) ابن خرداذبة : المسالك ، ص ١٠٩ ، وابن حوقل : صورة الارض ، ص ١٧٨ •

(١٣٤) بنيامين التطيلى : الرحلة ، ص ٧٨ •

(١٣٥) ابن خرداذبة : المسالك ، ص ١٠٩ •

(١٣٦) رنسيمان : الحضارة البيزنطية ، ص ١٠٠ ، وعن واجبــات والى المدينة انظر ، نفس المرجع ، ص ١١٤ •

ومن بين البطارقة الستة أيضا القائد الاعلى للجيش الامبراطورى، ورئيس ديوان البلاط الامبراطورى ، وقائد البحرية أو الاميرال الاعظم Grand Drungarius وهو من اعلى الموظفين درجة فى سلك وظائف الدولة (١٣٧) ، وكذلك كبير الاكليروس أو رجال الدين فى القسطنطينية (١٣٨) . وقد سمى هؤلاء البطارقة فوق جميع الموظفين فى الدولة ، ولم يكن بينهم وبين شخص الامبراطور حجاب قط ، وكانوا يمنحون هذه المنزلة الرفيعة مدى الحياة (١٣٩) .

ويذكر ابن حوقل انه « يلى البطارقة (الزراورة) (١٤٠) وهم كثرة لايحصون كالقواد اللاحقين بالامراء ، ثم الطرامخة (١٤١) وهم أرباب النعم من أهل القسطنطينية ومنهم يكون الارتفاع الى الزرورة أو البطرقة » (١٤٢) .

وهكذا تحدث الجغرافيون المسلمون عن الجهاز الادارى فى مدينة القسطنطينية وعن موظفى هذا الجهاز .

قاضى القسطنطينية :

لم يتحدث عن قاضى القسطنطينية سوى الرحالة ابن بطوطة فذكر أنهم يسمونه النجش كفالى (١٤٣) .

---

(١٣٧) رنسيمان : الحضارة ، ص ١٧٨ .

(١٣٨) عن بطريرك القسطنطينية انظر الحياة الدينية ص .

(١٣٩) جيبون : اضمحلال الامبراطورية وسقوطها ، ج ١ ، ص ٥١٣ .

(١٤٠) الزراورة مفردها زرور وهو الرئيس المقيم بطرف من الاطراف .

انظر الباز : الامبراطورية البيزنطية ، ص ٤٨٧ ، حاشية ٢ .

(١٤١) الطرامخة ومفردها طرماخ أو طومرخ وله قيادة خمسة آلاف جندى . أنظر قدامة بن جعفر ، الخراج ، ص ٢٥٥ — ٢٥٦ .

(١٤٢) ابن حوقل : صورة الارض ، ص ١٧٨ .

(١٤٣) ابن بطوطة : تحفة النظار ، ص ٢٣٦ .

وكان القاضى يرتدى زيا اشبه بزى الرهبان ، وصفه ابن بطوطة بقوله : « ان عليه لباس الرهبان وهو الملف الاسود » (١٤٤) • أما عن المكان الذى كان يجلس فيه القاضى فذكر ابن بطوطة : « انه يجلس فى قبة من خشب ، يصعد اليها على درج خشب ، وفيها كرسى كبير مطبق بالملف (اشبه بالجوخ) يجلس فوقه » (١٤٥) •

اما عن مساعدى القاضى فقد كان يساعده عدد من الكتاب يجلسون الى جواره على مصاطب خشب ، وكان عددهم عشرة كتاب اذ يذكر ابن بطوطة : « وبين يديه عشرة من الكتاب يكتبون » (١٤٦) •

اما عن النظام المالى فقد تحدث الجغرافيون المسلمون عن بعض جوانب هذا النظام ومن بينها الايرادات واوجه الانفاق بالقسطنطينية • وتأتى الضرائب وأهمها الخراج — على رأس الايرادات • ويذكر كل من ابن فقيه وابن خرداذبة فيما يتعلق بالخراج ، « خراج الروم مساحة ، على كل مائتى مدى ثلاثة دنانير فى كل سنة ، والمدى (١٤٧) ، ثلاثة مكاكيك ، ويؤخذ عشر الغلات فيصير فى الاهراء (١٤٨) ؛ للجيوش » (١٤٩) • وعلى هذا فقد كان الخراج يجبى نقدا وعينا •

والى جانب الخراج كانت هناك أنواع اخرى من الضرائب من بينها على نحو ما يذكره الجغرافيون المسلمون • « ويؤخذ من اليهود

---

(١٤٤) ابن بطوطة : نفس المصدر والصفحة .

(١٤٥) ابن بطوطة : نفس المصدر ، ص ٢٣٤ .

(١٤٦) ابن بطوطة : نفس المصدر ، ص ٢٣٦ .

(١٤٧) عن المدى انظر ابن منظور : لسان العرب ، ج ٤٦ ، ص ٤١٦١ — ٤١٦٢ . وعن المكاكيك انظر ابن منظور : ج ٤٧ ، ص ٤٢٤٨ — ٤٢٤٩ .

(١٤٨) الاهراء اى المخازن والشون .

(١٤٩) ابن خرداذبة : المسالك ، ص ١١١ ، ان فقيه : مختصر كتاب البلدان ، ص ١٤٧ .

والمجوس — المقيمين فى القسطنطينية — دينارا فى السنة » (١٥٠) .

وهناك ضريبة أخـــرى تعرف بضريبة المنازل أو ضريبة الموقد(١٥١) وعنها يذكر ابن خرداذبة « ويؤخذ من كل بيت يوقد فيه نار فى السنة ستة دراهم » (١٥٢) ، ويتناول ابن حوقل (القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى) شرح هذه الضريبة بالتفصيل فيذكر : « انهـــم يأتون الى كل ضيعة تقارب البحر فيأخذون من كل دخان أى من كل بيت دينارين » (١٥٣) . أما المقاطعات الاخـــرى غير الواقعة على البحـــر فكان « يؤخذ من كل دخان يسكنه رئيس منهم يملك خدما وبقرا وغنما وارضا ومزدرعا فى حالة متوسطة عشرة دنانير عينا ذهبا » (١٥٤) .

اما الطبقات العليا فقد فرض عليهم ان يقدموا : « رجلا بسلاحه ودوابه وقوامه ومؤنه ونفقة له ثلاثين دينارا » (١٥٥) .

وهكذا كان يفرق عند دفع ضريبة المنازل أو الدخان بين أفـــراد الطبقة المتوسطة وبين أفـــراد الطبقة العليا ، بين القاطنين بجوار البحر أو بعيدا عنه .

اما عن اوجه الانفاق التى تحدث عنها الجغرافيون والرحـــالة المسلمون فيأتى على رأسها رواتب كبار موظفى الدولة والجنود وبحارة الاسطول . وقدر ابن خرداذبة مرتبات بعض كبار الموظفين فى القـــرن العاشر الميلادى تقديرا دقيقا اتفق تماما مع ما ذكره البيزنطيون بشأن

---

(١٥٠) ابن فقيه : نفس المصدر ، ص ١٤٧ ، ابن خرداذبة ، نفس المصدر والصفحة .

(١٥١) يبدو ان هذه الضريبة حلت محل الضريبة التى كانت معروفة فى القرن السادس والمسماة ايركون Aerikon — انظر بينـــز : الامبراطورية البيزنطية ، ص ١٦٤ ، رنسيمان : الحضارة ، ص ١١٠ .

(١٥٢) ابن خرداذبة : المسالك ، ص ١١١ ، ابن فقيه ، مختصر كتاب البلدان ، ص ١٤٧ .

(١٥٣) ابن حوقل : صورة الارض ، ص ١٨٠ .

(١٥٤) ابن حوقل : نفس المصدر ، ص ١٨١ .

(١٥٥) ابن حوقل : نفس المصدر والصفحة .

المبالغ المستحقة سنويا لهم (١٥٦) • فذكر : « والعطاء مختلف اكثره أربعون رطلا ذهبا الى ستة وثلاثين رطلا الى أربعة وعشرين رطلا الى اثنى عشر الى ستة ارطال الى رطل » (١٥٧) •

كذلك قدر ابن خرداذبة عطاء الجند فذكر : « واعطيات الجند ما بين ثمانية عشر دينارا الى اثنى عشر دينارا ، هذا مرسوم لهم فى كل سنة » (١٥٨) ، واوضح ابن خرداذبة ان هذا العطاء غير قابل للتغير فقد يثبت على ماهو عليه لعدة سنوات وقد عبر عن ذلك بقوله : « وانما يعطون ذلك فى كل ثلاث سنين ، وربما كان فى أربع سنين ، وربما كان فى خمس سنين ، وربما كان فى ست سنين عطاء واحدا » (١٥٩) •

والجميل ان ابن خرداذبة يذكر ايضا عطاء الجندى فى السنوات الاولى لتجنيده فذكر : « ان الغلام يأخذ فى السنة الاولى دينارا وفى الثانية دينارين ، وفى الثالثة ثلاثة دنانير حتى يتم اثنتى عشرة سنة ، فيأخذ اثنى عشر دينارا » (١٦٠) • وكان تقدير ابن خرداذبة هذا تقديرا دقيقا للغاية (١٦١) •

أما بالنسبة لبحارة الاسطول فيذكر ابن حوقل : « يدفع للنافذين فى البحر اثنا عشر دينارا لكل انسان ••• فاذا قبض رجال البحر ارزاقهم اصلحوا ما احبوا استحدثه من مركب ، وآلة له أو مرمة لمركب قديم فى صناعتهم » (١٦٢) •

---

(١٥٦) انظر رنسيمان : الحضارة البيزنطية ، ص ١١٣ — ١١٤ .

(١٥٧) ابن خرداذبة ، المسالك ، ص ١١١ .

(١٥٨) ابن خرداذبة : المسالك ، ص ١١١ .

(١٥٩) ابن خرداذبة : نفس المصدر ، ص ١١١ — ١١٢ .

(١٦٠) ابن خرداذبة ، نفس المصدر ، ص ١١٢ .

(١٦١) انظر رنسيمان ، الحضارة البيزنطية ، ص ١٧٠ — ١٧١ .

(١٦٢) ابن حوقل . صورة الارض ، ص ١٨٠ — ١٨١ .

الحياة الدينية فى القسطنطينية :

قامت القسطنطينية على أسس دينية اذ اصطبغت بالصبغة المسيحية منذ لحظة تشييدها فى عام ٣٢٤م ، ولا عجب فى ذلك فقد اعترف مؤسسها الامبراطور قسطنطين العظيم (٣٠٦ — ٣٣٧ م) بالمسيحية كاحدى الديانات المصرح بها فى الامبراطورية وفى ذلك يذكر المسعودى : «وهو الذى اظهر دين النصرانية ، وحارب عليها حتى قبلت وانتشرت فى البلاد » (١٦٣) .

ويعرض المسعودى للدوافع الدينية التى دفعت قسطنطين الى اظهار المسيحية والاعتراف بها كاحدى الديانات المشروعة فى الامبراطورية فيذكر : « انه ظهر له صليب نورى فى السماء فى نومه فى حال حربه مع ملك برجان (١٦٤) ، وانه قيل له استنصر به على عدوك تنصر عليه . وانه ركب مثل ذلك على رؤوس الاعلام كالاسنة ، فظهر على عدوه بعد ان كانوا الظاهرين عليه » (١٦٥) .

ويقال أيضا ان قسطنطين تأثر بامه هيلانه التى اعتنقت المسيحية ، وشيدت العديد من الكنائس فى بلاد الشام وفى بيت المقدس ومصر وفى هذا الصدد يذكر المسعودى : « ولتسع سنين خلت من ملك قسطنطين ، خرجت امه (هلانى) (١٦٦) الى ارض الشام ، فبنت الكنائس ، وسارت

---

(١٦٣) المسعودى : التنبيه والاشراف ، ص ١٣٧ . .

(١٦٤) ويقصد هنا معركة جسر ملفيان — على مقربة من روما — والتى خاضها قسطنطين ضد خصمه ماكسينتوس ، والتى انتهت بانتصار قسطنطين واصبحت له بذلك السيادة على الغرب .

لمزيد من التفاصيل أنظر : حسنين ربيع : دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ٢٥ — ٢٦ .

(١٦٥) المسعودى : التنبيه والاشراف ، ص ١٣٨ ، مروج الذهب ، جـ ١ ، ص ٣١٨ — ٣١٩ .

وانظر ايضا أبو طالب الدمشقى : نخبة الدهر ، ص ٢٥٩ .

(١٦٦) عن هيلانة أنظر ما سبق ص ١٥٨ ، حاشية ٣٣ .

الى بيت المقدس ، وطلبت الخشبة التى صلب عليها المسيح عندهم (١٦٧)، ••• وبنت الكنيسة المعروفة بالقيامة ، ••• وكنيسة قسطنطين وديارات كثيرة للنساء والرجال على الجبل المطل على مدينة بيت المقدس • ويذكر المسعودى فى موضع آخر « وهى التى بنت كنيسة حمص على اربعة أركان •• وكنيسة الرهاء من بلاد ديار مصر » (١٦٨) •

وعول قسطنطين على ضرورة جعل مدينته الجديدة مسيحية الطابع فأسس بها العديد من الكنائس من أهمها كنيسة الرسل المقدسين ، التى شيدها قسطنطين تذكارا للرسل المقدسين (١٦٩) ، ويذكر ابن خرداذبة : « وفى داخل المدينة كنيسة بنيت على اسم بطرس وبولس الحواريين » (١٧٠) • كذلك شيد قسطنطين كنيسة (آيا صوفيا) (١٧١)،

---

(١٦٧) عن قضية اكتشاف هيلانة لخشبة الصليب أنظر اسحق عبيد : « قصة عثور القديسة هيلانة على خشبة الصليب اسطورة أم واقع » : المجلة التاريخية المصرية ، م ١٧ (١٩٦٩) ، ص ٥ — ٢١ .

(١٦٨) المسعودى : التنبيه والاشراف ، ص ١٤٣ — ١٤٤ .
مروج الذهب ، ج ١ ، ص ٣١٧ .
أبو طالب الدمشقى : نخبة الدهر ، ص ٢٥٩ .

(١٦٩) اعادت ثيودورا زوجة جستنيان (٥٢٧ — ٥٦٥ م) بناء تلك الكنيسة على نحو يضارع كنيسة آياصوفيا فى الفخامة والبهاء .

لمزيد من التفاصيل أنظر بريس : القسطنطينية فى عصر جستنيان ، ص ٣٢٥ .

(١٧٠) ابن خرداذبة : المسالك ، ص ١١٥ . وعن وصف هذه الكنيسة انظر ما يلى فى العمارة والفنون .

(١٧١) احترقت كنيسة آياصوفيا مرتين بعد أن شيدها قسطنطين ، المرة الاولى فى القرن الخامس (٤٠٤ م) فأعاد ثيودوسيوس الثانى تجديدها فى عام ٤١٥ م ، والمرة الثانية فى عهد الامبراطور جستنيان على اثر ثورة نيقا ٥٣٢ م ، فعهد جستنيان الى كل من انتيميوس الترالى Anthemius of Tralles وايزيدور المليتى Isidore of Miletus باعادة بنائها ، وقام جستنيان بافتتاحها فى ديسمبر من عام ٥٣٧ م . ثم ما لبث البناء ان تصدع فى عام ٥٥٨ م نتيجة للزلزال الذى تعرضت له =

لرعاياه المسيحيين ، وجعلها تذكارا للحكمة الالهية Hagia Sophia ويذكــر الحميرى : « انه لما أكمل قسطنطين بناء هذه الكنيسة العظمى ورفع فيها الصلبان كتب بذلك الى جميع البلدان ، وبهذا السبب صار عيد الصليب وهو لاربع عشرة ليلة تمضى من ايلول » (١٧٢) .

والى جانب كنيسة الرسل المقدسين وكنيسة آيا صوفيا ، كانت هناك كنائس عديدة ازدانت بها مدينة القسطنطينية (١٧٣) ، وتحــدث الجغرافيون والرحالة المسلمون عن هذه الكنائس وما احتوت عليه ، فذكروا : « ان كنائسها لاتحصى كثرة » (١٧٤) . وبعضهم عددها فذكر : « وفى المدينة كنائس ، فجميع ما فيها اربع وعشرون (الف) كنيسة ، وكنائس اخرى » (١٧٥) . اما عن محتويات هذه الكنائس فذكروا : « وفى جميع كنائس المدينة آنية من الذهب والفضة ، وجرار من ذهب ومن نحاس .. وفيها مصاحف تقرأ فى الكنيسة مكتوبة بالذهب والفضة .. وفيها كهنة وشمامة ممن يجرى عليهم الارزاق » (١٧٦) .

= القسطنطينية فى هذا العام ، فأمر جستنيان بترميم الكنيسة ، واكتمل الترميم فى عام ٥٦٢ م . وظلت هذه الكنيسة حتى استولى الاتراك العثمانيون على القسطنطينية ١٤٥٣ م فحولوها الى مسجد وصار يعرف باسم « آياصوفيا جامعى » بعد ان أضيفت اليها المآذن والمحاريب . لمزيد من التفاصــيل انظر : اومان : الامبراطورية ، ص ٨٥ ــ ٨٦ ، بينز : الامبراطورية البيزنطية ، ص ٢٤ ، جيبون : اضمحلال ، جـ ٢ ، ص ٤٣٣ ــ ٤٣٤ ،
Diehl, Constantinople, pp. 48 — 49, 54 — 55.

(١٧٢) الحميرى : الروض المعطار ، ص ٤٨٣ .

(١٧٣) لمزيد من التفاصيل عن كنائس القسطنطينية انظر :
Van Millingen, Byzantine Constantinople, p. 35 ff., Diehl, Constantinople, pp. 68 — 88.

(١٧٤) ابن بطوطة : تحفة النظار ، ص ٣٣٦ .

(١٧٥) ابن رستة ، الاعلاق النفيسة ، ص ١٣١ ، الحميرى : الروض المعطار ، ص ٤٨٢ .

(١٧٦) ابن رستة : نفس المصدر ، ص ١٣١ ــ ١٣٢ ، الحميرى : نفس المصدر والصفحة .

ومن الجدير بالذكر انه كانت هناك درجات للسلم الكنسى يذكرها المسعودى على النحو التالى : « البطريق (١٧٧)، الاسقف ، القسيس ، والشماس ، والمطران ، والدمستق صاحب الفرق » (١٧٨) .

اما عن البطريرك رأس الكنيسة فان المسعودى يذكر كذلك : « ان بطريرك بالرومية يعنى بطرياركس . وتفسيره رئيس الآباء مخفف » (١٧٩) .

ثم يعرف المسعودى بطريرك القسطنطينية بقوله : « انه صاحب كرسى القسطنطينية ... ، وصاحب الكرسى هو شريك الملك ، ليس يساوى الملك فى الخلق احد الا هو ، ولا يكفر الملك الا له ... ، واذا جلس الملك على كرسى من ذهب ، جلس هو على كرسى من حديد » (١٨٠).

اما عن مهام بطريرك القسطنطينية فيذكر المسعودى : « ان البطريرك هو المسئول عن أموال الاحباس (الاوقاف) ، ونفقات الكنائس والاديرة والاساقفة والرهبان وما اشبه ذلك من أمر دينهم » (١٨١) .

وكان للبطريرك عمال مساعدون فى كافة بلدان الامبراطورية : « وله فى كل بلد عامل مثل عامل الملك » (١٨٢) .

رهبان القسطنطينية واديرتها :

استرعى انتباه الجغرافيين والرحالة المسلمين كثرة عدد الاديرة

---

(١٧٧) يقصد المسعودى هنا البطريرك اذ أن هناك اختلاف كبير بين كلمة بطريق وبطريرك فالاولى لقب شرفى .

(١٧٨) المسعودى : أخبار الزمان ، ص ٧٦ . وانظر ايضا : رنسميان : الحضارة البيزنطية ، ص ١٢٦ — ١٢٧ .

(١٧٩) المسعودى : التنبيه والاشراف ، ١٤٢ — ١٤٣ .

(١٨٠) المسعودى : نفس المصدر ، ص ١٧٢ .

(١٨١) المسعودى : نفس المصدر ، ص ١٧٢ — ١٧٣ .

(١٨٢) المسعودى : نفس المصدر ، ص ١٧٣ .

والزوايا بالقسطنطينية وضواحيها ، وكثرة عدد الرهبان أيضا بهذه الاديرة فيذكر هارون بن يحيى : « ان حوالى قسطنطينية ديرات الرهبان، وعلى باب قسطنطينية دير يدعى (ساطرا) ينزله خمسمائة راهب .. وعلى فرسخ مما يلى الشمال من المدينة دير يقال له (مؤنس) فيه الف راهب ، ومما يلى شرقى قسطنطينية .. موضع فيه اربعة ديرات فيها اثنا عشر الف راهب ، احداها مؤنس والثانى فسادر والثالث قوقياى والرابع دير مريم ، ومما يلى غربى المدينة ديرات فيها ستة آلاف راهب » (١٨٣) .

كذلك يذكر ان فقيه : « ان فى القسطنطينية .. مائتان وعشرون دير للرهبان » (١٨٤) .

ومن الجديد بالذكر ان ملاحظات الرحالة والجغرافيين المسلمين حول كثرة عدد الاديرة والرهبان بمدينة القسطنطينية ملاحظات دقيقة اذ كتب روبرت كلارى — وكان قد حضر الى القسطنطينية فى القرن (٧هـ / ١٣م) برفقة الحملة الصليبية الرابعة — يقول : « والظن عندى انه لا يوجد احد على وجه البسيطة يستطيع ان يعدد جميع اديرة المدينة لكثرتها ، وكثرة من بها من الرهبان والراهبات » (١٨٥) .

وفى القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى ، وعندما زار ابن بطوطة القسطنطينية اثارت دهشته كذلك كثرة عدد الاديرة والمانستارات (١٨٦) ، بها اذ يذكر : « المانستارات بها كثيرة ... منها مانستاران خارج الكنيسة العظمى عن يمين الداخل اليها وهما داخل

---

(١٨٣) ابن رستة : الاعلاق ، ص ١٢٧ .

(١٨٤) ابن فقيه : مختصر كتاب البلدان ، ص ١٥٠ .

(١٨٥) روبرت كلارى : فتح القسطنطينية ، الترجمة العربية ، ص ١٣٢ .

(١٨٦) المانستارات مفردها مانستار وهو عندهم شبه الزاوية عند المسلمين . انظر ابن بطوطة : تحفة النظار ، ص ٢٣٥ .

بستان يشقهما نهـر ماء ، احدهما للرجال والآخر للنساء . وفى كل واحد منهما كنيسة ، ويدور بهما البيوت للمتعبدين والمتعبدات .. ومنها مانستاران عن يسار الداخل الى الكنيســة العظمى على مثل هــذين الآخرين .. » (١٨٧) .

وترجع كثرة عدد الاديرة فى مدينة القسطنطينية فى المقام الاول الى أن عددا كبيرا من هذه الاديرة كان عبارة عن اديرة صغيرة محدودة ملحقــة بمنازل من شيدها ، خاصة وان الدير كان من الممكن ان يضم ثلاثة رهبان فقط وفقا للقانون الكنسى ، هذا الى جانب تقوى الناس وما ترتب عليها من تنازل كثيرين منهم عن جانب من أموالهم لتشييــد هذه الاديرة (١٨٨) .

أما عن نوعية الرهبان الذين عاشوا فى هذه الاديرة فقد كانوا فى اغلب الاحيان من الاباطرة الذين اعتزلوا العرش أو اجبروا على اعتزاله فيذكر المسعودى : « ان اولاد ارمانوس .. حاولوا ازالة ابيهم ارمانوس من الملك ، ليصفو لهم الامــر ، فدخلوا عليه فى بعض الايام فى عدة من الناس ، فقبضوا عليه وانفذوه الى الدير (١٨٩) ، اما ابن بطوطة فيذكر : « واكثر هؤلاء الملوك اذا بلغ الستين أو السبعين بنى مانستارا ، ولبس المسوح (١٩٠) ، وقلد ولده الملك ، واشتغل بالعبادة حتى يموت » (١٩١) ، ويضرب ابن بطوطة مثالا على ذلك بانه وجد — فى اثناء زيارته للمدينة — امبراطورها « ويدعى تكفور بن السلطــان جرجيس ، وابوه السلطان بقيد الحياة ولكنه تزهد وترهب وانقطــع للعبادة فى الكنائس ، وترك الملك لولده » (١٩٢) .

---

(١٨٧) ابن بطوطة : تحفة النظار ، ص ٢٣٥ .

(١٨٨) وسام عبد العزيز : اضواء على مجتمع القسطنطينية ، ص ٣٢ — ٣٣ . وانظر ايضا : الباز ، الدولة البيزنطية ، ص ٤٦٨ .
Janian. Constantinople. p. 627.

(١٨٩) المسعودى : التنبيه ، ص ١٧٣ . وانظر أيضا ص ١٦٤ .

(١٩٠) المســوح — مفردها مسح وهو لباس خشن من الصوف .

(١٩١) ابن بطوطة : تحفة النظار ، ص ٢٣٥ .

(١٩٢) ابن بطوطة : نفس المصدر ، ص ٢٣٢ .

وعلى هذا فان ارتداء زى الرهبنة لم يكن بهدف اتخاذ الرهبنة سبيلا فى الحياة بل كانت عبارة عن حالة اعتزال أو نفى اجبارية بالنسبة لهؤلاء الاباطرة (١٩٣) ٠

وعن الزى الذى كان يرتديه الرهبان يذكر ابن بطوطة : « انه التقى بالامبراطور المعتزل وهو فى ملابس الرهبان ، ووصف زيه وهيئته بقوله : « عليه مسوح ، وعلى رأسه قلنسوة لبد ، وله لحية بيضاء طويلة ، ووجه حسن عليه اثر العبادة ، وخلفه وامامه جماعة من الرهبان، وبيده عكاز وفى عنقه سبحة » (١٩٤) ٠

اما عن الراهبات فقد كانت لهن اديرة خاصة بهن سواء كن من العذارى ام النساء ام الكهول فيذكر ابن بطوطة : « ان هناك اديرة مخصصة لبنات الاباطرة (١٩٥) واخرى لبنات الوزراء والامراء ، وثالثة لعذارى وجوه اهل البلد ، ورابعة للعجائز والقواعد من النساء » (١٩٦)٠ وتحدث ابن بطوطة كذلك عن هؤلاء الراهبات خاصة وانه دخل الاديرة المخصصة لهن اذ يذكر : « ودخلت ٠٠ الى مانستار يشقه نهر وفيه كنيسة فيها نحو خمسمائة بكر ، عليهن المسوح ، ورؤوسهن محلوقة ٠ فيها قلانيس اللبد ، ولهن جمال فائق ، وعليهن اثر العبادة ، وقد قعد

---

(١٩٣) وسام عبد العزيز : اضواء على مجتمع القسطنطينية ، ص ٢٩ — ٣٠ ٠

(١٩٤) ابن بطوطة : تحفة النظار ، ص ٢٣٦ ٠

(١٩٥) فرضت الرهبنة على العديدمن اميرات القصر ، والسبب فى ذلك يرجع الى أن الاميرة اذا تزوجت فيجب أن تتزوج احد أفراد الاسرة ، او احد ابناء الطبقة الارستقراطية ، وفى هذا تهديد يقلق الجالس على العرش ، ويشكل هذا خطرا على العرف الجارى فى تعاقب اعتلاء العرش ٠

لمزيد من التفاصيل انظر : وسام عبد العزيز : أضواء على مجتمع القسطنطينية ، ص ٢٩ — ٣٠ ، حاشية ٣ ٠

(١٩٦) ابن بطوطة : تحفة النظار ، ص ٢٣٥ — ٢٣٦ ٠

صبى على منبر يقرأ لهن الانجيل •• وحوله ثمانية من الصبيان على منابر ومعهم قسيسهم • فلما قرأ هذا الصبى قرأ صبى آخـــر » (١٩٧) •

وكانت الاحباس (الاوقاف) أهم مصدر للنفقة على كسوة وطعام هؤلاء الرهبان واولئك الراهبات وفى ذلك يذكر ابن بطوطة : « وقد حبس على كل واحد (أى دير) •• احبـــاس للكســـوة المتعبـــدين ونفقتهم » (١٩٨) •

وتحدث ابن بطوطة عن دور الصدقات التى خصصت للشـــيوخ والعجزة والعميان والتى كان يؤسسها فى العادة الامبراطور أو احد الاشراف ، وكانت هذه الدور تلحق عادة باحد الاديرة سواء كانت اديرة الرجال ام اديرة النساء ، ويذكر ابن بطوطة فى هذا الصدد : « وهناك مانستاران •• احدهما يسكنه العميان والثانى يسكنه الشيوخ الذين لا يستطيعون الخدمة ، ممن بلغ الستين أو نحوها ، ولكل واحد منهم كسوته ونفقته من اوقاف معينة ، وفى داخل كل مانستار منهـــا دويرة لتعبد الملك الذى بناه » (١٩٩) •

ولجأ بعض رهبان القسطنطينية الى قضاء حياتهم فوق عمود من أعمدة المبانى الاثرية القديمة يتعبدون ولا يتصلون بالناس ، وغالبا ما كان هؤلاء الرهبان فى رعاية الاباطرة وكبار رجال الدولة يمدونهم بما يسد رمقهم • وقد لاحظ « هارون بن يحيى » هذه الظاهـــرة فى القسطنطينية اذ يذكر : « وحول سورها الف ومائتان وعشرون عمودا فيها الرهبان ، جنس يسهرون الليل كله » (٢٠٠) •

---

(١٩٧) ابن بطوطة : تحفة النظار ، ص ٢٣٥ .

(١٩٨) ابن بطوطة : نفس المصدر والصفحة .

(١٩٩) ابن بطوطة : نفس المصدر والصفحة .

(٢٠٠) انظر ابن رستة : الاعلاق النفيسة ، ص ١٣١ .

المجامع الكنسية المسكونية :

تعــرض الجغرافى والرحالة المسعودى لبعض القضايا الدينيــة التى تمس القسطنطينية ومن بينها المجامع الكنسية المسكونية ، خاصة وان عددا من هذه المجامع قد عقد فى مدينة القسطنطينية نفسها ، فى حين عقد البعض الاخــر فى مدن غيرها ومن بينها مدينة نيقية وافسوس وخلقدونية ، ومع ذلك فقــد كان لهذه المجامع تأثير أيضا على الحيــاة الدينية بالقسطنطينية وعلى كنيستها كذلك .

وعرض المسعودى لهذه المجامع من خلال عرضه لتاريخ اباطــرة القسطنطينية وحتى الفتــرة التى انتهى فيها من تاريخ كتبه عام ٣٤٥هـ/ ٩٥٦ م على وجه التقريب .

وبدأ المسعودى أولا يذكــر اوجه الاختلاف بين المسيحيين حــول معنى كلمة المجامع الكنسية ، وحول ترجمتهم لهذه الكلمة فكتب : « ان معناها بالــرومية (السنودســات) ومفــردها ســنودس وهــو الاجتماع » (٢٠١) .

فى حين يذكر فى موضع آخــر ان اهل الشرق ويطلقون عليها اسم (السنادسات) وآخــرون يطلقون عليها (سناطس) . اما أهــل مصر فيطلقون عليها اسم (السنهودسات) ومفردها سنهودس وهــو القداس . ويعلق المسعودى على هذا التعبير بقوله : « وهو افصحها ، لذلك عبرنا به فى كتابنا » (اى كتاب التنبيه والاشراف) (٢٠٢) .

والحقيقة ان كلمة Synod مشتقة من اللفظ اليونانى Sunodos وهى تدل على اجتماع يعقــد فى كنيســة محلية أو مكانية ، أو اجتماع

---

(٢٠١) المسعودى : مروج الذهب ، جـ ١ ، ص ٣١٩ .
(٢٠٢) المسعودى : التنبيه والاشراف ، ص ١٥٩ .

دعى اليه على ان يكون مسكونيا أو عالميا (٢٠٣) • وعلى هذا النحــو يمكن تعريف المجمع المسكونى بانه مجمع جازت تحديداته وقوانينه القبول فى المسكونية كلها ، وليس من الضرورى ان يكون عدد الاساقفة الحاضرية وافرا بل يكفى ان يكون المجمع قد دعى وعقد على ان يكون مجمعا مسكونيا . وليس من الضرورى كذلك ان تكون اقطار العــالم كلهــا ممثلة فيه أو ان اساقفتها قد دعوا اليه • بل ان كل ما يتطلب لاعتبار المجمع مسكونيا هو ان يعترف به فى كل انحاء العالم انه مجمع مسكونى (٢٠٤) •

وعدد المسعودى المجامع المسكونية بستة مجامع يذكرها الروم فى صلواتهم ويسمونها القوانين (٢٠٥) • ويلاحظ ان المسعودى عدد المجامع الكنسية التى عقدت حتى الفتــرةالتى انتهى فيها من كتابة مؤلفاته أو حتى عصره ، اما عن العدد الاجمالى للمجامع المسكونية المعتــرف بهــا فهو سبعة مجامع ، وقد عقد المجمع الســابع بعــد عصر المسعودى ، وفى ذلك يذكر ابو طالب الدمشقى عند حديثه عــن مجمع نيقية أنه الاجتماع الاول من الاجتماعات السبعة » (٢٠٦) • وذلك لكونه متأخرا عن المسعودى •

وأول المجامع الكنسية المسكونية هو (مجمع نيقية ٣٢٥م) وعن تاريخ انعقاده يذكر المسعودى : « وكان هذا الاجتماع فى اليوم التاسع عشر من حزيران سنة ٦٣٦ للاسكندر ، وقيل انها السنة التاسعة عشر من ملك قسطنطين » (٢٠٧) • وهذا التاريخ الذى ذكره المسعودى يقابل عام ٣٢٥ م ، وهو العام الذى عقد فيه المجمع بالفعل •

---

(٢٠٣)
Brian Daley. « Christian Councils » in Encyclopedia of Religion, vol. 4, p. 125.

(٢٠٤) حنانيا الياس كساب : مجموعة الشرع الكنسى ، ص ١٠ .

(٢٠٥) المسعودى : مروج الذهب ، ج ١ ، ص ٣١٩ .

(٢٠٦) المسعودى : التنبيه والاشراف ، ص ١٤٣ .

(٢٠٧) أبو طالب الدمشقى ، نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر ، ص ٢٥٩ .

اما عن صاحب الدعوة لهذا المجمع فهــو امبراطور القسطنطينية قسطنطين العظيم (٣٠٦ — ٣٣٧ م) ويذكر المسعودى انه دعا اساقفة مصر والشـــام وبيت المقدس وانطاكية لحضور هذا المجمع ، وانــه ترأس جلساته (٢٠٨) .

اختلف المؤرخون فى تحديد عدد الاساقفة الذين حضروا مجمع نيقيه (٢٠٩) ، ولكن اتفق اغلبيتهم على ان عدد الاساقفة الذين حضروا هو ٣١٨ اسقفا ، وهو العدد الذى اورده المسعودى اذ يذكــر : « انه حضر هذا المجمع ثلاثمائة وثمانية عشر اسقفا متفقين غيرمختلفين» (٢١٠) ثم يذكر المسعــودى (٢١١) اهم البطاركة الذين حضروا هذا المجمع ومنهم : « الاسكندر بطريرك الاسكندرية من بلاد مصر ، واسـطاث بطريرك انطاكية ، ومارقس اسقف بيت المقدس وبوليوس بطريرك رومية » (٢١٢) .

اما عن قرارات هذا المجمع فيذكر المسعودى : « انهم اتفقــوا على ان يكون فصح النصارى يوم الاحــد ، الذى يكون بعد فصح

---

(٢٠٨) المسعودى : مروج الذهب ، ج ١ ، ص ٣١٩ .

(٢٠٩) حول هذا الاختلاف انظر اسد رستم : كنيسة انطاكية ، جا ، ص ١٩٩ — ٢٠٠ ، رافت عبد الحميد : الدولة والكنيسة ، ج ٢ ، ص ١٧٥ .

(٢١٠) المسعودى ، مروج الذهب ، ج ١ ، ص ٣١٩ وانظر ايضــا : أبو طالب الدمشقى : نخبة الدهر ، ص ٢٥٩ .

(٢١١) المسعودى : التنبيه والاشراف ، ص ١٤٢ — ١٤٣ .

(٢١٢) يدعى اسقف انطاكية الذى حضر المجمع انستاثيوس ، اما اسقف اورشليم فهو مكاريوس ، اما بالنسبة لبابا روما فهو سلفستر ولم يحضر جلسات هذا المجمع لشيخوخته ، وارسل نواب عنه . لمزيد من التفاصيل عن الاساقفة الذين حضروا المجمع انظر اسد رستم : كنيسة انطاكية ، ج ١ ، ص ٢٠٠ ، رافت عبد الحميد : الدولة والكنيسة ، ج ٢ ، ص ١٧٥ .

اليهود ، والا يكون فصح اليهود مع فصح النصارى » (٢١٣) • وقـــرر المجمع ـ بشأن العقيدة ـ تحريم اريوس ، ووضع قـــانون عـــــام للايمان يتفق عليه سائر النصارى من الملكية واليعقوبية والنسطورية(٢١٤) ويذكرونه كل يوم فى القداس (٢١٥) •

اما عن عدد القوانين التى وضعها مجمع نيقيه ٣٢٥م فيذكـــر المسعودى : « ولهم اربعون كتابا فيها السنن والشرائع » (٢١٦) • وهذا هو بالضبط عدد قوانين المجمع التى كتبت باللغة اليونانية (٢١٧)•

---

(٢١٣) فيما يتعلق بقرار المجمع عن عيد الفصح انظر : حنانيـــا الياس : مجموعة الشرع الكنسى ، ص ١١٥ ـــ ١١٩ ، أســـد رســـتم : كنيسة انطاكية ، ج ١ ، ص ٢٠٣ ـــ ٢٠٤ . المسعودى : التنبيـــه ، ص ١٤٢ .

(٢١٤) الملكية نسبة الى ملك الروم وهم يتبعون مذهبه ويقولون بـــأن للمسيح طبيعتين الهية وبشرية .

لمزيد من التفاصيل انظر ابو الريحان البيرونى : اعياد الملكانية ، ص ٢٩٣ ، ابو البركات : مصباح الظلمة ، ص ٦٦٣ .

اما عن اليعاقبة فهم ينسبون الى راهب سريانى يدعى يعقـــوب البرادعى ، ومذهبه يقول ان فى المسيح طبيعة واحدة ومشيئة واحدة واقنوم واحـــد .

لمزيد من التفاصيل انظر : يوحنا دولبانى : المثال الربانى فى ترجمة اخبار القديس مارى يعقوب البرادعى السريانى ، ص ١٧ ـــ ٢٥ .

اما عن النسطورية فهم ينسبون الى نسطور الذى اصبح بطريركا للقسطنطينية فى عام ٤٢٧ م .

لمزيد من التفاصيل انظر يوسف دريان : لباب البراهين ، ص ٣٨ ـــ ٤٠ ، ابو البركات : مصباح الظلمة ، ص ٦٥٨ ـــ ٦٥٩ ، ٦٦١ .

(٢١٥) المسعودى : التنبيه ، ص ١٤٢ ، مروج الذهب ، ج ١ ، ص ٣١٩ .

وعن صيغة الايمان النيقى انظر : حنانيا الياس : مجموعة الشرع الكنسى ، ص ٤٣ ، رافت عبد الحميد : الدولة والكنيسة ، ج ٢ ، ص ١٨٠ ـــ ١٨١ .

(٢١٦) المسعودى : التنبيه والاشراف ، ص ١٤٢ .

(٢١٧) حول قوانين مجمع نيقية انظر حنانيا الياس : مجموعة الشرع الكنسى ، ص ٩٧ ـــ ١٠٦ .

المجمع المسكونى الثانى (القسطنطينى الاول) ٣٨١ م :

عقد هذا المجمع فى مدينة القسطنطينية فى عهد الامبراطور ثيودوسيوس الكبير (٣٧٩ — ٣٩٥ م) ، وهو أول مجمع يعقد بها . وقد حدد المسعودى تاريخ عقد هذا المجمع بقوله : « ومن السنهودس الاول بنقية .. الى هذا الاجتماع ست وخمسون سنة » (٢١٨) . وعلى هذا يكون تاريخ عقد المجمع هو عام ٣٨١ م .

كذلك حدد المسعودى عدد الاساقفة الذين حضروا هذا المجمع تحديدا صحيحا دقيقا فذكر : « انه اجتمع فيه مائة وخمسون اسقفا . وذكر فى موضع آخر انه من بين هؤلاء الاساقفة طيموثاوس بطريرك الاسكندرية ، ومليطيوس بطريرك انطاكية ، وقورنس بطريرك بيت المقدس » (٢١٩) .

اما عن قرارات هذا المجمع فيذكر المسعودى : « انهم اتموا القول فى الروح القدس عندهم » (٢٢٠) ، « كما لعنوا مقدونس (٢٢١) ،

---

(٢١٨) المسعودى : التنبيه ، ص ١٤٧ ، مروج الذهب ، ج ١ ، ص ٣١٩ .

وعن الاسباب التى دفعت لعقد هذا المجمع انظر حنانيا الياس : مجموعة الشرع ، ص ٢٤١ وما يليها ؛ رافت عبد الحميد ، الدولة والكنيسة ، ج ٤ ، ص ٦٤ — ٦٥ .

(٢١٩) المسعودى : التنبيه والاشراف ، ص ١٤٦ ، وعن باقى الاساقفة الذين حضروا هذا المجمع انظر : حنانيا الياس : مجموعة الشرع ، ص ٢٤١ — ٢٤٢ ، رافت عبد الحميد : الدولة والكنيسة ، ج ٤ ، ص ٦٧ — ٦٨ ، أسد رستم : كنيسة انطاكية ، ج ١ ، ص ٢٥٥ .

(٢٢٠) المسعودى : مروج الذهب : ج ١ ، ص ٣٢٣ .

(٢٢١) وهو مقدونيوس أحد رجالات الاريوسية فى القسطنطينية ، قال بخلق الروح القدس وشايعه عدد كبير ، وعرف اتباعه باسم =

واشياعه من البطارقة الذين بعده قالوا بمقالته » (٢٢٢) .

على ان اهم القوانين التى صدرت عن هذا المجمع هى (القانون الثالث) الذى ينص على « ان يحتل اسقف القسطنطينية التقدمة فى الكرامة بعد اسقف روما مباشرة لان القسطنطينية هى روما الجديدة » (٢٢٣) .

المجمع المسكونى الثالث (مجمع افسيس أو افسوس ٤٣١ م) :

دعا الامبراطور ثيودوسيوس الثانى (٤٠٨ — ٤٥٠م) لعقد هذا المجمع فى مدينة افسيس (افسوس) لحسم الخلاف بين بطريرك القسطنطينية نسطوريوس ، وبين بطريرك الاسكندرية كيرلس (٢٢٤) (٤١٢ — ٤٤٤ م) وفى ذلك يذكر المسعودى : « أن الامبراطور تدوس الصغير كتب الى يوحنا بطريرك انطاكية (٢٢٥) ، واساقفته ان يسيروا الى مدينة افسيس لينظروا فيما بين نسطورس

= (المقدونيين) فى حين أطلق عليهم اتباع الايمان النيقى اسم « اعداء الروح القدس » او (نصف الاريوسيين) .

لمزيد من التفاصيل انظر : حنانيا الياس : مجموعة الشرع ، ص ٢٥٨ — ٢٥٩ ، رأفت عبد الحميد : الدولة والكنيسة ، جـ ٤ ، ص ٦٤ — ٦٥ .

(٢٢٢) المسعودى : التنبيه والاشراف ، ص ١٤٦ .

(٢٢٣) لمزيد من التفاصيل عن قوانين هذا المجمع انظر : حنانيا الياس : مجموعة الشرع ، ص ٢٥٧ — ٢٨١ .

Janin, « Constantinople » dans dict. d'hist et de Geog. Eccl. T. 13, pp. 756 — 57.

(٢٢٤) كيرلس عين بطريركا على بطريركية الاسكندرية بعد وفاة عمه ثيوفيل (٣٨٥ — ٤١٢ م) وسعى كيرلس جاهدا لرفع شأن بطريركية الاسكندرية من ناحية ومناصبة بطريركية القسطنطينية العداء من ناحية اخرى .

(٢٢٥) عن دور بطريرك انطاكية فى هذا المجمع انظر حنانيا الياس : مجموعة الشرع الكنسى ، ص ٣٣٤ — ٣٣٦ .

وقورللس بطريرك الاسكندرية من الخلاف » (٢٢٦) .

ويرجع سبب الخلاف بين نسطور وكيرلس الى ان نسطور كان من المؤمنين بتعاليم اريوس بحكم انه كان احد تلاميذ مدرسة انطاكية ، فى حين كان كيرلس على مذهب اثناسيوس الذى ينادى باتحاد الطبيعتين فى شخص المسيح .

اما عن تاريخ عقد هذا المجمع فيذكر المسعودى : « فمن المجمع الثانى ... بمدينة القسطنطينية الى هذا المجمع بمدينة افسيس احدى وخمسون سنة » (٢٢٧) أى ان هذا المجمع عقد فى عام ٤٣١ م .

وعن الاساقفة الذين حضروا هذا المجمع يذكر المسعودى : « وحضر هذا المجمع مائتا اسقف وكان المقدم فيه قورللس بطريرك الاسكندرية — اذ كان رئيسا للمجمع — وكلسطوس (٢٢٨) بطـريرك روميـة ، وبولانيوس بطريرك ايليا » (٢٢٩) .

ونجح كيرلس فى هذا المجمع فى ان يكسب تأييد بابا روما كيلستين الاول (٤٢٢ — ٤٢٣ م) واساقفة الشرق ورهبان القسطنطينية بـل وتأييد زوجة الامبراطور واخته ، كما نجح فى كسب كبار الشخصيات فى المجمع الى جانبه باغداق الاموال والعطايا عليهم وفى ذلك يذكـر المسعودى ان كيرلس استخدم الحيلة ضد نسطور « ببذل الاموال لبطانة الملك » (٢٣٠) .

---

(٢٢٦) المسعودى : التنبيه والاشراف ، ص ١٤٨ .

(٢٢٧) المسعودى : نفس المصدر ، ص ١٥٠ .

(٢٢٨) يقصد به كيلستين الاول بابا روما ، ولم يحضر بنفسه المجمع بل ارسل مندوبين عنه وهما الاسقفين اركاديوس وبروجكتوس والكاهن فيليبس . عن دور البابا كيلستين فى حسم الخلاف بين نسطور وكيرلس . انظر : حنانيا اليابس : مجموعة الشرع الكنسى ، ص ٢٨٨ .

(٢٢٩) المسعودى : التنبيه والاشراف ، ص ١٤٨ ، مروج الذهب ، جـ ١ ، ص ٣١٩ .

(٢٣٠) المسعودى : التنبيه والاشراف ، ص ١٤٦ .

اما عن قرارات مجمع افسيس ٣٤١ م فقد قرر المجتمعون فيه لعن نسطور والتبرأ منه ونفيه ، ويذكر المسعودى ان « نسطورس نفى اولا من القسطنطينية الى انطاكية ثم منها الى صعيد مصر » (٢٣١) ، ويذكر فى موضع آخر « انه سار الى صعيد مصر ، فاقام ببلاد اخميم، ومات بقرية يقال لها سيفلح » (٢٣٢) .

المجمع المسكونى الرابع (مجمع خلقدونية ٤٥١ م) :

وعقد هذا المجمع فى مدينة خلقيدون (أى خلقدونية) — كما خليفة الامبراطور ثيودوسيوس الثانى ، وفى أول سنة من حكمه ٤٥١م، وعقد هذا المجمع فى مدينة خلقيدون (أى خلقدونية) (٢٣٣) — كما يذكر المسعودى — للقضاء على الخلاف الدينى والنظر فى موضوع ديسقرس بطريرك القسطنطينية (٢٣٣) .وهنا يخطأ المسعودى فقد كان ديسقورس بطريركا لمدينة الاسكندرية فى الفترة من (٤٤٤ — ٤٥١ م) ولم يكن بطريركا للقسطنطينية .

وعن تاريخ عقد هذا المجمع يذكر المسعودى : « فمن المجمع الثالث ... الى هذا المجمع احدى وعشرون سنة » (٢٣٤) وعلى هذا فتحديده مضبوطا ودقيقا .

اما عن عدد الاساقفة الذين حضروا هذا المجمع فيذكر المسعودى:

---

(٢٣١) المسعودى : مروج الذهب ، ج ١ ص ٣١٩ ، وعن الحكم

(٢٣٢) المسعودى : مروج الذهب ، ج ١ ص ٣١٩ ، وعن الحكم الذى اصدره المجمع على نسطور انظر حنانيا الياس : مجموعة الشرع الكنسى ، ص ٣٢٢ .

(٢٣٢) المسعودى : التنبيه ، ص ١٤٨ .

ولمزيد من التفاصيل عن قرارات هذا المجمع وقوانينه انظر حنانيا الياس : مجموعة الشرع ، ص ٣٣٣ وما يليها .

(٢٣٣) المسعودى : التنبيه ، ص ١٥٠ .

(٢٣٤) المسعودى : نفس المصدر والصفحة .

« اجتمع فيه ستمائة وثلاثون اسقفا » (٢٣٥) .

وقرر هذا المجمع بالنسبة لديسقورس محاكمته وعزله من منصبه » (٢٣٦) اما بالنسبة للعقيدة فقد ادان المجمع مذهب الطبيعة الواحدة ، وفى ذلك يذكر المسعودى : « وفى هذا المجمع خالفت اليعاقبة سائر النصارى وفارقوهم » (٢٣٧) ، وذكر فى موضع آخر « ان اليعاقبة لاتعتد بهذا المجمع » (٢٣٨) وذلك لانهم يدينون بمذهب الطبيعة الواحدة وقد ادان المجمع هذا المذهب وايد مذهب الطبيعتين .

على ان اهم قرارات هذا المجمع بالنسبة للقسطنطينية نفسها هو قرار المجمع بان يلى بطريرك القسطنطينية بطريرك روما فى المكانة ، وان تصبح كنيسة القسطنطينية على قدم المساواة مع كنيسة روما مما ترتب عليه فيما بعد عداء بين الكنيستين بسبب التنافس على مركز الصدارة (٢٣٩) .

المجمع المسكونى الخامس (القسطنطينى الثانى) ٥٥٣ م :

عقد هذا المجمع فى عهد الامبراطور جستنيان العظيم (٥٢٧ — ٥٦٥ م) وهو ثان مجمع يعقد فى مدينة القسطنطينية ، ولم يحدد

---

(٢٣٥) المسعودى : التنبيه والاشراف ، ص ١٥٠ .

(٢٣٦) جاءت صيغة الحكم على ديسقورس على النحو التالى : « اننا نبلغك انه فى الثالث عشر من شهر تشرين الأول قد خلعت من الاسقفية ، وصرت غريبا عن الكهنوت الكنسى بأمر المجمع المقدس لعدم مراعاتك القوانين الالهية وعصياتك على هذا المجمع المسكونى المقدس ولاسباب اخرى من جرائم تبين انك ارتكبتها » .

انظر حنانيا الياس : مجموعة الشرع ، ص ٣٩٣ .

(٢٣٧) المسعودى : التنبيه والاشراف ، ص ١٥٠ .

(٢٣٨) المسعودى : مروج الذهب ، ج ١ ، ص ٣٢٥ .

(٢٣٩) لمزيد من التفاصيل انظر حنانيا الياس : مجموعة الشرع الكنسى ، ص ٤٠٠ — ٤٠٥ ، الباز : الدولة البيزنطية ، ص ٥٢ — ٥٤ ، جيبون : اضمحلال الامبراطورية ، ج ٢ ، ص ٥١٧ — ٥٢٣ ، Vasiliev, History of The Byzantine Empire I, pp. 130 — 33.

المسعودى تاريخ عقد هذا المجمع تحديدا دقيقا فقد ذكر : « انه كان من مجمع خلقيدون الى هذا المجمع مائة وست وثلاثون سنة » (٢٤٠) . هذا فى حين ان الفترة بين مجمع خلقدونية ٤٥١ م وبين تاريخ عقد هذا المجمع ٥٥٣ م تقدر بعامين ومائة عام .

وعن عدد الاساقفة الذين حضروا هذا المجمع يذكر المسعودى فى التنبيه (٢٤١) ان عددهم مائة واربعة وستون اسقفا ، ومنهم اصحاب الكراسى الاربعة فيما عدا بطريرك ايليا (بيت المقدس) لم يحضر بنفسه بل حضر اصحابه (٢٤٢) .

اما عن اهم قرارات هذا المجمع فيذكر المسعودى انه حرم اريجانس (٢٤٣) لقوله بتناسخ الارواح فى اجسام الحيوان ، وتبديل الاسماء ، وتغير الاجسام ، وان الله عز وجل لا يفعل ذلك بخلقه الا باستحقاق لما ارتكبوه من الاجرام ، وانه لايجلب بعذابهم منفعة ولا يدفع عن ذاته مضرة اذا كان غنيا عن جميع ذلك (٢٤٤) .

---

(٢٤٠) المسعودى : التنبيه والأشراف ، ص ١٥٣ .

(٢٤١) المسعودى : نفس المصدر ، ص ١٥٢ — ١٥٣ .

(٢٤٢) حضر هذا المجمع افتيشيوس بطريرك القسطنطينية وكان رئيسا لهذا المجمع ، وابوليناريوس اسقف الاسكندرية ، ودومنوس اسقف انطاكية ، ومندوبين عن افسطاثيوس بطريرك بيت المقدس . ولم يحضر البابا فيجيلوس هذا المجمع ووافق على أعماله بمنشور .

انظر حنانيا الياس : مجموعة الشرع الكنسى ، ص ٤٤٦ — ٤٤٧ .

(٢٤٣) اوريجانس من رؤساء مدرسة الاسكندرية التبشرية ، ولد فى عام ١٨٥م وتوفى ٢٥٠م ، ويعتبر من اشهر مفسرى الكتاب المقدس ، وله آراء خاصة فى العقيدة .

لمزيد من التفاصيل انظر : حنانيا الياس : مجموعة الشرع الكنسى ، ص ٤٧٥ — ٤٨٠ .

(٢٤٤) المسعودى : التنبيه والاشراف ، ص ١٥٢ .

المجمع المسكونى السادس (القسطنطينى الثالث) ٦٨٠ — ٦٨١م:

عقد هذا المجمع فى عهد الامبراطور قسطنطين الرابع اللحيانى بوغوناتوس (٦٦٨ — ٦٨٥ م) ابن قنسطانز (٦٤١ — ٦٦٨ م) حفيد هرقل ، وليس ابن هرقل أو اخيه كما ذكـــر المسعودى فى قوله : ان هذا المجمع عقد فى عهد قسطنطين بن قسطنطين اخى هرقل ، وقيـــل انه ابن هــرقل (٢٤٥) • وهذا يعنى انه ليس متأكدا مما ذكره بهـــذا الشـــأن •

ويعد هذا المجمع هو ثالث المجامع المســكونية التى عقـــدت بالقسطنطينية ويذكر المسعودى بهذا الصـــدد : « كان الســـنهودس السادس وهو المجمع بالقسطنطينية من بلاد بوزنطيا » (٢٤٦) •

وذكر المسعودى ان « عدة من اجتمع فى هذا المجمع من الاساقفة مائتين وتسعة وثمانين اسقفا وقيل دون ذلك (٢٤٧) ، وكان اجتماعهم على لعن رجل يقال له قورس الاسكندرى (٢٤٨) خالف الملكية ، واحدث

---

(٢٤٥) المسعودى : التنبيه والاشراف ، ص ١٥٩ .

(٢٤٦) المسعودى : نفس المصدر والصفحة .

(٢٤٧) المسعودى : نفس المصدر والصفحة ، مروج ، ج ١ ، ص ٣١٩. اختلف المـــؤرخون فى تحـــديد عـــدد الاساقفة الـــذين حضروا هــــذا المجمع ، فيذكر بعضهم انهم ١٧٠ اسقفا ، فى حين يذكر البعض الاخر انهم ٣٨٩ أسقفا ، وقيل اقل من ثلثمائة .

انظر حنانيا الياس : مجموعة الشرع ، ص ٤٨٦ ، ٤٨٩ ، اسـد رستم : كنيسة انطاكية ،

Janin, Constantinople, pp. 760 — 63.

(٢٤٨) يقصد بقـــورس الاســـكندرانى كيروس Cyrus بطريرك الاسكندرية الذى ارسله هرقل الى مصر فى عام ٦٣٠ م لينشر بها مذهب الفعل الواحد والارادة الواحدة . ونظرا لأن جميع الاقاليم الشرقية ومنها مصر والشام قد آلت كلها فى عهد قسطنطين الرابع الى حظيرة المسلمين فلم تعد هناك حاجة لمذهب الفعل الواحد والارادة الواحدة

قولا نحو قول المارونية فى المشيئة والفعل » (٢٤٩) •

ويعتبر المسعودى هذا المجمع هو آخــر المجامع الكنسية المسكونية لذلك توقف عنده •

(تتمة المقــال فى العدد القــادم)

=
لذلك تقرر فى هذا المجمع بطلان هذا المذهب ، واقرار صيغة الطبيعتين والفعلين المشيئتين فى شخص المسيح .

لمزيد من التفاصــيل عن مذهب الفعل الواحد انظر : ليــلى عبد الجواد : الدولة البيزنطية فى عصر الامبراطور هرقل ، ص ١٦٥ وما يليها .

(٢٤٩) المســعودى : التنبيه والاشراف ، ص ١٥٩ .

دراســات لبعض النقــود النــادرة
(٢) دينار رشيدى نادر

للدكتورة/ سهام محمد المهدى
وكيل أول متحف الفن الاسلامى

يضــم متحف الفن الاســلامى ضمن مقتنياته دينــارا نادرا وأرجو أن تحقق دراسته ونشره اضــافة جديدة فى مجــال دراســة المســكوكات :

أولا ــ دراســة نصوص الدينــار :

هذا الدينار يماثل فى طرازه الدنانير المرابطية ٤٤٨ ــ ٥٤١ هـ (١٠٥٦ ــ ١١٤٧ م) ذات الكتابات المركزية فى أربعة أسطر أفقية ويدور حولها كتابة هامشية فى سطر واحد ويفصل بينهما حلقتان بارزتان لوحة رقم (أ ، ب) وقراءته كالتالى :

الوجــه		الظهــر
المركز :		**المركز :**
لا الـــه الا اللـــه	:	الامـــــــــام
محمـد رســول الله	:	عبـــــــــد
الامير الرشيد بال(له)	:	اللــــــــــه
بــن رافـــــــع	:	أمير المؤمنــــــين
الهامش :		**الهامش :**
ومن يبتغ غير الاسلام دينا	:	بسم الله الرح (من) ضرب
فلن يقبل منه وهو فى الآخرة	:	هاذا (كذا) الدينار بقابس
من الخـــاسرين (١) •	:	عامثنتين وأربعين وخمسماية

---

(١) رقم السجل ١٣٩٤٧ ــ الوزن ٣٫٩٠ جم ــ القطر ٢٤ مم ، القرآن الكريم سورة آل عمران آية رقم ٨٥ .

وقد بذلت جهدا ليس بالقليل فى قراءة نصوصه بالنظر الى أن كتابا تـالهامش بالخط الكوفى ذى الأحرف المزخرفة الطرف والمتلاصقة ، على حين أن كتابات المركز بالخط الكوفى المغربى • ونصوص هذا الدينار تثير الانتباه من عدة وجوه :

أولا : مكان الضرب وتاريخه : اذ أن الاسم « قابس » لم يتكرر نقشه كثيرا على النقود ، وهى احدى مدن شمال افريقية تقع على ساحل البحر بين طرابلس وسفاقس ثم المهدية وساحلها مرفـأ للسفن فى كل مكان(٢) •

وذكر البكرى أن أهلها كثيرا ما يمتنعون على السلطان(٣) وربما جاء ذلك لحصانتها الطبيعية وغناها بالفواكه والحرير وقصب السكر فضلا عما كان لها من رحلات تجارية ، مما هيأ لها اكتفاء ذاتيا •

ويقع تاريخ سك الدينار وهو عام ٥٤٢ هـ • فى أواخر عصر بنى زيرى الصنهاجيين حكام أفريقية فى تلك الفترة وفى نفس الوقت فان « قابس » كانت امارة عربية فى يد بنى جامع من دهمان من بنى على ، احدى بطون رياح الهلاليين فيما بعد عام ٤٨٩ هـ(٤) •

ثانيا — اسم الامير الرشيد بالله بن رافـع :

لم تذكر المصادر التاريخية اسم « الرشيد » كثيرا ، وانما ركزت

---

(٢) ابو عبيد البكرى : المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب (نشر مكتبة المثنى ببغداد) ، ص ١٧ — ١٨ •

(٣) المصـدر نفسه ، ص ١٨ •

(٤) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر فى تاريخ العـرب والبربر ، دار الكتاب اللبنانى ، جـ ٦ ص ٢٤١ •

النويرى : نهاية الارب ، تحقيق دكتور حسين نصار ، القاهرة ١٩٨٣ ، ص ٢٤ ، ص ٢٣٣ — ٢٣٤ •

على سيرة « رافع بن مكن بن كامل بن جامع الرياحى»(٥) الـذى أقام السفن بساحل قابس لتحمل التجارة فى البحر سنة ٥١١ هـ (١١١٧ م) •

فوقع الخلاف بينه وبين الحاكم الزيرى « على بن يحيى بن تميم » بسبب المنافسة على النشاط التجارى البحرى فى تلك المنطقة ، ولجـأ « رافع » الى رجار صاحب صقلية ثم انتهى الامر بالصـلح بين الطـرفين(٦) •

وأول اشارة عن الرشيد ما ذكره ابن الاثير فى حوادث عـام ٥٤٢ هـ : « كان صاحب مدينة قابس قبل هذه السنة انسانا اسمه رشيد فتوفى » • وأشار الى وقوع الخـلاف بين ابنيه « محمـد وعيسى »(٧) •

وأشار ابن خلدون الى « رشيد بن كامل » الذى قام بقابس بعد « رافع بن مكن » وانه اختط قصر العروسين وضرب السكة « الرشيدية »(٨) وآخر من ملكها هو « مدافع بن رشيد بن كامل » الذى سلمها الى الموحدين عام ٥٥٤ هـ(٩) •

---

(٥) اختلف المؤرخون فى اسمه فقد ذكره النويرى وابن الاثير « مكة » وذكره ابن خلدون « بكر » و « مكن » وذكره عذارى « مكى » انظر : النويرى : المصدر السابق ، ص ٢٤ ، ٢٣٢ .
ابن الاثير : الكامل فى التاريخ (١٣٠٣ هـ) ، ص ١٠ ، ١٨٦ .
ـ ابن خلدون : المصدر السابق ، ص ٦ ، ٢٤٠ ، ٣٤٤ .
ـ ابن عذارى : البيان المغرب فى أخبار المغرب : ص ١ ، ٤٤٢ .
(٦) ابن الاثير : المصدر السابق ، ص ٢٤ ، ٢٣٤ .
ـ النويرى : المصدر السابق ص ٢٤ ، ٢٣٤ .
ـ ابن خلدون : المصدر السابق ، ص ٦ ، ٣٤٣ .
(٧) ابن الاثير : المصدر السابق ، ص ١١ ، ٤٥ .
(٨) ابن خلدون : المصدر السابق ، ص ٦ ، ٣٤٢ .
(٩) د. مصطفى ابو ضيف : اثر العرب فى تاريخ المغرب خلال عصرى الموحدين وبنى مرين ، الاسكندرية ١٩٨٣ ، ص ٥٩ .

وما ذكره ابن خلدون على هذه الصورة يرجح أن « رشـــيد » هو أخ « لرافع » وليس ابنه ، وقد أكد ذلك فى متابعته لسلســـلة نســبه :

رافع
مكى
عيسى

محمـــد بن رشـــيد بن كامل بن جامع بن دهمان بن على

رياح

الا أن التجانى فى رحلته جعله الرشيد بن رافع بن مكى بن كامل ابن جامع بن دهمان بن على بن رياح(١٠) •

وتؤيد كتابات الدينار — محل البحث — ان « الرشيد » المذكور هو ابن رافع وليس أخا له •

ومما يجدر ذكره فى هذا المجال أن « هزارد » سبق وأن نشر دينارا مماثلا قرأ كتاباته فى مركز الوجه على أنها : « الامير الرشيد ابن الرشيد » وفى الهامش قرأ مكان الضرب وتاريخه : « ضرب فى قابس عام احد وخمسين وخمساية » وقد نسبه « هزارد » الى أحد أبناء الرشيد بن كامل الذى أشار اليه ابن خلدون وهو « مدافــع ابن الرشيد » ورجح أن يكون اسمه الحقيقى « الرشيد » وأن الاسم « مدافــع » هو اسم الشهرة لآخر حكام بنى جامع • ثم رجح أن

(١٠) د. مصطفى ابو ضيف : المرجع نفسه . انظر فهرس القبــائل والجماعات ، ص ٣٣٤ عن رحلة التجانى .

ذلك الدينار هو الدينار الرشيدى المشار اليه(١١) •

الا أنه بالنظر الى صورة الدينار المنشـــور ، أمكننى قراءة الاسم وهو « الرشيد بن رافع » بل انه طبق الاصل من الدينـــار الاول فيما عدا أنه مثقوب ويقرأ تاريخه : « بسم الله ضرب هذا الدينار بقابس عام أحد وأربعين وخمسماية » • وقد اختلط الأمر على « هزارد » نظرا لالتصاق الحروف ببعضها •

ونتيجة لذلك فقد صار لدينا مثالان من الدنانير الرشيدية التى نوه عنها « ابن خلدون » ومن ثم نستطيع أن نرجح أن « الرشـــيد ابن كامل » هو ابن رافع وليس أخاه كما ذكر ابن خلدون •

وعلى الرغم من أن تاريخ توليه الحكم فى قابس مازال غير معروف الا أن لدينا عامين متتالين من فترة حكمه وهما عام ٥٤١ ، ٥٤٢ هـ تاريخ سك الدينارين المذكورين ــ وقد ذكر ابن الاثـــير تاريخ وفاته وهو ٥٤٢ هـ ومن ثم نستطيع أن نرجح أن « الرشيد بن رافـــع » قد تولى امارة قابس بعد عام ٥١١ هـ فى تاريخ غير معلوم وتوفى عام ٥٤٢ هـ •

ثالثا ــ اسم « الامام عبد الله » فى مركز ظهر الدينار :

وهو اسم ورد كثيرا على النقود المرابطية من قبل (لوحة رقم ٢ أ ، ب) وقد يتبادر الى الذهن انه « عبد الله بن ياسين » الزعيم الدينى للمرابطين الا أن بعض هذه النقود أضافت اليـــه نعت : « العباسى » • وعلى هذا فقد رجح لدينا أن المقصود به هو اللقب

---

(11) Hazard (Harry. W.), The Numismatic History of Late Medieval North Africa, A. N. S, (New York 1952), p. 56, No 24 a pl I.

يلاحظ أن ابن خلدون اشار الى الدينار الرشـــيدى الذى ضربه الرشيد بن كامل وليس الرشيد الذى يقترحه « هزارد » .

المرتب على لقب الخليفة العباسى المعاصر لتاريخ الدينار الرشيدى وهو الامام « أبو عبد الله المقتفى لامــر الله » (٥٣٠ — ٥٥٥هـ ١١٣٦ — ١١٦٠ م) وقد سجل باسمه ولقبه كاملا على دينـــار معاصر ضرب عام ٥٤٣ هـ باسم « يحيى بن العــزيز » من بنى حمـــاد ، حكام الجزء الشرقى من المغرب الاوسط(١٢) .

والاشارة الى الخليفة العباسى بلقبه « الامام عبد الله » المرتب على لقب خليفة دون تسجيل اسمه على معظم النقود المغربية فى هذا التاريخ وحوالى القرن من الزمان قبل ذلك يعكس اختلافا جذريا عن نقود الدويلات الشرقية فى ايران والعراق وسوريا ومصر التى سجل عليها اللقب الشخصى للخليفة مثل القادر بالله — القائم بأمر الله — المقتفى لأمــر الله ... الـــخ .

وربما كان ذلك راجعا الى بعد الاقطار المغربية عن مركز الخلافة فى بغداد ، واقتصار الصلة بينهما على الموالاة الروحية والمذهبية فقط ، وربما لم يكن بعض حكام المغرب ليهتموا بمتابعة تغيير شخص الخليفة من وقت لاخر .

---

(12) Hazard (Harry. W), op. cit., No 25, p. 96.

لوحة رقم (١)



(أ)



(ب)

دينار رشيدى ضرب قابس ٥٤٢ هـ

لوحة رقم (٢)





(أ) (ب)

دينار مرابطى للأمير يوسف بن تاشفين والامام عبد الله

التدخل النورماندى فى بلاد المغرب
(٥٠٩ ـ ٥٥٨ هـ)

دكتور / راضى عبد الله عبد الحليم
كلية التربية ـ جامعة القاهرة

تسلل النورمان الى صقلية عبر انقسامات الزعامات الاسلامية على نفسها ، وتقاتلهم فيما بينهم ، فاستولوا على مسينة عام (٤٠٧هـ ـ ١٠١٦م) واتخذوها قاعدة لأعمالهم الحربية ، ثم حاصروا بلرم مستعينين ببحرية من بيزة واستولوا عليها ، وسلمت مازر بعد أن رأت ما حل ببلرم (٤٦٤هـ ـ ١٠٧١م) وظل النورمان عشرون سنة فى حروب متصلة حتى تم لهم الاستيلاء على الجزيرة كلها (١) فسقطت سرقوسة وطبرمين وتبعتهما بثيرة (٥٨٤ هـ ـ ١٠٩١ م) ويعود سبب طول فترة استيلاء النورمان على صقلية بسبب مالاقوه من مقاومة اسلامية داخل الجزيرة .

وبعد أن استقرت الأحوال فى الجزيرة فى فترة الحكم النورماندى التى امتدت حتى عام (٥٨٦هـ ـ ١١٩٠م) وخلال فترة الحكم النورمانى التى شهدت أربعة من الحكام البارزين روجر الاول (٤٥٣ ـ ٤٩٥ هـ ١٠٦١ ـ ١١٠١ م) وروجر الثانى (٥٢٤ ـ ٥٤٨هـ ـ ١١٢٩ ـ ١١٥٣م) واثنان بعدهما يعرف كل منهما باسم وليم ، الأول (٥٥١ ـ ٥٦٢ هـ ـ ١١٥٦ ـ ١١٦٦ م) والثانى (٥٦٢ ـ ٥٨٥ هـ ـ ١١٦٦ ـ ١١٨٩ م) محاولين تحقيق الأمن والرخاء فى الداخل ، وأن يحل التوازن بين المصالح والفئات المتصارعة ، لذلك آمنوا بالواقع ، ولم ينصروا دينا على دين ، وخضعوا لاعتبارات الموقع الجغرافى ، وحقائق السياسة

---

(١) د. احسان عباس : العرب فى صقلية ، ص ١٤٤ .

— Waern Cicilia : Medieval Sicily, pp. 78 — 79.

— Free Man Edward : The Normans at Polermo in Historical Essaus 3rd Series, p. 453.

الخارجية ، فقد أصدر روجر تعليماته بعدم التحيز لفريق دون آخر من الاقوام الخاضعة لسلطانه وترك لكل شعب حريته ، على ألا يتعارض ذلك مع مصلحة النورمان (٢) وسار على سياسته خلفاؤه من بعده •

وبنت الدولة النورماندية أسطولا عظيما هاجم القسطنطينية وألجأ اسطول مصر والمغرب على الوقوف موقف الدفاع ، فكانت الدولة الفاطمية تلتزم سياسة الضعف مع هذه الدولة الفتية ، وقد ابلغ الخليفة الفاطمى نبأ احتلال جزيرة جربة ، فكتب اليه يؤيد ما اتخذه من اجراء لعدوان أهلها واسرافهم فى الطغيان وانتزع النورمان السيادة البحرية التى كانت لاساطيل المسلمين (٣) •

وانتقلت السيادة اليهم ، وسار يفزع اليهم الولاة المسلمون المتنازعون • ونحن نريد أن نعرض للصدام بين ملوك صقلية وبين الامارة الزيرية فى أفريقية التى أصبحت لا تتعدى اسوار المهدية وما أحاط بها بعد أن اغتال العرب الهلاليون سلطانها ، فلم تبق الا هذه البقية ، واعتقد أن السبب الرئيسى فى هذا الصدام يعود الى أن النورمان ، أرادوا أن يسيطروا سيطرة كاملة على البحر الابيض المتوسط ، وأن تتحقق لهم السيادة فيه ، فلا ينافسهم منافس صغر أم كبر ، وكان الزيريون فى المهدية يلتمسون من التجارة الدولية ما يقيم أودهم ، بل كانت هذه التجارة مصدر الرزق الوحيد لهم ، فعنوا بانشاء الاساطيل والاسهام فى التجارة الدولية بقدر ما يستطيعون ، فوقع التنافس اذن بين بلرم والمهدية كما لم ينس

---

(٢) د. حامد زيان : الاسلام والمسلمون فى صقلية فى ظل الحكم النورماندى ، مجلة كلية الآداب — جامعة القاهرة ، المجلد ٣٦ ، ٣٧ ، ١٩٧٥ م ، ص ١١٩ .

— Curtis Edmond : Roger of Sicily, pp. 214 — 215.

(٣) انظر المراجع الآتية :

— Cambridge Medideval History vol 5, p. 177.
— Cambridge History of Islam vol 2, p. 146.
— Latrie : Traités de Paix et de Commerce. p. 39, 42.
— Haskins : The Normans in European History, p. 198, 203, 204.

النورمان تدخل المعز بن باديس فى أمور الجزيرة عندما استصرخ له المسلمون ، فاعانهم بأسطول كبير غرق اكثره فى البحر ، الامـر الذى أدى الى اضعاف قوة المعز وسهل على العرب الهلالية أن يملكوا البلاد من يده ، واستمر التدخل الزيرى فى عهد تميم بن المعز الذى أرسل ولديه على وأيوب فقاتلا هناك ، ثم هزما وعادا الى أفـريقية مـرة أخـــرى .

ويمكن أن يقال ان الحرب أخذت دورها الجدى بين الفريقين فى المغرب منذ مطلع القرن السادس الهجرى ، وكان يلى أمر أفريقيـة يحيى بن تميم بن المعز بن باديس (٥٠٠ ـ ٥٠٩ هـ ـ ١١٠٧ ـ ١١١٥م) الذى كان يتطلع لاقرار عهد يمتاز بالسلم والهدوء ، وذلك بهزيمـة الروم الا أنه لم يوفق فى ذلك كما كان يريد ، ولم تكن الحـرب بين الفريقين فى ذلك الوقت ، أكثر من غارات قصدها السلب والنهب ، وليس الوصول الى نتيجة حاسمة (٤) ، ومات يحيى بن تميم (٥٠٩ هـ ـ ١١١٥ م) فى نفس عام نكاح ابنته بدر الدجا للعزيز بالله بن المنصور صاحب بجاية (٥) .

---

(٤) يذكر ابن عذارى قوله :
« وصل اسطول المهدية بسبى كثير من بلاد الروم فى ربيع الآخـر (٥٠٧ هـ ـ ١١١٣ م) فسر بذلك يحيى بن تميم والمسلمون » .
ـ ابن عذارى ، ابو عبد الله محمد المراكشى : البيان المغرب فى اخبار المغرب ، ج ١ ، ص ٣١٤ .
(٥) ابن الاثير ، عز الدين ابى الحسن بن ابى الكرم ، الكامل فى التاريخ ، ج ١٠ ، ص ٥١٢ .
ـ ابن خلدون ، عبد الرحمن بن خلدون : العبر وديوان المبتـدا والخبر ، ج ٦ ، ص ١٦٠ .
ـ النويرى ، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب : نهاية الارب فى فنـون الأدب ، ج ٤ ، ص ٢٣٩ .
ـ المراكشى ، محيى الدين أبو محمد عبد الواحد بن على التميمى : المعجب فى تلخيص اخبار المغرب ، ص ٢٠٥ .
ـ التجانى ، ابو محمد عبد الله محمد بن أحمد : الرحلة ص ٧٣ .
ـ ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٣١٥ .

وتـرك لنـا الشـعر (٦) عنـه صـورة ان كـان فيهـا شيء من المبـالغة الادبية ، الا أنهـا توضح حقيقة ما كان عليـه من قـوة بطمع بها فى دفع العدو وخلفه ابنه على (٧) الذى زاد فى عهـده توتر العلاقات بينه وبين النورمان ، فقد كان يريد استعادة السيادة الاسلامية فى حوض البحر الأبيض المتوسط ، فرأى أن يمكن لنفسه فى أفريقيـة أولا حتى يسهل عليه التصدى لخصمه ، فتصدى لرافع بن مكى بنكامل ابنجامع الدهمانى صاحب قابس (٨)الذى أراد أن يجرى سفينة فى البحـر ، رغم أن أباه يحيى لم ينكر هذا العمل من رافع بل داراه « وأعانه بالخشب والحديد » وأمده بما احتاج اليه .

ويوضح ابن الاثير والنويرى شخصية الاب وعدم رغبته فى اثارة

= ابن أبى دينـار ، أبى عبد الله محمد بن أبى القاسم ، المؤنس فى اخبار افريقية وتونس ، تحقيق محمد شمام ، ص ٩٠ .

— الذهبى ، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان ، سير اعـلام النبـلاء ، تحقيق شعيب الارنؤوط ، ج ١٩ ، ص ٤١٢ .

(٦) وفى ذلك يقول ابن حمديس :

ومسيلة دمعـا يسـوغ عذوبة على ان دمع المقلتين اجـاج
وخمصـانة منقـادة بذوائب لسـائقها خلـف الجـواد لجاج
كأن وراء الخيـل منها جـآذرا تروع اخصـار لهن زجـاج
فكان لنا فى الروم قتـل معجـل وفينـا لهم من الوشيج شـجاج

— ابن حمديس ، ابو محمد عبد الجبار بن ابى بكر بن محمـد بن حمديس الصقلى ، الديوان ، ص ٦٤ — ٦٥ .

(٧) المراكشى ، ص ٢٠٥ .

ويقول ابن حمديس فى وفاة يحيى والتهنئة بتولية ابنه على :

ما اغمد العضب حتى جرد الذكر ولا اختفى قمر حتى بدا قمـر
قد مات يحيى فمات الناس كلهم حتى اذا ما على جـاءهم نشروا

— ابن حمديس ، ص ١٩٠ .

(٨) قابس : مدينة على ست مراحل الى جهة القيروان ، ذات مياه جارية وأشجار متهدلة وفواكه رخيصة ، وبها من البربر الكثير ، وتشتهر بالزيتون والغلات والزيت والجلود ، وقال عنها التجـانى (ص ٨٦ ، ٨٧) أنها جنة الدنيا ودمشق الصغرى .

— أبى حوقل : ابو القاسم أحمد ، صورة الارض ، ص ٧٠ .

— التجـانى ، ص ٩٧ .

ما يمكنه أن يؤدى الى شىء من الاضطراب فى العلاقات فيقـــول انه « لم ينكر ذلك عليه جريا على عادته فى المداراة » (٩) .

لكن على كره « أن يقاومه أحد من أهل افريقية فى اجراء السفن فى البحـــر » فأنفذ أسطولا الى ساحل قابس لمنع هذه السفينة من الاقلاع (١٠) وأخذها ان هى أقلعت ، ولم يتوان على فى أن يعد عدته ويأخذ أهبته لقتال رافع « فعمر ست حربيات وأربع شوانى » (١١) ، وخرج بهما ، فلما ذاع خبر ما اعتزم عليه ، ورأى منه صاحب قابس الجدفى منازلته (١٢) استنجد بروجر ملك صقلية ، الذى رآها فرصـــة سانحة للتفرقة بين المسلمين (١٣) والكيد لهم وبادر بارسال اسطوله لمساعدة رافع ، والواقع أن المساعدة التى قدمها روجر الى رافع لم

---

(٩) ابن الاثير ، جـ ١٠ ، ص ٥٢٩ .
— النويرى ، جـ ٢٤ ، ص ٢٤٣ .
(١٠) ابن خلدون ، جـ ٦ ، ص ١٦١ .
— ابن عذارى ، جـ ١ ، ص ٥٢٩ .
(١١) الحربيات : (جمع حربية) وهى نوع من الشوانى ولكنهـــا اصغر منها حجما وتمتاز بسرعتها وخفة حركتها .
الشوانى : (جمع شينى أو شينية) وكانت أهم قطع الاســـطول وكانت تعرف أيضا بالاغربة أو الغربان (جمع غراب) لانها كانت تطـــلى بالقار وكانت لها قلوع بيضاء فهى بذلك تشبه الغربان .
د. احمد مختار العبادى ، د. السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ البحرية الاسلامية فى مصر والشـــام ، ص ١٣٢ ، ١٣٤ .
(١٢) ابن الاثير ، جـ ١٠ ، ص ٥٢٩ — النويرى ، جـ ٢٤ ، ص ٢٤٣ .
— Kenneth. M. Setton. A History of the Crusades, p. 20.
(١٣) ويجب ان نذكر فى هذا المجال ان النورمان انتهزوا فرصـــة انشـــقاق المسلمين بعضهم البعض واخذوا فى مد نفوذهم الى البـــلاد الاسلامية ، ويبدو أن روجر اراد أن يكرر ما سبق أن فعله فى صـــقلية عندما اشتد الصراع بين ابن الثمنة وابن الحواس وبسط نفوذه على صـــقلية .
— راجع د. حامد زيان : تاريخ الحضارة الاسلامية فى صـــقلية ، ص ٦٥ — ٧٦ .

تكن من أجل حمايته وتقوية نفوذه فى قابس ، وانما كانت تمهيدا لبسط نفوذ النورمان فى المستقبل على شمال افريقية ، فالمعروف أن روجر وضع نصب عينيه منذ استيلائه على صقلية أن يتخذها نقطة انطلاق الى شواطىء افريقية الشمالية الخاضعة لحكم المسلمين وذلك من أجل هدف اقتصادى تجارى (١٤) ، فلما اجتازت السفن المهدية ، أخرج على « الحربيات والشوانى تتبعه الى قابس فتوافوا بها » فرجع اسطول روجر الى صقلية بعد أن أيقن عجزه عن مناهضة على (١٥) ، فكان لهذا النصر صدى عند المسلمين عبر عنه : محمد بن عبد الله الكاتب، وابن حمديس (١٦) .

---

(١٤) د. حامد زيان : الاسلام والمسلمون فى صقلية ، ص ١٢٤ .
(١٥) النويرى ، جـ ٢٤ ، ص ٢٤٩ .
— ابن الاثير ، جـ ١٠ ، ص ٥٣٠ .
— لخص التجانى (ص ٩٧) هذه الحروب فى قوله :
« وكتب رافع للجار صاحب صقلية يسأله الاعانة على على ، ويخبره انه اذا أنشأ تلك السفينة ليبعث هدية يجب أن يهديها اليه ، فبعث لجار الى قابس اسطولا ضخما لنصرة رافع ، فلما بلغ ذلك عليا اجتمع رجال دولته واستشارهم فى ذلك فكلهم اشاروا عليه باسترجاع اسطوله والتغاضى عن رافع ، فى هذه المسألة حفظا لما بينه وبين لجار من المصالحة ، فرأى على فى ذلك وهنا عليه » فأمر ببقية اسطوله فاخرج فى الحين ووجهه الى قابس ، فوجد الروم قد نزلوا من قطعهم لضيافة اعدها رافع لهم ، فلم يرعبهم الا وصول الاسطول ، فبادروا الى قطعهم فغلبهم على أكثرها وقتلوا منهم جماعة كثيرة ، وكان ذلك من اشد اسباب الوحشة التى وقعت بين لجار وعلى وابنه الحسن بعده » .
(١٦) ليهن المعالى أن تملك رقها
على بن يحيى بالحجا والتكرم
جرى وجرى سير الملوك فبذهم
الى غاية فى المجد لم تتقدم
وصمم تصميم الحسام مبادرا
لاطفأ نارا آذنت بالتضرم
تعدى على الأعلاج فى بحر قابس
وسار اليهم فى الخميس العرمرم

ويذكر المؤرخون (١٧) أن روجر الصقلى أنفذ بعد ذلك عام (٥١٢ هـ — ١١١٨ م) رسولا من قبله الى على بن يحيى يلتمس تجديد العقود وتأكيد العهود ، ويطلب أموالا كانت له بالمهدية وذلك بعنف وغلظة فرد على رسوله دون جواب ، وجابهه بالقول ، فتزايدت الوحشة بينه وبين لجار ، فأوسع شرا ، وحاول بعد ذلك مكرا » .

ولم تفت على هذه السياسة الماكرة من جانب صاحب صقلية ، فأخذ الاهبة ليوم تفصل فيه القوة بينهما ، وأعد له ما استطاع من قوة ومن رباط الخيل ، وكان يعلم مقدار عناية عدوه باعداد أسطوله ، فأنشأ هو الآخر أسطولا قويا ، مما يدل على أنه استعد للحرب والهجوم ، ولأنه كان يعلم أن لدى خصمه من السفن ما يجوب البحر ليلا وتهارا ، صيفا وشتاء ، وبلغ هذا الاسطول الأسلامى غايته ، حتى انبهر به الناس ، وأدركوا أن الأمر جد ، وأن اميرهم فيما اعتزم جاد ، ولم يفت الشعر ولا الشعراء أن يكيلوا المديح للاسطول

=

فولوا على الادبار كلا واجفلوا
بناب نبا عنهم وظفر مقلم
— التجانى ، ص ٩٩

نعيمك أن تزف لك العقار
عروسا فى خلائقها نفار
فان مزجت وجدت لها انقيادا
كما تنقاد بالخدع النوار
يسير وخلفه ابطال حرب
على حوض المنون لهم تبار
اذا اضحى شمار الاسد شعرا
فمن زرد الدروع لهم شعار
— ابن حمديس ، الديوان ، ص ٢٠٥ ، ٢٠٧ .

(١٧) ابن ابى دينار ، ص ٩١ .
— ابن عذارى ، جـ ١ ، ص ٣١٦ ، ٣١٧ .
— ابن الاثير ، جـ ١٠ ، ص ٥٣٠ .
— التجانى ، ص ٣٣٤ .

وبانيــه (١٨) .

وفزع روجر الصقلى ، وأدرك أن عليا لن يسكت ، ورأى ان السلامة والخير فى كف شره ، ومن ثم فقد أمــر أسطوله بالرجوع الى قواعده ، وعدم التعرض لسفن على ، فكان ذلك أيضا نصرا كبــيرا للمسلمين ، لكنه لم تقر نفس على بأن يرجع أسطول روجر ، دون القضاء عليه تماما ، فلم يلبث أن كاتب الأمــير عليا بن يوســف بن تاشفين (١٩) عارضا عليه فكرة مهاجمة صقلية (٢٠) لكن لم يمتد بعلى الأجل حتى يحقق هذه الامنية ، اذ ما لبث أن مات عام (٥١٥ هـ — ١١٢١ م) فخلفه ابنه الحسن بن على وكان له من العمر اذ ذاك اثنتا عشرة سنة وشهورا ، فدبر دولته صندل (الخصى) ثم مات صندل فقام بذلك مولاه أبو عزيز موفق ، وحدث أن أنفذ الأمير ، على بن

---

(١٨) وفى ذلك يقول محمد بن بشير فى قصيدة له :

واعــددت للاعــداء كل مصــــمم
يســير اليهم قاصــدا وهو اهــوج
كمثــل الــرواسى منعــــــة
غير انها على ثبج الدأماء تسرى وتدلج
كأن القنــا والنبــل فى جنباتهــا
سيال باكنــاف الهضــاب وعوسج

— التجــانى ، ص ٣٣٤ .

(١٩) على بن يوسف بن تاشفين ، بويع بمراكش يوم وفاة ابيــه اول المحرم عام (٥٠٠ هـ — ١١٠٦ م) وتسمى بأمير المؤمنين وملك جميــع بلاد المغرب من بجاية الى الســوس الاقصى ، وبلاد القبلة فى سجلماسة الى جبل الذهب من بلاد السودان وجميع بلاد الاندلس ، وملك ما لم يملكه أبوه ، وخطب له على الفى وثلثمائة منبر ومات اثناء ظهور المهدى محمد بن تومرت وانتصاره على عدة جيوش لعلى بن يوسف وكان ذلك عام (٥٣٧ هـ — ١١٤٢ م) وتولى بعده ابنه تاشفين بن على بن يوسف .

— ابن ابى دينار ، ص ٩١ .
— الذهبى ، ص ٤١٢ ، ٤١٣ .

(٢٠) ابن الاثير ، ج ١٠ ، ص ٦١١ .
— التجــانى ، ص ٩٩ ، ص ٣٣٤ .

Setton, op. cit., p. 20.

يوسف بن تاشفين اسطولا بقيادة عبد الله بن ميمون استولى على نقوطره (٢١) ، وكانت يؤمئذ تحت حكم صاحب صقلية ، وأسر بعض أهلها وسبى نساءها واطفالها ، وأخذ جميع ماوجده فيها (٢٢) ، فلم يكد صاحب صقلية يسمع بذلك النبأ ، حتى اشتد به الغضب وأقسم ، أن يؤدب المسلمين ، وأيقن فى الوقت ذاته ان هذا الحادث انما كان نتيجة لما أوعز به من قبل على بن يحيى قبل موته الى ابن تاشفين ، وأدرك ان الابن قد ورث عن ابيه كرهه للذين انتزعوا صقلية من المسلمين .

يقول المؤرخون (٢٣) « انه لم يشك فى أن المحرك لذلك والسبب له ، هو أمير أفريقية الحسن بن على ، لما تقدم بينه وبين أبيه من الوحشة العظيمة ، فاستنفر أهل بلاد الروم قاطبة ، فالتأم له مالم يعهد مثله كثرة » ، وشرع روجر فى تعمير الشوانى والمراكب ومنع الناس من السفر الى افريقية وغيرها من بلاد المغرب ، فاجتمع له فى ذلك مالم يعهد مثله ، فلما رأى الحسن ذلك ، جدد أسوار المدينة وبعث فى طلب عرب الداخل ليشدوا ازر قواته ، فوافته جموع عدة منهم (٢٤) . وفى جمادى الاولى (٥١٧ هـ ـ ١١٢٣ م) خرج اسطول

---

(٢١) نقوطرة « من البلاد الساحلية المتصلة بالبر ، من أعمال ايطاليا .
الادريسى ، أبى عبد الله محمد بن محمد ، نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ، ص ١٥ .
ويذكرها ابن عذارى ، جـ ١ ، ص ٣١٧ ، سقطرة .

(٢٢) ابن خلدون ، جـ ٦ ، ص ١٦١ .
ـ ابن الاثير ، جـ ١٠ ، ص ٥٨٨ ، ٥٨٩ .

(٢٣) ابن أبى دينار ، ص ٩٢ .
ـ ابن عذارى ، جـ ١ ، ص ٣١٧ .
ـ التجانى ، ص ٣٣٥ .
Setton, op. cit., p. 20.

(٢٤) ابن الاثير ، جـ ١٠ ، ص ٦١٢ .
ـ ابن عذارى ، جـ ١ ، ص ٣١٨ .

روجــر من مرسى على (٢٥) وعلى رأسه كرستوديوس ، وجورج بن ميخائيل الانطاكى(٢٦) غير أن ريحا شديدة هبت فأغرقت البعض ، واما الذين سلموا ، فقد يمموا شطر جزيرة قوصرة (٢٧) ، وتم لهم فتحهــا ، فأسرفوا فى السبى والقتل حتى ادركوا أفريقية ، وكان روجر قد أمر رجاله بالاستيلاء على حصن الديمــاس ، ثم يســيرون الى المهدية (٢٨) ، لكن المسلمين كما تقول المصادر العربية (٢٩) ، توافدوا

---

(٢٥) مرسى على ، مدينة قديمة ازلية من اشرف بلاد صقلية ، وكانت قد خربت ودثرت فعمرها رجار الاول ، فسارت ذات عمارة واسواق ، ويشرب أهلها من آبار عذبة ، وبها فنادق وبســاتين ومزارع كثيرة ، وبينها وبين طرابلس الغرب خمسة وعشرون ميلا .

— الادريسى ، ص ٣٣ .

(٢٦) كان أبوه علجا من علوج تميم ، نشأ نشأة عربية ، حيث كان أصله من البصرة ، وقد تعلم اللســان العربى ، وتهذب فى الشــام بانطاكية وغيرها فلما هلك تميم ، أعمل جورج الحيلة فى اللحاق بروجر ، وحــظى عنده واستعمله على أسطوله ، وكان من أعرف الناس بحيل العـــرب وأساليبهم فى الحرب والسياسة ، فلا عجب أن أطلق عليه البعض انه من دهاة النصــارى .

Bury, The Cambridge Medieval History, p. 18.

— ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ١٦١ ، ١٦٢ .

وصفه ابن عذارى (ج ١ ، ص ٣٣٣) بقوله : (بأن هذا اللعــين كان عارفا بعورات المسلمين بالمهدية وغيرها) .

— التجانى ، ص ٣٣٣ .

(٢٧) قوصرة : جزيرة فى بحر الروم بين المهدية وجزيرة صــقلية ، وهى توازى نابل من أرض افريقية ، جزيرة خصبة ، فيها آبار وسواحل واشجار زيتون وفيها معز كثير برية متوحشة ، ولها من جهة الجنوب مرسى مأمون .

— الادريسى ، ص ١٩ .

— ياقوت الحموى ، شهاب الدين بن عبد الله ، معجم البلدان ، ج ٧ ، ص ١٨٣ .

(٢٨) المهدية : مدينة صغيرة بساحل افريقية ، بنــاها عبيد الله المهدى ، وسماها باسمه ، وتحول اليها من القيروان ، وبنيت عــام (٣٠٠ هـ) ويحيط بها البحر من جهاتها الثلاثة ، ويدخل اليه من الجــانب الغربى .

مكبرين تكبيرة « ارتجت لها الارض » فوقع الرعب فى قلوب الفرنج ، ولم يشكوا فى أن المسلمين يهجمون عليهم ، فبادروا الى شوانيهم (٣٠)، وغنم المسلمون ما خلفه عدوهم ، وضيقوا الخناق على من بقى فى الحصن ، ومنعوا عنهم الماء ، حتى نضب مالديهم ، فلم يروا بدا من التسليم ، بعد أن أقاموا به ستة عشر يوما (٣١) ، وفى ذلك يقول ابن حمديس (٣٢) .

=

ـ ابن حوقل ، ص ٧١ .

ـ الاصطخرى ، أبو اسحاق ابراهيم بن محمد ، المسالك والممالك ، ص ٣٨ .

ـ ابن الخطيب ، ابو العباس أحمد بن حسين ، الفارسية فى مبادىء الدولة الحفصية ، ص ٩٥ .

(٢٩) ابن الاثير ، ج ١٠ ، ص ٦١٢ .

ـ التجانى ص ٣٩٤ ، ٣٩٥ .

(٣٠) ابن عذارى ، ج ١٠ ، ص ٦١٢ .

Setton, op. cit., p. 21.

ـ ابن الاثير ، ج ١٠ ، ص ٦١٢ .

ـ التجانى ، ص ٣٣٦ .

(٣١) ابن ابى دينار ، ص ٩٢ .

ـ ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٣١٨ .

ـ ابن الاثير ، ج ١٠ ، ص ٦١٢ .

(٣٢) جعلت نيوب الثغر زرق اسنة ،
فلم تجن زرق الروم منه رضابا
ولو نظم الديماس منثور هامهم
لقلد جيد القصر منه سحابا
فللدين عيدان من النبع جربت
بعجم فالفاها الصليب صلابا
طلعت لنا بدرا شموس طلاقة
تلف عليها راحتاه سحابا
فحالفك النصر العزيز الذى به
تغادر اساد الحروب ذئابا
ولا زلت عيدا للورى غير ذاهب
اذا العيد ولى بالزمان ذهابا

ـ ابن حمديس ، الديوان ، ص ٤٩ .

وأثلج صدر المسلمين هذا النصر ، الذى رأوا فيه نصرا للاسلام وقد نظم ابن حمديس قصيدة فى خمسة وسبعين بيتا يهنىء فيها الحسن بظهوره على روجر ويذكر عام الديماس أيضا (٣٣) .

ولم يكن ارتداد النورمانديين عن افريقية ومبارحتهم الديماس بالامر الهين على انفسهم ، فلقد كان لهذا الفشل الذريع اثره البالغ فى اثارة احقادهم على المسلمين بالمغرب ، فقرروا أن يأخذوا ثأرهم ، قال ابن عذارى : اخبر أبو الصلت ، قال : أخبرنى عبد الرحمن بن عبد العزيز قال : « رأيت على باب رجار بصقلية رجلا من الافرنج ، طويل اللحية ، يتناول طرف لحيته بيده ويقسم بالانجيل ، انه يأخذ منها شعرة حتى يأخذ ثأره من أهل المهدية ، وأميرها الحسن بن على ، فسألت عنه فقيل لما انهزم جذبها حتى أدمته » (٣٤) .

وفى عام (٥٢٩ هـ — ١١٣٤ م) كان على بجاية من آل حماد يحيى ابن العزيز بالله بن المنصور ، عم الحسن الذى ورث عن اسلافه كرههم لبيت المنصور ، ومنهم الحسن صاحب المهدية ، وحدث أن قدم الحسن ميمون محمد ابن ميمون بن زياد على جيشه ، وثارت الحمية القبلية فى نفوس جماعة من العرب وامرائهم الذين لجأوا الى يحيى بن العزيز صاحب بجاية ، واستطاعوا استمالته الى جانبهم ، فدفع اليهم جندا كثيرين استعمل عليهم ، مطرف بن على بن حمدون (٣٥) .

ويذكر المؤرخون (٣٦) ان سبب هذه الفتن « انه فى أيام الحسن

---

(٣٣) انظر ديوان ابن حمديس ، ص ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ .

(٣٤) ابن عذارى ، جـ ١ ، ص ٣١٩ .

(٣٥) ابن الاثير ، جـ ١١ ، ص ٣١ .
— التجانى ، ص ٣٤٠ .

(٣٦) ابن خلدون ، جـ ٦ ، ص ١٦١ ، ١٦٢ .
— ابن ابى دينار ، ص ٩٢ .
— ابن عذارى ، جـ ١ ، ص ٣٢ .

قصد صاحب بجاية أخذ المهدية لانه سمع بالأمير الحسن أنه صالح رجار صاحب صقلية ، ووقعت بينهما مهادنة ، وكان من جراء ذلك أن الحسن ارسل اليه بهدية وصالحة مخافة من شره ، فتم الصلح » وشرط اللعين شروطا فقبلها » فكاتب أهل المهدية يحيى بن العزيز بن حماد صاحب بجاية وأطمعوه تسليم البلاد ، فوثق بهم ، وبعث اليها جيشا فى البر ومراكب فى البحر ، وبعث مع الجيش الفقيه مطرف فنازلها برا وبحرا » (٣٧) .

ولكنها كانت أقوى من المهاجمين ، وقلاعها احصن من أن تنال بسهولة ، ورغم ضرب اسوارها بين الحين والحين بالنار والمنجنيق الا انها صمدت وعزت عليه ، بصورة رأى فيها جرحا لكرامته فى أعين أهله ورجاله والعرب ، ولذلك عقد العزم على الثأر منها ثأرا يذلها فحمل عليها حملة نكراء فلما رأى الحسن ذلك ، فتح الابواب ووثب هو ورجاله على جيش مطرف الذى ما كاد يراه « حتى سلم رجاله عليه وانهزموا اجلالا عنه » (٣٨) .

وما لبث أن قدم ميمون بن زياد على رأس الكتائب العربية التى جمعها من الداخل لنجدة مولاه ، فلم يجد مطرف بن حمدون بدا من الرحيل عن المهدية .

أما روجر فعلى الرغم من امداده الحسن فى هذه الحروب ،

---

(٣٧) ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ١٦٢ .
— التجانى ، ص ٣٤٠ .
(٣٨) ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٣٣٠ .
يقول التجانى (ص ٣٤٠) فى تفسير عدم الحرب بين الطرفين « أنه لما استمد الحسن روجر ، فأمده باسطوله ، وعلم بذلك مطرف ارتحل عن المهدية مسرعا » ولعل ابن الاثير (ج ١١ ، ص ٣) أوضح عبارة واسلم منطقا حين يقول : « وكان مطرف يظهر التقشف والتورع عن الدماء وقال انما اتيت الآن لاتسلم البلد بغير قتال فخاب ظنه ، فبقى اياما لا يقاتل ، ثم انهم باشروا القتال فظهر اهل المهدية عليهم ، واثروا فيهم ، وتوالى القتال وفى كل ذلك الظفر لأهل البلد ، وقتل من الخارجين جم غفير » .

وعلى الرغم من اظهاره الود والوفاء بعهوده له ، الا انه كان يجد سرا فى تعمير الشوانى والاكثار من عددها وآلاتها (٣٩) ، وكان يجـرى كذلك على أسلوب من الدهاء السياسى ، افصح عنه التجانى فى قوله : « كان لجار كلما وصل اسطول من المغرب الى بلاده نسبة الى الحسن، فعزم العزم المصمم على غزو المهدية ، وانشأ فى ظاهر الأمـر بينه وبين الحسن صلحـا ، وفى نفســه مافيها ليتـم خـديعته ويتمكن من مـراده » (٤٠) .

رأى كل من الجانبين الاسلامى والنورمانـدى أهمية جـزيرة جربة (٤١) الواقعة فى خليج قابس ، وانها خط الهجوم الاول لمن تكون فى يده ، وكان اهلها خليطا من العرب ، ومن بربر كتامة احترفـوا القرصنة ، حتى ضج منهم الفرنجة والمسلمون على السواء ، فما كانوا ليدعوا مركبا تمـر دون أن يغيروا عليها ، ويستلبون ما فيها ، فضج الجميع بالشـكوى منهـم ولـم يكن ذلك عن فقـر ، بل يحـدثنا المؤرخون : (٤٢) (انها قد استوت فى كثرة عماراتها وخيراتها ، غير ان أهلهـا طغوا فلا يدخلون تحت طاعة سلطان ، ويعرفون بالفساد وقطع الطريق) .

وعلى هذا الأساس فقد قام روجـر بتوجيه هجماته على جزيرة

---

(٣٩) ابن الاثير ، ج ١ ١، ص ٣٢ .
— ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ١٦٢ .
(٤٠) ابن ابى دينار ، ص ٩٢ .
— التجـانى ص ٣٢٩ .
(٤١) جربة : جزيرة بالمغرب من ناحية افريقية ، قريبة من قابس يسكنها البربر وبها بساتين كثيرة .
— التجـانى ، ص ١٢٥ .
— ياقوت الحموى ، ج ٣ ، ٧٤ .
(٤٢) النويرى ، ج ٢٤ ، ص ٢٤٥ .
Bury, op. cit., p. 189.
— التجـانى ، ص ١٢٥ .

جربة بقصد الاستيلاء عليها بحجة التخلص من قيــامهم بالقرصــنة ومهاجمة السفن النورمانية ، علما بأنه لو لم يقم حكام جربة بما قاموا به من أفعال فان روجــر كان من بين أهدافه العسكرية مهاجمـــة جزيرة جربة والاستيلاء عليها لتحقيق أهدافه الاقتصادية والتجارية التى سبق وأن أشرنا اليها ، وتوجهت جيوش روجــر عام (٥٣٩ هـ — ١١٤٤ م) والتى تألفت من أعداد كبيرة من أهل صقلية ، يحملها أسطول كبير فيه من مشهورى الفرنج جماعة بالاضافة الى جماعة أخــرى من مسلمى صقلية (٤٣) والتحم الفريقان ودارت الدائرة على أهــل جربة فأكثر النورمانديون من القتل والسبى حتى أسروا (من الشباب ثمانية آلاف وقتلوا الصغار ، ونهبوا الامتعة والاموال والزيت والزبيب وحملوا كل ذلك فى سفنهم التى كانت نحو السبعين وفى سفن الجزيرة التى هى نحو الثلاثين) (٤٤) .

أما الحسن صاحب المهدية فقد كان فى يأس من صد روجر لاسيما وأن بينهما من العهود ما يحول بينه وبين دفعه أياه عن جربة ، واعطى روجر أهلها امانا فعادت الحياة الى مجاريها ، ولم يشعروا بتغيير ما فى انظمتهم الاجتماعية أو الشرعية ، لكن أهمية هذه الحرب ليست فى استيلاء النورمان على الجزيرة ، لكن الاهمية تكمن فى انها قد أصبحت لهم قاعدة حربية واقتصادية ، يأوى اليها الاسطول النورماندى ، ويستطيع منها ان يهدد شمال أفريقية (٤٥) .

---

(٤٣) حاجى خليفة ، مصطفى بن عبد الله ، تقويم التواريخ ، (انظر امارى ، المكتبة الصقلية) ، ص ٥٢٥ .

(٤٤) ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٣٣٢ .

— ابن الاثير ، ج ١١ ، ص ٣٢ .

Bury, op. cit., p. 189.

— التجانى ، ص ١٢٦ .

(٤٥) أبو الفــدا ، اسماعيل بن على عماد الدين ، المختصر فى اخبار البشر ، ج ٣ ، ص ١٧ .

ابن ابى دينــار ، ص ٩٣ .

كانت الغزوات التى شنها الاسطول النورماندى عقب فتح جربة لاتعدوا ان تكون غارات متقطعة ، ولكنها كانت فى مجموعها سلسلة من الفتوح ، على حساب مسلمى المغرب ، فتم الاستيلاء على جيجل (٤٦)، عام (٥٣٩ ﻫ — ١١٤٤ م) (٤٧) ، ولم يجد الجيش المغير أى مقاومة تمنعه من الوصول الى غرضه ، فلقد فر أهلها واعتصموا بالجبال وقد اسرف العدو فى الانتقام ، فأكثر من السبى ، ومن الهدم والحرق، ولم يستثن قصرا كان قد بناه يحيى بن العزيز بن حماد فأحرقوه(٤٨). وفى الفترة الواقعة بين يوليو (٥٣٩ ﻫ — ١١٤٤ م) ويونيو (٥٤٠ ﻫ — ١١٤٥ م) استولى الاسطول على برشك (٤٩) ، فقتلوا أهلها وسبوا حريمهم ، وباعوهم فى صقلية (٥٠) ، وتابع الغزو فتم لم النصر على أهل جزيرة قرقنة (٥١) ، وفى الخامس عشر من يونيو (٥٤٣ ﻫ —

---

(٤٦) جيجل : ظفر بها اسطول رجار فارتفع اهلها عن المدينة الى جبل على بعد ميل منها ، وبنوا مدينة حصينة ، ففى الشتاء سكنوا المرسى والساحل ، وفى زمن الصيف ، نقلوا امتعتهم وبضاعتهم الى الحصن البعيد عن البحر .

— ياقوت الحموى ، ج ٣ ، ص ١٨٦ .

(٤٧) يذكر ابن ابى دينار (ص ٩٣) ويؤيده فى ذلك التجانى (ص ٢٣٥) أن فتحها كان عام (٥٣٧ ﻫ — ١١٤٢ م) .

(٤٨) ابن الاثير ، ج ١١ ، ص ٩٢ .

(٤٩) برشك : مدينة كان عليها سور وتهدم ، ولها مياه جارية وآبار معين وبها فواكه حسنة كثيرة وسفرجل معتق وغالبية أهلها من البربر ويكثر فيها العسل لكثرة النحل بها ، وهى كثيرة الغلات كذلك .

— ابن حوقل ، ص ٧٧ .

(٥٠) أبو الفدا ، ج ٣ ، ص ٧ .

Bury, op, cit., p. 189.

— ابن الاثير ، ج ١١ ، ص ١٠٢ .

— ابن أبى دينار ، ص ٩٣ .

(٥١) قرقنة : جزيرة تقابل صفاقس فى البحر وهى فى وسطه ، وفى تلك الجزيرة آثار بنيان وصهاريج للمياه كثيرة ، وليس لها سور ولا دور ، ولهم كهوف يحتمون فيها .

— ياقوت الحموى، ج ٧ ، ص ٦٠ .

— التجانى ، ص ٦٧ .

١١٤٧ م) ظهــر الاسطول النورماندى امام اسوار طرابلس (٥٢) ، التى عزت عليه من قبل ، اذ فى مثل هذا التاريخ من نفس الشهر عام (٥٣٩ هـ — ١١٤٤ م) ارتد النورمانديون (٥٣) ، عنها ، وكانت طرابلس من المدن الهامة فى المغرب (٥٤) .

ومن الجدير بالذكر أنه أثناء محاولة روجــر الأخيرة فى الاستيلاء على طرابلس وقف أهاليها جميعا يدا واحدة ، على الرغم مما ساد

= يذكر التجانى (ص ٢٣٧) فتحها عام (٥٤٠ هـ) فى حين يذكر ابن أبى دينــار (ص ٩٣) ذلك الفتح عام (٥٣٧ هـ) ويقول ابن الاثـير (جـ ١١ ، ص ١٠٦) « سار اسطول الفرنج من صقلية ففتحوا جزيرة ترقنة ـ نافريقية فقتلوا رجالها وسبوا حريمهم ، فأرسل الحسن صاحب افريقية الى رجار ملك صقلية يذكره العهد الذى بينهم ، فاعتذر بأنهم غير مطيعين » .

(٥٢) طرابلس : مدينة من عمل افريقية ، مبنية من الصخر على ساحل بحر الروم ، خصبة ، واسعة الكورة حصينة ، صالحة الاسواق ، وتشتهر بالفواكه والخوخ والكمثرى ، ومرساها من الجانب الجنــوبى ، وهو مرسى ساكن غير متحرك تشتو فيه أغلب السفن .
— الادريسى « ص ٣٣ .
— ابن حوقل ، ص ٧٠ .
— الاصطخرى ، ص ٣٨ .

(٥٣) المراكشى ، ص ٢٠٥ .
— ابن عذارى ، جـ ١ ، ص ٣٣٢ .
— النويرى ، جـ ٢٤ ، ص ٢٤٦ .
— ابن خلدون ، جـ ٦ ، ص ١٦٢ .

(٥٤) لمــا خرج المعز لدين الله الفاطمى عام (٣٦١ هـ — ٩٧١ م) قاصدا مصر استعمل على بلاد افريقية ،يوسف بلكين بن زيرى بن منـاد الصنهاجى ، الا انه لم يجعل له حكما على طرابلس الغرب ، بل جعل عليها عبد الله بن يخلف الكتامى وكان أثيرا عنده .
— ابن خلكان « ابى العباس شمس الدين أحمد بن محمد ، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، تحقيق د. احسان عباس ، جـ ١ ، ص ٢٨٦ .
— ابو الفــدا ، جـ ١ ، ص ٩٦ .
— ابن ابى دينــار ، ص ٦٥ ، ١٠٩ .
— ابن الاثير ، جـ ٨ ، ص ٦٢٠ .

بينهم من منازعات وخلافات ، وقفة واحـــدة ، وعاودتهم الـــرغبة فى التآخى ، وأقبلت وفودهم من الداخل ، وتقاطرت لشد أزر حاميـــة المدينة ، مما اضطـــر روجـــر أن يرى الغنيمة فى النجـــاة بنفسه ، فاستقل سفنه وعاد الى صقلية .

ويشير ابن الاثير (٥٥) الى ذلك فى قوله : (سارت مراكب الفرنج من صقلية الى طرابلس الغرب فحصروها وسبب ذلك أن اهلهـــا فى أيام الأمير الحسن صاحب أفريقية ، لم يدخلوا يدا فى طاعته ، ولم يزالوا مخالفين مشاقين له ، قد قدموا عليهم من بنى مطروح مشايخ يدبرون أمرهم ، فلما رآهم ملك صقلية كذلك جهـــز اليهم جيشا فى البحر فوصلوا تاسع ذى الحجة فنازلوا البلد وقاتلوه وعلقوا الكلاليب فى سوره ونقبوه ، فلما كان الغد وصل جماعة من العرب نجدة لاهل البلد ، فقوى أهل طرابلس بهم ، فخرجوا الى الاسطول فحملوا عليهم حملة منكرة فانهزموا هزيمة فاحشة ، وقتل منهم خلق كثير ، ولحق الباقون بالاسطول ، وتركوا الاسلحة والاثقال والدواب فنهبها العرب وأهل البلد) ، ورجع الفرنج الى صقلية فجددوا اسلحتهم ، وعادوا الى المغرب فوصلوا الى جيجل فلما رآهم أهل البلد هربوا منه الى البرارى والجبال ، فدخلها الفرنج وسبوا من ادركوا فيها وهدموها ، واحرقوا القصر الذى بناه يحيى بن العـــزيز بن حماد للنزهـــة ثم عادوا .

وعاد النورمانديون بعد ارتدادهم أمام طرابلس وهم يتأهبـــون ليوم فاصل ، وظلوا ثلاثة أعوام يجددون اسلحتهم (٥٦) ، ثم وصل الى سمع روجـــر نبأ هذا الشقاق الذى استحكم بين قبائل طرابلس الغـــرب وبين أهلها فاهتبل هذه الفرصة ، وسير اسطوله الذى بلغها فى ثالث المحرم (٥٤١ هـ — ١١٤٦ م) واحاط بها من جميع النواحى ،

---

(٥٥) ابن الاثير جـ ١١ ، ص ٩٢ .

(٥٦) ابن خلدون ، جـ ٦ ، ص ١٦٢ .

وقاومه العرب مقاومة شديدة ، لكن لم تكد تمضى ثلاثة أيام على ذلك حتى عادوا الى الشقاق ، وكان سبب ذلك أن أهل طرابلس ، كانوا قبيل دخول الفرنج اليهم بأيام يسيرة ، قد اختلفوا فأخرج طائفة منهم بنى مطروح وقدموا عليهم رجلا من الملثمين قدم يريد الحج (٥٧) ومعه جماعة ، فولوه أمرهم ، فلما نازلهم الفرنج « أعادت الطائفة الاخرى بنى مطروح فوقعت الحرب بين الطائفتين وخلت الاسوار فانتهز الفرنج الفرصة ، ونصبوا السلالم ، وصعدوا على السور فاشتد القتال فملكت المدينة عنوه بالسيف فسفكوا دماء أهلها وسبوا نساءهم وأموالهم ، وهرب من قدر على الهرب والتجأ الى البربر والعرب (٥٨) ونودى بالامان فى الناس كافة فرجع كل من فر منها » ، ولم يقف النورمانديون عند حد النصر واعطاء الامان لاهلها بل جدوا فى تحصين أسوارها ، وحفروا الخنادق من حولها ، وليس من شك فى أن فتح طرابلس الذى تم فى ثلاثة أيام قد زاد من أهمية جورج الانطاكى فى نظر روجر فى حين ازداد خوف المسلمين وكرههم اياه ، كما أن استيلاءهم عليها اتاح للنورمان الاشراف على موقع هام على البحر (٥٩) .

سلك جورج سياسة اللين والمهادنة مع المغلوبين ، فنادى فى الناس بالامان ، وكان من عادة روجر ، استعمال الولاة المسلمين على البلاد الخاضعة ليعاونوا الحامية النورماندية ، وبذاك يضمن ولاء الاهلين ، وكان روجر الثانى يترك للمسلمين الحرية التامة فى ممارسة شعائرهم الدينية ، وجعل لهم قاضيا من أهل ملتهم ، يحكم وفق الشرع

---

(٥٧) ابن الاثير ، ج ١١ ، ص ١٠٨ .
Setton, op. cit., p. 23.

(٥٨) النويرى ، ج ٢٤ ، ص ٢٤٦ .
— أبو الفدا ، ج ٣ ، ص ٩٨ .
— ابن الاثير ، ج ١١ ، ص ١٠٨ .
— ابن ابى دينار ، ص ٩٤ .

(٥٩) التجانى ، ص ٢٤١ . Setton, op. cit., p. 23.

الاسلامى (٦٠) ، مكتفيا منهم بالجزية دلالة على خضوعهم له وان اتبع سياسة الاكثار من النورمان .

وقد كانت سياسة التسامح التى اتبعها روجــر أزاء المسلمين داعية لميلهم اليه والى التجاء كثيرين من العرب اليه ، ومما يؤكد ذلك أنه بعد وفاة والى قابس رشيد بن مدافع بن جامع الهلالى ، قام أحد مواليه ويدعى يوسف وتسلم الحكم من ابنه معمــر ، وولى مكانه أخاه محمد بن رشيد وكان حدثا ، واسرف يوسف هذا فى الاستبداد ، وحدث أن اشتكت امرأة من بنى قرة الى أهلها سوء تصرف المولى معها، فلما اقبلوا لاخذها حال بينهم وبينها ، فشكوا الى الحسن الذى أراد محاسبته ، فهدده بتسليم قابس لروجــر ، ثم لم يلبث أن قــرن القول بالفعل ، فكتب الى ملك صقلية ، طالبا الخلعة ، وعهــدا بولاية قابس كى يكون تابعا له ، كما فعل مع بنى مطروح فى طرابلس ، فسيراليه روجــر الخلعة والعهد فلبسها وقرىء العهد على الناس ، فلما علــم الحسن بذلك تجهز للسير الى قابس وبث مقدمة الدماسة فى نفوس أهلها ، فوثبوا على يوسف وقتلوه(٦١) وافتنوا فى تعذيبه ، وولــى معمــر ، قابس مكان أخيه محمد وأخذ بنو قرة اختهم ، فهــرب أخوه عيسى وابناءه الى روجــر ، وشكوا اليه وثوب العرب على يوسف لاستنجاده به ودخوله فى طاعته (٦٢) فعزم روجــر على الثأر ، ورأى

---

(٦٠) ولى على البلد شيخه أبا يحيى بن مطروح التميمى ، وجعل قاضيهم رجــلا منهم ، يعرف بابى الحجاج يوسف بن زيرى ، وهو صاحب التاليف المعروف (بالكافى فى الوثائق) .

ــ ابن أبى دينــار ، ص ٩٥ .

ــ التجانى ، ص ٢٤١ .

(٦١) ابن أبى دينار ، ص ٩٥ .

ــ التجانى ، ص ١٠٠ .

(٦٢) ابن الاثير ، ج ١١ ، ص ١٢٠ ، ١٢١ .

ابن ابى دينار ، ص ٩٤ ــ التجانى ، ص ١٠٠ .

الفرصة سانحة لمحو عار ارتداد جنده من المهدية عام (٥١٧ هـ — ١١٢٣ م) لاسيما بعد المجاعة التى حلت بأهلها ، حتى أكل بعضهم بعضا (٦٣) وعلى الرغم من أن الظروف كانت مواتية ، الا أنه لم يستطع دخولها ، وكان جورج اذ ذاك يحارب البيزنطيين ، فلما عاد من حملتـه خرج فى مائتين وخمسين مركبا كاملة العدد والسلاح (٦٤) ، وبينما هو فى الطريق عند جزيرة قوصرة ، عارضته سفينة مقبلة من المهدية فأسرها ووجد بها حماما زاجلا ، فارغم صاحبه على أن يثبت بخطه (انـه لما وصلنا جزيرة قوصرة ، وجدنا بها مراكب من صقلية فسألناهم عن الاسطول المخذول فذكروا انه أقلع الى جزائر القسطنطينية) وكان غرض جورج من هذه الاكذوبة ، تعميته الأمير الحسن بمقصده ليفاجأه، لكن الريح كانت ساكنة فتأخـر مقدمهم حتى اشرق صباح (٣ صفـر

---

(٦٣) ابو الفدا ، ج ٣ ، ص ١٩ ، ٢٠ .
— ابن ابى دينار ، ص ٩٤ .
— ابن الاثير ، ج ١١ ، ص ١٢٥ .
— ابن العماد ، ابى الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى ، شـذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، ج ٤ ، ص ١٣٤ .

(٦٤) يشير ابن الاثير (ج ١٠ ، ص ١٢٥) والنويرى (ج ٢٤ ، ص ٢٤٧) وأبو الفدا (ج ٣ ، ص ١٩) ان سبب هذه الحملة من مسير أهل يوسف صاحب قابس الى رجار ملك صقلية واستغاثتهم به فغضب لذلك ، وكان بينه وبين الحسن بن على بن يحى بن تميم بن المعز بن باديس الصنهاجى ، صاحب افريقية صلح وعهود الى مدة سنتين ، وعلم انه فاته فتح البلاد فى هذه الشدة التى اصابتهم وكانت الشدة دوام الغلاء فى جميع المغـرب من سنة سبع وثلاثين الى هذه السنة ، وكان اشد ذلك سنة اثنتين واربعين ، فان الناس فارقوا البلاد والقرى ودخل اكثرهم الى مدينة صـقلية ، وأكل الناس بعضهم بعضا ، وكثر الموت فى الناس ، فاغتنم رجار هذه الشدة ، فعمر الاسطول واكثر منه ، فبلغ نحو مائتين وخمسين شينيا مملوءة رجـالا وسلاحا وقوتا .

٥٤٣ هـ / ٢٢ يونيو ١١٤٨ م) (٦٥) فلما ادرك جورج انكشاف امـره بعث الى الحسن يقول (انما جئت بهذا الاسطول طلب بثأر محمد بن رشيد صاحب قابس ورده اليها ، أما أنت فبيننا وبينك عهود وميثاق الى مدة ، ونريد منك عسكرا يكون معنا) ولم تجز هذه الحيلة على الحسن ، فأدرك مقصد جورج الحقيقى ، وانه انما يخادعه ليخدعه ، فماذا يفعل والعدو فى بأس وقوة ، وبينه وبينه عهود لم ينته اجلها بعد ، ثم هو لا يريد معونة الكفار على المسلمين ، « وليس عنده ما يقوت البلد شهرا » وكان يرى سلامة المسلمين من القتل خيرا من الملك (٦٦) ولا شك ان هذا يكشف عن روح الاضطراب التى استولت عليه وخوفه من بأس عدوه وبطشه (٦٧) ، وهى الى جانب ذلك اعتذار عن هروبه ، ومن ثم فقد قر منه الرأى على الرحيل عن المهدية التى دخلها جورج بلا مقاومة ، ولمــا ملك المدينة تهبت مقدار ساعتين ونودى بالامان فخرج من كان مستخفيا (٦٨) ، فأصبح جورج من الغد فأرسل

---

(٦٥) ابن الاثير ، ج ١١ ، ص ١٢٦
المراكشى ص ٢٠٥ .
Setton, op. cit., p. 25.
— ابن ابى دينار ،ص ٩٤ .

(٦٦) النويرى ، ج ٢٤ ، ص ٢٤٧ .
— ابن الاثير ، ج ١١ ، ص ١٢٦ .
— ابن ابى دينــار ،ص ٩٤ .
— التجــانى ، ص ٣٤٠ .

(٦٧)
Gomez : La Lutte entre les Muslmans et Les Normands De Sicle (Traduit en Francais), Pars' Cahen, pp. 118, 120.

(٦٨) ابن ابى زرع الفاسى ، الانيس المطرب القرطاس فى اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، ص ١٣٩ .
— النــويرى ، ج ٢٤ ، ص ٢٤٨ ، ٢٤٩ .
— ابن الاثــير ، ج ١١ ، ص ١٢٧ .
— ابو الفدا ، ج ٦ ، ص ١٩ .
— ابن ابى دينار ، ص ٩٤ .

الى من قرب من العرب فدخلوا اليه فأحسن اليهم واعطاهم اموالا جزيلة ، هذه رواية ابن الاثير (٦٩) وتقاربها رواية ابن خلدون (٧٠) وكذلك مايرجحه احد الاسبان المحدثين ، ممن اهتم بالصراع الذى كان بين المسلمين والنورمانديين فى البحر الابيض المتوسط (٧١) ، ولعل رواية ابن أبى دينار (٧٢) أقرب الى العقل والمنطق اذ يقول « عــول روجــر على غزو المهدية ، فحشد جيشا عظيما ، وبعث فى مــراكب مشحونة بالسلاح وآلات الحرب ، فدهموا المهدية على حين غفلة فاندهل الناس عندما رأوا الأسطول ، ففرت الناس ولم يكن لهم مدافع » .

وفــر الحسن دون قتال وحمل أهله ومن ساعده (٧٣) ، وصدق ابن ابى دينار فيما قال فقد كان هذا هو الواقع الذى ســـهل على النورمانديين دخول المهدية ، ورفعوا ببارقهم على حصونها وقلاعها .

أما الحسن بن على فقد يمم شطر محرز بن زياد الفادعى صاحب المعلقة (٧٤) ، وكان الحسن قد ارسل له جنده فاكرم وفادتهم (٧٥) ،

---

(٦٩) ابن الاثـــير ، ج ١١ ، ص ١٢٦ .
(٧٠) ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ١٦٢ .
(٧١) Gomez, op. cit., p. 121.
(٧٢) ابن ابى دينـــار ، ص ٩٤ .
(٧٣) ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ١٦٢ .
— ابو الفدا ، ج ٣ ، ص ١٩ .
— ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٣٣٢ .
— التجـــانى ، ص ٣٤١ . Setton, op. cit., p. 25.
(٧٤) المعلقة : قلعة حصينة بافريقية تجاور تونس وكان صاحبهـــا ابا محفوظ محرز بن زياد احد امراء العـــرب .
— ابن خلكان ، ج ٦ ، ص ٢١٧ .
— التجـــانى ، ص ٢٠٥ .
(٧٥) ابن خلـــدون ، ج ٦ ، ص ١٦٢ .
المراكشى ، ص ٢٠٥ .

غير انه كان رجلا كريم النفس ، اذ رأى فى عين محرز السأم ، فأحب الانتقال الى مصر ، وكان واليها الحافظ لدين الله أبو الميميون عبد المجيد بن محمد المستنصر ، وباسمه كان الحسن يخطب فى بلاده ، وأعد الحسن عدته لذلك السفر الذى ترامى نبوءه الى جورج فترصده ، ومن ثم عدل عن مصر (٧٦) الى صاحب بجاية يحيى بن العزيز فوكل يحيى المذكور على الحسن وعلى اولاده من منعهم من التصرف ، ولم يجتمع يحيى بهم وانزلهم فى جزائر بنى مزغناى (٧٧) ، وبقى الحسن كذلك حتى ملك عبد المؤمن جميع بلاد بنى حماد عام (٥٤٧ هـ — ١١٥٢ م) كما ملك من قبل صاحب صقلية ملك بنى عمهم خلفاء المعز بن باديس ، وحضر الحسن عند عبد المؤمن عقب هذا النصر فأحسن اليه واكرمه وبقى بصحبته حتى فتح المهدية (٧٨) .

=

النويرى ، ج ٢٤ ، ص ٢٥١ .

ابن الاثير ، ج ١١ ، ص ١٢٧ .

يذكر ابن أبى دينار (ص ٩٤) ان محرز بن زياد قد عاضد الحسن ابن على على يوسف صاحب قابس وقتلوه وملكها .

(٧٦) ابن تغرى بردى ، جمال الدين أبى المحاسن يوسف ، النجوم الزاهرة فى أخبار مصر والقاهرة ، ج ٥ ، ص ٢٧٥ .

— ابن العماد ، ج ٤ ، ص ١٣٨ .

— ابن الاثير ، ج ١١ ، ص ١٢٨ .

— ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ١٦٢ .

— ابو الفدا ، ج ٣ ، ص ٢٠ .

— التجانى ، ص ٣٤٢ .

(٧٧) جزائر بنى مزغناى على سيف البحر وفيها اسواق كثيرة ولها عيون على البحر طيبة وبها بادية كبيرة وبها الكثير من البربر ، واكثر اموالهم من المواشى من البقر والغنم وتشتهر بالعسل ، ولهم جزيرة فى البحر على رمية سهم منها تحاذيها اذا نزل العدو بهم لجوءا اليها .

— ابن حوقل ، ص ٧٦ .

(٧٨) ابن الاثير ، ج ١١ ، ص ١٢٨ .

— ابو الفدا ، ج ٣ ، ص ٢٠ ، الذهبى ، ج ١٩ ، ص ٣٣٤ .

— ابن خلكان ، ص ٢١٧ .

كان استيلاء النورمانديين على المهدية شوكة تقض مضجع الجماعات الاسلامية فى المغرب ، التى لم يفتها ما يهددها من خطر جوارهم ، حقيقة ان هناك ظاهرة ملحوظة ، هى أن العدو اظهــر من التسامح مع أهــل البلد مالم ينكره عليه أحد ، بل لعله وجد من تقرب منه ، كما اظهــر من اللين والموادعة مالم يكن أحد يتوقعه منه ، بل راح يعمر بعض النواحى ، وزاد بأن رد الاموال الى أصحابها ، الا أن ذلك كله لم ينسهم أن لهم أميرا شرعيا ، وأن هذا الأمير وان هــرب مكرها وحقنا لدماء رجاله وخوف بطش العدو وفتكه بالآمنين من أهلها ، ولقلة من يوثق به من الرجال ، وليس من شك فى أنه أكثر من غيره علما باخــلاق من معــه وطباعهم ، ثم انه الى جانب ذلك قد استجار بفئة لابد وأن تنصره ان لم يكن من أجله ، فلا أقل من أجل الا تضطــر فى المستقبل الى الوقوف موقفه ازاء المغير ، وهل أدل على انصراف العرب عن تأييده فى الباطن — وان تظاهروا بالولاء له — من هذه المقاومة الشديدة التى لقيها رجال روجــر حين نازلوا قلعة اقليبية (٧٩) .

ولقد اخذت روح المقاومة العربية تنمو راغبة فى التخلص من الحكم النورماندى عام (٥٥١ هـ — ١١٥٦ م) لاسيما بعد أن مات روجــر (٥٤٨ هـ — ١١٥٣ م) وخلفه ابنه وليم الاول (٨٠) .

---

(٧٩) اقليبية : حصن منيع بأفريقية قرب قرطاجنة مطل على البحــر ، لــا ارادوا بنائه نقبوا فى الجبل وجعلوا يقلبون حجارته فى البحــر من اعلى الجبل فسمى اقليبية .

— ياقــوت الحمــوى ، جـ ١ ، ص ٣١٣ .
— ابن أبى دينــار ، ص ٩٥ .
— ابن الاثير ، جـ ١١ ، ص ١٢٩ .

(٨٠) أبو الفــدا ، جـ ٣ ، ص ٢٧ . Setton, op. cit., p. 26.
— ابن خلــكان ، ص ٢١٨ .
— ابن العمــاد ، جـ ٤ ، ص ١٧٤ .

ويشير المؤرخ ابن الاثير (٨١) قائلا : (طمع الناس فخرج عن طاعته جزيرة جربة وجزيرة قرقنة ، واظهروا الخلاف عليه ، وخالف عليه ولاة أفريقية فأول من أظهر الخلاف عليه ، عمر بن أبى الحسن الفريانى بمدينة صفاقس (٨٢) . وكان روجـــر قد استعمل عليها لمـــا فتحها الفقيه أبا الحسن الفريانى ، ولعله كان يريد من وراء استعماله له أن يتقرب ماوسعه الجهد الى العامة ، وان كان يدرى انه ليس بالرجل المناسب لاسيما فى هذا الوقت بالذات ، ومن ثم فليس عجبــا ان اظهـــر ابو الحسن العجز عن ادارة ما عهد به اليه ، واذ كان رجـــلا قد حنكته الايام فقد رأى الخير فى أن يصرح بواقع الحال ، وبأنـــه غير قادر على القيام بالعبء الذى وكل به اليه ، فقال للأمير ناصحـــا « استعمل ولدى » فاستعمله واخذ اباه رهينة الى صقلية (٨٣) ، فلمـــا أراد المسير اليها قال لولده عمر انى كبير السن وقد قارب اجلى ، فمتى أمكنتك الفرصة فى الخلاف على العدو فافعل ، فدعا أهل المدينة الى الخلاف ، وقـــال : تطلع جماعة منكم الى السور ، وجماعة يقصدون مساكن الفرنج والنصارى ويقتلونهم جميعا ، فقالوا له أن ســـيدنا

---

(٨١) ابن الاثير ، ج ١١ ، ص ٢٠٣ .

(٨٢) صفاقس : مدينة جل غلاتها الزيتون والزيت ، وهى ناحية على نهـــر البحـــر ، ولها مرسى ميت المـــاء وعليها سور من حجارة وابواب حديد منيعـــة — أسواقها عامرة وفاكهتها من قابس ، مشهورة بصيد السمك بينها وبين المهدية مرحلتان ، وبها صوف البحـــر الذى يعمل منه الثيـــاب الرفيعة الملوكية .

— ابن حـــوقل ، ص ٧١ .

— التجـــانى ، ص ٦٨ .

— الزركشى ، ابى عبد الله محمد بن ابراهيم ، تاريخ اولية بعض الدول الموحدية ونبوع الدولة الحفصية (انظـــر امارى المكتبة الصقلية ص ٥٢٤) .

— ابن الاثيـــر ، ج ١١ ، ص ٢٠٣ .

(٨٣) التجانى ، ص ٧٥ .

— ابن الاثيـــر ، ج ١١ ، ص ٢٠٣ .

الشيخ والدك نخاف عليه ، فقال هو « امرنى بهذا ، واذا قتل بالشيخ آلاف من الاعداء فما مات » (٨٤) وكان لهذه الكلمات فعل السحر فى نفوس القوم الذين تأججوا غضبا على العدو ، ولم تكد تطلع الشمس حتى مالوا على الفرنج وقتلوهم عن آخــرهم ... ثم اتبعه ابو محمد ابن مطروح بطرابلس وبعدهما معمر بن رشيد بقابس ، وسار عسكر عبد المؤمن من الى بونة (٨٥) وملكوها وخرجت جميع مدن افريقيــة عن حكم الفرنج ماعدا المهدية (٨٦) وسوسة (٨٧) وارسل عمر بن ابى الحسن الى قبائل زويلة (٨٨) يحرضهم على الوقوف على من معهم من النصارى (٨٩) فامتثلوا لامره ، ولمــا اتصل الخبر بوليم ملك صقلية احضر أبا الحسن وعرفه ماعمل ابنه ، وأمــره أن يكتب اليه ينهاه عن ذلك ويأمره بالعوده الى طاعته ويخوفه عاقبة فعله ، فقال : من أقدم على هذا لايرجع بكتاب ، فأرسل ملك صقلية اليه رسولا يتهدده ويأمره

---

(٨٤) ابن الاثير ، ج ١١ ، ص ٢٠٣ .

(٨٥) بونة : مدينة ليست بالكبيرة ولا الصغيرة ، وهى على نحر البحر ولهــا أسواق حسنة وتجارة رائجة ، وفيها خصــب ورخص وفــواكه وبساتين كثيرة ، واكثر فواكهها من باديتها وبها الكثير من القمح والشعير ، وبها معادن حديد كثيرة ويزرع فيها الكتان ، وتجارتها الصوف والغنــم والمــاشية من الدواب واكثر سوائمهم البقــر ، وبينهــا وبين جزائــر مزغنــاى مراسى فمنها جيجل مرسى ، ومنه الى بجاية مرسى .
— ابن حوقل ، ص ٧٥ ، ٧٦ .

(٨٦) ابو الفدا ، ج ٣ ، ص ٢٩ ، ابن ابى دينار ، ص ٩٥ .

(٨٧) سوسة : مدينة صغيرة بنواحى افريقية بينها وبين صفــاقس يومان ، ولهــا سور حصين ، ولها اسواق حسنة وحمامات طيبة ورباطات كثيرة وبين المهدية وسوسة رباط يعرف بالمستنير ، يقصده أهل افريقية لوقت من السنة فيقيمون به اياما معلومة ، واكثر أهلها حاكة ينسجون الثياب القطنية الرفيعة .
— ابن حوقل ، ص ٧٣ ، ياقوت الحموى ، ج ٥ ص ١٧٣ .

(٨٨) زويلة : من حد المغــرب وهى مدينة وسطه ، لها كورة عريضة هى متاخمة لارض السودان . — الاصطخرى ، ص ٣٤ .

(٨٩) ابن الاثير ، ج ١١ ، ص ٢٠٤ .

بترك ما ارتكبه ، فلم يمكنه عمر من دخول البلد يومه ذلك ، فلما كان الغد خرج أهل البلد جميعهم ومعهم جنازة والرسول يشاهدهم فدفنوها وعادوا ، وأرسل عمر الى الرسول يقول له « هذا أبى دفنته وجلست للعزاء فيه ، فاصنعوا به ما أردتم » (٩٠) فعاد الرسول الى وليم فأخبره بما صنعه عمر بن أبى الحسن فأخذ اباه وصلبه .

كانت ثورة عمر هذه سببا فى تقويض اساس ملك النورمانديين فى المغرب وايذانا بظهور روح المقاومة قوية بين رجالات العرب الذين انفوا من حكم الغريب أياهم ، ودفعتهم هذه الروح الى الثورة والتمرد على طاعته . وبهذا مهد السبيل لعبد المؤمن (٩١) لارجاع الحسن وطرد النورمانديين من المهدية .

كان عبد المؤمن أمل المسلمين وملاذهم ، قد استتب له الأمر فى بلاده ، وكان حريصا على الجهاد ، ولما كره العرب ما ارتكبه

---

(٩٠) التجانى ، ص ٧٥ .
— ابن الاثير ، ج ١١ ، ص ٢٠٤ .

(٩١) هو ابو محمد عبد المؤمن بن على الكوفى الزناتى ، وكان ابوه نجارا يعمل النوافخ (يذكرها ابن ابى زرع ، ص ١٢٩ ، النوافيخ) ويذكر ابن خلكان ج ٢ ، ص ٢٣٧ — ٢٣٨ (ان والده كان صانعا فى عمل الطين ليعمل منه الانية) وهو من قوم يقال لهم بنو مجبر ، ولد بتلمسان آخر عام (٤٨٧ هـ — ١٠٩٤ م) فى أيام يوسف بن تاشفين ، وتوفى فى جمادى الآخرة عام (٥٥٨ هـ — ١١٦٢ م) بعد خلافة دامت ٢١ سنة ، منذ أن استوثق له الامر بموت على بن يوسف .
— ابن الخطيب ، محمد لسان الدين ابن الخطيب « الحلل الموشية فى ذكر الاخبار المراكشية ، ص ٧٧ ، ١٠٧ .
— ابن ابى دينار ، ص ١١٤ ، ١١٧ .
— يذكر عبد الواحد المراكشى (ص ١٩٧) ان قبيلة عبد المؤمن تسمى كومية وهى قبيلة كثيرة العدد ، جمة الشعوب ، نازلة بساحل البحر من أعمال تلمسان .
— ابن الخطيب القنفذ (ص ١٠١) .

النورمانديون فى زويله عام (٥٥١هـ ــ ١١٥٦م) من القتل والنهب فروا الى عبد المؤمن الذى وعدهم بالعون (٩٢) ، وكتب الى رجاله بالمغرب بالاستعداد بالذخيرة والجند والسلاح،ونادى فى البلاد فلبى دعاءه قرابة مائة الف من الرجال ، وتحرك من مراكش واستصحب معه الحسن بن على صاحب المهدية ووليها الشرعى ، فوصل الى الزاب ثم تونس (٢٤ جمادى الاخرة ٥٥٤ هـ ــ ١١٥٩ م) ، وكان عليها من قبل النورمانديين أحمد بن خراسان (٩٣) ، فحاصرها ثلاثة أيام برا وبحرا، فسلمت دون أراقة دماء ، وعرض على النورمانديين من أهلها الاسلام، فحقن من أسلم دمه ، وقتل من أبى (٩٤) ، ثم سار بعد ذلك الى القيروان ففتحها ، ثم فتح سوسة وصفاقس ، ثم سار الى زويلة ، وهنا انضم الى جنده كثيرون من صنهاجة (٩٥) ، وساروا قاصدين المهدية ، وكانت فى منعة من البحر ، فاستعصت عليه بادىء ذى بدء ،

---

(٩٢)
Brockel Nan Carl : History of the Islamic people's, p. 108.
ــ الزركشى (انظر امارى ، ص ٥٣٣) .
ــ ابن الاثير جـ ١١ ، ص ٢٤١ .
ــ ابن ابى دينار ، ص ٩٥ .
ــ ابن عذارى ، جـ ١ ، ص ٣١٦ .

(٩٣) ــ النويرى ، جـ ٢٤ ، ص ٣١١ .
ــ ابن الاثير ، جـ ١١ ، ص ٢٤٢ .
ــ التجانى ، ص ٣٤٥ .
يذكر المراكشى (ص ٢٢٨) وكذلك ابن عذارى (ص ٣٢٦) ان الذى كان على تونس هو عبد الله بن خراسان .

(٩٤) النويرى ، جـ ٢٤ ، ص ٣١١ .
ــ ابن العماد ، ص ١٦٩ .
ــ ابن عذارى ، جـ ١ ، ص ٣٢٦ .
ــ ابن ابى دينار ، ص ١١٦ .
(٩٥) ابن الثير ، جـ ١١ ، ص ٢٤٢ .
ــ المراكشى ، ص ٢٢٩ .

ومن ثم طال الحصار وتوافد عليه رجالها لتأييده والانضمام اليه (٩٦)، فى صفاقس وشيخها عمر بن أبى الحسن ، وطرابلس وشيخها ابن مطروح ، ودخل فى طاعته أهل قفصة (٩٧) .

ترامت الانباء الى وليم ملك صقلية ، الذى كان اسطوله مرابطا فى احدى جزر الاندلس ، فأرسل فى طلبه والتقى بأسطول عبد المؤمن الذى كانت له الغلبة ، فأسر منهم بعض الشوانى .

ولكن النورمانديين الذين بداخل المهدية لم يسلموا ، بل ظلوا يقاومون سبعة أشهر (٩٨) ، غير انهم كابدوا الأمرين وشظف العيش ، وانقطعت عنهم خلال هذه الفترة الامدادات وتناقصت الذخيرة تناقصا هددهم فى حياتهم وأولادهم ، بل وفى ملتهم ، ورأوا الخير لهم جميعا ان يستسلموا حفاظا على أرواحهم وما ملكت أيديهم ، فأقبل وفد منهم الى عبد المؤمن يسألونه الامان ، فأجابهم بعد تمنع من جانبه وتوسل من ناحيتهم ، فخرجوا قاصدين صقلية (٩٩) ودخل عبد المؤمن المهدية (فى العاشر من محرم ٥٥٥هـ — ١١٦٠م) (١٠٠) وسماها سنة

---

(٩٦) النويرى ، ج ٢٤ ، ص ٣١٣ .
— ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ١٦٧ .
— ابن الاثير ، ج ١١ ، ص ٢٤٣ .
(٩٧) الزركشى (انظر امارى ، ص ٥٢٢) .
— ابن الاثير ، ج ١١ ، ص ٢٤٤ .
— التجانى ، ص ٧٦ . Setton, op. cit., p. 27.
(٩٨) النويرى ، ج ٢٤ ، ص ٣١١ .
— ابن الاثير ، ج ١١ ، ص ٢٤٥ .
Setton, op. cit., p. 31.
(٩٩) ابن أبى دينار ، ص ١١٦ .
— التجانى ، ص ٣٤٨ .
— النويرى ، ج ٢٤ ، ص ٣١٤ .
— ابن العماد ، ص ١٦٩ .
(١٠٠) Brockelmann, op. cit., p. 109.

=

الاخماس (١٠١) ، وهكذا استطاع عبد المؤمن أن يحقق بعد اثنتى عشرة سنة ماتمناه الحسن والمسلمون من دفع النورمانديين ، وقدم عبد المؤمن على المهدية ابا عبد الله محمد بن فرج الكومى ، وترك معه الحسن ابن على وأمر الوالى أن يقتدى برأيه ويرجع الى قوله (١٠٢) .

فلا عجب أن سمعنا الثناء على عبد المؤمن من عبد « الواحد المراكشى » الذى يصف ذلك بقوله « فمحا الله به الكفر من أفريقية ، وقطع عنها طمع العدو ، فانتبه بها الدين بعد خموله ، واضاء كوكب الايمان بعد انطماسه وأفوله » (١٠٣) .

ولم تمض ثلاث سنوات على استيلاء أمير الموحدين على المهدية ، حتى كان النورمانديون قد أعدوا العدة لاسترجاع شمال أفريقية . فنزلت جنودهم مدينة سوسة (٥٥٨ هـ — ١١٦٢ م) لكنها وجدت الشدة فى مقاومة المسلمين اياهم فخرجوا عنها (١٠٤) .

=

— ابن أبى زرع ، ص ١٣٩ .
— ابن الخطيب ، لسان الدين ، ص ١١٧ .
— أبو الفدا ، ج ٣ ، ص ٣٤ .
— ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٣٢٦ .
Bury, op. cit., p. 194.

(١٠١) سماها سنة الاخماس لدخوله اياها بكرة عاشوراء سنة خمس وخمسين وخمسمائة .
— النويرى ، ج ٢٤ ، ص ٣٤١ .
— ابن أبى زرع ، ص ١٤٠ .

(١٠٢) ابن الاثير ، ج ١١ ، ص ٢٤٥ .
— النويرى ، ج ٢٤ ، ص ٢٤١ .
— أبو الفدا ، ج ٣ ، ص ٢٠ ، ٣٤ .
— ابن أبى دينار ، ص ١١٦ .
— التجانى ، ص ٣٤٧ .

(١٠٣) المراكشى ، ص ٢٣٠ .
— ابن الخطيب ، لسان الدين ، ص ١١٧ .

(١٠٤) ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٣٢٦ .
— ابن أبى زرع ، ص ١٤٠ .

حملات روجر فى أفريقيا الشمالية

المصـــــادر

١ — ابن الاثير : عز الدين أبو الحسن على بن أبى الكرم (ت ٦٣٠ هـ)٠
الكامل فى التاريخ ، دار الصياد ، بيروت (١٤٠٠ هـ — ١٩٧٩ م)٠

٢ — الادريسى : أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٥٦٠ هـ) ٠
نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق — روما (١٢٩٥ هـ — ١٨٧٨ م)٠

٣ — الاصطخرى : أبو اسحاق أبراهيم بن محمد (ت ٣٤٦) ٠
المسالك والممالك ، ليدن ، مطبعة برل (١٣٧٧ هـ — ١٩٥٦ م) ٠

٤ — ابن العماد : أبو الفلاح عبدالحى بن العمادالحنبلى (ت١٠٨٩هـ)٠
شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، القاهرة(١٣٥٠هـ — ١٩٢١م)٠

٥ — أبو الفدا : اسماعيل بن على عماد الدين أبى الفدا (ت ٧٣٢ هـ)٠
المختصر فى أخبار البشر ، دار الصـــياد ، بـــيروت (١٣٩٩ هـ — ١٩٧٩ م) ٠

٦ — ابن تغرى بردى : جمال الدين أبى المحاسن يوسف (ت ٨٧٤ هـ)٠
النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة — القاهرة (د٠ت) ٠

٧ — التجانى : أبو محمد عبد الله بن محمد أحمد التجانى ٠
الرحلة : تحقيق ، د٠ حسن حسنى عبد الوهاب ، المطبعة الرسمية
تونس (١٣٧٨ هـ — ١٩٥٨ م) ٠

٨ — ابن حمديس : عبد الجبار بن أبى بكر بن محمد بن حمـــديس
الصقلى السرقوسى الديوان ، تصحيح جلستينوسكيا باريللى ،
روما (١٣١٥ هـ — ١٨٩٧ م) ٠

٩ — حاجى خليفة ، مصطفى بن عبد الله ٠
تقويم التواريخ ، بغداد ، ١٢٧٤ هـ — ١٨٥٧ م ٠

١٠ — ابن حوقل : أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادى (ت ٣٦٧هـ) .
صورة الارض ، ليدن ، مطبعة برل (١٣٨٧ هـ — ١٩٦٧ م) .

١١ — ابن الخطيب : أبو العباس أحمد بن حسين بن على بن الخطيب القنفـــوذ .
الفارسية فى مبادىء الدولة الحفصية ، تحقيق عبد الحميـــد الزنكى . تونس (١٣٨٨ م — ١٩٦٨ م) .

١٢ — ابن الخطيب : محمد لسان الدين بن الخطيب .
الحلل الموشية فى ذكر الاخبار المراكشية ، تونس (١٣٢٩ هـ — ١٨٥٧ م) .

١٣ — ابن خلدون : ولى الـــدين عبد الـــرحمن بن محمـــد التـــونسى (ت ٨٠٨ هـ) .
العبر فى ديوان المتبدأ والخبر . بيروت (١٤٠٣ هـ — ١٩٨٣ م).

١٤ — ابن خلكان : أبو العبـــاس شـــمس الدين أحمـــد بن محمـــد (ت ٧٦٤ هـ) .
وفيات الاعيان ، وأنبـــاء ابناء الـــزمان ، القاهرة (١٣٧٨ هـ — ١٩٥٨ م) .

١٥ — ابن أبى دينار : أبو محمد بن أبى القاسم محمد بن عمر القيروانى
المؤنس فى أخبار أفريقية وتونس ، تحقيق محمد شمام ، تونس (١٣٨٧ هـ ١٩٦٧ م) .

١٦ — الذهبى : شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ) .
سير اعلام النبلاء ، تحقيق شعيب الارنؤوط ، بيروت (١٤٠٥هـ — ١٩٨٤ م) .

١٧ — ابن أبى زرع : أبو الحسن على بن عبيد الله .
الانيس المطرب الفرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، أبسال (١٢٥٥ هـ — ١٨٣٩ م) .

١٨ — الزركشى : أبو عبد الله محمد بن ابراهيم .
تاريخ أولية بعض الدولة الوحدية ونبوع الدولة الحفصية ، بغداد ، (١٢٧٤ هـ — ١٨٥٧ م) .

١٩ — ابن عذارى : أبو عبد الله محمد المراكشى (ت أواخر القرن السابع الهجرى) البيان المغرب فى أخبار المغرب ، ليدن(١٢٥٤هـ — ١٨٣٨ م) .

١٠ — المراكشى : محى الدين أبو محمد عبد الواحد بن على التميمى (ت ٦٦٩ هـ) .

المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ، القاهرة ، (١٣٦٨ هـ — ١٩٤٩ م) .

٢١ — ميخائيل أمارى :
المكتبة الصقلية ، مكتبة المثنى ، بغداد (١٢٧٩ هـ — ١٨٥٧ م) .

٢٢ — النويرى : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى (ت ٧٣٢ هـ) .

نهاية الارب فى فنون الادب ، القاهرة (١٤٠٣ هـ — ١٩٨٣ م) .

٢٣ — ياقوت : شهاب الدين بن عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت٦٢٦ هـ).
معجم البلدان ، مطبعة السعادة ، القاهرة (١٣٢٤ هـ — ١٩٠٦م).

المـــراجع

١ — د. احسان عباس ، العرب فى صقلية ، (د.ت) .

٢ — د. أحمد مختار العبادى ، د. السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ البحرية الاسلامية فى مصر والشام ، بيروت ، ١٩٧٢ .

٣ — د. حامد زيان غانم : الاسلام والمسلمون فى صقلية فى ظل الحكم النورماندى مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٧٥ ، تاريخ الحضارة الاسلامية فى صقلية القاهرة ١٩٧٧ .

المراجع الاوربيــة :

1 — Brokelman Carl : History of the Islamic Peoples , London, 1964.

له ترجمة عربيــة •

2 — Bury : The Cambridge Medieval History, Cambridge Universty Britain, 1978.

3 — Cambridge History of Islam. vol. II.

4 — Curtis Edmond, Roger of Sicily New York, 1972.

5 — Freeman Edward, The Normans at Palermo in Historical essays, 3rd Series 1892.

6 — Gomez : La Lutte entre Les Musulmans et Les Normands de Sicile (Traduit en Francais Par. S Cahen) Paris, 1939.

7 — Haskins : The Normans in European History Cambridge, 1915.

8 — Kenneth M. Setton : A History of the Crusades London, 1962.

9 — Latrie : Traités de Paix et de Commerce

10 — Scott, S. P. History of the Moorish Empire in Europe, vol II, London, 1904.

11 — Waern, Cicilia Medieval Sicily, 1910.

عبد المحسن السعدون
بين الوطنية ومهادنـــة الانجليز

دكتور/ عبد العليم على ابو هيكل
كلية الآداب ـــ جامعة القاهرة

وضعت السياسة التى اتبعها عبد المحسن السعدون فى التعـــامل مع الانجليز وانتحاره فى نوفمبر ١٩٢٩ عـــلامات اســـتفهام متعددة أمام حقيقة موقفه الوطنى ؟ هل كان متسما بالوطنية ؟ أم ملتفـــــا بالعباءة الانجليزية تلبية لواقعة الاجتماعى والاقتصادى وممارســـاته السياســـية •

ولمـــا كانت تلك الدراسة تتطلب وبالضرورة ، التغلغل فى عمق الدوافع والاسباب التى اثارت مثل هذه التساؤلات والتى حتمت أيضا اتخاذ اسلوب مميز لمعالجة القضايا الوطنية ، فمن الخطأ بمكان الخوض فى مثل هذه الموضوعات دون الاخذ بعين الاعتبار ما يلى :

أولا : الخصوصية الذاتية لبنيان العراق الداخلى المتعدد العناصر اجتماعيا وفكريا ثم الموقع الجغرافى الذى حتـــم عليه تـــداخلا فى العلاقات الخارجيـــة مع كيانات متضاربة معه فى المصالح فى كثير من الاحيـــــــان •

يقول الحسنى : (انه فى اعتقادى لايوجد فى العراق شعب عراقى بعد بل توجـــد كتلات بشرية خيالية ، خالية من أى فكرة وطنية متشبعة بتقاليد وأباطيل دينية •••• سماعون للسوء ، ميالون للفوضى مستعدون دائما للانقضاض على أى حكومة (١) •

---

(١) عبد الرزاق الحسنى : تاريخ العراق السياسى الحديث ، جـ ١ ، لبنان ١٩٤٨ ، ص ٧ — ٨ •

ثانيا : مع ما تمخض مما سبق فى هذا التركيب المتباين من تفاوت فى المصالح الذاتية بين تلك الكتل العراقية ، وبالتالى - كما المح الحسنى ، تباين فى المفهوم الوطنى ، باعتبار الوطنية فى المقام الاول مسألة انتماء .

ثالثا : من هذا المنطلق فلا يمكن توضيح الرؤية المتعلقة بعبد المحسن السعدون بين الوطنية ومهادنة الانجليز ، الا من خلال الغوص فى أعماق الرجل تاريخيا من خلال انتماءه الى احدى هذه الكتل ، ثم ممارساته السياسية التى اضفت على أسلوبه فى التعامل مع القضايا الوطنية شكلا أثار التساؤلات السابقة .

لقد كان بنيان العراق الحديث يعتمد اساسا على الجهد الاقتصادى والسياسى لدمج الولايات العثمانية (بغداد والبصرة والموصل) فى كيان موحد ، والذى لم تبدأ خطواته التنفيذية الحقيقية ، الا ببطء ومنذ اواخر ق ١٩ . حدث ذلك عندما اعتمدت الدولة العثمانية منذ البداية فى حكم العراق على أسلوب ساعد وبقوة على تحطيم بذور الانتماء (الوطنى) من خلال التشكيل الادارى متعدد الانماط ، ساعد على التناقض والتضارب فى (المصالح) فخضعت البصرة بحكم الاغلبية العشائرية بها ، واهمية موقعها التجارى ، والاستراتيجى، الذى جعلها بحركتها السياسية فى هذا الاتجاه تسير فى خط متواز مع مصالح رؤساء العشائر ، فوضع لها (نظام الالتزام) الذى تولاه شيوخ المنطقة ، مما فرض نوعا من (التباين) فى الولاء لهؤلاء ، عندما أضحى من الصعوبة بمكان أن يكون (الشيخ) مالكا ، عليه جباية الضرائب لصالح القوة الحاكمة ، وزعيما للعشيرة معبرا عن مصالح تابعية من أفراد العشيرة فى وقت واحد (٢) .

وسارت بغداد على نفس النظام الذى خضعت له البصرة باعتبارها

---

(2) C. O. 692/2, Administration Reports, Basrah, 1919, pp. 20 — 33.

ولاية تمثل الواجهة الحقيقية للدولة العثمانية ، تاريخيا ، وسياسيا ، فأضحت بؤرة لافـــراد الطبقة الوسطى من المثقفين ربائب المـــدارس العثمانية والمتعاطفين معها (٣) .

اما الموصل فقد طبق بها نظام (الاقطاع العسكرى) لاوضاعها البيئية وتبعـــا لجموح اسرتى (الجليلى) و (العمرى) بها ، فى الاحتفاظ بمصالحهم الاقطاعية وثمار الاستقرار الذى تتطلبه التجارة باعتبار اقليمهم محطة رئيسة للقوافل التجارية البرية بين أواسط آسيا والمشرق العربى واوربا (٤) .

وجاء تلاصق العراق مع كيانات متباينة معه فى كثير من المقدرات اقتصاديا وسياسيا من ناحية (٥) ، وتنوع مقدراته الاقتصادية داخليا من ناحية ثانية (٦) ، ليضيف الى ما سبق عاملا جوهريا آخـــر لخلق ظاهرة تنازع وتشتت الولاء ، خاصة مع ما نتج من هذا التنوع من خلق كيانات فى شكل (كتل) عشائرية ودينية وحضرية متباينة المصالح والاتجاهات ليس فقط فيما بينها ، بل وصل التشرزم أيضا داخل كل كتلة على حدة (٧) ، عندما تحسست هذه الكتلة سبيل الدفاع عن نفسها فى شتى الاتجاهات ، وكان منها على ســـبيل المثـــال اتحاد عشـــائر

---

(٣) د. وميض جمال نظمى ، ثـــورة ١٩٢٠ ، الجذور الفـــكرية والاجتماعية ، ط ٢ ، بغداد ١٩٨٥ ، ص ٣٤ — ٣٥ .

(4) C. O. 696/3, Administration Reports, Masul. 1920, 14—27.

(5) Longrigg (Stephen), Iraq, 1900/19500, London, 1953, pp. 250 — 283.

(٦) د. احمد عزت عبد الكريم ، دراســات تاريخية فى النهضـــة العربية الحديثة ، (علاقات العراق التجارية بأوربا بين ق ١٦ و ق ١٩) ، بيروت ، ص ٢٤٦ — ٢٤٨ .

(٧) د. وميض ، المصدر السابق ، ص ٣٤ — ٣٥ .

المنتفق (٨) أقوى الاتحادات العشائرية جنوب العراق ، عندما رأى شيوخها من خلال نظام (الطـابو) (٩) خلال ق ١٩ ظهيرا يستطيعون به تدعيم سلطتهم ونفوذهم المثل فى (ناصر السعدون) (١٠) أمـام بقية الاتحادات العشائرية الاخـرى (١١) ، فى مواجهة تابعيهم داخل اتحاد المنتفق نفسه ، عندما تحولت العلاقة بين كبار الملاك بينهم وبين بقية أفراد العشيرة من مجرد التبعية الى علاقة ملاك بمستأجرين(١٢).

---

(٨) ضم اتحـاد المنتفق فى المنطقة حـول البصرة ، الناصرية ، السوق ، الشطرة وقلعة سكر ثلاثة أفرع رئيسية هى :

١ — بنو مالك : ومنهم البو صالح ، والعليات ، وآل حسن ، وآل ابراهيم وآل حجام وبنو حطيط ، والكوام والمطيرات وبنو اسد .

٢ — بنو سعيد : ومنهم آل عيسى والبزون وآل مريان .

٣ — الاجود وكانت تمد نفوذها حتى الاحساء قبل السـيادة العثمانية ، ومن فروعها الغزية جناجة ، الشريفات ، البدور ، الزهيرية ، الحسينات ، عبودة والمارد .

(٩) هو نظام خاص بتسجيل الاراضى بموجب سندات يحصل عليهـا المالك مقابل دفع (بدل) وبموجبه يكتسب صاحبه الحيازة القانونية للاراضى التى دفع قيمتها ، على أن هذا النظام الذى وضعه مدحت باشا لم يستمر طويلا وعطل بمرسومين صدرا فى عامى ١٨٨٠ ، ١٨٨٢ م الا أنه على المدى الطويل وضع بذور التفكك العشائرى .

لمزيد من التفاصيل أنظر :

Haider (S.) Land of Iraq, London, 1942.

(١٠) تولى « ناصر السعدون » زعامة قومه والمنتفق خلال ولاية مدحت باشا على العراق وقام بشراء مساحات كبيرة من الارض مسـتغلا علاقته القوية بهذا الوالى .

(١١) كان هناك (اتحاد الخزاعل) ، (بنى لام) ، (البو محمد) الذين اتفقوا وبصورة تلقائية على معاداة السلطة العثمانية حفظا لمصالحهم القبلية ودرء لمحاولات الدولة فرض سيادتها عليهم .

لمزيد من التفاصيل أنظر : د. عبد العزيز نوار ، داود باشا والى بغـداد ، القاهرة ١٩٦٨ م .

(12) C. O. 692/2, Administration Reports, Muntafiq Division, 1920, pp. 18 — 33.

وتكرر المشهد الذى كان يحدث حول البصرة جنوبا ، بصورة تريبة مع ما كان يجــرى فى شمال العــراق ، حيث يقطن الاكراد ، والذين اضيف الى تنوع اشكالهم الاجتماعية بين جماعات مستقرة وأخرى رحل ، طابع أقرب الى (الغريزة) عندما حافظوا على طبيعتهم الذاتية (١٣) وظلوا لا يدينون لاى من القوى الحاكمة داخل العــراق أو خارجه الا بالقدر الذى يحفظ مصالحهم وكيانهم الذاتى ، وظل موقعهم خلال الحكم العثمانى وفيما بعد مذبذبــا (يستعينــون بالايرانيين اذا هددهم العثمانيون ويستعينون بالعثمانيين اذا مــا هددهم الايرانيون) (١٤) .

وبالرغم من أن العقيدة الاسلامية ضمت ما يقرب من ٩٠٪ من مجموع سكان العراق ، الا ان وجود المقدسات الشيعية به ، ثم تداخل الاهداف السياسية بين طيات المذاهب ، جعل اسباب المد والجزر قائمة ومستمرة لمحاولات الهيمنة والسيطرة بين (المركز السياسى) للشيعة فى ايران و (مركزهم الدينى) فى العــراق ، ثم دفعت الاصلاحات التى بدأتها الدولة العثمانية فى اواخــر ق ١٩ بعامل جديد من عوامل الفرقة بين الشيعة انفسهم ، عندما اثارت مدى موائمة (الامامة) مع (المشروطية) جدلا واسعا بين أئمة المذهب الشيعى ، ادى الى عجــز فى ايجاد صيغة (فكرية) توائم بين هذا الاتجاه الاصلاحى وبــين

---

(١٣) استقرت القبائل الكردية بسهولة (اربيل والسليمانية) وانتشر الرحل منهم بالمناطق الجبلية كما سادت بينهم أيضا ظاهرة التحالفات القبلية ، ففى (هوديان) و(اندروز) ظهرت الامارة (الصوراينة) ، وفى السليمانية امارة (البابانية) وفى العمادية امارة (البهدانانية) وظهر حلف قبائل (زنكنة) بالقرب من جبال (قرة تبة) وحلف(درة تى) بين اربيل والموصل مجالا لرعى قطعانهم .

انظر : عباس عزاوى : عشائر العراق ، ج ٣ ، بغداد ١٩٥٦ م ، ص ١٩٤ — ٢٠٢ .

(١٤) د. نوار : المصدر السابق ، ص ١٢٠ .

أى من الانتماءات التركية أم الايرانية (١٥) ٠

لقد اضيف الى عوامل الصراع العشائرى داخليا بالعــراق منذ امد ليس ببعيد سبب آخــر يتعلق بالارتباط بالقوة صاحبة النفوذ فى بغداد تحقيقا للمصالح الذاتية لبعض الفئات بعيدا عن مفهــوم الصالح العام للكيان العراقى ككل حتى تغلغل هذا الاتجاه بين أفــراد العشيرة الواحدة ، كما حدث بالنسبة لآل السعدون انفسهم مع الزحف البريطانى باتجاه العراق مع قيام الحــرب العالمية الاولى ، فأعلن فــرع منهم يقوده (عجيمى) مناصرته للاتراك ، وأيد الانجليز جماعة أخــرى منهم بزعامة (عبد الله الفالح السعدون) (١٦) ٠

وبالرغم مما آلت اليه اوضــاع العــراق خلال الحــرب وبداية العشرينات بفــرض الانتداب ، وان استعيض عنه بوضع آخــر ، الا ان السياسة الانجليزية ارتضت لنفسها عدم الزج بصورة عميقــة داخل بنيان اعتقادا بحساسية الوضع داخليا وانانية الكتل التى تتحكم بمصيره مع العمل فى ذات الوقت على خلق حكومة قوية فى بغداد (تحكم سكانا متباينين ومختلفى العناصر بشدة لاتربطهم بحكامهم روابــط العاطفة والاخلاص والعــرف) (١٧) ٠

وترجمة لهذا الاتجاه اعد (برسى كوكس Percy Cox) مذكرة تحدد العناصر التى يتحتم على بريطانيا الاعتماد عليها لحكم العراق وهــى :

أولا : اليهود الذين يقيمون فى بغداد ٠

---

(15) C. O. 691/1, Administration Reports, Najaf and Shamiya, 1918, pp. 52 — 63.

(١٦) د. وميض : المصدر السابق ، ص ١٠٢ — ١٠٥ ٠

(١٧) ورنر (جفرى) ، العراق وسورية ١٩٤١ ، ترجمة محمد مظفر الادهمى ، بغداد ١٩٨٦ ، ص ٦٣ ٠

ثانيا : الاشراف والوجهاء العرب من سكان بغــداد والبصرة باعتبارهم عنصر مفلس ومتأخــر الا ان لهم وزنا اجتماعيا يعتد به ويجب تشجيعهم .

ثالثا : كبار الملاك من العرب واليهود على حد سواء وكبار شيوخ العشائر (١٨) .

من هنا اعتمدت انجلترا فى ترسيخ نفوذها على استقطاب تلك القوى والكتل بدأمن الاكراد ، الذين استخدمتهم كــورقة رابحــة بيديها تلوح بها امام الاطراف ذات العلاقة فتلاعبت منذ دخولهــا العراق بفكرة تأسيس دولة كردية ، حتــى تدفع بنفــوذهم باتجــاه (القفقاس) والضغط على الحكومة الكمالية بتركيا ثم ايران ، ثــم التلاعب بهم أمام العراقيين باعتبار الاكراد جزءا من كيانهم (١٩) ، ثم الاشوريون الذين جندتهم لحراسة المنشآت العسكرية ورحبوا بتأييد الكنيسة الانجليكانية لهم (٢٠) وغرست (ساسون حزقيل) اليهودى فى معظم الوزارات العراقية خلال العشرينات (٢١) .

---

(18) F. O. 371/3387, Percy Cox, The future of Mesopotamia, April, 1919.

(١٩) لنشوفسكى (جورج) ، الشرق الاوسط ، ج ٢ ، ترجمــة جعفر الخياطة ، بغداد ١٩٦٥ ، ص ٥ — ٦ .

(٢٠) وهم بخلاف الاقليات العراقية الاخرى ، عندما وفدوا باتجاه العراق ، فرارا من ايران وتركيا خلال الحرب العالمية الاولى واستوطنوا مؤقتا بعض القرى شمالى العراق وتمتعوا بحماية بريطانيا ، ومن خلال هذه الحماية الدينية والعسكرية ، ومع تطويعهم لخدمة الاهداف الانجليزية ، فكان من الصعوبة بمكان الاختلاط بينهم وبين سكان العراق .

أنظر : لنشوفسكى (جورج) ، نفس المصدر ، ص ٧ — ٨ .

(٢١) يقول عنه أمين الريحانى فى (ملوك العرب) : (هو الوزير الثابت فى الوزارات العراقية لخبرته ، ولد فى بغداد فى ١٧ مارس ١٨٦٠ ، تلقى علومه فى بغداد ولندن وتخرج من كلية الحقوق بفينا بالنمسا ، شــغل عدة مناصب ادارية لدى الحكومة العثمانية الى أن انتخب نائبا عن بغداد =

اما فى المناطق العشائرية ، فقد اعتمد الانجليز على استخـدام شيوخ العشائر كوكلاء لهم من خلال الاعتراف بسلطتهم المتوارثة على عشائرهم فيما سمى بنظـام (الساندمان — Sandman) وحمايـة مصالحهم الاسرية وتقديم المساعدة المالية لهم ، خاصة فى منطقة الفرات الاوسط (٢٢) .

ففى تقسيم المنتفق تلقى شيوخ آل السعدون عام ١٩١٩ م رواتب مالية سنوية بلغت ٨٤٠ر٣٧ روبية ، كما تلقىٰ غيرهم من شيوخ الفرات الاوسط اعانات مماثلة (٢٣) .

لقد ساعدت السياسة الداخلية التى اتبعها الانجليز بالعـراق فى تدعيم وترسيخ اسباب الكراهية المتبادلة بين زعماء العشائر وكبار الملاك الذين اعتمدت عليهم فى استتباب أمرهـا داخليا من جهة ، وبين مستأجرى هؤلاء خاصة وعامة العراقيين من جهة أخـرى (٢٤) .

ومع وضوح مقررات سان ريمو عام ١٩٢٠ ، التى قضت بانتداب بريطانيا على العراق قامت الثورة العراقية فى ذات العام واستمرت

=

ى مجلس النواب العثمانى من ١٩٠٨ — ١٩١٨ وكان رئيسا للجنة الميزانية به ، وعين مستشارا لوزارة التجارة والزراعة فى الاستانة ولمـا تألفت الحكومة المؤقتة فى العراق فى نوفمبر ١٩٢٠ عين وزيرا للمالية ، وهكذا) . انظر : أمين الريحانى ، ملوك العرب ، جـ ٢ ، ط ٢ ، بيروت ١٩٢٩ ، ص ٣٧٣ .

(٢٢) لنشوفسكى ، المصدر السابق ، ص ٤ .

(23) C. O. O. P., cit, 692/2.

لم تتوقف المعونات المالية للانجليز عند آل السعدون فقط بل تلقى شيوخ « قضاء السوق » التابع للمنتفق أيضا مبلغ ٩٩٥ روبية شـهريا ، وقضاء « الناصرية » و« المحمرة » ٢٠٠ر١ شهريا ، وتسلم شيوخ (الشطرة) مبلغ ٢٥٠ر١ وقلعة سكر ٢٠٠ روبية شهريا .

(24) Wilson (Arnold), Mesopotamia, 1917 — 1920, Aclash of Loyaltis, A Personal and Historical Recrd, Oxford, 1930, pp. 75—81.

خمسة اشهر وقف آل السعدون منها موقفا أقرب الى السلبية (٢٥) ، وانقسمت عشيرتهم (الحسن) الى قسمين تبعا لاهـواء زعيميهـا (علوان وعمران) ، فلم ينضم الاول الى الثوار الا فى وقت متأخـر عندما قدم له الثوار الف ليرة بحجة توزيعها على اتباعه لمقاومة الانجليز حين زحفهم نحو الكوفة (٢٦) .

اما (عمران) فقد ظل بعيدا عن الثورة بحجة ان العشائرية العراقية لا طاقة لهـا بمحاربة انجلترا التى تمتلك الطائرات (٢٧) ، وحتى عندما اعلن (الشيرازى) الزعيم الدينى للشيعة تأييده للثورة ، استطاع (عمران) الحصول منه على فتوى بتحريم القتال شرعا مع عـدم القدرة عليه (٢٨) .

وباختصار ، أدت احداث ثورة ١٩٢٠ الى دفع اكثرية كبار الملاك

---

(٢٥) كان علوان رئيسا لافخاذ بنى حسن من آل السعدون القاطنين بالقرب من الكوفة وانضم الى الثورة بعد هدنة (الكوفة) فى ١٩ يوليو ، أما « عمران » فكان رئيسا للافخاذ الملتفة حول منطقة (طويريج) وعنـدما سقطت قرية (الكفل) بأيد الثوار أرسل اليهم عمران رسولا يخبرهم بأنه لن يسمح لهم باختراق ديار عشيرته ليحاربوا الانلجيز فيها ، وهددهم بالتعاون مع الانجليز ، وعندما وقعت معركة (الرارانجية) فى ٢٤/٧ بقيادة « عبد الواحد الحاج سكر » وهزم فيها الانجليز ، الذين أرسلوا عمران الى طويريج مقر رئاسته لتهدئة الحالة بها وجدها فى غليان شديد ، عندها أعلن انه مع الثوار ، استجابة لمطالب افراد عشيرته .

أنظر : محمد على كمال الدين : ثورة العشرين ، معلومات ومشاهدات النجف ١٩٧١ ، ص ١٣٣ — ١٣٤ .

(26) F. O. 371/5228/E9368, From Civil Comissioner, Bagdad, 22/8/1920.

(27) F. O. 371/5228/E9368, op. cit.

(٢٨) د. على الوردى ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، بغداد ١٩٧٧ ، ص ٢٥٦ — ٢٥٧ .

وللمزيـد

Haldane (J. A.), Insurrection in Mesopotamia, London, 1922.

ورؤساء العشائر الى ربط مصالحهم ببريطانيا بعيدا عن القضايا الوطنية وكان من بينهم آل السعدون ، وفى المقابل كان امل الاستقلال هو الذى اجتذب الشيوخ الصغار نحو تأييد الثورة ضد الانجليز ودفع نير كبار الشيوخ (٢٩) .

امتطت بريطانيا احداث الثورة واستندت فى حكمها للعراق خلف واجهات حكومية نفذت اهدافها من خلالهـا عن طـريق الخبـراء والمستشارين فشكلت اول حكومة عراقية برئاسة (عبد الحمن الكيلانى) نقيب بغداد فى أول نوفمبر ١٩٢٠ (٣٠) واستعاضت لفيصل عـرش سورية المفقود بعرش العراق فتوج ملكا فى ٢٣ أغسطس ١٩٢١ ، وبوصوله كملك على البلاد ، بدأ العراق يدخل باتجاه منعطف جديد تبلور مع توقيع معاهدة ١٩٢٢ ، بشرط ابرامها النهائى من قبل مجلس تاسيسى منتخب ، ثلاث قوى رئيسية ، اخذت دور التوجيه للاحداث من ناحية ودخلت فى تنافس مستمر فيما بينها من ناحية أخرى خفى حينا وعلانية أحيانا أخرى ، ومن خلال هذا التباين فى المصـالح تناثرت مواقف تلك القوى بين المصالح الذاتية والقضية الوطنيـة ووقعت القيادات التنفيذية بين مؤثرات للمد والجزر حتم عليها التحرك تحت وطأة ارثها التاريخى واستخدام اسلوب سياسى يتناسب مع ماضيها ، وكان من بين هؤلاء (عبد المحسن السعدون) وهذه القوى هـى :

أولا : البلاط ويحركه بالطبع الملك فيصل ومن حوله الضباط القدامى الذين اكتسبوا صداقته منذ ثورة ١٩١٦ ، واتسم موقفه بصفة التناقض والتشتت بين الاعتراف بفضل الانجليز الذين حملوه نحـو

---

(29) F. O. 371/54, Mespotamia Police, Report No. 4, 11/12/1921.

(٣٠) تشكلت الحكومة من رئيس وثمانية وزراء ومعهم اثنا عشر وزيرا بلا وزارة وسميت بالحومة المؤقتة .

العرش ، وبين الحذر من العراقيين الذين رأى البعض منهم فيما تولاه اغتصابا لحق لهم ، هم اجدر به كآل النقيب (٣١) بينما نظر اليه البعض الآخـــر باعتباره رمزا من رموز الحركة الوطنية العربية ، وأتى على رأس هؤلاء بعض الضباط القدامى الذين رافقوه خلال الحركة العربية امثال جعفر العسكرى ونورى السعيد (٣٢) ، لذا لم يكن الدور الذى اضطلع به الملك دورا سهلا ميسورا خاصة مع ذلك الكم من الاعـــداء حول العراق خارجيا •

يقول الملك فيصل : (ترانى اليوم محاطا بالاعداء ولا صديق لى غير الانكليز فمن لى بحليف لو شئت المحالفة ، فى الغرب سورية ، الفرنسيون وهم اعدائى ، وفى الشمال الاتراك وهم يكرهوننى ، وفى الشرق الاكراد وقد تلفتوا من يدى ، والعجم وهم يدسون الدسائس بواسطة الشيعة على حكومتى ، وفى الجنوب ابن سعود وهو دائمـــا يهددنا بالاخوان ، من لى اذن بغير الانجليز وهل يعقل ان اتقلب عليهم بل هم المنقلبون) (٣٣) •

ثانيا : العراقيون : ومن خلال تكتلاتهم الذاتية فقد انقســـموا بدورهم فى كيفية التعامل مع الانجليز الى قسمين :

(أ) متطرفون : يطالبون بالاستقلال التام غير المرتبط بأى شكل من اشكال النفوذ أو المســـاعدة الانجليزية ، ويؤمنون بأن العمـــل المسلح أو السياسى على حد سواء هو الهدف الذى يجب أن يتحقق بسرعة ، وابرز هؤلاء فـــرع (حزب العهد) القديم بالموصل وآل

---

(31) Bell (G. L.). Privite Letters and Papers. 2 Vols. New York. 1927. Letter Date. 19 November. 1920.

(32) Ibid ....

(٣٣) امين الريحانى ، ملوك العرب ، جـ ٢ — بيروت ١٩٢٩ ، ط ٢ ، ص ٢٧٧ •

السويدى وجعفر ابو التمن ، ومن الضباط القدامى ياسين الهاشمى وجميل المدفعى وعلى جودت (٣٤) الذين اخلصوا للاتراك حتى النهاية ثم وقعوا من جراء ذلك تحت طائلة المعاملة القاسية من قبل الانجليز ثم نقموا عليهم وعلى الملك فيصل .

(ب) معتدلون : يرون ان العراق حديث عهد بالبناء غير مكتمل الخبرات على المستوى الداخلى والخارجى ، ويرون الاستعانة بقدر ما بالانجليز ماليا وعسكريا ، حفاظا على مصالحهم الذاتية بالارتباط بنظام الحكم ، كآل النقيب والسويدى ، الذين عانوا من موقف الاتحاديين ضدهم (٣٥) وآل السعدون الذين حصلوا على رواتب من الانجليز .

وكان من الطبيعى وتحت ظلال التقسيم العشائرى والدينى وتاريخ الجهاد ، والمصالح الذاتية ، ان تختلط الاتجاهات ، ويتستر الجمع تحت ظلال ذلك التنوع فى المواقف الوطنية (٣٦) .

يقول السويدى فى مذكراته (ان الوزارات الاولى التى تقدمت حكم العراق فى العشرينات اما نقيبية تطمع فى المساعدة البريطانية وتناضل الشعب والبلاط ، أو عسكرية بلاطية ، عندما تولى أمرها جعفر العسكرى تستند الى البلاط وتناضل) (٣٧) .

ومع أهمية ذلك الرأى — عندنا — فانه وبحكم الانتماء الى حزب

---

(٣٤) د. وميض ، المصدر السابق ، ص ١٥٠ — ١٥٩ .

(35) F. O. 882/23/3133, Note on The Place of The Arabs in Administration by Bonhom Carter 5/2/1919.

ولمزيد من التفاصيل انظر :

Bell — op. cit., Letter Date, 30/6/1920.

(٣٦) كيرك (جورج) موجز تاريخ الشرق الاوسط ، ترجمة عمر الاسكندرى ، القاهرة ١٩٥٧ ، ص ٢١٩ — ٢٢٣ .

(٣٧) توفيق السويدى ، مذكراتى ، بيروت ١٩٦٩ ، ص ١٢١ .

(التقدم) — حزب السعدون — فأن السويدى لم يشأ تصنيف زعيم حزبه عندما اكتسب (عبد المحسن السعدون) بحكم موروثه التاريخى كراهية الشعب له ، والبلاط أيضا بحكم نظرته الواقعية الى الامور ومن ثم موقفه تجاه الانجليز ، واضحى هذا الموقف مثار تساؤل .

اعتقد المعتدلون ان الاخطار المحدقة بالعراق خارجيا تتساوى من الاهمية مع المشكلة تجاه الانجليز ، ولما كان العراق غير مؤهل على كافة المستويات لمواجهة تلك المشاكل ، فمن الاهمية بمكان الاعتماد أولا على الانجليز كظهير يساعد على حلها (٣٨) ثم بعد ذلك التوجه فى التعامل معهم بعد حل المشاكل من منطلق عدم الخشية من أية صعوبات أخرى يكون الانجليز طرفا فيها (٣٩) .

ثالثا : الانجليز : وهم يحاولون حفاظا على مصالحهم ، اللعب على اوتار التنافس بين القوى ذات النفوذ بالبلاد داخليا ، واستغلال

---

(٣٨) السويدى ، المصدر السابق ، ص ١٧٩ / ١٨٠ .

(٣٩) بالاضافة الى المشكلة مع الاكراد فى المنطقة الشمالية ، فقد أضيفت اليها أيضا (مشكلة الموصل) التى تأزمت بسببها العلاقات مع تركيا ، عندما طالبت الاخيرة تنفيذ معاهدة لوزان عام ١٩٢٣ بشأن تعيين الحدود التربة العراقية بالاتفاق بين بريطانيا وتركيا اولا ، ولما كانت (الموصل) تتبع فرنسا بموجب اتفاق (سايكس بيكو) ، فقد تأزمت الاوضاع والعلاقات فى تحديد هويتها بين الاطراف ذات العلاقة خاصة بعد تغير مسار الحركة السياسية بعد الحرب العالمية الاولى ، بل وخلالها ثم الموقف داخل تركيا ذاتها .

لمزيد من التفاصيل انظر : سليمان صايغ ، تاريخ الموصل ج ٢ ، بيروت ١٩٢٨ .

اما فيما يتعلق بالعلاقات مع ايران فبالرغم من توقيع بروتوكول القسطنطينية عام ١٩١٣ لرسم الحدود بين ايران والعراق وجلسات لجنة تحديد الحدود التى استمرت من ديسمبر ١٩١٣ حتى اكتوبر ١٩١٤ ، الا أن انسلاخ العراق عن تركيا عقب الحرب ، واستثناء الجالية الايرانية فى العراق من التمتع بالامتيازات الاجنبية خلق العديد من المشاكل فى الحدود بين البلدين .
=

ما يحيط بالعراق خارجيا من مشاكل على النطاق الاقليمى والدولى لتثبيت نفوذهم (٤٠) فى ذات الوقت الذى اعطت لهم ثورة ١٩٢٠ ملمحا فى كيفية التعامل مع الشئون العراقية ، فنقلت تبعية العراق من وزارة الهند الى وزارة المستعمرات للتخفيف من قبضتها استقطابا للـرأى المعادى لها ثم طلبت من عصبة الامم ان يعين لها الانتداب ، ثم قررت بعد الثورة الاستعاضة عنه بعقد معاهدة مع العراق (٤١) .

تحمل عبد الرحمن النقيب مسئولية توقيع معاهدة ١٩٢٣ م مع بريطانيا ، واختير عبد المحسن السعدون فى هذه الوزارة الثانية ، وزيرا للعدلية — العدل — (٤٢) فى ابريل ١٩٢٢ باعتباره عنصرا من عناصر

=

انظر : د. فاضل حسين ، مشكلة شط العرب ، القاهرة ١٩٧٥ ، ص ١٨ — ٣١ .

اما بخصوص العلاقات جنوبا ، فقد انتقل عامل الخشية والحـذر بين أبناء الحسين بن على وابن سعود ثم اضيف الى متاعبهما سويا ، مشكلة الحدود بشقيها البيئى والبشرى ، وبالرغم من عقد مؤتمر المحمرة عام ١٩٢٢ م لتسوية ما بينهما ، الا أن الخلاف ظل قائما لعدم قدرة ابن سعود السيطرة على حركة القبائل آنذاك من جهة ، واتجاه الحـكومة العراقية لبناء نقاط على الحدود دفعا لاخطار القبائل .

لمزيد من التفاصيل أنظر : عبد العليم على أبو هيكل ، العلاقات بين عبد العزيز بن سعود والاخوان ، رسالة ماجستير بآداب عين شمس ١٩٧٦ ، ص ٢٠٥ — ٢١٠ .

وكذلك صادق السودانى ، العلاقات العراقية السعودية ، بغداد ١٩٧٦ ، ص ١١١ — ٢١٣ .

(40) F. O. 371/5232/E1616, Letter From Yong, 13/5/1920.

(41) F. O. 371/5230/E12339, Major Yong Minutes, October, 1920.

(٤٢) ايدت هذه الاتفاقية التى حددت مدتها بـ ٢٠ عاما حق بريطانيا فى مساعدة الجيش العراقى وتعيين مستشارين من قبلها للمساعدة فى ادارة شئون العراق وحكومته ، وتقديم المشورة له فى الشئون الخارجية ، وحق بريطانيا فى حماية الاجانب ، واستخدام سياسة الباب المفتوح ، كما نصت على عدم نقل ملكية البلاد العراقية الى غيرها .

الاعتدال خلال ممارسته السياسية فى مجلس المبعوثان وانتسابه الى احدى العشائر القوية ذات النفوذ والتى تعتمد فى تثبيت نفوذها وقوتها على الارتباط الوثيق بنظام الحكم فى بغداد (٤٣) .

ونظرا لحداثة اقامة عبد المحسن السعدون بالعراق وعدم درايته الكافية بظروف البلاد فقد اضحى دوره فى (العدلية) سلبيا الى ابعد الحدود ، فاقتصر على مراقبة الموقف داخليا وخارجيا من خلال مشاركته فى اجتماع مجلس الوزراء ، تاركا أمر البت فى الامور القضائية الى المستشار الانجليزى (٤٤) .

ومع نشر بنود المعاهدة ، وردود الأفعال الغاضبة من قبل الرأى العام والاحزاب ، قدم النقيب استقالته فى ١٩ أغسطس ١٩٢٢ (٤٥) ، الا انه كلف بتشكيل وزارته الثالثة فى ٢٨ سبتمبر من نفس العام بعد ان الغيت الاحزاب المعارضة بأمر من المندوب السامى ، ومرض الملك فيصل ، وتولى عبد المحسن السعدون فيها (وزارة الداخلية)

---

(٤٣) لطفى جمعة فرج « عبد المحسن السعدون ودوره فى تاريخ العراق السياسى ، بغداد ١٩٧٨ ، ص ٦١ — ٦٤ .

(٤٤) نفس المصدر .

(٤٥) حتى يستطيع « عبد الرحمن الكيلانى » ايجاد ظهير يدعم موقفه تجاه معارضيه شكل نجله « محمود » حزبا سمى « الحزب العراقى الحر » أيد عقد المعاهدة مع الانجليز ، ثم اصدر صحيفة « العاصمة » لتكون لسان حاله ..

أما المعارضة فقد شكل « أمين الجرجفجى » (حزب النهضة) واتخذ من الكاظمية مقرا له ونادى بالاستقلال فى ظل حكومة ملكية دستورية ، ووزارة وطنية مع اجراء انتخابات حرة ، كما شكل « جعفر أبو التمن » حزبا باسم « الحزب الوطنى العراقى » وأعلن نفس مبادىء حزب النهضة ، وفى ظل استقالة الحكومة ومرض الملك أمر المندوب السامى بالغاء الاحزاب المعارضة (النهضة والوطنى) وعطلت بعض الصحف « كالمفيد » و« الرافدين » وأبعد صاحبيهما « ابراهيم حلمى العمر » الى ايران و« على سامى خوندة » الى جزيرة « هنجام » .

ثم صدقت الوزارة على المعاهدة فى العاشر من أكتوبر ١٩٢٢ (٤٦) •

على ان ماكتسبه السعدون من دراية وملاحظات فى وزارة العدلية وادراكه لبؤر القوة والضعف فى مقدرات العراق الذاتية وعلاقته مع بريطانيا ، قد غرست لديه قناعة مفادها ضرورة التفاهم مع القـوة صاحبة النفوذ لما بيدها من توجيه للامـر والنهى . وحتى تتخلص العراق من مشاكلها الذاتية على النطاق الداخلى ومع جيرانها (٤٧)•

ومن هذا المنطلق فلا جدوى من الصدام ــ كما اعتقد السعدون ــ مع الانجليز . وعلى الوزارة اتباع (الحزم) لمواجهة العقبات فى سبيل ادخال المعاهدة حيز التنفيذ ، واقامة الحياة النيابية (المجلس التأسيسى ووضع الدستور) (٤٨) •

اصطدمت آراء السعدون بموقف زملاءه الذين رأو غير ذلك فقدم استقالته من الوزراء فى اوائل نـوفمبر ١٩٢٢ سرعان ما اعقبهـا استقالة النقيب نفسه فى ١٦ من نفس الشهر (٤٩) •

فى هذا الوقت كان على الجميع وعلى رأسهم الانجليز ، البحث عن شخصية أخـرى متوازية داخليا وخارجيا ، غير مدينة لاى من القوى المؤثرة داخل العراق كالبلاط والاشراف الذين يعتمدون فى استقرارهم على عواطف ومشاعر ليس لها من سبيل فى تنفيذ السياسة البريطانية كما ذكر تقرير (كوكس) ، او الضباط الذين لم يستقروا على اتباع سياسة محددة (٥٠) •

---

(٤٦) محمود شبيب ، أسرار عراقية ، ١٩١٨ — ١٩٤١ ، بغداد ١٩٧٧ ، ص ٥٤ .

(٤٧) توفيق السويدى ، المصد رالسابق ، ص ١٨٠ .

(48) C. O., Report on Iraq Administration, April 1922/March, 1923, London 1924, pp. 23 — 29.

(٤٩) المركز الوطنى للوثائق ــ بغداد ــ ملفات البلاط « الوزارة الرابعة ، ص ١ ــ ٢ ، صورة محفوظة بدارة الملك عبد العزيز بالرياض .

(50) F. O. 371/6350/3824, Mesopotamia Intelligence, 31/1/1920.

ونظرا للعلاقات الوطيدة منذ أمد بعيد بين آل السعدون والسلطة الحاكمة من العثمانيين ثم الانجليز . ثم التفكك بين المدن ، وما بدر من السعدون من سياسة لاقت قبولاً عند المندوب السامى فى كيفية ادخال معاهدة ١٩٢٢ حيز التنفيذ العملى (٥١) فانسجمت سياستيهما فى كيفية مواجهة المعارضة من قبل الاحزاب والـرأى العام مع خليفة السعدون السياسية وتجاربه مع الاتراك والتى تؤهله للقيادة التنفيذية فى وقت جبت فيه مشكلة (الموصل) التى تطالب بها تركيا غيرها من مشـاكل العراق الخارجية فهو حينئذ رجل المرحلة .

فى بداية العشرينات كان عبد المحسن السعدون قد بلغ العقـد الرابع من عمره حيث ولد عام ١٨٧٩ فى (الناصرية) ، مركز لـواء المنتفق خلال زعامة والده (فهـد) للعشائر واللواء ، واوفده والـده مع شقيقه (عبد الكريم) وهو فى الثالثة عشر الى الاستانة بنـاء العشائر ، بعدها التحق بالمدرسة الحربية العالية ، وانخرط فى الجيش على رغبة السلطان عبد الحميد ، والحق بمدرسة خاصة بابناء رؤساء العشائر بعدها التحق بالمدرسة الحربية العالية وانخـرط فى الجيش العثمانى كضابط مشاه ، حتى وصل الى رتبة (بكباشى) (٥٢) ، وبعد سقوط (عبد الحميد) استقال من الجندية وانتخب نائبا عن المنتفق فى مجلس المبعوثان ، ضمن اقلية عربية سمح الاتحاديون بدخولهم المجلس ، وظل دوره ، كدور بقية اقرانه من العـرب عديم الجدوى ، حتى قيام الحـرب العالمية الاولى ، فعاد لفترة وجيزة الى العـراق ، ثم رجع الى الاستانة حتى انتهى دور مجلس المبعوثان فى عـام ١٩١٩ فعاد الى بلاده بصفة نهائية فى نوفمبر ١٩٢١ (٥٣) .

وبتلك الخصوصية التى غمرت حياة السعدون ، بقضاء معظم سنى حياته فى تركيا تنشأة وحياة وظيفية وزواجا ، ثم ممارسة سياسية ،

---

(51) Bell, op. cit., Letter Date, 3/12/1922.

(٥٢) امين الريحانى ، المصدر السابق ، ص ٣٦٣ .

(٥٣) لطفى فرج ، المصدر السابق ، ص ٤٥ — ٤٦ .

مع التربية الثقافية والفكرية بعيدا عن البيئة العراقية طبع السعدون بطابع مميز . سمته الارتباط القوى بالحاكم والقيادة التى يعمل من خلالها ، ثم الانتماء العشائرى الذى يربطه بكبار الملاك وزعماء العشائر، رأت دار المندوب السامى برئاسة (هنـرى دوبس — Dobbs) فى عبد المحسن السعدون من خلال مواقفه وآراءه فى وزارة (النقيب) رجلا ينتمى الى فئة (المعتدلين) سياسيا (٥٤) يؤمن بضرورة التعاون مع بريطانيا طالما كان العراق داخليا غير مؤهل للسير نحو بناء ذاتى وهو يعتمد على قوى متباينة المصالح داخليا . وما دامت حدود العراق الاقليمية غير مؤمنة أو مستقرة فلا غنى عن التعاون مع انجلترا لحل تلك المشاكل اولا (٥٥) .

ومن خلال هذا الاسلوب الذى آمن به السعدون تباينت وجهـات النظـر فى مدى وطنية الرجل تبعا لمردود هذا الاسلوب وانعكاسه على مصالح القوى التى شكلت الكيان والعراق . هذا من ناحية . ومن ناحية أخـرى تباينت الدراسات عند التعـرض لدراسة حياة السـعدون السياسية فهناك من قسم حياته تلك (وطنيا) الى قسمين :

الاول : من ١٩٢٢ الى عام ١٩٢٨ أى خلال الوزارات الثلاث الاول ، وفيهم كانت سياسة السعدون تتسم بالمهادنة من منطلق عقيدته الوطنية وادراكه ظروف العـراق .

الثانى : من ١٩٢٨ حتى انتحاره فى نوفمبر ١٩٢٩ (وفيها كان وطنيا صعب المنال صريحا بالمجـاهرة بالوقوف ضد السياسة البريطانية فيما كان يـراه لمصلحة العراق) (٥٦) .

وهناك من يـرى ان مفاوضات معاهدة ١٩٢٦ كانت هى الحـد

---

(54) C. O. Report on Iraq. op. cia, 28.

(٥٥) خيرى العمرى ، حكايات سياسية من تاريخ العراق الحديث ، القاهرة ١٩٦٩ ، ص ١٩٦ .

(٥٦) السويدى ، المصدر السابق ، ص ١٨٠ — ١٨١ .

الفاصل بين سياسة المهادنة وأسلوبه بعد ذلك فى مواجهـة الانجليز بعد انفراج المشاكل العراقية خاصة الاقليمى منها (٥٧) .

وبالرغم من موضوعية الاراء السابقة فى تقسيم حياة السعدون ، الى حد كبير ، الا أنها اعتمدت فقط على التقسيم الزمنى والانتقـال الحاد فى اسلوب السعدون من المهادنة الى التطـرف ومع الحـذر المنهجى تاريخيا تجاه هذا الامـر ، فاننا نـرى ان مواقف السعدون (الوطنية) قد تطورت تطورا تصاعديا نحـو هذا الموقف كلما استطاع استقطاب قطاع من الرأى العام الى جانبه فى خط متواز مع انفـراج مشاكل العراق الذاتية .

وبناء على ذلك نستطيع تقسيم سياسة السعدون التى توازن بين تطلعات العراقيين فى مطالبهم (الوطنية) والسياسة الانجليزية، الى مراحل اربع على النحـو التالى :

أولا : الفترة التى تبدأ من ممارسته السياسية داخل العـراق حتى وصوله الى رئاسة المجلس التأسيسى ، وقد اتسمت بالانصياع الكامل لتحقيق الاهداف الانجليزية .

ثانيا : خلال دورة المجلس التأسيسى وحتى عام ١٩٢٦ ، كانت بداية لخطوات السعدون فى حشد قطاع مؤيد له ، وبداية طـرح لتطلبات العـراق الوطنية ، حتى يكون هذا القطاع ظهيرا له أمـام الانجليـز .

ثالثا : وهى المرحلة التى شملتها وزارته الثالثة ، واتسمت بالتصلب فى عرض القضايا الوطنية والحصول على اكبر قـدر من المطـالب العـراقية .

رابعا : وهى الاخيرة والتى اضحى فيها السعدون (ممثلا لمطالب

---

(٥٧) لطفى فرج ، المصدر السابق ، ص ٣٦٤ .

الشعب) والتى اتسمت بأقصى درجات (التطـرف) كما وصـــفه الانجليــز (٥٨) .

وبناء على تكليف من الملك فيصل ، شكل السعدون وزارته الاولى فى ٢٠ نوفمبر ١٩٢٢ (٥٩) واضعا نصب عينيه ردود فعل توقيــع معاهدة ١٩٢٢ واتجاه السياسة الانجليزية نحو التخفيف من الاعبــاء عليها استجابة للاوضاع داخل انجلترا ذاتها (٦٠) ، فأعلن فى برنامجه الوزارى انه سيدخل فى مفاوضات مع الحكومة الانجليزية للتخفيف من القبضة على العــراق (٦١) مستغلا نص المادة الثامنة عشر من المعاهدة التى تفتح الباب أمام العراق حال استقرار وتحسن اوضاعه الداخلية به للانضمام الى عصبة الامم (٦٢) .

وحتى يتحقق له ذلك الهدف الداخلى والخارجى سار فى سياسته على محورين :

(58) C. O. Report on Iraq Administration, 1929, London, 1930 p 51.

(٥٩) ضمت الوزارة (ساسون حسقيل للمالية — ياسين الهاشمى للاشغال والمواصلات ، عبد الحسين الجلبى للمعارف ، عبد اللطيف المنديل للاوقاف وناجى السويدى للداخلية) .

(٦٠) فى هذا الوقت من عام ١٩٢٢ الف المحافظون فى بريطــانيا الوزارة واعلنوا انهم سيسيرون باتجاه تخفيف الاعباء المالية عن كاهــل بريطانيا عن طريق الحد من اعباء ادارة المستعمرات .

(٦١) عبد الرزاق الحسنى — تاريخ العراق الحديث ، جـ ٢ ، صيدا ١٩٤٨ ، ص ٣٧ — ٣٨ .

(٦٢) نصت المادة ١٨ على أن تصبح هذه المعاهدة نافذة المفعول حالما تصدق من قبل الفريقين الساميين المتعاقدين بعد قبولها من المجلس التأسيسى ويظل معمولا بها لمدة عشرين عاما وعند انتهاء هذه المدة تفحص الحالة فاذا ارتأى الفريقان الساميان المتعاقدان ان لم يبق حاجة اليهــا يصير انتهاؤها ، ويكون امر الانهاء عرضة للتثبيت من قبل جمعية الامم ما لم تدخل المادة السادسة فى حيز التنفيذ قبل ذلك التاريخ ، وفى الحالة الاخيرة يجب ان يبلغ اشعار الانهاء الى مجلس جمعية الامم ولا مانع من اعادة النظر من وقت لآخر فى شروط هذه المعاهدة والاتفاقيات المنفردة .

الاول : المحور الذى يتعامل من خلاله مع الانجليز .

الثانى : محاولة استقطاب العناصر المؤثرة والمتباينة داخل العـــراق .

فاما من ناحية التعامل مع الانجليز فقـد دخل السـعدون فى مفاوضات معهم استمرت حتى ابريل ١٩٢٣ ، ونظـرا للرغبة المتبادلة بينهما بشأن تعديل بعض بنود معاهدة ١٩٢٢ ، امكن التوصل الـى (بروتوكول) ملحق للمعاهدة نص على ضرورة انهاء أمـرها عنـد صيرورة العراق عضوا فى عصبة الامم ، على الا يتأخـر ذلك عن أربع سنوات من تاريخ التصديق عليها من قبل المجلس التأسيسى وابـرام الصلح مع تركيا . وبذلك علق التخفيف من بنود المعاهدة بأمـر انهاء مشكلة الموصل ، مما جعل المعارضة تنظـر بعين الشك الى نوايـا السعدون وبأنه يتملق الانجليز ، لانهم كما قالوا سوف تتحكم فى أمـر ـ مشكلة الحدود والمعاهدة على حد سواء (٦٣) . مما يعرقل الهدف الوطنى للعراقيين فى الاستقلال ، ومن ثم ضياع تطلعات المعارضة ، وظل جوهـر القضية على حد قول بعض الاراء ، كما هو ، وما حدث لم يكن الا مجـرد تبديل فى الكلمات بعيدا عن الجوهـر (٦٤) وتطبيقا لـما نصت عليه المعاهدة فى المواد (٢) و (٧) و (٩) و (١٥) (٦٥) .

---

(63) F. O. 371/2273, Report from H. Dobbs, 3 May, 1923.

(٦٤) عبد الرازق الحسنى ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣٧—٣٨ .

(٦٥) نصت المادة ٢ على أن يتعهد جلالة ملك العراق بأن لا يعين مدة هذه المعاهدة موظفا ما فى العراق من تابعية غير عراقية فى الوظائف التى تقتضى ارادة ملكية بدون موافقة جلالة ملك بريطانيا ، وستعقد اتفاقية منفردة لضبط عدد الموظفين البريطانيين وشروط استخدامهم على هذا الوجه فى الحكومة العراقية .

المـادة (٧) يتعهد جلالة ملك بريطانيا بأن يقدم من الامدادات والمساعدة لقوات جلالة ملك العراق المساحة ما يتفق عليه من وقت لآخر الى الفريقان المتعاقدان الساميان وتعقد بينهما اتفاقية منفردة لتعيين مقدار هذا الامداد وهذه المساعدة وشروطها وتبلغ هذه الاتفاقية الى مجلس الامم .

=

بشأن الاتفاقيات الاربع الملحقة بالمعاهدة بكيفية استخدام الموظفين البريطانيين وتنظيم الجيش والقضاء والمالية ، دخل السعدون فى مفاوضات مع دار المندوب السامى لم يتوصلا خلالها الى نجاح ملحوظ لانجاز تلك الاتفاقيات ، وتمسك الجانب الانجليزى بكل مطالبه، واصر السعدون على الا يتحمل العراق ماليا اعباء ما خلفته الحرب من ديون وتعويضات كجزء يستقطع لصالح ذلك البند من بعض مرافق العراق كميناء البصرة أو السكك الحديدية ، كما رفض الاشراف الانجليزى على تنظيم المصروفات والايرادات من قبل الخبراء والمستشارين الانجليز ، واصر كذلك على ابعاد العراق عن تحمل اعباء مصروفات الاعداد العسكرى الانجليزى من قواعد ومستلزمات الجنود ، باعتبار ان لوجود البريطانى فى العراق عسكريا ومن كافة النواحى هو من المسئولية البريطانية ومن أجل اهدافها بالدرجة الاولى (٦٦) .

تعثرت المفاوضات ، واتهمت المعارضة السعدون مرة أخرى بالتساهل مع الانجليز حال موافقته الدخول فى مفاوضات تتعلق بشئون

=

المادة (٩) يتعهد جلالة ملك العراق بقبول الخطة الملائمة التى يشير بها جلالة ملك بريطانيا ويكفل تنفيذها فى أمور العدلية لتأمين مصالح الاجانب بسبب عدم تطبيق الامتيازات والصيانات التى كان يتمتع بها هؤلاء الاجانب بموجب الامتيازات الاجنبية او العرف ويجب أن توضع نصوص هذه الخطة فى اتفاقية منفردة وتبلغ الى مجلس جمعية الامم .

المادة (١٥) تعقد اتفاقية منفردة لتسوية العلاقات المالية بين الفريقين المتعاقدين ينص فيها من جهة على تسليم حكومة جلالة ملك بريطانا الى حكومة العراق ما يتفق عليه من المرافق العمومية وعلى تقديم حكومة جلالة ملك بريطانيا مساعدة مالية حسبما تقتضيه الحاجة فى العراق من وقت لآخر وينص فيها من جهة أخرى على تصفية حكومة العراق تدريجيا جميع الديون المتكابدة فى هذا السبيل وتبلغ هذه الاتفاقية الى مجلس جمعية الامم .

(٦٦) المركز الوطنى للوثائق ، الحكومة العراقية ، قرارات مجلس الوزراء لاشهر تشرين الاول والثانى وكانون أول (اكتوبر/نوفمبر) ١٩٢٣ سرى ، بغداد ، مطبعة الحكومة ، ص ٤٠ — ٥١ .

العــراق الداخلية البحتة (٦٧) بينما رأى رئيس الوزراء ان تقديم بعض التنازلات ثم الانتهاء من هذه الاتفاقيات الاربع ، ان هو الا سبيل لانهاء الشروط المعلقة لادخال العراق عصبة الامم وتحســن الاوضاع الداخلية (٦٨) .

وحتى يخفف من انتقادات المعــارضة ، انصرف عقب تــوقيع البروتوكول نحــو اجراء انتخابات المجلس التأسيسى ليبدأ المحور الثانى الذى سار عليه خلال تلك الفتــرة لتحقيق بعض القواعد التى تؤهل العراق ذاتيا نحو اصلاح دستورى لاصباغ الشرعية على المعاهدة والبروتوكول الملحق وحتى يحقق ذلك شكلت لجنة لوضع بنود الدستور كان محور نقاشها يدور حول صلاحيات الملك ، التى انعكست بدورها على موقف (فيصل) تجاه وزارة السعدون باعتبارها بداية للحــد من نفوذ البلاط (٦٩) .

ثم كان الاعلان عن تكوين اللجان الانتخابية الرئيسية لبغداد واصدار عدد من اللوائح بشأن حرية الانتخابات ، ثم الــدخول فى مفاوضات مع المندوب السامى من أجل اعادة السياسيين المبعدين امثال (حمدى الباجى جى) و (جعفر ابو التمن) باعتبار امكانية السيطرة على نشاطهم السياسى ، اما رجال الدين من الشيعة بقيــادة (مهدى الخالصى) فقد اتخذ منهم السعدون معاديا للحد من اتجاهاتهم لعرقلة الانتخابات ، ونظــرا لان الحد من نشاطهم الــداخلى غير مضمون نظرا للصلات المذهبية التى كانت تربطهم بايران فألقى القبض على (الخالصى) والمقربين منه واخرجوا الى الحجاز خلال يونيــو ١٩٢٣ (٧٠) .

---

(٦٧) صحيفة المفيد ، العدد ١١٤ ، ٥ اغسطس ١٥٢٣ .
(٦٨) عبد الرزاق الحسنى ، المصدر السابق ، ص ٤١ — ٤٢ .
(٦٩) لطفى فرج ، المصدر السابق ، ص ١٤٤ .
(٧٠) المركز الوطنى للوثاق ، م/د ١١/٣ ، التقارير الاقتصــادية ، ١٩٢٣/١١/٥ .

وبهذا الشكل مهد السعدون السبيل لاجـراء الانتخابات للمجلس التأسيسى مع علمه المسبق بحقيقة ما سوف تسفر عنه من الدفـع بالعناصر ذوى المصالح المرتبطة بنظام الحكم من الشخصيات العامـة وكبار الملاك وزعماء العشائر .

ومع ان الانتخابات لم تصل الى نهايتها ، الا ان السعدون وقع أسير الازمة الاقتصادية التى اجتاحت البلاد ، عندما رأى خروجـا منها ، تقليل رواتب الموظفين وزيادة الرسوم الجمركية على بعض البضائع مما اثار كبار التجار واتى فشله فى الوصول الى حل فيمـا يتعلق بمسألة (السكة الحديد) و (ميناء البصرة) (٧١) حجة قويـة وفرصة للملك فيصل للتخلص من السعدون بسبب موقفه من مسألة (الصلاحيات) فاتهمه ووزارته بالتقاعس عن حل الازمة الاقتصادية والخروج بموقف مشرف بخصوص المفاوضات مع الانجليز ، فقدم السعدون استقالته فى منتصف نوفمبر ١٩٢٣ وخرج منهـا بعد ان خسر حماس الملك له مع رجال الدين من الشيعة . وفى المقابل حاز اعجاب الانجليز وكبار الملاك ، لموقفه خلال المفاوضات واجـراء الانتخابات .

وبهذا الشكل اتضحت المواقف لكثير من الاطراف واختتمت — مرحلة — نعتبرها ضرورية ، لكشف النقاب عن طبيعة التوجهات للقوى داخل العراق لتمهد السبيل بعد ذلك نحو **المرحلة التالية التى اتسمت بمحاولة استقطاب كافة العناصر الى جانب السعدون** .

اتمت وزارة (جعفر العسكرى) خطوات الانتخابات ، ووضع امامها عدة مهام رئيسة ملخصها ، سرعة الاتفاقات الاربع الملحقـة والتصديق عليهما وعلى المعاهدة والبروتوكول الملحق بها فى آن واحد ،

---

(٧١) المركز الوطنى للوثائق م/ب ١١/٣ ، التقارير الاقتصـادية ، ١٩٢٣/١١/٥ .

ثم سرعة بناء المؤسسات الدستورية (٧٢) . وبدأ المجلس التأسيسى اولى جلساته فى ٢٧ مارس ١٩٢٤ وامامه أيضا ثلاث مهام محددة هى : النظر فى معاهدة ١٩٢٢ والبروتوكول ، واصدار قانون الانتخابات وسن الدستور ، وبعد ضغوط من المندوب السامى على الملك فيصل واتصالات بأكثرية اعضاء المجلس (٧٣) انتخب السعدون رئيسا لــه بحصوله على (٥٠) صوتا مقابل (٢٣) صوتا لياسين الهاشمى الذى انتخب ومعه (الحيدرى) الــذى حصــل على (٨) أصــوات نائبين للرئيس (٧٤) .

وحتى يستقطب السعدون كافة التيارات جعل جلسات المجلس منبرا لكافة الآراء المتباينة بخصوص الموضوعات المطروحة ، من مؤيد بقيادة رئيس الوزراء ذو الصلة الوثيقة بالانجليز وأغلبية اعضـــاء المجلس وبحجة الخشية من ضياع الموصل التى يهددون بها ، ومن معارض بقيادة الهاشمى ، بدعوى ان الانجليز لن يفرطوا فى الموصل نـــا بدأ من أهمية استراتيجية لهـــا من خلال البحث عن البتـــرول بهـــا (٧٥) .

ومع افساح المجال أمام هذه الاتجاهات استقطب السعدون معظم أعضاء المجلس ، الا انه خشية خسران الانجليز ، تغاضى فى ذات الوقت عن موقف (نورى السعيد) وزيـــر الدفاع وقتئذ عندما استعان بقوات

---

(٧٢) شكلت لجنة عراقية انلجيزية لوضع مسودة للقانون الاساسى : الدستور) ضمت من العراقيين (ساسون حسقيل ، وزير المالية ، رســتم حيدر ، وناجى السويدى توفيق الخالدى) ومن الجانب الانجليزى (داويدى — Daweides ، مستشار وزارة العدل ، و (ادويك — Eddweek) مستشار الحكومة .

(73) C. O., Report on Iraq, April 1923, December, 1924, London. 1925. pp. 8 — 16.

(٧٤) المركز الوطنى للوثائق ، مذكرات المجلس التأسيسى ، ج ١ ، ص ٧ — ١١ .

(٧٥) المركز الوطنى للوثائق ، المصدر السابق ، ج ١ .

الجيش لضرب المتظاهــرين ضد سياسة الحكومة والانجليز ومؤيدى المعــــاهدة (٧٦) .

وامام تهديد المعتمد السامى لرئيس المعارضة (الهاشمى) ورئيس الوزراء ، ثم تهديد الملك نفسه بمذكرة اليه من قبل دار الاعتماد بالعودة بالبلاد الى ما كانت عليه عام ١٩٢٠ اذا لم يجتمع المجلس للمصادقة ، وبحضور (٦٨) عضوا وافق (٣٧) وعــارض (٢٤) وامتنــع (٨) عن التصويت ، وافق المجلس فى العاشر من يــوليو ١٩٢٤ على كافــة الموضوعات التى عرضت عليه (٧٧) . وانصب الغضب على رئيس الوزراء والبلاط وعمت المظاهرات انحاء البلاد ، كان اشدها حــول البصرة من قبل الشيعة (٧٨) فاستقالت وزارة العسكرى ، ودعــى (ياسين الهاشمى) لتشكيل الوزارة الجديدة ، من خــلال الرغبــة الانجليزية فى زعزعة المعارضة ، وتحقيقا لهوى من الرئيس الجديــد راوده منذ امــد بعيــد وظن فيه وســيلة للانتقام من الانجليــز انفسهم (٧٩) .

تولى عبد المحسن السعدون فى وزارة الهاشمى منصب وزيــر الداخلية ، والقى على كاهله مهمة تنفيذ ما أقــره المجلس التأسيسى من هيئات دستورية باقامة مجلس للنواب وآخــر للاعيان (٨٠) وسارت

---

(٧٦) الحسنى ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٨٥ .

(77) F. O. 371/13171. Letter From H. Dobbs To King Faisal 8/7/1924.

(٧٨) صحيفة العالم العربى ، العدد ٦١ ، ١٦ يوليو ١٩٢٤ .

(79) C. O. Report on Iraq, op. cit., 1923 — 1924.

(٨٠) نص الدستور فى مادته (٣) على أن مجلس الامة يتــألف من مجلسين :

١ ــ الاعيان ويبلغ عدد أعضاءه (٢٠) عضو ايعينهم الملك ممن نالوا ثقة الجمهور ومدته ثمان سنوات يستبدل نصفهم كل اربع سنوات .

٢ ــ مجلس النواب ويتم اختيار أعضاءه بالانتخاب ، على أن ينتخب نائبا عن كل عشرين الف نسمة .

الانتخابات على نفس المنول الذى جـرت عليه انتخابـات المجلس التأسيسى ، وحصل السعدون على ستين مقعدا من مجموع أعضـاء المجلس البالغ عددهم (ثمانية وثمانون) مما دفع الهاشمى الى تقديم استقالته ليفسح المجال للسعدون لتشكيل وزارته الثانية (٨١).

عند هذه النقطة عزز مركز الرجل السياسى فى مواجهة لاحداث فازدادت ثقة (دار الاعتماد البريطانى) فيه (٨٢) ، فى ذات الوقت الذى تحول فيه الى بؤرة للكراهية من جانب المعارضة والغيرة من جانب البلاط الذى لم يكن بيده حسم الامـر ، وبالتالى اضحى السـعدون من وجهة نظـر الكثير مهادنا للانجليز .

على اننا ننظـر الى تطور الاحداث بمنظار آخـر ، فمع بدايـة دخول العراق الحياة النيابية ، بدأ العمل السياسى يأخذ شكلا جديدا عندما مهدت الانتخابات ونتائجهـا بصرف النظـر عن سبيل اجراءها، الطريق نحو تبلور الاتجاهات السياسية ، وتبلورت فى ذات الـوقت الاهداف الذاتية لمحركى الاحداث فتألفت الاحزاب ، كل ليعبـر عن رأيه وتوجهـاته .

صحيح ان ذلك التكتل الجديد لم يكن الا مجرد تجمعات فضفاضة للتكتلات والمصالح الشخصية التى تعتمد على القرابة والعلاقـات الشخصية ولا تتعدى جذورها القشرة العليا فى المجتمع (٨٣) ، الا أنه كان فى النهاية تعبيرا عن طبيعة الحركة الوطنية فى المشرق العربـى بصفة عامة آنذاك .

---

(٨١) عبد الرزاق الحسنى ، تاريخ الوزارات العراقية ، ج ٢ ، صيدا ١٩٦٥ ، ص ١٨٩ — ١٩٠ .

(٨٢) السمرى ، المصدر السابق ، ١٩٦ .

(83) Bill (J.) and Leiden (C.), Political in the Middle East, Boston 1979. pp. 78 — 79.

ولمزيد من التفاصيل انظر د. اسامة الغزالى حرب ، الاحزاب السياسية فى العالم الثالث ، عالم المعرفة — ١١٧ ، الكويت ١٩٨٧ ، ص ١١١ — ١١٤ .

تشكل (حزب) الامة فى أواخـــر اغسطس ١٩٢٤ (٨٤) و (حزب الشعب) فى نوفمبر من العام التالى ١٩٢٥ (٨٥) كمنافس رئيسى لحزب التقدم الذى أسسه عبد المحسن السعدون فى ذات الشهر والعام ، وضم كبار الملاك ورؤساء العشائر وبعض قدامى الضباط امثال صبيح نشأت ومجيد الشاوى وعلى جودت وجعفـــر العسكرى رفيق الملك فيصـــل منذ الثورة العربية ويقال انه كان دسيسة للملك داخل الحزب (٨٦) . ولخص الحزب اهدافه فى السعى الى تطبيق المعـــاهدة العـــراقية / البريطانية واستخلاص ما يمكن استخلاصه من أهداف للحركة الوطنية مع العمل على ادخال العراق عصبة الامم ، واعلن ان اسلوب اقتحام المشاكل ومعالجتها خير وسيلة للتعامل مع البلاط والانجليز (٨٧) .

لقد كان التشكيل الذى قام به الحزب عبارة عن تجمع لاهداف ونوايا متعددة متباينة من ذوى المصـــالح العشـــائرية التى ارتبطت بالانجليز وبالقصر على حد سواء مما حمل السعدون مزيدا من الاعباء فى كيفية السير بهؤلاء جميعا ، فتحمل وزرهم أمام العامة مع ماظنه فيه هؤلاء قبلا باعتباره مهادنا للانجليز .

أما من ناحية السعدون ، فقد آمن بأن ما حصل عليه من اكثرية فى مجلس النواب مع احتواء حزبه لعدة تيارات ثم قيادته المسئولية

---

(٨٤) أسس (ناجى السويدى) هذا الحزب ولخصته مبادئه فى الموافقة على المعاهدة للوصول الى الهدف النهائى وهو وضع دستور وبناء الحياة النيابية .

(٨٥) رأس (ياسين الهاشمى) حزب الشعب ، ومال الى التطرف فى اهدافه ومطالبه فنادى باستقلال العراق التام ، وتدعيم المعارضة ضـــد الانجليز ، وادخال العراق عصبة الامم ، واتخذ الحزب من جريدة (نـــداء الشعب) صوتا له ، وأضحى ندا قويا لحزب السعدون .

(٨٦) يحكى العمرى ان جعفر العسكرى قال مخاطبا زعماء (التقدم) « ان لم تسمحوا لى بالدخول من الباب فسوف أدخل حزبكم من الشـــباك » ويستدل البعض بهذا القول على دفع الملك لجعفر نحو هذا الحزب لتفتيته . انظر : العمرى ، المصدر السابق ، ص ١٩٧ .

(٨٧) السويدى ، المصدر السابق ، ص ١٥٩ .

التنفيذية فانه يستطيع بهذا كله اقتحام المشاكل العراقية ، ومن هنا فقد وضع اللبنة الاولى لمواجهة الانجليز ، والخروج عن حصارهم له ، بتكتيل معظم العناصر المؤثرة من حوله — كما يراها — خطوة خطوة ووضح ذلك الاتجاه الجديد لسياسته من منطلق احساس وطنى . استخلصه من ارهاصات بداية الانفراج لمشاكل العراق المستعصية على النحو التالى :

أولا : منذ منتصف ١٩٢٥ بدأت (مشكلة الموصل) تأخذ طريقها نحو الحل عن طريق عصبة الامم التى أقرت فى سبتمبر من عام ١٩٢٤ تعيين لجنة للنظر فى تحديد خط للحدود بين العراق وتركيا، كما وقع الطرفان (الانجليزى والعراقى) فى مارس ١٩٢٥ امتيازا للبحث عن النفط فى الاراضى العراقية بواسطة شركة النفط التركية المحدودة (٨٨) وبدا واضحا ان بريطانيا تدرك مدى الاهمية الاقتصادية للعراق ، ومن ثم أهمية التحلى بالمرونة ازاء المطالب الوطنية العراقية وبالفعل قدمت لجنة عصبة الامم المشكلة لبحث المشكلة تقريرها فى منتصف يوليو ١٩٢٥ ونص على ان المنطقة المتنازع عليها ، تقع ضمن المملكة العراقية على ان يقابل هذا استمرار الانتداب البريطانى على البلاد (٢٥) عاما بحجة ان الوضع يتطلب ادارة خاصة للاكراد لا تتحمله الحكومة العراقية حاليا (٨٩) .

ثانيا : كما أن مسألة الحدود الجنوبية للعراق بدأت تأخذ طريقها نحو الحل بالاتفاق المبدئى فى ابريل ١٩٢٥ بعقد مؤتمر لحل مشاكل العشائر المتنازع عليها واعتدادات الحدود المتبادلة بين ابن سعود

---

(٨٨) حصلت شركة النفط التركية المحدودة ، وهى شركة بريطانية المانية على وعد بالتنقيب والبحث عن النفط فى العراق ، ثم حلت فرنسا محل المانيا بـ ٢٥ ٪ من الشركة ، وبعد مفاوضات وقع الطرفان فى منتصف مارس ١٩٢٥ امتيازا للنفط ، تقوم بموجبه الشركة البريطانية بالتنقيب والبحث عن البترول بالموصل .

(٨٩) لنشوفسكى ، المصدر السابق ، ص ١٧٩ .

والعراق(٩٠) ومن بين ثنايا هذه القناعة ببداية انفراج مشاكل العراق الخارجية بدأ السعدون مناقشة القضية الوطنية الخاصة بمستقبل العراق ، من خلال اختيار صعب ، فاما الموصل وعودتها للعراق ، أو ، العودة بالمدة الاولى لمعاهدة ١٩٢٢ ، بجعل الانتداب عشرون عاما ، ومع البلاط الذى يلوح بالكراهية للسعدون ، بعدما حاز الاخير ثقة دار الاعتماد البريطانى بتفضيله تشكيل أول وزارة برلمانية ، ووضوح تلك الكراهية من خلال قبول السعدون مشروع المعاهدة الجديدة واعتراض فيصل عليها قدم السعدون استقالته فى التاسع من يناير ١٩٢٦ (٩١) مما أحرج موقف الملك وبدا كأنه حجر عثرة متصلبا أمام بريطانيا ، فتراجع عن قبول الاستقالة وبالتالى اقرار الحكومة للمعاهدة الجديدة ، ثم اقرارها من قبل مجلس النواب ذو الاغلبية الكاسحة من أعضاء حزب التقدم بما له من أعضاء بلغ عددهم (٦٠) عضوا من (٨٨) فى ١٣ اينـاير ١٩٢٦(٩٢) ومن خلال قناعة مفادها أن المعاهدة الجديدة ان هى الا امتداد للمعاهدة القديمة وبمرونة أفضل ، لما نصت عليه المادة الثالثة منها بانتهاء هذه المدة تلقائيا مع دخول العراق عصبة الامم ، أو فى التحسن الذى يطرأ على ادارة البلاد من خلال مراجعة

---

(٩٠) وقعت اتفاقية المحمرة فى الاول من نوفمبر ١٩٢٥ ونصت على تشكيل محكمة للفصل فى المسائل المختلف عليها ، وباحة انتقال العشائر على حدود البلدين ، ومنع القوات العسكرية من التدخل لفض اى شكوى او سوء تفاهم والتمهيد لعقد اتفاقية تسليم المجرمين .

انظر : صادق السودانى ، المصدر السابق ، ص ٢٣١ — ٢٣٥ .

(٩١) المركز الوطنى للوثائق ، مقررات مجلس الوزراء ، مجموعة ت/وت٢ ، ص ١٢٢ — ١٢٣ ، صورة محفوظة بدارة الملك عبد العزيز .

(٩٢) نفس المصدر ، محاضر مجلس النواب ، الدورة الانتخابية الاولى ، الاجتماع غير الاعتيادى الاول ١٩٢٦ ، ص ١٠ — ٢٦ .

شـــئونها فى فترات متتابعة كل منها أربع سنوات(٩٣) ، ورأى انصار السعدون أن الاستقلال أمر وارد معترف به فى المعـــاهدة ومرتبط بالوقت بالاضافة الى المكسب التاريخى بعودة الموصل الى العراق بصفة نهائية(٩٤) .

أما وجهة نظر المعارضة فقد انصبت على أن الحكومة البريطانية ملزمة بالاحتفـــاظ بالموصل للعـــراق لتحقيق مصـــالحها واستغلالها لاستخراج البترول الذى تتوقف عليه حياة أسطولها واستراتيجيتها ، كما أن المعارضين يعتقدون أن تصلب الحكومة البريطانية وتهديدها ما هما الا من قبيـــل (المناورات) لاكراه الشعب وحمله على قبول المعـــاهدة(٩٥) .

وتطبيقا لمـــا نصت عليه المادة الثانية من معاهدة ١٩٢٦ الخاصة بمواصلة النظر بجد ونشاط فى المسائل التى وضعت موضع البحث بين العراق وبريطانيا فيما يتعلق بتعديل الاتفاقيتين العسكرية والمالية من معاهدة ١٩٢٢ ، دخل الســـعدون والانجليز فى مفاوضات صعبة بينهما بدأت عقب الموافقة على المعاهدة .

فبخصوص الاتفاقية العسكرية التى كانت مدتها ، هى نفس مدة معاهدة ١٩٢٢ ، تمسك السعدون بضرورة انهاء امدها ، وألقى أمام مفاوضيه تدعيما لرأيه أن التهديد التركى للعراق الذى تلوح به انجلترا ، ان هو الا ذريعة واهية ، واذا كان هناك ثمة تهديد فهو

---

(٩٣) نصت المادة الثالثة من معاهد ١٩٢٦ على تعهد جلالة ملك بريطانيا من غير المساس باحكام المادة (٦) من معاهدة ١٩٢٢ ، بجواز تعديل احكام المعاهدات المذكورة بشرط موافقة مجلس جمعية الامم بأن ينظر بجد ونشاط فى المسألتين الاتيتين عند حلول الوقت الذى ينبغى أن تنتهى فيه معاهدة ١٩٢٢ بموجب بروتوكول ابريل ١٩٢٣ ثم بعد ذلك فى فترات متتابعة مدة كل منها أربع سنوات الى أن تنقضى مدة الخمس والعشرين سنة المذكورة أو الى أن يدخل العراق عصبة الامم .

(٩٤) محاضر مجلس النواب — نفس المصدر السابق — الدورة الانتخابية الاولى .

(٩٥) نفس المصـــدر .

موجه الى الانجليز وليس للعراقيين ، وما رغبة بريطانيا فى مد الاتفاقية العسكرية الا حفاظا على المصلحة الذاتية لها أولا وقبل كل شىء(٩٦) .

عارض السعدون أيضا استمرار تحمل العراق النفقات الاضافية التى تدفع لجنود انجلترا التى قدرت وقتها بـ ٤٠ ألف دينار عراقى وقت السلم ، تزداد بطبيعة الحال وقت الازمات المرتبطة بالاستراتيجية البريطانية عامة(٩٧) .

وتداخلت المفاوضات المتعلقة بالاتفاقية العسكرية مع الاتفاقية المالية مع اصرار الجانب الانجليزى على تخصيص ربع الايراد العراقى لدفاع الوطنى الموجه أساسا بواسطة المستشارين الانجليز ، وتخصيص مبلغ من المال يقرره المستشارون كجزء من الدين العثمانى يسدد للحكومة الانجليزية(٩٨) وظلت بريطانيا طيلة المفاوضات متمسكة بحجة مفادها أن الوقت غير ملائم لاجراء أى تعديل يتصل بالعلاقات البريطانية العراقية ، لأن ذلك ، على حد قولهم ، سوف يثير الاتراك وعصبة الامم حول ضم الموصل ومسألة الانتداب ومن ثم اثارة القلاقل ، مما سيطيل أمد المعاهدة الى أقصاها(٩٩) .

وأمام تصلب السعدون والانجليز على حد سواء ، وعدم الوصول الى نتيجة حاسمة اضطر الاول الى تقديم استقالته الوزارية الثانية فى الحادى والعشرين من نوفمبر ١٩٢٦(١٠٠) . وبذا شرع

---

(96) C. O. Report on Iraq Administration. 1925 — 1926. London, 1926.

(٩٧) المركز الوطنى للوثائق ، ملف د/٢/٤ مفاوضات ومقررات مجلس الوزراء ، شهر ابريل ومايو ١٩٢٦ (صورة محفوظة بدارة الملك عبد العزيز) .

(٩٨) المركز الوطنى للوثائق ، نفس المصدر .

(٩٩) نفس المصدر .

(١٠٠) الحسنى ، الوزارات العراقية ، المصدر السابق .

السعدون فى وضع اللبنة الاولى لسياسته الجديدة القائمة على المواجهة بدلا من سياسة الاسترضاء التى كان يتبعها قبل ذلك .

المرحلة الثالثة : تصلب السعدون أمام السياسة الانجليزية :

تحطمت وزارة (جعفر العسكرى) الاثنية التى أعقبت وزارة السعدون الثانية مع عجزها الوصول لحل بشأن الاتفاقيتين المالية والعسكرية ، ثم انقسام أعضاء وزارته تجاه مشروع المعاهدة التى وضعت خطوطها الرئيسية بلندن فى الثامن عشر من ديسمبر ١٩٢٧ ، فعارضها (الهاشمى) وزير المالية و(الكيلانى) وزير الداخلية فقدما استقالتيهما ، باعتبار أن هذا المشروع لم يأت بجديد ، وسرعان ما اعقبهما (العسكرى) بتقديم استقالته فى السابع من يناير ١٩٢٨(١٠١) .

كان المندوب السامى يعارض آنذاك وبقوة تسمية شخص رئيس الوزراء الجديد له ميل أو تأييد من البلاط ، خاصة من زمرة العسكريين القدامى ، اعتقادا من المعتمد بأن الملك فيصل قد تراجع ومعه هؤلاء عن الضغط على المجلس السابق للموافقة على المعاهدة المقترحة(١٠٢) ، وبطبيعة الحال لم يكن للمندوب أن يوافق بسهولة على اسناد هذا المنصب مرة أخرى الى الهاشمى أو انصاره باعتبارهم من الاسباب التى تعثرت معها الجهود فى سبيل الوصول الى اتفاق بشأن المسائل المالية والعسكرية .

فى الوقت ذاته أعلن السعدون بصفته رئيسا لحزب الاغلبية تمسكه بموقفه السابق بوجوب عقد اتفاقية جديدة تتعلق بالشئون العسكرية وأخرى للمالية ، قبل التوقيع على أية معاهدة جديدة ،

---

(١٠١) فرج ، المصدر السابق ، ص ٢٤٣ — ٢٤٤ .

(102) F. O. 371/13161, Report From Dobbs, (The King Faisal and El-Askary), 2/1/1928.

مذكرا بريطانيا رغبتها قبل ذلك بألا توقع معاهدة أخرى الا بعد تعديل الاتفاقيات والموافقة عليها ، ثم يتم عقد المعاهدة المقترحة وتبرم هذه الوثائق كلها فى وقت واحد .

وجد هذا الاقتراح الذى أثاره السعدون هوى وقبولا عند (هنرى دوبس) الذى لم يرغب أصلا فى عقدها ، فكلف البلاط الملك فيصل كمخرج للتنصل من مشروع المعاهدة السابق ، تكليف السعدون بتشكيل وزارته الثالثة فى السابع من يناير ١٩٢٨(١٠٣) .

وهنا نقطة جديرة بالملاحظة ، فبعد أن كان السعدون وسابقيه ممن تولوا الوزارات السابقة ، يكلفون بها تلقائيا فانه فى الوقت الحالى أصبح شخصية يحتاج اليها الجميع . بعد أن فشل (الهاشمى) زعيم المعارضة فى تنفيذ شعاراته وهو على قمة العمل التنفيذى ، فهو الآن — أى السعدون — يفرض شروطا مسبقة قبل قبول مسئولية رئاسة الوزارة ، فطلب من الملك فيصل حل المجلس النيابى تأكيدا لنفوذه الداخلى ، ثم دفع (دوبس) الى الاعلان عن موافقته تعديل الاتفاقيات المالية والعسكرية فى صورة متطابقة مع المطالب الوطنية ، وعدم الأخذ بمشروع معاهدة ١٩٢٧ ، الا اذا قبل العراقيون هذا المشروع(١٠٤) .

اختار السعدون وضع الفقرة السابقة فى منهجه الوزارى لمسايرة الملك فيصل الذى كان اشرافه من أهم العوامل فى مشروع المعاهدة السابقة وعدم العبث بجهد الوزارات السابقة(١٠٥) .

بدأ السعدون تنفيذ ما اشترطه ، فحل مجلس النواب ، وجرت

---

(١٠٣) الحسنى ، العراق الحديث ، جـ ٢ ، ص ١٥٣ .

(١٠٤) صحيفة الاوقات البغدادية — تصريح هنرى دوبس ، ١٣ مارس ١٩٢٨ .

(١٠٥) الحسنى ، الوزارات العراقية ، جـ ٢ ، ص ١٣٣ .

الانتخابات على نفس المنوال السابق الذى أتى بأغلبية لحـــزب (التقـــدم) ، ثم عقد المجلس الجديد دورته فى منتصف مـــارس ١٩٢٨ ، وبالرغم من النقد الذى وجهه (حزب الشعب) المعارض الى حكومة السعدون بسبب موقفها العنيف فى مواجهة مظاهرات الطلبة خلال زيارة (الفرد موند — Mond) لبغداد(١٠٦) ، الا أن الســعدون أصر فى برنامجه على تنفيذ شروطه التى عرضها قبل ذلك على الملك وعلى دوبس والا فسيستقيل من منصبه(١٠٧) وأعلن فيصل أن هذه التعديلات ، ستكون ضامنة لمصلحة العراق(١٠٨) .

وبالفعل صرف الســعدون جهد وزارته الثالثة التى استمرت قرابة العام من يناير ١٩٢٨ حتى الشهر نفسه من العام التالى ١٩٢٩ فى مداولات بين وجهات النظر العراقية والبريطانية(١٠٩) ، وانصب الخلا فـفى النقاط التالية :

أولا : تمسكت بريطانيا بأحقية قيادتها للجيش عند القيام بأعمال عسكرية من منطلق رؤيتها ومصالحها الاستراتيجية الاوسع انتشارا وبحكم جزئية جيشها بالعراق بينما رأى الســعدون أن ما يهــم العراق فى هذا الوقت ، هو أن تكون اموره الدفاعية مناطة به(١١٠) .

---

(١٠٦) نقلت وكالات الانباء فى يناير ١٩٢٨ ، عزم ، موند ، وهو أحد اقطاب الحركة الصهيونية ومن كبار رجال المال ، زيارة بغداد ، لاهــداف اقتصادية خاصة مد أنابيب النفط من الموصل الى البحر المتوسط ، فتزامن ذلك مع فترة الكفاح المسلح ضد الصهيونية فى فلسطين ، مما اضطرت معه حكومة السعدون فى بداية عهدها بتلك المظاهرات التى واجهتها بعنف ؛ كان منها حق وزير المعارف جلد الطلبة مع الحبس .

(١٠٧) الحسنى ، المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٤٨ .

(١٠٨) المركز الوطنى للوثائق ، مجلس النواب ، الدورة الانتخابية الثانية ١٩٢٨ ، خطاب الملك فيصل ، ص ١ — ٢ .

(١٠٩) دارت المفاوضات من خلال لجنة عراقية واخرى انجليزية ضمت الاولى وزير المالية يوسف غنيمة والمعارف توفيق السويدى والدفاع نورى السعيد ، والثانية ، دوبس وقائد القوات البريطانية (بروك) .

(110) C. O., Report on Iraq Administration. London, 1929.

ثانيا : تمســك الســعدون . تخفيفا عن مالية البلاد . الأخــذ بمبدأ التجنيد الاجبارى بدلا من نظــام التطــوع الذى تمسك به الجانب الانجليزى بحجة الكفاءة(١١١) .

ثالثا : تضاربت مواقف الاطراف فيمن يتحمل نفقات الحاميــة البريطانية نتيجة لتباين وجهات النظر بينهما فى المهام الموكلة لتــلك القوات نتيجة لقناعة كلا منهما فى البند أولا(١١٢) .

ولم يكن الخلاف فى مسألة الاتفاقية المالية أيضا أقل حجما مما فى الاتفاقية السابقة على النحو التالى :

أولا : اختلفت الآراء فيما يتعلق بنفقات الســكك الحديدية ، وأعباء تشغيلها للاغراض المدنية والعسكرية ، وبالتالى كيفية التعامل بالايرادات(١١٣) .

ثانيا : اشتد الخلاف بخصوص ميناء البصرة ، هل تدخل أعباء تشغيل منشأته ضمن نفقات وايرادات الدولة بصــورة عامة ، أم تؤسس لها ادارة خاصة بعيدة ماليا واداريا عن الميزانية العــامة ، وتمســك الجانب الانجليزى بضرورة ذاتية الادارة عن طريق لندن مباشرة(١١٤) كما تباينت الآراء حول ملكية الاراضى المحيطة بالمينــاء وتبعيتها(١١٥) .

لم تسفر المباحثات المستمرة بين السعدون والمعتمد البريطانى عن تقدم ملموس فى المسائل السابقة أو ما تفرع منها من أمـــور

---

(111) C. O. Report .... Op. Cit.

(١١٢) المركز الوطنى م/ب/١٤ (الاتفاقيات المالية) ، ص ٦٠ — ٦٤ .

(١١٣) المركز الوطنى للوثائق ، الاتفاقيات المالية ، المصدر السابق ، ص ٦٠ — ٦٤ .

(١١٤) نفس المصــدر .

(١١٥) نفس المصدر ، ص ٦٤ .

كمسئولية الامن الداخلى أو تحديد عدد الضباط الانجليز ونفقـات دار الاعتماد(١١٦) •

لقد بدا واضحا أن الخط السياسى للسعدون يتجه نحو التصلب فى مواجهة الانجليز بصـورة أقوى عن ذى قبل ، مع تأييد كافـة الاطراف العراقية لمواقفه بصرف النظر عن حجم هذا التأييد •

وعندما أيقن السعدون عدم جدوى المفاوضات ، جمع رؤسـاء الوزارات السابقة وزعماء الاحزاب وأقطاب الحركة السياسية ، أمثال ياسين الهاشمى وجعفر أبو التمن والعسكرى وغيرهم فى التاسع عشر من يناير ١٩٢٩ وأطلعهم على المراسلات والمفاوضات التى تمت بينه وبين الانجليز ، فأيدوا موقفه ووجهة نظره ، وأجمع الحضور على أن مطالب السعدون ومواقفه هى (مطالب الشعب) (١١٧) ثم عقـد حزب « التقـدم » اجتماعا فى نفس اليوم وافق فيه رئيس الوزراء على تقديم استقالته التى قبلها الملك فيصل فى العشرين من نفس الشـهر •

المرحلة الرابعة : السعدون متطرفا :

وقعت البلاد فريسة أزمة سياسية حادة ، ورأى فيصل فى عدم تكليف وزارة جديدة ، وضع بريطانيا فى مأزق حرج حتى تستجيب لـ (مطالب الشعب)(١١٨) ولم يتقدم أحد أيضا لتولى هذا المنصب طيلة الأشـهر الثلاث بعد يناير ، حتى انتهت مدة المندوب السـامى (**هنرى دوبس** — Dobbs) مع انتهاء الازمة السياسـية فى

---

(١١٦) فرج ، المصدر السابق ، ص ٢٨٣ — ٢٨٦ •

(١١٧) مجلة السياسة الاسبوعية ، بغداد ، العدد ١٥٨ ، ٢٢ يناير ١٩٢٩ •

(١١٨) امين الريحانى ، فيصل الاول ، بيروت ، ص ١٣٥ •
وللمزيـد :
De Gaury (Gerald) Three Kings in Bagdad, London, pp. 76.

لنــدن ، ووصــل حزب العمــال الى الوزارة بزعامة (ماكدولاند — Macdoland) وتولى آرثر هندرسون Handerson) وزارة الخارجية . منتهجا سياسة السلام . وتسوية المشكلات الخارجية بالمناقشات الودية والتخفيف من الاعباء الماليــة(١١٩) .

تولى (جلبرت كلايتون — Clayton) منصب المندوب السامى فى مارس ١٩٢٩ وهو صديق شخصى للملك فيصل منذ الحركة العربية عام ١٩١٦ . وعرض الاخير اسم (نورى السعيد) لتشكيل الوزارة الا أنه لم يجد ارتياحا لدى دار الاعتماد لــا يدركه كلايتون من حجم التأييد الضيق للبلاط وأنصاره لدى العراقيين ، بالاضافة الى عدم اكتراث لما حدث فى وزارة العسكرى(١٢٠) .

ثم رفض السعدون أيضا بحجة أن اعادة توليه المنصب . سيضعه موضع المتناقض مع نفسه ومواقفه أمام القوى الاخرى ، وتظهره كألعوبة بيد الانجليز والبلاط وخرج من هذا الموقف بترشيح رفيــق السعدون (توفيق السويدى) كحل وسط يستطيع من خلاله تحقيــق مطالب الشعب . خاصة بعدما حصل من كلايتون على موافقة بسحب مفتشى الادارة من الانجليز من المراكز ، واقرار التجنيد الاجبارى(١٢١) وظل السعدون رئيسا لمجلس النواب باعتباره زعيما للاغلبية(١٢٢) .

شــكل (الســويدى) وزارته فى أواخر ابريل ١٩٢٩ وبنفس أعضاء وزارة السعدون السابقة ، عدا وزارة المعارف التى تولاها (خالد سليمان) ، ولم تمكث تلك الوزارة طويلا مع سيل الاتهامات من قبل المعارضة والشيعة ، بأنه سوفيعصف بالتصلب الذى بدأه

---

(١١٩) بير (م) تاريخ الاشتراكية البريطانية ، ترجمة نبيل موسى علام ، القاهرة ١٩٦٣ ، ص ٢٥٨ .

(١٢٠) السويدى ، المصدر السابق ، ص ١٤٤ .

(١٢١) خلف ، المصدر السابق ، ص ٣١٥ — ٣١٦ .

(١٢٢) نفس المصــدر .

انعراق أمام الانجليز ، ولم يجد السويدى بدا من الاستقالة مع وفاة « كلايتون » مبررا موقفه بـ (ما تدبره المعارضة من مؤامرات ومكائد)(١٢٣) .

نهاية السعدون :

أضحى السعدون ، كما ذكرنا فى أواخر وزارته الثالثة ممثلا لمطالب الشعب باعتبار مطالبه هو هى نفس المطالب العامة لدى الغالبية العظمى من العراقيين وآمن هو بذلك ، وقبل تشكيل الوزارة بناء على نداء من المعارضة وتأييد حزبها الرئيسى (الشعب) بزعامة الهاشمى خاصة بعدما فشل الملك فى ترشيح (نورى السعيد) الذى لم يحظ بتأييد من القوى السياسية المختلفة(١٢٤) واعتراض المندوب السامى الجديد (فرانسيس همفريز F. Humphrys) ويقين الاكثرية بأنه صنيعة الملك ، لا يستطيع مواجهة أو محاجة الانجليز ، هذا من ناحية(١٢٥) ومن ناحية أخرى ظن السعدون أن الطريق لتحقيق أهدافه الوطنية أصبح سهلا ميسورا بعد أن استيقن المساندة والتدعيم من قبل القوى الاخرى ، وما حصل عليه السويدى قبل ذلك من وعد بريطانى بتوقيع معاهدة جديدة(١٢٦) .

من هذه القناعة أقدم السعدون على تشكيل وزارته الرابعة فى أواخر أغسطس ١٩٢٩ محددا أهدافه فى العمل بكل جهد على رفع كل صفة احتلالية من صلب المعاهدة ، وتطبيق التجنيد العام ، وانهاء مسئولية الحكومة البريطانية فى قضية الدفاع وحصر السلطات العامة بشخص الوزير(١٢٧) . ورأى الدخول لتحقيق هذه الاهداف من خلال

---

(١٢٣) السويدى ، نفس المصدر ، ص ١٦٥ — ١٦٦ .

(١٢٤) نفس المصدر ، ص ١٧٢ — ١٧٣ ولمزيد من التفاصيل أنظر :

(125) Foster (Henery), The Making of Modern Iraq, Oklahoma, 1935, pp. 136 — 146.

(126) F. O. 371 — 14261, Report from Humphrys, 3/9/1929.

(١٢٧) العمرى ، اصلدر السابق ، ص ٢٠٣ .

تجربة جديدة تشمل كافة العناصر الوطنية كالهاشمي معارضه الاول ونوري السعيد واجهة البلاط . ومن هنا بدأت عوامل الانهيار والصدمة التي أوصلت السعدون الى نهايته المؤلمة وأتى ذلك من عدة وجوه :

الوجه الاول : أصاب هذا التشكيل الجديد القوة الرئيسية التي يعتمد عليها وهي (حزب التقدم) نفسه ، وتناثرت أشلاء أنصاره ، عندما ثار بعض الاعضاء برئاسة (الشيخ أحمد الداود) على هذا التشكيل بحجة أن اشتراك حزب الشعب برئاسة الهاشمي بصورة خاصة ان هو الا وسيلة للتعويض عن فقدان الحزب نفوذه . ودليلهم في ذلك أن عضويته في مجلس النواب وقتئذ قد اقتصرت على عضوين فقط هما (رئيس الحزب ومحمود صبحي الدفتري)(١٢٨) بينما رأى البعض الاخر أن انضمام هذا الحزب الى الوزارة ان هو الا تعزيز لها ، نظرا لما كان يتمتع به الهاشمي من مكانة وسمعة طيبة(١٢٩) .

الوجه الثاني : استغلت بعض الاطراف من خارج (حزب التقدم) هذه النوايا لدى السعدون ، لتحقيق هدفها في التسلل داخله لتمزيقه من الداخل وتحقيق أهدافهم بعد ذلك ، وأتى أبرز هذا الاتجاه من قبل البلاط وممثله (نوري السعيد) الذي فشل الملك في دفعه لرئاسة الوزارة ، فأعلن انضمامه للحزب ، وعندما سئل عن سبب هذا الانضمام بالرغم من معارضته لمبادئه قال « لأني أؤمن بأن تحطيم الحزب من الداخل أسهل من تحطيمه من الخارج »(١٣٠) .

بهذا التشكيل متعدد الاتجاهات(١٣١) دخل عبد المحسن السعدون

---

(١٢٨) العمري — المصدر السابق ، ص ٢٠٢ — ٢٠٣ .

(١٢٩) نفس المصدر ، ص ٢٠٣ .

(١٣٠) نفس المصدر ، ص ٢٠٧ .

(١٣١) تولى ياسين الهاشمي وزارة المالية وناجي السويدي العدلية وناجي شوكت وزارة الداخلية ونوري السعيد وزارة الدفاع وعبد العزيز القصاب الري والزراعة وعبد المحسن الجلبي المعارف وامين زكي وزارة الاشغال والمواصلات .

فى مفاوضات مع قائد الطيران السير (روبرت بروك — Brook) وكيلا عن المندوب السامى ، وعادت الخلافات مرة أخرى بشأن المسائل العسكرية والمالية ، وهنا تناثرت آراء أعضاء الوزارة السعدونية بين محاولة السير بالمفاوضات باتجاه الحصول على شروط أخف وطأة فيما يتلعق باقتسام ايرادات ميناء البصرة والسكك الحديدية ، والتــدرج فى مسألة التجنيد الاجبارى العام ، وبين تصميم من المتطرفين وعلى رأسهم الهاشمى ورفاقه بالمطالبة بانهاء الانتداب وتحقيق الاستقلال غير المشروط وبدأت هذه المجموعة فى القاء التهم على (السعدون) ومؤيديه بالتراجع عن مطالب الشعب التى أيدوه من أجلها(١٣٢) .

ومع بداية اجتماع مجلس النواب فى الحادى عشر من نوفمبر ١٩٢٩ لمناقشة خطاب العرش ، ألقى السعدون خطابا حماسيا معلنــا أن الوعد البريطانى بادخال العراق عصبة الامم من الاهمية بمكان ، فمع تحقيقه يحصل العراق على استقلاله وبالتالى تلغى جميع الاتفاقيات والمعاهدات السابقة ، واختتم خطابه بمطالبة الامة بالاســـتعداد للاستقلال عملا وقولا و« ان الاستقلال يؤخذ بالبنادق »(١٣٣) .

أثار حديث السعدون دار الاعتماد البريطانى بالذهول والتساؤل فقد أصبح عندها كما عبرت عنه احدى الصحف (أشد حماسة من المتطرفين)(١٣٤) .

كما أصيب السعدون فىاليوم التالى لانعقاد المجلس النيـــابى بصدمة قاسية عندما شن عليه الهاشمى أحد وزراءه هجوما عنيفا متهما اياه بمسايرة الانجليز وخدمتهم لعدم التوصل خلال الفترة الوجيزة الى معاهدة للاستقلال أو الخـــروج باتفاقيتين جديدتين عســـكريا

---

(١٣٢) المركز الوطنى للوثائق ، م/د/٢/٩ ، مفاوضات ومقررات مجلس الوزراء ، سبتمبر ١٩٢٩ .

(١٣٣) المركز الوطنى للوثائق ، محاضر مجلس النواب ، الدورة الثانية لعام ١٩٢٩ ، ص ١٥ — ١٦ .

(١٣٤) العمرى ، المصدر السابق ، ص ٢٠٥ .

وماليـــا(١٣٥) وزاد من يأسه وقنوطه وقوف أعضاء حزبه موقـــف اللامبالاة ، وعدم التصدى للدفاع عنه ، حيث (عاتبهم بمرارة متسائلا، لمـــاذا لم يخف احد منكم الى الدفاع عنى)(١٣٦) .

فى هذه المرحلة وصل عبد المحسن السعدون الى قمة الصراع النفسى عندما أيقن أنه بلغ بمواقفه ومطالبه الوطنية أقصى درجات التطرف ومواجهة الانجليز ، بينما أحس واقعيا بسيل من الاتهـــامات بالخيانة تلقى عليه من ممن ظن فيهم أعوانا جددا من أحزاب المعارضة ، ثم تخاذل رفاقه فى حزب التقدم ، مع موقف البلاط الذى سار على نهج اتسم بالسلبية وعدم التأييد بل تدبير المؤامرات ضده ، كسبيل لدفع أنصار الملك نحو المناصب العليا ، ثم أخيرا تنكر وتلكأ الانجليز لمـــا تعهدوا به قبل ذلك بالدخول فى مفاوضات من أجل التمهيـــــد لدخول العراق عصبة الامم وعقد معاهدة جديدة للاستقلال وعبر عن ذلك لوزير الزراعة ، صديقه الشخصى ، القصاب (انه تعب من الركض وراء وعود الانجليز دون فائدة ترجى ••••• واختتم حديثه بقوله : ان كل ما نرجوه من الانجليز هو خيال وليس له ظل من الحقيقة)(١٣٧) .

ويبدو أن متاعبه الشخصية مع زوجته « حورية هانم » قد أوصلته فى تلك الليلة فى الثالث عشر من نوفمبر الى قمة اليـــأس والقنوط ، ليس فقط من حياته السياسية بل والاجتماعية أيضا(١٣٨) فكتب وصيته الى ولده (على) ملخصا أسباب ما أقدم عليه قائلا :

« أعف عنى لمـــا ارتكبته من جناية ، لأنى سئمت الحيـــاة التى

---

(١٣٥) المركز الوطنى للوثائق ، محاضر مجلس النواب ، المصـــدر الســابق ، ص ١٩ — ٢١ .

(١٣٦) العمرى ، نفس المصدر ، ص ٢٠٦ ، نقلا عن جريدة العالم العربى ، العدد ١٧٥٢ ، ٢٧ نوفمبر ١٩٢٩ .

(١٣٧) عبد العزيز القصاب ، من ذكرياتى ، بيروت ، ص ١٧٩ — ٢٨١ .

(١٣٨) العمرى ، المصدر السابق ، ص ٢٠٩ من رواية شخصية له نقلها اليه الاستاذ على محمود الشيخ على ، أحد اصدقاء السعدون .

لم أجد فيها لذة وذوقا وشرفا ، الامة تنتظر خدمة ، الانجليز لا يوافقون ، ليس لى ظهر ، العراقيون طلاب استقلال ضعفاء عاجزون وبعيدون كثيرا عن الاستقلال ، وهم عاجزون عن تقدير أرباب الناموس أمثالى ، يظنون انى خائن للوطن وعبد للانجليز ، ما أعظم هذه المصيبة ، أنا الفدائى أشد اخلاصا لوطنى ••••• قد كابدت أنواع الاحتقارات ، وتحملت المذلات فى سبيل هذه البقعة المباركة التى عاش فيها آبائى وأجدادى مرفهين »(١٣٩) •

لقد حمل السعدون على كتفيه أعباء ومسئوليات عديدة لعدة آراء ومواقف وقوى ثم أضاف اليه الوعاء التاريخى الذى ولد بين جدرانه ، وما اضفته عليه النشأة والتربية والممارسة السياسية فى بيئة مختلفة عن البيئة العراقية من طابع مميز أكسبته قناعة محددة فى كيفية التعامل مع الانلجيز وحل المشاكل العراقية من خلالهم ثم مع البلاط بقيادة الملك فيصل •

ودخل الجمع ممن شملهم الكيان العراقى فى تباين واضح عند تحديد مفهوم الوطنية كل تبعا لمصالحه وقناعته الذاتية حتى وصل ذلك الاختلاف فى المفهوم الى التكتلات التى سميت بـ (الاحزاب) والتى تجمعت أساسا تحت هوى أغراض شخصية واجتماعية وعندما ظن السعدون أن الجمع من وراءه صفا واحدا وتأججت وطنيته ، فاذا هم خازلوه ومن ثم كانت نهايته المؤلمة •

---

(١٣٩) نص الوصية باللغتين العربية والتركية منشور فى كتاب لطفى جمعة ، ص ٣٧٥ — ٣٧٦ •

المصـــــادر :

أولا : الوثائق العربيـــة :

المركز الوطنى للوثائق ببغــداد :

١ ــ قرارات مجلس الوزراء لأشهر أكتوبر ونوفمبر وديســمبر ١٩٢٣ ٠

٢ ــ م/ب٣/١١ ــ التقارير الاقتصادية ٥ نوفمبر ١٩٢٣ ٠

٣ ــ م/د٣/٥ (الانتخابات والدعاية) ٢٣ يونيو ١٩٢٣ ٠

٤ ــ مذكرات المجلس التأسيسى ، جـ ١ ، ١٩٢٤ ٠

٥ ــ ت/وت ٢ مقررات مجلس الوزراء ، ديسمبر ١٩٢٥ ٠

٦ ــ محاضر مجلس النواب ، الدورة الانتخابية الاولى ١٩٢٦ ٠

٧ ــ م/د٢/٤ مفاوضات ومقررات مجلس الوزراء شهرى ابريل ومايو ١٩٢٦ ٠

٨ ــ محاضر اجتماعات مجلس النواب ، الدورة الانتخابية الثانية ١٩٢٨ ٠

٩ ــ م/د٢/٩ مفاوضات ومقررات مجلس الوزراء شهر سبتمبر ١٩٢٩ ٠

١٠ ــ محاضر مجلس النـــواب ، الدورة الانتخابية الثانية عــام ١٩٢٩ ٠

ثانيا : الوثائق الاجنبيـــة :

1 — (P. R. O) F. O.

1 — F. O. 371/3387, Percy Cox, The Future of Mesoptamia, 1919.

2 — F. O. 371/5232, Jetter From Young, 1920.

3 — F. O. 371/5230/E. 12339, Major Uoung Mintes, 1920.

4 — F. O. 371/5228, E9368, From Civil Commissioner, 1920.

5 — F. O. 371/5427, Mespotamia Police, Abstract of Intelligence, 1920.

6 — F. O. 371/6350/Mesopotamia Intelligence, 1920.

7 — F. O. 2273, Report from H. Dobbs, 1923.

8 — F. O. 371/1317, From H. Dobbs to Faisal, 1924.

9 — F. O. 371/13161, Report From Dobbs, 1928.

10 — 882/23/3133, Notes on The Place of The Arab, 1919.

2 — (P. R. O.) C. O.

1 — C. O. 691/1, Administration Reports, Najaf and Shamia, 1918.

2 — C. O. 692/2, Administration Reports, Basrah, 1919.

3 — C. O. 692/3, Administration Reports, Mosul, 1920.

4 — C. O. 692/2, Administration Reports, Muntafiq Division, 1920.

5 — C. O. .... Report on Iraq, 1923, December, 1924, London, 1925.

6 — ...... Report on Iraq Administration, April, 1922, March, London, 1924.

7 — C. O. Report on Iraq Administration, 1925 — 1926, London, 1926.

8 — C. O. Report on Iraq Administration, London 1929, London, 1930.

ثالثا : المراجع العربيـــة والمترجمة :

١ ـ الدكتور أحمد عزت عبد الكريم : دراسات تاريخية فى النهضة العربية الحديثة ، علاقات العــراق التجــارية بأوروبا من ق ١٦ وق ١٩ ، بيروت ١٩٨٤ .

٢ ـ الدكتور أسامة الغزالى حرب : الاحزاب السياسية فى العالم الثالث ، سلسلة عالم المعرفة ١١٧ ، الكويت ١٩٨٧ .

٣ ـ أمين الريحانى : ملوك العرب ، جـ ٢ ط ٢ ، بيروت ١٩٢٩ .

٤ ـ ———— فيصل الاول ، بيروت ١٩٥٨ .

٥ ـ بــير (م) : تاريخ الاشتراكية البريطانية ، ترجمة نبيــل موسى علام ، القاهرة ١٩٦٣ .

٦ ـ توفيق السويدى : مذكراتى فى نصف قرن ، بيروت ١٩٦٩ .

٧ ـ خيرى العمــرى : حكايات سياسية من تاريخ العـــراق الحديث ، القاهرة ١٩٦٩ .

٨ ـ سليمان صــايغ : تاريخ الموصل ، جـ ٢ ، بيروت ١٩٢٨ .

٩ ـ صادق السودانى : العلاقات العراقية السعودية ، بغـــداد ١٩٧٦ .

١٠ ـ عبــاس العزاوى : العشائر العراقية ، جـ ٣ ، بغداد ١٩٥٦ .

١١ ـ عبد الرزاق الحسنى : تاريخ العراق السياسى ، جـ ١ و٢ ، لبنــان ١٩٤٨ .

١٢ ـ ———— تاريخ الوزارات العراقيــة ، جـ ٢ ، صــيدا ١٩٦٥ .

١٣ ـ عبد العزيز القصاب : من ذكرياتى ، بيروت ١٩٦٢ .

١٤ — الدكتور عبد العزيز نوار : داود باشا والى بغداد ، القاهرة ١٩٦٨ .

١٥ — عبد العليم أبو هيكل : العلاقات بين عبد العزيز بن سعود والاخوان ، رسالة ماجستير لم تنشر — آداب عين شمس ، القاهرة ١٩٧٦ .

١٦ — على الوردى : لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، بغداد ١٩٧٧ .

١٧ — فاضل حسين : مشكلة شط العرب ، القاهرة ١٩٧٥ .

١٨ — كيرك (جورج) موجز تاريخ الشرق الاوسط ، ترجمة عمر الاسكندرى : القاهرة ١٩٥٧ .

١٩ — لطفى جمعة فرج — عبد المحسن السعدون ودوره فى تاريخ العراق السياسى ، بغداد ١٩٧٨ .

٢٠ — لنشوفسكى (جورج) : الشرق الاوسط ، ج ٢ ، ترجمة جعفر خياط ، بغداد ١٩٦٥ .

٢١ — محمد جميل بهيم : الانتدابان فى العراق وسورية ، صيدا ١٩٣١ .

٢٢ — محمد كمال الدين : لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، بغداد ١٩٧٧ .

٢٣ — محمود شبيب : أسرار عراقية ١٩١٨ — ١٩٤١ ، بغداد ١٩٧٧ .

٢٤ — ورنر (جفرى) : العراق وسورية ١٩٤١ ، ترجمة محمد مظفر الادهمى ، بغداد ١٩٨٦ .

٢٥ — وميض جمال نظمى : ثورة ١٩٣٠ ، الجذور الفكرية والاجتماعية ، ط ٢ ، بغداد ١٩٨٥ .

رابعا : المراجـــع الأجنبية :

1 — Bell (G. L.) Private Letters and Paper,s 2 Vols., New York, 1927.

2 — Bill (J.), Political in The Middle East, Boston, 1929.

3 — De Gaury (Gerald), Three Kings in Bagdad, London, 1961.

4 — Foster (Henery), The Making of Modern Iraq, Oklahoma, 1935.

5 — Haider (S.), Land Problems of Iraq, London, 1942.

6 — Halden (J. A.), Insurrection in Mesopotamia, London, 1922. Description he l'Egypte

7 — Longrigg, (Stephen), Iraq 1900 — 1950, London, 1953.

8 — Wilson (Arnold), Mesopotamia, 1917 — 1920, Oxford, 1930.

خامســا : الصحف والدوريات :

١ — صحيفة العالم العربى ، العدد ٦١ ، ١٦ يوليو ١٩٢٤ .

٢ — صحيفة المفيـــد ، العدد ١١٤ ، ٥ أغسطس ١٩٢٣ .

٣ — صحيفة الاوقات البغدادية ، ١٣ مارس ١٩٢٨ .

٤ — مجلة السياسة الاسبوعية ، بغداد ، العدد ١٠٨ ، ٢٢ ينــاير ١٩٢٩ .

التكوين الاجتماعى للتجار فى مصر
١٨٤٠ ـ ١٩٣٧

دكتور / احمد الشربينى السيد
كلية الآداب ـ جامعة القاهرة

هذه الدراسة تهدف الى البحث فى التكوين الاجتماعى للتجار ، وتحديد ما اذا كانوا يشكلون بناء اجتماعيا متميـزا داخل المجتمـع المصرى ، أم نسيجا اجتماعيا تداخل مع البنية الاجتماعية التى درج الباحثون على تصنيفها فى تلك الفترة التى شهدت كثيرا من التحـولات الاقتصادية والاجتماعية وأيضا السياسية .

وقد تم اختيار سنة ١٨٤٠ كبداية لهذه الدراسة ، على اعتبـار انها شهدت تدخلا اجنبيا سافرا لاجبار الدولة المصرية على فتـح أبواب سوقها أمام العنصر الاجنبى ، ثم جاءت سنة ١٩٣٧ لتمثل بداية النهاية لنشاط الاجانب بتلك السوق ، بعد الغاء الامتيازات الاجنبية ، بناء على توصيات مؤتمر مونترو (ابريل ـ مايو ١٩٣٧) .

ومما لا شك فيه أن سياسة محمد على الاقتصادية ، قد أضرت بطوائف التجار التى كان ممكنا تحولهـا الى بورجوازية تجارية لـو افسح لهـا طريق التطور بشكل طبيعى ، وذلك لتطبيقه سياسـة الاشراف المركزى ، واحكام قبضة الدولة على التجارة الخارجيـة والداخلية على السـواء .

كما أدت تلك السياسة الى وأد نشاط التجار الاجانب داخل السوق المصرية ، من خلال فرض حظـر التعامل المباشر بين المنتجين الزراعيين والتجار ، هذا بالاضافة الى القيود التى فرضت على تعاملات وتحركات التجار الأجانب ، مما جعلهـا لاتخرج عن اطار المخازن الحكوميـة بالموانىء المصرية الرئيسية ، والتى جاء ميناء الاسكندرية فى مقدمتها .

ثم تبدلت الحال بعد أن وضعت نصوص معاهدة بالطة ليمان (١٨٣٨) موضع التنفيذ ، بموجب معاهدة لندن (١٥ يونيو ١٨٤٠) • والتى على أثرها اخذ دور الدولة كمتلق للفائض الزراعى فى الداخل وتعبئته الى الخارج فى الغياب ، هذا فى الوقت الذى أخذ حجم السوق المصرية يزداد اتساعا ، نتيجة ازدياد المعاملات التجارية على الصعيدين الداخلى والخارجى ، بعد أن تغيرت التركيبة المحصولية — التى ارسى قواعدها محمد على — وشيوع نظام الجباية النقدى للضريبة •

وقد حتم هذا التحول وجود من يمارسون العمل التجارى ، لملء الفراغ الناجم عن غياب التاجر الرئيسى فى الفترة السابقة — الدولة — خاصة بعد أن أبيح للتجار — أيا كانت جنسياتهم — الاتصال المباشر بالاهالى والتعامل معهم ، بمجرد ان اطلقت حرية تصرف الفلاح فى حاصلاته بالاسلوب الذى يرتايه (١) •

ولما كانت هذه المتغيرات — اطلاق حرية الفلاح فى تصريف حاصلاته ، وتغيير التركيبة المحصولية ، وشيوع نظام الجباية النقدى ، وغياب دور الدولة التجارى — قد تزامنت مع فتح أبواب السوق المصرية عن اجبار على مصراعيها أمام الاجانب الوافدين من كل صوب وحدب ، ولذلك شكل المشتغلون بالتجارة المصرية جنسيات شتى • لا تربطهم رابطة سوى مهنة العمل التجارى ، ولهذا سنقسم التجار حسب أصولهم العرقية • وان انقسم ابناء العرق الواحد فيما بينهم الى شرائح مختلفة ، فذلك يعزى الى انعدام التعاون والتفاهم فيما بينهم ، واستمرار الصراع والمنافسة وتضارب المصالح — فى بعض الاحيان — التى لم تصل حد التناقض •

---

(١) ديوان التجارة والمبيعات ، محفظة ٢٩ ، وثيقة ٤ ، بتاريخ ١٨ محرم ١٢٦٦ هـ / ١٨٤٩ م « من الجناب العالى الى ارتين بك مدير الامور الافرنجية ومبيعات الاسكندرية » ، ص ١ — ٤ •

الأجـــــانب :

من الحقائق التاريخية أن معاهدة لندن قد ساعدت على توافـد التجار الاجانب من مختلف بقاع أوربا وأمريكا على مصر للعمل بهـا لحساب السوق العالميـة ، التى وفـرت لهم مصادر التمويل اللازمة لنشاطهم ، من خلال البنوك الاجنبية وفـروعها فى مصر ، وكـذلك سياج الحماية القانونى ـ الممثل فى الامتيازات الاجنبية والمحاكـم القنصلية والمحاكم المختلطة فيما بعد ـ الذى وجد فيه كل الاجانب الحماية الكاملة من كل معوق لنشاطهم التجارى فى مصر ، التى أصبحت تمثـل احدى وحدات السوق العالمية فى اطار تقسيم العمل الدولى .

وبهذا توافرت بالسوق المصرية ضمانات مثلت عامل جذب للتجار الأجانب ، الذين ما انفكوا يتزاحمون عليها ، وفى ركابهم أموالهم ـ خاصة أن النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، كان يمثل مرحلـة تصدير رؤوس الاموال الاوربية ـ بشكل جعل السوق المصرية ، مع بداية النصف الثانى من القرن التاسـع عشر تعج بالكثير من الاوربيين على اختلاف جنسياتهم : يونانيين ، فرنسيين ، ايطاليين ، نمساويين ، بريطانيين ، هولنديين ، سويسريين ، بلجيك ، بلغار ، وكذلك الالمـان الذين اخذوا يتوافدون على مصر بكثرة منذ الربع الاخير من القـرن التاسع عشر ، وكذلك الـروس والامريكان (٢) . وقد برز من بين ابناء هذه الجنسيات تجار كانت لهم شهرتهم بالمدن المصرية وخاصـة الاسكندرية أمثال روستى ، توسيجة ، استزنازى ، زنانيرى ، بستريه

---

(٢) معية عربى ، دفتر ١٠٩ ، وثيقة ١ : بتاريخ ٦ ذى الحجـة ١٢٦٩ هـ / ١٨٥٣ م ، ص ٦ ، نفس المصدر ، دفتر ٤٤ ، وثيقة ١٦ ، بتاريخ ٢٤ رجب ١٢٦٦ هـ / ١٨٥٠ م ، ص ٦٥٥ ، محافظ أبحاث ، داخلية ، محفظة ٣٥ ، وثيقة ٤ بتاريخ ١٣ ديسمبر ١٨٧٤ / غرة ذى القعدة ١٢٩١ ، « ترجمة افادة واردة من قنصل النمسا والمجر الى ناظر الخارجية » : الاوامر العلية والدكريتات الصادرة فى ١٩٠٢ ، المطبعـة الاميرية ببولاق ، القاهرة ١٩٠٣ ، ص ١٥٨ .

سيزنيا ، براخة جرينى ، ولهايم ، كارينو ، ميريالاكن وشركاه وذكلى وغيرهم (٣) .

وبانتهاء حكم سعيد باشا ، كان التجار الأجانب قد ثبتوا مراكزهم بالسوق المصرية . حتى اتسع نشاطهم بما جعل كثيرين منهم يجمع ما بين تجارة الأقطان ، وعمليات تمويل انتاجها ، وأعمال السمسرة بالعمولة والوكالة عن شركات البواخر (٤) .

ولم يتوقف نشاط التجار الأجانب فى مصر فى المراكز التجارية الهامة ، بل امتد الى جميع انحائها ريفا وحضرا ، وان ازداد هذا النشاط بالوجه البحرى عنه فى الوجه القبلى حيث الاقتراب من الاسكندرية المركز الرئيسى للحركة التجارية واعتدال المناخ . ومن يتتبع على مبارك فى مؤلفه الخطط التوفيقية قلما يجد مدينة مصرية تخلو من تجار أجانب سيطروا مع قلتهم فى بعضها على معظم الحركة التجارية (٥) . اضافة الى ذلك كثيرا ما تفرع نشاط بعض التجار الأجانب بين أكثر من منطقة داخل الأقاليم المصرية ، حيث تفرع نشاط التاجر والتس

---

(٣) معية تركى ، محفظة ٥ ، وثيقة ٤٧١ ، بتاريخ ١٥ ربيع الثانى ١٢٧١ هـ / ١٨٥٥ م ، ص ٥ ٢، معية عربى ، دفتر ٤٢ ، وثيقة ٢٦٨ ، بتاريخ ١٧ جمادى أول ١٢٦٦ هـ / ١٨٥٠ ، ص ٤٤٧ ، نفس المصدر ، دفتر ٤٨ ، ج ١ ، وثيقة ١٢٥ ، بتاريخ ٢٢ ذو الحجة ١٢٦٦ هـ / ١٨٥٠ م ، ص ١٢٧ ، محفوظات ديوان التجارة والمبيعات ، دفتر رقم ٥ بتاريخ ٧ شعبان ، ١٢٦٠ هـ / ١٨٤٤ م ، نفس المصدر ، محفظة ٦ بتاريخ ١٨ ذى القعدة ١٢٥٧ هـ / ١٨٤٢ م .

(٤) على بركات : تطور الملكية الزراعية فى مصر ١٨١٣ — ١٩١٤ واثره على الحركة السياسية ، دار الثقافة الجديدة ، القاهرة ١٩٧٧ ، ص ١٩٤ — ١٩٦ .

(٥) يشير على مبارك الى ذلك فى حديثه عن ابو كبير ، وقنا وشبين الكوم ، ودمنهور ، واسيوط ، وكفر الزيات . ولمزيد من التفاصيل ارجع الى الخطط التوفيقية ، مجلد ٣ ، ج ١١ ، ص ٢٣ ، ج ١٢ ، ص ١٠٣ ، ١٤٨ ، ج ١٤ ، ص ١٢١ .

لبروز — من رعايا تسكانيا — فى أنحاء مديرية الغربية عند منتصف القرن التاسع عشر (٦) .

واستمر عمل التجار الأجانب موزعا بين الأقاليم المصرية وفى تزايد حتى ثلاثينات القرن العشرين ، فقد عمل نقولا سكلاريوس بمدينة منوف ، وجرافينوس كيلاس بكفر الغنامية ، وباسيلى ماسكاس بمنيا القمح ، وتيودور فالوفاس بالزقازيق (٧) ، وغيرهم من الاجانب الذين مارسوا نشاطهم فى الريف المصرى .

وقد أدى تزاحم التجار الاجانب على العمل بالسوق المصرية ، الى ظهور بيوت تجارية اجنبية عديدة ، ابان النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، ظل بعضها يمارس نفس النشاط الذى بدأه حتى الحرب العالمية الثانية ، منها دير افيووال ابنهايم (٨) و R. J. Moss وبيوت خوريمى Choremi وليندمان Lindeman وبيل Peel واخوان كارفر Carver Br Other وبناكى Benachi ، التى صدرت نصف محصول مصر من القطن فى موسم ١٩١١ — ١٩١٢ ، أما ما تبقى من محصول الموسم فقد قام على تصديره ٣١ بيتا أخرى اسست قبل سنة ١٨٨٢ ، ويعد بيتا خوريمى وبناكى من أقدم هذه البيوت ، حيث يرجع وجودهما الى سنة ١٨٦٤ (٩) ، كما يرجع بدء اشتغال بيت

---

(٦) محية عربى ، دفتر ٧٦ ج ٢ وثيقة ٨٢ ، بتاريخ ٢ جمادى اول ١٢٦٨ هـ / ١٨٥٢ م ، ص ٣٠٨ ، نفس المصدر ، دفتر ٥٩ ، وثيقة ١٢٧ ، بتاريخ ٢٨ ربيع ثان ١٢٦٧ هـ / ١٨٥١ ، ص ٢٦٧ .

(٧) المجلة الزراعية المصرية ، مجلد ١١ ، ج ١١ ، نوفمبر ١٩٣٣ ، ص ١٣١٩ .

(٨) دافيدس لاندز : بنوك وباشوات ، ترجمة عبد العظيم انيس ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٦ ، ص ٩٨ ، ١٤٠ — ١٤٢ ، ٢٢١ ، ٢٨٥ .

(9) Owen, E. R. J : Cotton and The Egyptian Economy 1820 — 1914, Oxford, 1969, pp. 133, 221, 274.

ليندمان بتجارة الاقطان فى مصر الى سنة ١٨٦٩ (١٠) .

والى جانب هذه البيوت التى يرجع وجودها الى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، وجدت أسماء أخرى لاتقل قدرا ومساهمة فى التجارة المصرية عن سابقتها ، منها فنى البريطانى « شركة القطن التجارية » وسلفاجو اليونانى ، وطوربيل الفرنسى « شركة القطن المتحدة » ومحل جريجوسى (١١) وشيكوريل ، وباردا وشركاه . وفرنسيس ليفى وشركاه ، واجيون ريكس وشركاه ، وكازولى وشركاه ، وغيرهم ممن ظلوا يعملون بالتجارة المصرية وخاصة تجارة الاقطان طيلة النصف الاول من القرن العشرين (١٢) .

وجدير بالذكر أن البيوت التجارية الالمانية ، كانت منذ الربع الاخير من القرن التاسع عشر ، وحتى منتصف العقد الثانى من القرن الحالى (١٩١٥) من أنشط البيوت التجارية الاجنبية المشتغلة بالتجارة المصرية ، حتى ان عشر بيوت تصدير المانية — من جملة البيوت العاملة فى هذا المجال والبالغ عددها ٤٦ بيتا — قد صدرت فى أواخر سنة ١٩١٥ حوالى ٢٨٪ من جملة الاقطان المصرية ، ليس هذا فحسب ، بل ان ما صدرته الى بريطانيا نفسها بلغ ٢٠٪ من جملة حصتها . وقد جاء بيت ليندمان على رأس قائمة المصدرين ، يليه محلا

---

(١٠) الجريدة التجارية المصرية ، عدد ٢٦٦٩ ، ٢٦ فبراير ١٩٣١ « القطن المصرى من وجهة نظر المصدر المسيو هوجو ليندمان » .

(١١) الاهرام ، عدد ١٦٦٧٦ ، ١٩٣١/٥/١٤ ، وعدد ١٧٣٢٧ ، ١٩٣٣/٣/١٤ ، وعدد ١٦٩٦٤ ، ١٩٣٢/٢/٢٨ .

(١٢) مجلة غرفة القاهرة ، السنة الرابعة ، العدد العاشر ، ديسمبر ١٩٣٩ ، ص ١٢٨٩ — ١٢٩٠ ، الجريدة التجارية المصرية ، عدد ٧٨ ،٣٣ ١٨ نوفمبر ١٩٣٣ .

خوريمى — بناكى اليونانى ، وبيل البريطانى (١٣) •

ثم جاءت الحرب العالمية الأولى نذير سوء لهذه البيوت الالمانية ، فعلى أثر اندلاعها ، صدر اعلانـــان فى ٢٥ ينـــاير و١٦ أغســـطس ١٩١٥ — قضيا بمنع الاتجار مع رعايا الدول المعادية للحلفاء الا بشروط تملى — بمقتضاهما عين مراقبون لتصفية البيوت التجارية الالمانيـــة والنمساوية (١٤) • ولذلك وقع الحجـــز على مالايقـــل عن ١٧ شركة مساهمة وحوالى ٦٢ بيتـــا تجاريا هاما باعتبارها ملكا خاصـــا لدول الأعداء ، والتى كان من بينها البنك الشرقى الألمـــانى Deutsch Orient Bank الذى كان واحدا من أهم البنوك التجارية الهامة بمصر فى سنوات ماقبل الحـــرب (١٥) •

ولا يعنى هذا أن كل أعمال تجار الدول المعادية للحلفاء قد تـــم تصـــفيتها ، بل ظـــل بعضـــهم يعمـــل بالتجارة أثنـــاء الحـــــرب ، بمـــوجب الحصـــول على اذن خـــاص من الســـلطة ، أمثـــــال سيجر اخـــوان وشركاؤهم من التجار النمساويين بالاسكندرية (١٦) •

وبعد أن وضعت الحـــرب أوزارها ، أخذ التجار الألمان يعودون لممارسة نشاطاتهم التجارية بمصر — فى منتصف العشرينيات — فعـــاد ليندمان للعمل بتصدير الاقطـــان ، حتى تولى ادارة شركة مصر لتصدير الاقطان بالاسكندرية ، والتى كان من أكبر المساهمين فيها (١٧) •

---

(١٣) الاهالى ، عدد ١٨٤٥ فى ٢٢ أكتوبر ١٩١٦ « متاجر القطـــن المعادية فى القطر المصرى » ،

Deeb, Marius : The Socioeconomic Role of the Local Foreign Minorities in Modern Egypt 1805 — 1961, International Journal of Middle East Studies 1978 vol. 9, p. 16.

(١٤) الاهالى ، عدد ١٥١٩ فى ٢١ نوفمبر ١٩١٥ ، وعدد ١٦١٠ ، ٢٣ فبراير ١٩١٦ .

(15) Crouchley, A.E : The Investment of Foreign Capital in Egyptian Companies and Public Debt, Cairo, 1936, p. 77.

(١٦) الاهالى ، عدد ١٥١٤ ، ١٦ نوفمبر ١٩١٥ .

(١٧) الاهرام ، عدد ١٦٥٥٥ ، ٦ يناير ١٩٣١ ، « فى الحـــــالة الاقتصادية العامة آراء كبار رجال الاعمال » .

وهكذا تحولت السوق المصرية بعد ضرب تجـربة محمد علـى الاقتصادية ، الى مسرح لنوعيات شتى من التجار الأجانب ، كانوا فى معظمهم من الاوربيين ، الذين راحوا يصولون ويجولون بها فى ظل سياج الحماية القانونى الذى توفـر لهم ، والذى مكنهم من اقتناص كل فرص الربح من بين أيدى العناصر الوطنية ، وبالتالى انفـرد التجار الاجانب بجل الارباح ، التى عملوا على تصدير معظمها الى الخارج حيث بلدانهم الاصلية ، بشكل ساهم فى تكوين ظاهـرة التخلف التى تردى فيها المجتمع المصرى .

المصريـــون :

كانت احدى سمات تجربة محمد على الاقتصادية ضرب النظـام الطائفى كما ذكرنا سلفا ، حيث أدت سيطرة الدولة على قنوات تلقى وتسويق المنتجات فى الداخل ، وكذلك عمليات نزحها الى الخارج ، الى تحويل التجار المصريين الى وسطاء لدى الحكومة ، باستثناء بعض التجار الاقباط بمصر العليا ، الذين راحوا يمارسون الاعمال التجارية هناك ومع السودان بمنأى عن يد الدولة . وبولاية عباس باشا الاول مقاليد الامور فى البلاد ، بدأت طوائف التجار المصريين تلتقط انفاسها، عندما وضع عباس قيودا على تحركات التجار الأجانب داخل السـوق المصرية ، مما افسح الطريق أمام العناصر الوطنية ، ليس هذا فحسب ، بل انه اقدم على تسريح جميع المجندين من ابناء القاهـرة لانقـاذ ما لحق بالحرف التجارية والصناعية من بوار (١٨) .

واذا كانت الوثائق قد امتلأت مع بداية النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، باسماء لتجار مصريين امثال أحمد حموده سوكة ، السيد ابراهيم جميعى ، الحاج على شراره ، ابراهيم خطاب ، سليمان العزب

---

(١٨) ديوان التجارة والمبيعات : محفظة ٣٢ ، مرسـوم سلطانى الى خديو مصر بتاريخ ٢٠ شوال ١٢٨٣ (فبراير ١٨٦٦) ، ص ٢ .

وغيرهم بالاسكندرية ، ومصطفى هندى ، محمود شراره بدمياط ، والسيد وهبه العزب ، السيد عبد الخالق المويلحى ، السيد محمود عبد المعطى وابراهيم بركات بالقاهرة (١٩) ، الا أن هؤلاء التجار ركزوا نشاطاتهم فى التجارة الداخلية ، وفى اضيق الحدود نتيجة المنافسة غير المتكافئة التى اصبحوا يواجهون بها منذ عصر سعيد باشا ، وقد دار نشاط هؤلاء التجار بشكل أساسى حول عمليات تسويق الحاصلات الزراعية الغذائية .

وقد نجا من هذه المنافسة كثير من العائلات التجارية القبطية ، التى عملت فى ظل الرأسمالية الاجنبية ، وبالتعاون معها ، عندما اقدمت على القيام بدور الوكالة لها ، هذا الى جانب اكتسابها – فى معظمها – الحماية الاجنبية ، وقيامها بالاعمال القنصلية للدول الاجنبية ، مما جعلها تتمتع بسياج الحماية القانونى ، الذى كان يتمتع به التجار الاجانب ، ومن هذه العائلات ، الهجين ، الطرزى ، خشبة ، الهلالى ، بشارة ، ويصا ، حنا ميخائيل ، مقار ، قرياقص ، عبيد ، وحنا سوريال وغيرهما (٢٠) .

ولا تعنى المنافسة غير المتكافئة التى راح يواجه بها المصريون من جانب التجار الاجانب منذ عصر سعيد ، ان العنصر الوطنى قد أثر التراجع عن العمل بالتجارة الخارجية امام تيار الاجانب الجارف ، مكتفيا

---

(١٩) أوامر ، دفتر ١٩١١ ، وثيقة ١٥ ، بتاريخ ٢٩ شوال ١٢٨١ هـ/ ١٨٦٥ « أمر كريم الى محافظ مصر » ، ص ١٣٨ ، نفس المصدر ، نفس الدفتر ، وثيقة ٥٠ بتاريخ ٢٠ محرم ١٢٨٢ هـ / ١٨٦٥ « أمر كريم الى محافظ الاسكندرية » ، ص ١٧٦ ، احمد الشربينى ، التجارة المصرية ١٩١٤ – ١٩٤٠ ، رسالة ماجستير غير منشورة مودعة بمكتبة جامعة القاهرة ، ص ٣٩ – ٤١ .

(٢٠) رءوف عباس حامد : النظام الاجتماعى فى مصر فى ظل الملكيات الزراعية الكبيرة (١٨٣٧ – ١٩١٤) ، الطبعة الاولى ، دار الفكر الحديث للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٧٣ ، ص ٩٩ – ١٠٠ ، على بركات : المرجع السابق ، ص ٢١٧ – ٢٢٩ .

بالعمل فى فتات تجارة الداخل الذى تركه الاجانب، اذ وجدنا من المصريين من كانت له اشغال تجارية مع الخارج — وان بدا هـذا محـدودا — حيث كان للعقاد بعض المعاملات التجارية فى الداخل والخارج (٢١) ، كما عمل أحمد افندى محمد التاجـر بالسويس « باشغال القومسيون فى توريد وتصدير البضائع من مصر واليها واشغال التوكيل والتجارة ، وبيع البضـائع الاسـيوية — الهنـدية ، الصـينية ، اليابانية — والاوربية (٢٢) . كذلك افتتح غالى يعقوب وتوفيق قصير محلا فى طنطا للاشتغال بالاعمال التجارية بالقومسيون والتصدير والتوصية على جميع البضـائع (٢٣) .

وقد شهدت فترة ما بعد الحرب العالمية الاولى ، اتجاها للعمل بالتجارة من جانب المصريين يختلف عن ذى قبل بحيث اصبحت هناك عائلات مصرية تخصصت فى النشاط التجارى منها عائلة الزهار بالاسكندرية (٢٤) وعائلة والى بكفر الدوار (٢٥) ، كما وجـدت عـائلات عمل اشهـر رجالها بالتجارة ، منها عائلة الطـوبجى بالمنيـا ، التى عمل محمـد الطوبجى اشهر ابنائها بتجارة الاقطان ، والى جانبه عمل كل من على وابراهيم الطوبجى واسماعيل ومحمد حسين الطوبجى بالتجارة (٢٦) . وغير عائلة الطوبجى ، عمل ابرز ابناء عائلات الوكيل ، ويونس وغزال والكاتب والـزرقا ، والخـوالقة ، وعيسى والحوش « بالبحـيرة »

---

(٢١) لطيفة محمد سالم : دور القوى الاجتماعية فى الثورة العرابية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨١ ، ص ٣٤٦ .

(٢٢) الاهـالى ، ٢٤ نوفمبر ١٩١٠ .

(٢٣) المقطم ، ٢٠ يناير ١٩٠٦ .

(٢٤) مذكرات ابراهيم الهلباوى ، الكراس الاول ، ص ٢٩ .

(٢٥) محافظ عابدين ، محفظة ٣٤٧ « رتب ونياشين العمد والاعيان » كشوف باسماء اعيان البلاد من الوجهاء وذوى الحيثية المستوطنين بدائرة البحيرة .

(٢٦) نفس المصدر ، كشوف المستوطنين بدائرة المنيا .

بالتجارة (٢٧) • وغير هذه العائلات اشتغل بعض اصحاب المهن الحرة من المصريين ، بالاعمال التجارية ، أما فرادى واما فى شــكل شركات توصية ، فقد عمل كل من فكرى اباظة وعبد الحليم بدر المحاميان بالتجارة فرادى (٢٨) ، كما أسس المحامون عبد الملك حمزة — واسماعيل بك كامل وعوض بك النحراوى ، وزكريا مهران شركة توصية برأس مــال قدره ١٢٫٠٠٠ جنيه مصرية للقيام بكل اعمال التصدير والاستيراد ، وكذلك التوريد (٢٩) •

وبالاضافة الى ذلك اشتغل بعض موظفى الحكومة بالاعمال التجاريا، حيث قام العديدمن المدرسين بمديريات الغربية والقليوبية بممارسة بعض النشاطات التجارية (٣٠) • على الرغم من مخالفة ذلك لقانون التوظف ، حيث أقــرت المــادة ١٤٣ بالفصل الثانى من القانون المالى ، بعــــدم الاجازة لموظفى ومستخدمى الحكومة بالاشتغال بأى أعمال تجــاريه بانفسهم أو بواسطة الغير (٣١) •

وقد ابدى التجار الوطنيون فيما بعد الحــرب العالمية الاولى ، اهتماما بخوض تجربة العمل فى جميع المجالات التجارية بما فيها تلك التى كانت ماتزال تحت سيطرة الاجانب،فقد مارسوا الاشتغال بتجارةالاقطان

---

(٢٧) نفس المصدر ، كشوف المستوطنين بدائرة البحيرة •

(٢٨) صحيفة الاقتصاد والتجارة ، المجلد الاول ، ديسمبر ١٩٢٤، « فكرى اباظة التاجر المصرى احواله ومعاملاته » ، التجارة ، عدد ١٤٤ ، ٢٨ مارس ١٩٢٠ •

(٢٩) النشرة الاقتصادية المصرية ، السنة الثانية ، عدد ٥٩ ، ١٤ مارس ١٩٢٢ « نهضة مصر الحديثة » ، الاهرام ، عدد ١٣٦٧٧ ، ٢٣ فبراير ١٩٢٢ •

(٣٠) الجريدة التجارية المصرية ، عدد ١١٠٢ ، ٢٤ اغسطس ١٩٢٥ « حسين محمود حجازى ، ادخال اللاسلكى فى مصر فوائد لا يستهان بها » ، الاهالى ، عدد ٢٩٦٧ ، ٢٨ مايو ١٩٢٠ •

(٣١) الاهالى ، عدد ٢٩٢٤ ، ٦ ابريل ١٩٢٠ •

فى الداخل ، ومن هؤلاء محمد الطوبجى كبير تجار الاقطان بالمنيا (٣٢) ، وابناء الوكيل وغزال بدمنهور ، وعقدة بالدلنجات (٣٣) •

ولقد اتسعت اعمال بعض تجار الاقطان الوطنيين الى درجة دفعتهم الى استخدام ، تجار أقل منهم شأنا ، او عمال ومستخدمين، للقيام بعمليات اعداد وتجهيز الاقطان ، وبعض الاعمال الاخرى فى مقابل اجر شهرى (٣٤) •

ونتيجة لاتساع اعمال تجار الاقطان الوطنيين ، امتلاك بعضهم لمحالج خاصة ، فامتلك محمد سليمان الوكيل محلجا بدمنهور (٣٥) ، كما امتلك اولاد عقده — امين وعبد الله — محلجا بالدلنجات (٣٦) كذلك امتلك أولاد غزال — محمود ومحمد — محلجا بدمنهور (٣٧) •

واذا كان التجار الوطنيون قد بدأوا فى مزاحمة الاجانب بعض الشيء — بعد الحرب العالمية الاولى — فى تجارة الاقطان بالداخل ، فانهم تحملوا أيضا اعباء كبيرة فى مزاحمتهم فى تجارة الاقطان بالاسكندرية ، ومن اشهرهم فى هذا المجال محمود محمد الوكيل ، وعلى

---

(٣٢) عابدين ، محفظة ٣٤٧ « رتب ونياشين » كشوف بأسماء أعيان البلاد من الوجهاء وذوى الحيثية بالمنيا .

(٣٣) نفس المصدر ، كشوف المستوطنين بالبحيرة ، الجريدة التجارية المصرية ، عدد ٣٥٧٣ ، ١٠ اغسطس ١٩٣٤ ، التجارة ، عدد ٩٣٥ ، ٢٣ اغسطس ١٩٣٢ .

(٣٤) محافظ عابدين ، محفظة ٥٣٩ « التماسات التجار » ، « التماس طلب متأخرات لدى التاجر عطية موسى احد تجار اقطان طنطا لحساب احد مستخدميه » .

(٣٥) الجريدة التجارية المصرية ، عدد ٢٨١٢ ، ٢٩ سبتمبر ١٩٣١ .

(٣٦) نفس المصدر ، عدد ٣٣٠٥ ، ٢١ اغسطس ١٩٣٣ ، نفس المصدر ، عدد ٣٥٧٣ ، ١٠ اغسطس ١٩٣٤ .

(٣٧) التجارة ، عدد ٩٣٥ ، ٢٣ اغسطس ١٩٣٢ .

الانصارى ، وسعيد يونس ، ومحمد غزال وأحمد الجندى وغيرهم(٣٨). وقد بلغت هذه المزاحمة حدا اتاح للتجار الوطنيين تمثيل بنى جلدتهم فى لجنة مينا البصل ، فمثل على يحيى بك ومحمد فرغلى تجار الصادر الى جانب فطاحل التجار الاجانب امثال كارفر وخوريمى وشيكوريل وفنى وكنتو ورينهارت ورولو وطورييل وغيرهم ، كما مثل كل من عبد المنعم رسلان بك ومحمد المغازى تجار الداخل الوطنيين بذات اللجنة (٣٩) .

بالاضافة الى ذلك اخذ الوطنيون يشاركون الاجانب فى تعبئة الاقطان المصرية الى الخارج وان كان حجم هذه المشاركة ، قد جاء محدودا من حيث الكم ، الا ان بعض من عملوا بهذا النشاط لمعت اسماؤهم بقوائم الصادرات المصرية ، ومن بين هذه الاسماء ، امين يحيى باشا ، الذى عد من أشهر تجار الاقطان بالاسكندرية (٤٠) ، وبعد ان توفى فى ابريل ١٩٣٦ ترك اثنان من ابنائه ـ عبد الفتاح وعلى بك ـ اصبحا من كبار تجار الاسكندرية أيضا (٤١) .

والى جانب آل يحيى كان هناك أحمد فرغلى احد كبار تجار الاقطان بالاسكندرية ، والذى اشترك مع بيوت بيل وكارفر وخوريمى وليندمان فى شراء اقطان الحكومة المصرية ، عندما تدخلت فى السوق القطنية فى اوائل الثلاثينات (٤٢) .

وبالاضافة لهذه الاسماء التى لمعت فى عالم تجارة الاقطان

---

(٣٨) الاهرام ، عدد ١٣٦٨ ، ٤ مارس ١٩٢٢ .

(٣٩) الجريدة التجارية المصرية ، عدد ٢٨٥٢ ، ١٩ نوفمبر ١٩٣١ .

(٤٠) نفس المصدر ، عدد ٣٣٦٨ ، ٧ نوفمبر ١٩٣٣ ، عدد ٢٦٢٩ ، ٦ يناير ١٩٣١ .

(٤١) نفس المصدر ، عدد ٣٩٩٨ ، ٨ ابريل ١٩٣٦ ، فتحى عبد الفتاح « القرية المصرية » دراسة فى الملكية وعلاقات الانتاج ، دار الثقافة الجديدة ، القاهرة ١٩٧٣ ، ص ١٤٦ .

(٤٢) الاهرام ، عدد ١٧٣٢٧ ، ١٩٣٣/٣/٤ .

المصرية ، وجدت اسماء مصرية عديده أخرى ساهمت بقدر لا بأس به فى تصدير الاقطان الى الخارج ، منها محمد الوكيل ومحمد المغازى، ومرسى محمد بلبع واخوان مرسى بك ، ومرسى محمد وشركاه ، ووهبة برسوم وشركاه (٤٣) ومحمود باشا الديب (٤٤) .

ومن خلال الارقام الواردة بقوائم الصادرات القطنية ، تبين ان بيوت التصدير المصرية فى أواخر العشرينات وأوائل الثلاثينات من القرن الحالى ، قد اظهرت جده وسرعة فى محاولاتها لخلق موطىء قدم لها بسوق الاقطان ، ففى موسمى (١٩٢٩ — ١٩٣٠ و ١٩٣٠ — ١٩٣١) جاءت شركة التجارة فى الحاصلات المصرية « امين يحيى » فى مقدمة البيوت المصدرة للاقطان بفارق هائل فى الكميات المصدرة ، ويليها احمد فرغلى ، واخوان مرسى بك (٤٥) .

وفى أواخر الثلاثينات تصدر أحمد فرغلى قائمة المصدرين الاجانب والمصريين على حد سواء ، حيث فاقت الكميات التى قام على تصديرها ، ما صدرته البيوت الاجنبية العريقة فى هذا المجال ، امثال كارفر وبيل وخوريمى وغيرهم (٤٦) .

وفى غير تجارة الاقطان ، عمل كثير من التجار الوطنيين فى تجارة الحاصلات المصرية الاخرى ، حيث بلغت الحصة التى صدرت من البصل على يد التجار المصريين حوالى ٢٥٪ من جملة صادراته فى سنة ١٩٣٥ . هذا فى نفس الوقت الذى لم يتجاوز فيه عدد المصدرين المصريين عشرون مصدرا ، من عدد المصدرين البالغ ثمانين مصدرا ، كان

---

(٤٣) الجريدة التجارية المصرية ، عدد ٢٨٠١ ، ١٤ سبتمبر ١٩٣١ .

(٤٤) صحيفة مصلحة التجارة والصناعة ، السنة الاولى ، عدد ٣ ، ابريل ١٩٢٥ ، ص ٧٠ .

(٤٥) الجريدة التجارية المصرية ، عدد ٢٨٠١ ، ١٤ سبتمبر ١٩٣١ .

(٤٦) مجلة غرفة القاهرة ، السنة الرابعة ، العدد العاشر ، ديسمبر ١٩٣٩ ، ص ١٢٨٩ .

اشهرهم مرسى عبد الرحمن وسيد ابراهيم ابو السعود (٤٧) .

ولا تختلف عن ذلك تجارة البيض وتصديره ، حيث وجد بهـا كثير من التجار والمصدرين المصريين كان اشهرهم محمد أحمد شلبى ، ومصطفى رياض حداد بالاسكندرية ، ودسوقى السيد ، ومحمد سـيد أحمد الديب ، وعبد الشهيد غبريال بالقاهرة (٤٨) .

كذلك أخذت تجارة الغلال تنتقل فى معظمها الى ايدى التجـار الوطنيين مع اندلاع الحـرب العالمية الاولى ، والذين كونـوا لانفسهم نقابات تضم من يعمل بتجارتهـا ، حتى يتمكنوا من ان يحولوا بين المضاربة والتسلل الى هذه التجارة ، اذا ما مارسها غير التجار (٤٩) . وقد كان بكل مديرية تجار للغلال لهم شهرتهم ، فكان كل من محمود فرغلى ومحمد النخيلى وأحمد حنفى وحامد مخلوف وأحمد حلمى نعمان ومحمد البنـا من أشهرهم بالاسكندرية (٥٠) كما كان محمد محمد سلامه من اشهرهم بدمنهـور ، ومحمد سالم واحمد ابراهيم غالى وأحمـد

---

(٤٧) الاهرام ، عدد ١٦٦٧٣ ، ١٩٣١/٥/١١ ، الجريدة التجـارية المصرية ، عدد ٢٤١٥ ، ٢٤ فبراير ١٩٣٠ « تقرير عن الاقتراحات الخاصة بتحسين محصول البصل وتجارته » ، نفس المصدر ، عدد ٣٨٣٤ ، اغسطس ١٩٣٥ .

(٤٨) محفوظات مجلس الوزراء « داخلية ، محفظـة ١٠/١٠ ، مجموعة ٣٨٢ « عريضة مقدمة من محمد أحمد شلبى الى الحكومة السنية فى ١٩ اكتوبر ١٩١٤ » ، صحيفة مصلحة التجارة والصناعة ، السـنة الحادية عشرة ، العدد الثالث ، مارس ١٩٣٥ .

(٤٩) مجلة الغرفة التجارية المصرية ، السنة الثالثة ، العـدد السادس ، نوفمبر ١٩١٨ .

(٥٠) الاهالى ، عدد ٢٣٩٤ ، ١٩ يوليو ١٩١٨ ، عدد ٢٣٥٢ ، ٣٠ مايو ١٩١٨ ، الجريدة التجارية المصرية ، عدد ٤٠٥٩ ، ١٩ اغسطس ١٩٣٦ ، التجارة ، عدد ٥١٦ ، ٩ اغسطس ١٩٢٥ .

حجاب من اشهرهم ببنى سويف (٥١) .

كما وجدنا أيضا كثيرا من التجار المصريين ممن لمعت اسماؤهم فى مجال تسويق الخضروات والفاكهة المصرية ، امثال محمد زيدان ، ومختار بركات ، وسلطان حامد وخليل يحيى ، وحنفى حبش ورمضان السماك وحنفى ابراهيم (٥٢) .

واذا كانت مساهمة التجار المصريين فى تسويق الحاصلات المصرية داخليا وخارجيا قد ازدادت فى الثلاثة عقود الاولى من القرن العشرين عنها فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، فانهم اسهموا أيضا بنفس القدر أو أقل قليلا فى تجارة الواردات المصرية ، التى دارت فى معظمها حول السلع الاستهلاكية والرأسمالية ، وبذلك يكون المصريون قد طرقوا مجالات كانت من قبل بمنأى عنهم فاسسوا بيوتا للتصدير والاستيراد وتخليص البضائع وكذلك الوساطة والوكالة لشركات صناعية كبرى فى أوربا وامريكا (٥٣) . منها محلات عبد الغنى جميعى وشركاه (٥٤) ، وسالم حسين العلاف (٥٥) ، ومصطفى جمعة

---

(٥١) محفوظات مجلس الوزراء ، وزارة الزراعة ، محفظة ١٢/ب دوسيه ٧/٣٦ « شكوى مقدمة من تجار واعيان بندر بنى سويف بالتضرر من أصحاب مطاحن » ، التجارة ، عدد ٩٣ ، ٩ فبراير ١٩١٩ .

(٥٢) صحيفة مصلحة التجارة والصناعة ، السنة ٨ ، العدد الاول ، يناير ١٩٣٢ ، ص ١٠٢ ، نفس المصدر ، السنة ١١ ، عدد ٣ مارس ١٩٣٥ ، ص ٦٦٠ .

(٥٣) صحيفة مصلحة التجارة والصناعة ، السنة الثانية ، العدد الثانى ، يناير ١٩٢٦ ، ص ٢٣١ — ٢٣٣ ، الجريدة التجارية المصرية ، عدد ١٩٣ ، ١٦ يناير ١٩٢٢ ، وعدد ٤٨٨ ، ٣ فبراير ١٩٢٣ « الوزارة ومطالب البلاد الاقتصادية » .

(٥٤) الجريدة التجارية المصرية ، عدد ١٣٦ ، ٣ نوفمبر ١٩٢١ .

(٥٥) نفس المصدر ، عدد ١٢٢ ، ١٨ أكتوبر ١٩٢١ .

وشركاه (٥٦) ، وكذلك شركة الصوة وشلبى بالاسكندرية (٥٧) .

وهكذا اخذ التجار المصريون يصارعون حالة السوق المصرية ، الى ان تمكنوا بمرور الوقت من احراز تقدم فى مجالات تجـــارية مختلفة ، حتى ما كان منها حكرا على الاجانب ــ التجارة الخارجية ــ بحيث اصبحت قوائم الصادرات وكذلك الواردات تحمل اسماء لمصدرين مصريين ، بعضهم لعب دورا ملحوظا مع بداية القرن العشرين ، وقد بلغ هذا الدور حدا دفع الرأسمالية الاجنبية وكذلك المصرية الـــى التلاقى فى بؤرة المصالح المشتركة ، بشكل ادى الى قيام علاقة تعاون ــ فى معظم الاحيان ــ مكنت الرأسمالية الاجنبية من السيطرة على الاخيرة ، من خلال عدم ترك لها حبل النمو على الغارب أو ما يقـــرب من الغارب ، بل بما تسمح به ، وذلك عن طريق أسلوب الاحتواء الذى تجلى فى عملها على احتضان وجذب الرأسمالية العـــاملة فى المجـــال التجارى ، ومشاركتها فى مشاريعها التجارية المختلفة ، ولو بنســـب بسيطة ، وقد ادى هذا فى النهاية الى وأد مخاطـــر الصراع ، الذى قد ينجم فى ظل المتغيرات الاقتصادية والسياسية التى افرزتها ظـــروف الحـــرب وثورة ١٩١٩ .

الشـــوام :

معـــروف عن الشـــوام انهم اهل مهـــارة باساليب التجارة منذ القدم ، لكونهم شعبا ساحليا دأب على الاتصـــال بالعالم الخارجى . وكانت مصر من المناطق التى اتصل بها الشوام بل وعاشوا فيها ومارسوا بها التجارة ومعها ، ويرجع ذلك الى الجوار المكانى والصلات العرقية التى جعلتهم فى هذا البلد لا يدركون الغربة التى غالبا ما ادركوها فى أى بلد آخـــر . ولهذا احتل الشوام فى فترة من الفترات منزلة فى مصر ربما فاقت تلك التى كانت للاجانب . ومن هنا فقد شكلوا منذ فترات

---

(٥٦) الاهالى ، عدد ٢٠٨٧ ، ٢٤ يونيو ١٩١٧ .
(٥٧) الجريدة التجارية المصرية ، عدد ٢٥٢٤ ، ١ ٣يوليو ١٩٣٠ .

طويلة نسيجا لا يمكن تجاهله بالبناء الاجتماعى للتجار فى مصر •

ففى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، وجد كثير من التجار الشوام بمصر ، والذين لم يقتصر نشاطهم على مدينة القاهرة ، التى كانت لهم بها جيوب واسواق خاصة — كالحمزاوى ووكالة التفاح — بل ان نشاطهم امتد الى انحاء المجتمع المصرى ، فوجد بابى كبير تجار من الشوام عملوا بكثير من التجارات اهمها الاقطان والثياب، كما وجد منهم الكثير بطنطا ، والسويس التى كان لهم بها سوق عرف « بسوق الشوام » هذا فضلا عن سوق الشوام بالاسكندرية (٥٨) •

ومن اشهر التجار الشوام الذين عملوا بالسوق المصرية ابان النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، نقولا صيدناوى وسليم وسمعان صيدناوى والياس جهامى وامين شميل ، وابناء اليابى بالقاهرة وجورجى مظهر بدمنهور ، وابناء عائلة صعب بالمنصورة ، وميخائيل الدمشقى بالاسكندرية ، وسوتيرى بطنطا ، وموسى نعيم بايتاى البارود (٥٩) •

وبنشوب الحرب العالمية الاولى ، تزايد عدد الوافدين الشوام على مصر — الذين كانوا فى معظمهم من اليهود — والذين راحوا يعملون على الاقامة والاشتغال بالتجارة (٦٠) • وقد ترتب على ذلك وجود تجار شوام — الى جانب من نزحوا الى مصر فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر — تمتعوا بشهرة كبيرة فى بورصة منيا البصل ، وبورصة الاوراق المالية ، وتجارة الغلال والمصنوعات الجلدية ، وكذلك

---

(٥٨) لمزيد من التفاصيل ارجع الى على مبارك : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٣٤ ، جـ ٣ ، ص ٧٤ ، جـ ٨ ، ص ٣٦ ، جـ ١٢ ، ص ٩٤ ، جـ ٧ ، ص ٧٢ .

(٥٩) احمد الشربينى : المرجع السابق ، ص ٤٩ — ٥٠ •

(٦٠) الاهالى ، عدد ١٦١٢ ، ٢٥ فبراير ١٩١٦ •

تجارة الاخشاب التى عملت بها عائلة باسيلى — كرم واسعد — وتجارة الحدايد التى عمل بها الخواجه شكر الله (٦١) .

كذلك وجد من الشوام من عمل بتجارة الازياء والملبوسات ، حتى أصبحت لهم محلات اكتسبت شهرة فى هذا المجال ، منها محلات جبرائيل يارد وشركاه بالموسكى (٦٢) ، وخورى حداد وشركاه ، الذى قصر نشاطه على المصنوعات البريطانية وتوزيعها فى السوق المصرية ، وذلك لامتلاكه فرعا آخر بمنشستر بانجلترا (٦٣) .

اضافة الى ذلك وجد بعض الشوام ممن اشتغلوا بالاعمال التجارية المصرية الشامية تصديرا واستيرادا ومن هؤلاء — على سبيل المثال — مصطفى سماقيه واولاده (٦٤) ، هذا الى جانب عمل بعضهم فى مصر بالبقالة كعبد الرازق البكرى ، الذى ادار محلا لهذه التجارة فى الزمالك بالقاهرة (٦٥) وبذلك شكل الشوام نسيجا من من المشتغلين بالتجارة فى مصر ، الى جانب الاجانب على اختلاف جنسياتهم ، وكذلك المصريين على اختلاف مستوياتهم المادية .

العناصر الأخرى :

وغير هذه العناصر التى تحدثنا عنها أنفا ، وجدت عناصر أخرى مارست التجارة بمصر ، منها المغاربة ، الذين اشتغلوا بالتجارة فى جميع المدن المصرية بحرية تامة طيلة النصف الثانى من القرن التاسع

---

(٦١) لطيفة محمد سالم : مصر فى الحرب العالمية الاولى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٤ ، ص ١٦٠ .

(٦٢) الاهالى ، عدد ٢٩٣٢ ، ١٧ ابريل ١٩٢٠ .

(٦٣) نفس المصدر ، عدد ١٩٦٠ ، ١٤ فبراير ١٩١٧ .

(٦٤) محفوظات مجلس الوزراء ، داخلية ، محفظة ١٠/٢/ب ، مجموعة ٣٨٢ ، الجريدة التجارية المصرية ، عدد ٨ ، ٢٧ مايو ١٩٢١ .

(٦٥) عابدين ، محفظة ٥٣٩ ، التماسات تجار « شكون من التجار المصريين الى رئيس الديوان الملكى رفعها الى الاعتاب الملكية » .

عشر ، لدرجة ان كثير من الاحياء التجارية بالمدن الهامة — كالقاهرة والاسكندرية — ظلت تحمل اسماء مغربية ، وفى هذا دلالة على استمرارية وضخامة دور المغاربة فى التجارة المصرية والذى يرجع الى ما قبل القرن التاسع عشر (٦٦) .

وبعد الحرب العالمية الاولى ، لم نعد نسمع كثيرا عن دور المغاربة التجارى فى مصر ، ويرجع هذا الغياب المغربى ، الى المنافسة الاجنبية الشديدة التى اجبرت هـذه العناصر على التراجع عن ممارسة نشاطها التجارى ، الذى كانت تقوم به فى غياب العنصر الاجنبى عن السوق المصرية .

وغير المغاربة كان هناك تجار اتراك ظلوا يمارسون التجارة المصرية طيلة النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، ثم تجنسوا بالمصرية ، على اثر الاوضاع غير الطبيعية التى خلفتها ظروف الحرب العالمية الاولى ، ومن هؤلاء — على سبيل المثال — يوسف شارل دافيد ، وسامى نسيم اسكنازى (٦٧) .

وغير الاتراك كان هناك تجارا ايرانيون انتشروا بالاقاليم المصرية ، وقد بلغت كثرتهم بالمنيا حـد ان اصبح لهم بها وكيلا مفوضا من حكومتهم — فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر — بموافقة الباب العالى للنظر فى الشئون الخاصة بالتجار الايرانيين ومن ينوب عنهم (٦٨) . وقد توقف اغلب نشاط التجار الايرانيين على تجارة

---

(٦٦) احمد الشربينى : المرجع السابق ، ص ٥٠ — ٥٣ .

(٦٧) محافظ عابدين : رئاسة مجلس الوزراء ، محفظة ٢٩ ، مذكرة من وزارة الداخلية الى رئاسة مجلس الوزراء ، معية تركى ، محفظة ٦ ، وثيقة ٩ ، بتاريخ أول جمادى اول ١٢٧١ هـ / ١٨٥٥ م ، ص ١١ .

(٦٨) ديوان التجارة والمبيعات ، محفظة ٣٢ ، ترجمة مرسوم سلطانى بتاريخ ٢٠ شوال ١٢٨٣ هـ / فبراير ١٨٦٧ ، ص ١ ، معية تركى ، محفظة ٥ ، وثيقة ٧٩ ، بتاريخ ١٠ ربيع الاول ١٢٧١ هـ / ١٨٥٤ ص ١٠ ، معية عربى ، دفتر ١٦٤٥ ، وثيقة ٢٢ بتاريخ ٦ ربيع اول ١٢٧٦ هـ / ١٨٥٩ ، ص ٣٤ .

الاكلمة والسجاد الايرانى والتركى بمدينة الاسكندرية والقاهـــرة بعد الحرب العالمية الاولى (٦٩) .

وهكذا ادى التدخل الاجنبى السافر فى سنة ١٨٤٠ ، الى تغييب دور الدولة بعد طول استهداف هذا فى الوقت الـذى افتقدت فيـه السوق المصرية وجـود فئات من التجار المصريين ، تسـتطيع ارث دور الدولة التجارى ، وقد احتل هذا الدور تجار انتموا الى اصول عرقية مختلفة ، وقد كان دور العنصر الاوربى اعظم واخطر فى هذا الوقت على ادوار العناصر الاخرى وبخاصة المصريين .

وهناك تساؤلات تطرح نفسها ، الا وهى ، هل كان التجار علـى اختلاف اصولهم يشكلون طبقة متميزة ومنفصلة عن بقية طبقات المجتمع؟ ام انهم شكلوا جزءا من الطبقة الوسطى كما حـدث فى المجتمعـات الاوربية ؟ ام ان التجربة المصرية بما تمتعت به من خصوصية تاريخية ــ خاصية التطور الاقتصادى والاجتماعى ــ قد افرزت ظاهرة مختلفة جاءت نتاج الواقع التاريخى والخصوصية المصرية ؟

والاجابة على هذه التساؤلات تتطلب التعريف بمفهوم الطبقة ، وعلى الرغم من كون هذه المفاهيم أو التصنيفات ــ الطبقة ، الفئة ، الشريحة الخ ــ قد جاءت محددة بابنية تاريخية واقتصادية معينة ، لم تأخذ فى اعتبارها خصوصيات مراحل التطور الاقتصادى والاجتماعى بين المجتمعات ، الا ان البعض ــ خاصة الاجتماعيين ــ درج على تطبيق هذه التصنيفات بشكل ميكانيكى على المجتمع المصرى ، دون مراعاة المقاسات التى فصلت عليها من حيث اختلاف درجات وظروف التطور الاقتصادى والاجتماعى بين المجتمعات التى قيست عليهـــا والمجتمع المصرى .

---

(٦٩) عابدين ، محفظة ٥٣٩ ، التماسات التجار ، الجريدة التجارية المصرية ، عدد ٣٢٩ ، ١٩ يوليو ١٩٢٢ « صناعة البسط والســجاجيد والاكلمة » .

على كل حال ، مفهوم الطبقة احد المفاهيم الاجتماعية ، التى دار حول تحديدها جدل كبير ، ولذلك وجدنـــا له اكثر من تعريف ، جاءت متغايرة ، لكثرة واختلاف المحكات التى روعيت عند تحديدها ومن المقاييس أو المحكات الافتراضية التى لا يختلف عليها العلماء ، الثروة والحرف ــ المهنة أو العمل ــ ونوع الحياة ، والتعليم والثقافة والتى من خلالهـــا قدم اندريه جوسيان تعريفا للطبقة مفاده ، انها عبارة عن جماعات قلت أو كثرت من الافراد تتشابه فيما بينها في نوع الحياة أو الحرفة أو الثروة والتعليم والثقافة ، ويختلفون عن غيرهم فى هذه النـــواحى داخل المجتمع الواحد (٧٠) ٠

الا ان هناك من رأى انه ليس بالضرورة ان تتكون طبقة تجمع بين اهداف محددة من اناس يتمتعون بنفس المستوى من الداخل ــ التماثل الكمى فى الدخل ــ أو يقتربون من مستوى مفترض للدخل ، كما لايكفى القول ببساطة ان الطبقة تتكون من اولئك الذين يستمدون دخلهم من مصدر واحد ــ المهنة ــ رغم أن معيار الاهمية هنا هو مصدر الدخـــل وليس حجمه (٧١) ٠ وهذا ما يؤكد ان الطبقـــات ليست حقائق فى ذاتها بقدر ما هى وجهات نظر ، أو بمعنى آخـــر ليست بأشكال هندسية تطبق ٠

وانطلاقا من أهمية العامل الاقتصادى فى احداث التفاوتـــات الاجتماعية داخل المجتمعات عرف البعض الطبقة ، بانها جماعات كبيرة من الافـــراد تتشابه من حيث المكان الذى تشغله فى نسق الانتـــاج الاقتصادى والاجتماعى ، وتتشابه فى الدخل والمنزلة وأسلوب الحياة،

---

(٧٠) اندريه جوسيان : طبقات المجتمع ، ترجمة السيد محمد بدوى وآخرون ، دار سعد مصر ، القاهرة ١٩٥٦ ، ص ١٠ ، ٣٠ ٠

(٧١) محمد ثابت : الطبقات الاجتماعية ، دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٤٩ ، ص ٦٣ ، موريس دوب : دراسات فى تطور الراسمالية ، تعريب رءوف عباس ، دار الكتاب الجامعى ، القاهرة ١٩٧٨ ، ص ٢٨ ــ ٢٩ ٠

وكذلك نصيبها فى ملكية وسائل الانتاج (٧٢) • وهذا التعريف يـركز على علاقة القوى الاجتمـاعية ككل بعملية الانتـاج ، وبالتـالى بالقوى الاجتماعية الاخـرى التـى تعيش داخل المجتمـع ، أى ان العلاقات الانتاجية ـ الاطار الاجتماعى للانتاج ـ فى اطار العملية الانتاجية تؤدى الى خلق مصلحة مشتـركة لجماعات من القـوى الاجتماعية ، تقود الى تناقض مع المصالح الاخـرى المرتبطة بالنظام الانتـاجى •

ولـا كان المجتمع المصرى ـ فى ذلك الوقت ـ مجتمعا زراعيـا بالدرجة الاولى ، فان العلاقات الانتـاجية الثـابتة ارتبطت بالارض الزراعية • ومن هنا استخدم معيار الملكية للارض الـزراعية كمحك رئيسى لتحديد الطبقة ، وشاع تصنيف الطبقات الاجتماعية المصرية على هذا الاساس الى كبار ومتوسطى وصغار ملاك •

تداخل التجارة مع الملكية الزراعية :

من خلال الدراسة للتجار فى مصر ، اتضح ان التجـربة المصرية شهدت تداخلا اجتماعيا واضحا بين التجار وملاك الاراضى الزراعية، الى درجة قلما نجد فيها تاجرا لا يندرج بين احدى فئات ملاك الاراضى الزراعية • وبذلك لم تتضح ملامح الطبقة المتميزة والمنفصلة عن باقى الطبقات فى التجار بمصر ، كما انهم لم يشكلو أيضـا جزءا من الطبقة الوسطى كما شاع بالمجتمعات الغربية •

ويرجع التداخل بين الملاك والتجار الى ما تميزت به التجـربة المصرية من خاصية ارتباط الزراعة بالتجارة ، فى اقتصاد نقدى تخصص فى انتاج المواد الاولية ـ القطن ـ اصبح انتاجهـا يتم استجـابة لاحتياجات خارجيـة •

---

(٧٢) بوتو مور : الطبقات فى المجتمع الحديث ، ترجمة محمد الجوهرى وآخرون ، الطبعة الثانية ، مطابع سجل العرب ، القاهرة ١٩٧٩ ، ص ١٨ — ٢٠ :

وقد مهد محمد على لاحداث هذه السمة المميزة للتجربة المصرية، من خلال سياسته الاقتصادية وما ترتب عليها من ادخال حاصلات نقدية ــ جاء القطن فى مقدمتها ــ مهدت لدمج مصر فى السوق العالمية، وسرعان ماتحولت عملية التمهيد الى دمج بشكل حاسم ، بعد ان اندلعت الحــرب الاهلية الامريكية فى اوائل ستينات القــرن التاسع عشر واتجاه الطلب الاوربى على الاقطان نحو مصر ، ومنذ ذلك الحين حسمت قضية تخصص مصر كوحدة من وحدات السوق العالمية فى انتـــاج القطــن .

وفى الوقت الذى مهــد فيه محمد على لابــراز الميزة النســبية للقطن ، مهد الطريق ايضا لاكمال تقنين الملكية الفردية للاراضى الزراعية الخراجية ، بعد أن أقــر حق الملكية الخاصة للاراضى العشورية فى فبراير ١٨٤٢ (٧٣) ، وبذلك ادخل محمد على تغييرات نوعية فى التركيبة المحصولية ، واخــرى تشريعية فيما يتعلق بملكية الاراضى العشورية، كان من شأنها تحويل الارض مع بداية النصف الثــانى من القــرن التاسع عشر الى سلعة دارت حولها عمليات مضاربة شرسة ، بعد ان ارتفعت اسعار الحاصلات النقدية السوقية ، واتساع نطاق زراعتها، بشكل أدى الى تكالب المستثمرين بما فيهم التجار على تملك مساحات من الاراضى الزراعية ، على اعتبار انها اصبحت عملة ذات وجهين كلاهما مفيد ، احداهما زراعى ، يضمن لصاحبه الربح والوجاهة الاجتماعية والسياسية ، والاخــر تجارى وهــو انتاج الارض من حاصـــلات ارتفع سعرها ، واصبحت تدور حولها كل الحركة التجارية المصرية .

ولقد تمت عملية الارتباط بين الزراعة والتجارة ، على مرحلتين ، الاولى ، بدأت منذ النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، وابانهــا كانت السمة الواضحة ، تتمثل فى توجه رأس المــال العامل بالمجــال التجارى الى الزراعة ، وذلك لاعتبارات اقتصادية واجتماعية وأخرى

---

(٧٣) رءوف عباس : المرجع السابق ، ص ٥٠ ــ ٥١ .

سياسية • وكان الاجانب يهدفون فى هذه المرحلة من وراء اقتناء الاراضى ، الى الانتفاع بها عن طريق التأجير • والقيام حولها بعمليات مضاربة ، اما التجار المصريون ، فكان هدفهم من وراء ذلك ، هو العمل فى مجال تقل — ان لم تغب — فيه المنافسة غير المتكافئة مع الاجانب والتى توفرت بالمجال التجارى ، هذا الى جانب اكساب انفسهم طابع الاعيان والذوات ، حيث كانت الارض الزراعية رمزا للجاه الاجتماعى ، ومفتاحا للسلطة السياسية (٧٤) •

اما المرحلة الثانية ، فبدأت بعد الحرب العالمية الاولى ، وكانت السمة الغالبة عليها ، اتجاه الرأسمالية الزراعية ، بما حققته من تراكمات مالية ، الى طرق مجالات اقتصادية غير زراعية منها التجارة • وقد تراكمت هذه الأموال فى ظل حالة التضخم التى انتابت البلاد مع اندلاع الحرب العالمية الاولى ، وما ترتب عليها من ارتفاع شديد فى أسعار الاراضى للاقبال المتزايد عليها ، هذا فى الوقت الذى فاقت فيه معدلات زيادة رؤوس الاموال معدلات الارتفاع فى أسعار الاراضى ومعدلات زيادة المساحة الزراعية ، ولهذا تكونت ارصدة مالية أصبحت معطلة نتيجة احجامها عن الاستثمارات فى مزيد من الاراضى الزراعية لضآلة عائدها بالنسبة لتكلفة العقار (٧٥) •

وقد افاد وجود هذه الاموال المعطلة ، جماعة بنك مصر ، عندما راحت تعمل على اخراج فكرة انشاء بنك وطنى الى حيز الوجود ، حيث وجدت ممن تراكمت لديهم الاموال ، وآثروا ابعادها عن المجال الزراعى ، توجها نحو الاكتتاب فى أسهم هذه المؤسسة الاقتصادية المصرية ، ولذلك جاء تأسيس بنك مصر فى سنة ١٩٢٠ منعطفا أساسيا

---

(٧٤) لمزيد من التفاصيل ارجع الى : رءوف عباس ، المرجع السابق ، ص ٩٩ ، ١٩١ — ٢٤٧ •

(٧٥) محمد رشدى : التطور الاقتصادى فى مصر ، ج ٢ ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٢ ، ص ١٤ — ١٥ •

فى استثمارات ملاك الاراضى فى غير مجال الاراضى الزراعية (٧٦) •

على كل حال شهد النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، اتجاه من جانب التجار على اختلاف جنسياتهم نحو تملك الاراضى الزراعية • وعلى الرغم من تـأخر تقنين حق الاجـانب فى تملك الاراضى — الى عهـد سعيـد باشا — الا أن بعضهم كون مساحات واسعة من الاراضى الزراعية فى عهد محمد على — امثال توسيجه وروستى وغيرهم من التجار اليونانيين والانجليز — بلغت فى نهاية حكمه ٢٥٠٠٠ فدان ، وحصلوا على حق تملكها بموجب قانون فبراير ١٨٤٢ • وقد تكونت هذه الاراضى اما بالشراء أو المنح • حيث درج الباشا — انطلاقا من حرصة على زيادة المساحة الزراعية — على منح التجـار الاجـانب مساحات من اراضى الابعاديات الكائنة بمنطقة البحيرة — كرزقه بلا مال — والتى كانت فى حاجة الى استصلاح (٧٧) •

ثم جاء النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، ليشهد استمرار التجار فى تملك الاراضى الزراعية للاستفادة منها عن طـريق التأجير للفلاحين وعمليات المضاربة ، أكثر من الاهتمام بجنى الـربح من فلاحة الاراضى ذاتها ، الا ان الامـر لم يخل من وجود حالات فردية اتجـه فيها رأس المـال التجارى الى العمل على تحسين الزراعة ، واستغلت فيها الضيع عن طريق العمل المأجور كنمط رأسمالى للفلاحة •

وزاد من توجه التجار الاجانب نحو الاسـتثمار الـزراعى ،

---

(٧٦) عاصم الدسوقى : نحو فهم تاريخ مصر الاقتصادى الاجتماعى ، دار الكتاب الجامعى ، القاهرة ١٩٨١ ، ص ٤٢ ،

Crouchley, A. E. The Investment of Foreign Capital, p. 77.

(٧٧) لمزيد من التفاصيل ارجع الى : هيلين أن ريفلين : الاقتصاد والادارة فى مصر فى مستهل القرن التاسع عشر ، ترجمة احمد عبد الرحيم مصطفى ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٨ ، ص ٩٣ ، رءوف عبـاس : المرجع السابق ، ص ١٦ ، على بركات : المرجع السابق ، ص ١٩٣ — ١٩٥ •

التسهيلات التى اسداها سعيد باشا للاجانب ــ الذين كانوا فى معظمهم من التجار المالكين للمقدرات المالية ــ والمتمثلة فى السماح لهم بشراء اراضى المتروك التى كانت تطرح فى مزادات علنية ، واستفادتهم من شيوع عمليات بيع اراضى بعض الذوات ، الذين غرقوا فى الديون نتيجة لاسرافهم • هذا فضلا عن حصولهم على جانب كبير من الاراضى التى تنازل عنها أصحابها بعد ان عجزوا عن تسديد القروض التى كبلوا بها للتجار الاجانب فى غياب المؤسسات المصرفية الحكومية (٧٨) •

وفى ظل هذه الظروف استطاع كثير من التجار الاجانب ، وبخاصة اليهود ــ الذين حملوا رعويات اجنبية ــ تكوين ملكيات زراعية كبيرة مما جعلهم فى عداد كبار الملاك الزراعيين فى كثير من المناطق المصرية ــ ناهيك عن التجار اليهود مثل يعقوب ليفى منشا ورحمين وليشع اسحق ، الذين مارسوا نشاطا تجاريا حول الاراضى بابتياعها فى مساحات كبيرة وبيعها فى مساحات صغيرة ــ فكان ابراهيم الدرعى الاسرائيلى وابناء حاييم الدرعى من كبار الملاك بالسنبلاوين، كما كان اسحق رونية بن مناحم من كبار ملاك الشرقية ، كذلك كان يعقوب الياهو احد كبار الملاك بالغربية • والى جانب هؤلاء ، وجد كثير من التجار الاجانب ممن انتشروا بانحاء مصر ، وكونوا لانفسهم مساحات من الاراضى عن طريق الشراء امثال ايليا طوربيل الاسرائيلى « رعية فرنسية » وروفائيل سوارس « رعية ايطالية » (٧٩) ، وخاصة بعد بدء عمليات بيع اراضى الدائرة السنية والدومين ، وكذلك اقرار حق الملكية التام للاراضى الخراجية فى العقد الاخير من القرن التاسع عشر •

وكانت هذه المتغيرات ايذانا باستمرار اقبال التجار الاجانب على شراء الاراضى الزراعية ، وتكوين الشركات العقارية بطول العقود

---

(٧٨) رءوف عباس : المرجع السابق ، ص ١٠١ ــ ١٠٢ •

(٧٩) نفس المرجع : ص ٥٨ ــ ٥٩ ، على بركات : المرجع السابق ، ص ٢٠٧ ــ ٢١٠ •

الثلاثة الاول من القرن العشرين ، بشـــكل جعل كثير منهـــم يمتلك مساحات كبيرة تفاوتت فى احجامها من شخص لاخـــر ، فقد امتلك الخواجة ينى يرانيدا فيلو التاجـــر بمدينة الزقازيق ١٢٠٠ فدان بناحية المناجا مركز فاقوس ، بينما امتلك كوستية سايراكى التاجر بالزقازيق ٩٠ فدانا بحطيط — مركز فاقوس — فى حين امتلك الخواجة ولتر برلا ١٠٠ فدان بهرفط — مركز كفر صقر — (٨٠) .

وكما امتلك التجار الاجانب لمساحات من الاراضى الزراعية فرادى، ساهموا كذلك فى تأسيس الشركات العقارية ، حيث ساهم كل من ايلى طوربيل وروفائيل طوربيل — من التجار الفرنسيين بالاسكندرية — مع جاك ريكس — تاجـــر ايطالى بالاسكندرية — فى تأسيس شركة الاملاك ذات الربع فى القطـــر المصرى (٨١) . كذلك شـــارك نفس التجار — ايلى طوربيل وروفائيل طوربيل ، وجاك ريكس — كل من البرت ريكس وايمانويل عزرى — تاجران ايطاليان — وبعض التجار المصريين فى تأسيس الشركة الفرنسية المصرية للتسليف (٨٢) .

وبذلك حدث التداخل والارتباط بين رأس المـــال الاجنبى العامل بالمجالين الزراعى والتجارى ، والذى جاء نتيجة ادراك رأس المـــال الاجنبى ، لماهية الارباح والفوائد والضمانة التى يوفرها العمل بالمجال الزراعى ، والتى ربما فاقت بالنسبة له — فى بعض الاحوال — ما كان يوفره العمل بالمجال التجارى .

اما التجار المصريون ، فعلى الرغم من قلة عددهم بالسوق المصرية

---

(٨٠) عابدين * محفظة ٣٤٧ ، رتب ونياشين العمد والاعيـــان ، كشوف باسماء أعيان البلاد من الوجهاء وذوى الحيثية بمديرية ، الشرقية ١٩٢١ .

(٨١) مجلس الوزراء ، شركات وجمعيات ، محفظة ١/ب ، مجموعة ٥٦٤ « عقد شركة الاملاك ذات الربع فى القطر المصرى » .

(٨٢) صحيفة مصلحة التجارة والصناعة ، السنة ١١ ، العـــدد الاول ، يناير ١٩٣٥ ، ص ٢٣٤ .

فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، وضعف موقفهم المالى ، اذا ما قيس بالتجار الاجانب ، لابتعادهم عن المجالات التجارية ، التى تحقق تراكمات مالية تدفعهم نحو الاستثمار الزراعى ، الا ان هناك كثير من التجار المصريين جمعوا بين الاستثمارين التجارى والزراعى . فعلى سبيل المثال امتلك كل من امين الشمسى — احد تجار الزقازيق — وابراهيم افندى بركات والسيد مصطفى ابو حديد ، ونعمان البكرى مساحات زراعية كبيرة حققوا معظمها فى عهد اسماعيل ، كما انتقل التاجر جريس اسطفانوس فى عهد اسماعيل من الوجه القبلى الى الدقهلية ليكون لنفسه اطيانا بها (٨٣) .

وغير هؤلاء شهد النصف الثانى من القرن التاسع عشر تحول عائلات تجارية من الطراز القديم الى ملاك للاراضى الزراعية ، لدرجة ان القسم الاكبر من كبار الملاك فى ذلك الوقت جاء من تلك العائلات التى اشتغلت بالتجارة بصفة عامة ، وبصفة خاصة التجارة الخارجية (كوكلاء لبيوت اوربية منذ تغلغل رأس المال الاجنبى) ومن هذه العائلات الهجين والطرزى وموسى العقاد وويصا وحنا ميخائيل ومقار وخشبة والهلالى بأسيوط ، وقرياقص وعبيد بقنا وحناسوريال بالمنيا ، وبشارة بالاقصر (٨٤) . وجدير بالذكر ان هذه العائلات عاشت بمصر العليا ، تمارس العمل التجارى طيلة النصف الاول من القرن التاسع عشر مع السودان ، دون ان تمسها يد الدولة بسوء .

واستمر الارتباط بين النشاطين الزراعى والتجارى بالنسبة للمصريين من خلال التداخل بين الملاك والتجار ، فوجدت عائلات فى النصف الاول من القرن العشرين امتلكت مساحات زراعية كبيرة ، فى نفس الوقت الذى يعمل فيه ابرز ابنائها بالتجارة ، منها عائلة بلبع بالبحيرة ، التى امتلكت حوالى ٥٠٠٠ فدان . وكان كل من مرسى بلبع بك وسليمان بلبع من كبار التجار هناك ، كذلك امتلكت عائلة الوكيل ٥٠٠٠

---

(٨٣) احمد الشربينى : المرجع السابق ، ص ٤١ — ٤٢ .
(٨٤) نفس المرجع ، ص ٤٢ — ٤٣ .

فدان ، وعمل كل من بيومى الوكيل ومحمود سليمان الوكيل ومحمد أحمد الوكيل بتجارة الاقطان ، اما عائلة يونس فامتلكت ١٠٠٠ فدان، وعمل عميدها حسين يونس ، وكذلك سعيد يونس والسيد يونس بالتجارة • ولا تختلف عن ذلك عائلات غزال — امتلكت ٢٠٠٠ فدان — وسعد — ٦٠٠ فدان — والكاتب — ٤٠٠ فدان — والزرقا — ٣٠٠ فدان — والخوالقة ٢٠٠ فدان — وعيسى — ٣٠٠ فدان — والحوش — ١٠٠ فدان — (٨٥) • وكذلك عائلة الطوبجى بالمنيا ، التى كانت تعد من كبار الملاك ، وعمل كثير من ابنائها بالتجارة بما فيهم عميدها محمد الطوبجى كبير تجار الاقطان بالمنيا (٨٦) •

والى جانب هذه العائلات التى امتلكت مساحات كبيرة من الاراضى الزراعية وعمل اشهر ابنائها بالتجارة ، وجدت عائلات اخرى امتلكت مساحات كبيرة ، وعمل كل افرادها بالتجارة ، وهذا ما يؤكد انطلاق رؤوس اموالها من فائض العمل التجارى • ومن هذه العائلات ، عائلة والى بكفر الدوار ، التى امتلكت ١٠٠ فدان ، وعمل كل ابنائها بالتجارة (٨٧) •

كذلك وجد من اعيان الريف من جمع بين الملكية الزراعية ، وممارسة التجارة ، فقد عمل محمد على بك محمد بلبع عمدة دمنهور وعضو المجلس البلدى بالتجارة (٨٨) فى الوقت الذى امتلكت فيه اسرته مساحات كبيرة من الاراضى • كذلك امتلك نعمان الاعصر عمدة المحلة حوالى ٢٠٠ فدان ، الى جانب احتراف العمل التجارى (٨٩) •

---

(٨٥) محافظ عابدين ، محفظة ٣٤٧ ، رتب ونياشين العمد والاعيان ، كشوف باسماء العمد واعيان البلاد من الوجهاء وذوى الحيثية المستوطنين بدائرة البحيرة .

(٨٦) نفس المصدر ، كشوف المستوطنين بدائرة المنيا .

(٨٧) نفس المصدر : كشوف المستوطنين بدائرة البحيرة .

(٨٨) الجريدة التجارية المصرية ، عدد ٤٧٩ ، ٢٤ يناير ١٩٢٣ .

(٨٩) محافظ عابدين ، محفظة ٣٤٧ ، رتب ونياشين ، كشوف باسماء اعيان البلاد والوجهاء وذوى الحيثية المقيمين بدائرة مديرية الغربية .

اضافة الى ذلك وجدت اسماء تجارية لمعت فى مجال تجارة الاقطان بصفة خاصة والتجارة المصرية بصفة عامة ، فى نفس الوقت الذى امتلكت فيه مساحات زراعية كبيرة ، منها عائلة يحيى — امين يحيى ثم ابنائه عبد الفتاح وعلى — وأحمد فرغلى وغيرهم (٩٠) .

وقد زاد من الارتباط بين الاستثمارين الزراعى والتجارى بالنسبة للمصريين ، توجه كثير من ذوى الاملاك بعد الحرب العالمية الاولى ، الى المشاركة والمساهمة فى تأسيس الشركات التجارية ، حتى قبل ان يقوم بنك مصر بحث رؤوس الاموال المصرية على التوجه نحو مجالات غير زراعية ، ففى اغسطس ١٩١٩ ظهرت بوادر توجهات الرأسمالية المصرية الى المجال التجارى ، بعد ان كانت منصبة على المجال الزراعى، عندما ساهم حفنة من كبار الملاك المصريين — أمين يحيى وأحمد بك الجمال ومحمد بك طلعت حرب — بمبلغ خمسون الف جنيه فى تأسيس الشركة المصرية لتصدير الاقطان (٩١) .

كما اكتتب كمال صفوت احد كبار الملاك الزراعيين ، مع كثير من المتمصرين وبعض الاجانب بـ ٢٥٠ سهما بلغت قيمتها ١٠٠٠ جنيه — من جملة اسهم الشركة البالغة ١٨٧٥٠ سهما — فى تأسيس « شركة بهرند للتجارة » كشركة مساهمة مصرية يتركز نشاطها حول تسويق الحاصلات المصرية فى الداخل والخارج وكذلك عمليات الاستيراد (٩٢) .

وبانشاء بنك مصر أخذ الملاك الزراعيين المصريين يساهمون بفعالية أكثر فى تأسيس الشركات العاملة بالتجارة والمجالات المساعدة لها ، والتى

---

(٩٠) الجريدة التجارية المصرية ، عدد ٣٣٦٨ ، ٧ نوفمبر ١٩٣٣ ، وعدد ٢٦٢٩ ، ٦ يناير ١٩٣١ ، وعدد ٣٩٩٨ ، ٨ ابريل ١٩٣٦ ، الاهرام ، عدد ١٧٣٢٧ ، ١٩٣٣/٣/٤ ، فتحى عبد الفتاح : المرجع السابق ، ص ١٤٦ .

(٩١) التجارة ، عدد ١١١ ، ١٠ اغسطس ١٩١٩ ، الاهالى ، عدد ٢٧١٥ ، ٤ اغسطس ١٩١٩ « الشركات المصرية » .

(٩٢) محافظ عابدين ، المالية ، محفظة ٢٦٧ « العقد الابتدائى لشركة بهرند للتجارة » .

دارت حول اعداد وتجهيز الحاصلات الزراعية للتصدير • ومن ذلك يتضح الجمع بين الاستثماريين الزراعى والتجارى وهذا ما يوضحه الجدول التـالى :

الشركة	تاريخ التاسيس	عدد الملاك المكتتبين
الشركة المساهمة المصرية لتجارة لاقطان وحلجها	اكتوبر ١٩٢٤	٦
شركة مكابس الاسكندرية	فبراير ١٩٢٥	٢
الكنتوار المصرى للاقطان	اكتوبر ١٩٢٦	١
الشركة المساهمة المصرية لتجارة وحلج الاقطان	اغسطس ١٩٢٧	بنك مصر وكبار ملاك
الشركة المساهمة المصرية للمحاريث	سبتمبر ١٩٢٩	٢
شركة مخازن ايداع الاقطان بالاسكندرية	مارس ١٩٣١	٢
شركة النيل للحليج	اكتوبر ١٩٣٥	٣
الشركة التجارية البلغارية المصرية	نوفمبر ١٩٣٧	١
الشركة التجارية والصناعية	مارس ١٩٣٨	٣

المصدر : ملحق الوقائع المصرية ، عدد ٣٣ ، ٢٣ مارس ١٩٢٥ ، وعدد ١٠١ ، ١٥ اكتوبر ١٩٣١ ، وعدد ١٠١ ، ١٤ نوفمبر ١٩٣٥ ، وعدد ١٠٩ ، ٢٥ نوفمبر ١٩٣٧ ، وعدد ٣٣ ، ١٠ مارس ١٩٣٨ ، صحيفة مصلحة التجارة والصناعة ، ٣ ، العدد الثالث أبريل ١٩٢٧ « الشركات المساهمة التى تأسست فى غضون ١٩٢٧ » ص ٤٠ ، عاصم الدسوقى ، كبار ملاك ص ٩٠ ، ٩٢ ، ٩٣ .

من خلال عينات الشركات الواردة بالجـدول ، يتضـح لنا ان الرأسمالية الزراعية المصرية راحت منذ منتصف العشرينات تساهم فى تأسيس الشركات التجارية التى أخذت فى الظهور . ولم تقتصر هـذه المساهمة على الشركات التى قامت على رأس المال المصرى ، والتى ساهم بنك مصر فى تأسيسها ، كالشركة المساهمة المصرية ، والشركـة المساهمة المصرية للتجارة وحليج الاقطان ، التى مثلت أكبر تجمـع لكبار الملاك الزراعيين فى هذه الفترة ، بل ان نشاطهم امتد الى الشركات الاخـرى التى قام على تأسيسها اجانب من مختلف الجنسيات . فقد ساهم محمد فريد — احد ذوى الاملاك — والتاجـر المصرى البرت موسى مع خمسة من التجـار الاجانب — ٤ من البريطانيين وايطالى — فى تأسيس شركة الكنتوار المصرى للاقطان (٩٣).كذلك ساهم بعض الملاك وغيرهم من المصريين مع خمسة من التجار البلغاريين فى تأسيس الشركة التجارية البلغارية المصرية (٩٤) . كما ساهم كل من محمود صدقى باشا ، وحنا مينا ، والبير عنتيبى ، مع بعض الفرنسيين والالمـان والاسبان فى تأسيس الشركة التجارية والصناعية (٩٥) . كذلك اكتتب كل من أحمد طلعت باشا ، وعبد الله افندى شديد بعدد كبير من الاسهم فى شركة مخازن ايداع الاقطان بالاسكندرية ، الى جانب عدد كبـير من المكتتبين الذين جاءوا فى معظمهم من الالمان (٩٦) . وساهم أيضا كل من حسن باشا مظلوم ، ومحمد عمر سلطان فى تأسيس شركة النيل للحليج مع بعض المساهمين الاجانب من امريكيين ، وبريطانيين ، وايطاليين وسويسريين وروس (٩٧) .

---

(٩٣) صحيفة مصلحة التجارة والصناعة ، السنة ٣ ، عدد ٣ ، ابريل ١٩٢٧ « الشركات المساهمة التى تأسست بمصر فى غضون ١٩٢٧ » ، ص ٣٩ — ٤٠ .

(٩٤) ملحق الوقائع المصرية ، عدد ٥٠٩ ، ٥ نوفمبر ١٩٣٧ .

(٩٥) نفس المصدر ، عدد ٣٣ ، ١٠ مارس ١٩٣٨ .

(٩٦) نفس المصدر ، عدد ١٠١ ، ١٥ اكتوبر ١٩٣١ .

(٩٧) نفس المصدر ، عدد ١٠١ ، ١٤ نوفمبر ١٩٣٥ .

ولا يختلف التجار الشوام عن غيرهم من التجار ، من حيث الاتجاه نحو الجمع بين الاستثمارات فى المجال الزراعى والتجارى فقد اتجـه التجار الشوام كغيرهم نحو امتلاك الاراضى الزراعية ، بعد ان حققوا ارصدة مالية نتيجة لاشتغالهم بالعمل التجارى ، فامتلك ميخائيل الدمشقى التاجر بالاسكندرية ٢٠٠ فدان بالبحيرة،كما امتلك سوتيرى التاجر بطنطا ٥ر٢٤٤ فدان برزقة الشناوى غربية ، كذلك اشترى حبيب لطف الله حوالى ٤٠٣٤ فدان فى سنة ١٩٠٣ من اطيان الدائرة السنية بتفتيش مطاى بمديرية المنيا (٩٨) • علاوة على ذلك امتلك موسى نعيم عبيد كبير تجار ايتاى البارود مساحات زراعية كبيرة بها (٩٩) •

ولم يقتصر الجمع بين الزراعة والتجارة على كبار الملاك ، فقد امتـد الـى متوسـطى وصـغار الملاك (١٠٠) ، لدرجـة قلمـا نجد معهـا بقال القرية أو غيره من تجار الريف ، متجردا من امتلاك مساحات من الاراضى الزراعية ، مع اختلاف حجمهـا من تاجـر لاخـر حسب مستواه المادى • فقد امتلك — على سبيل المثال — سروريحيى التاجـر بالرقة الغربية « جيزة » ٦ ط ٣ س بنفس القرية ، كما امتلك حسن بدوى التاجـر بالجيزة اربعـة افدنة بذات المنطقة ، كذلك امتلك السيد أحمد سالم ، تاجـر الغلال بالجيزة ٣٧ فدان وزعت ما بين ساقية مكى — جيزة — وبعض المناطق بالقليوبية والصالحية ومديرية المنيـا (١٠١) •

وبذلك تداخل التجار مع الملاك الزراعيين على اختلاف مستوياتهم المادية ، بما جعلهم يفتقدون الى ملامح الطبقة المتميزة ، والمنفصلة عن

---

(٩٨) أحمد الشربينى : المرجع السابق ، ص ٤٩ — ٥٠ .
(٩٩) المقطم ، عدد ٨٤١١ ، ١٤ نوفمبر ١٩١٦ .
(١٠٠) للتفاصيل ارجع الى : محافظ عابدين ، محفظة ٣٤٧ رتب ونياشين ، كشوف باسماء الاعيان والوجهاء وذوى الحيثيـة بمديريات الغربية ، المنيا ، أسيوط ، قنا ، الجيزة .
(١٠١) نفس المصدر ، كشوف باسماء المستوطنين بدائرة الجيزة .

باقى طبقات المجتمع المصرى • وان كان ثمة تصنيف اجتماعى لهم فان اقرب التصنيفات التى يمكن أن ينضووا تحتها — ولو على سبيل التجاوز — الفئة • والفئة جمع من الاشخاص غير منتظم فى نسق للتفاعل الاجتماعى، لا يحظى بخصائص او مراكز متشابهة ، يقوم تصنيفها على خاصية اساسية واحدة ، أو مجموعة من الخصائص التى يتماسك بعضها ببعض تماسكا وثيقا ، كالحرفة أو وسيلة الحصول على الدخل أو المال اللازم للمعيشة ، والخلو من الحرفة ، وقد تنقسم الفئة الى فئات أكثر تخصصا ، وقد تقوم فى كل مرة على وجهة نظر محددة تستبعد غيرها من وجهات النظر (١٠٢) •

وهكذا شكل التجار فى مصر فئة اجتماعية اوكانوا أقرب اليها منها الى الطبقة ، وتنقسم هذه الفئة كذلك الى فئات أكثر تخصصا — كبار التجار ومتوسطيهم وصغارهم — ويعزى هذا التقسيم على الرغم من وحدة المهنة ، الى عدم اتساق مستويات الثروة والدخل بين التجار والتى تتجلى فى تنوع المجالات التجارية التى يمارسها كل منهم ، بما يتسق ومستواه المادى • فالعاملون بتجارة الاقطان — على سبيل المثال — لايتسقون من حيث الثروة والدخل على الاطلاق ، وتجار المانيفاتورة أو حتى المشتغلون بتصدير الحاصلات المصرية الأخرى ، ولو ان هناك تقاربا فى المستوى المادى بين جميع التجار لعملوا جميعا بالتجارات كثيرة الربح قليلة المجهود •

واذا كان هذا قد أدى الى عدم التجانس فى التكوين الاجتماعى للتجار فى مصر ، مع وجود قدر واضح من التباين الداخلى ، حتى بين ابناء العرق الواحد ، الا ان بروز مصالح مشتركة بين التجار ، وبخاصة

---

(١٠٢) السيد محمد بدوى : علم الاجتماع الاقتصادى ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ١٩٨٣ ، ص ٣٧٢ ، محمد عاطف غيث : قاموس علم الاجتماع ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٩ ، ص ٤١٣ ، اندريه جوسيان : المرجع السابق ، ص ٣١ .

بين كبارهم ، ادى الى وجود علاقة تقوم على المصلحة المشتركة لم تربط فقط بين التجار الاجانب ، بل ربطت أيضا بينهم وبين كبار التجــار المصريين • وقد فرضت هذه العلاقات ظروف تطور السوق المصرية التاريخية ، والتى جعلت الرأسمالية المصرية الناشئة فى ظل الوجود الرأسمالى الاجنبى ، تعمل بعد ان شبت عن الطوق ، بعد الحرب الاولى، لتجد لنفسها موطىء قدم بالسوق المصرية ، جنبــا الى جنب مع رأس المــال الاجنبى الذى نمت فى ظله وعلى فتاتــه •

فئـــات التجــار :

من الصعوبة بمكان اقامة حــدود دقيقة لفئة كبار التجار داخل المجتمع المصرى ، لاختلاف معيار الثروة بين كبار التجار الاجــانب والمصريين ، ولذلك ننوه الى اننا سنحدد معيار ثروة كبار التجـــار المصريين على مستوى التجار المصريين انفسهم ، اى على اساس نسبة ما يمتلكه كبار التجار المصريين من ثروة ، بالنسبة لاخوانهم من المصريين، لا على أساس معدل الثروة العام للتجار ككل بما فيهم الاجانب ، وبذلك فالتاجــر المصرى الذى يعد من الاعيان اى من كبار التجار ، هو كبير فى منطقته وبالنسبة لبنى جلدته ، وذلك حتى لا يظن ان مستويات الثروة بين كبار التجار الاجانب ، وكبار التجار المصريين قد تقاربت •

والجدير بالذكر ان التجار الاجانب ظلوا يشكلون معظم فئة كبار التجار ، بطول النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، اما حظ العنصر المصرى مــن فئــة كبــار التجــار فقــد ظــل محــدودا للغـــاية الى ما بعد الحــرب العالمية الاولى • لكون نشاطات المصريين فى هذه الفترة فردية محدودة وبسيطة ، جاءت مرتبطة بشكل أو بأخر بعمليات تسويق محصول القطن وملحقاته •

ويعزى تواجد الاجانب بكثرة ضمن كبار التجار ، الى سيطرتهم على تجارة مصر الخارجية تصديرا واستيرادا ، وما يرتبط بهـــا

من عمليات اعداد وتجهيز الفائض الزراعى حتى تصديره ، وكذلك عمليات توزيع الانتاج السلعى بعد استيراده ، من خـلال وكلائـهم بالداخل • وقد ظلت كل هذه العمليات التجارية تنحصر فى يد التجـار الاجانب طيلة النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، والنصف الاول من القرن العشرين — على الرغم من بدء المزاحمة المصرية — حتى كاد ان يكون تصدير محصول القطن ضربا من الاحتكار الاجنبى ، بدليل ان من يستعرض قوائم اسماء مصدريه ، والكميات التى يقومون على تصديرها ، لايلبث ان يرتد بصره حسيرا ، عندما يجدها تخلوا مـن أثر للوطنيين ، اللهم الا بيتـا أو بيتين يصدر احدهما أو كلاهما مقادير حتى أوائل الثلاثينات ، يخجل الغيور ان يذكرها (١٠٣) •

وفى الوقت الذى سيطر فيه الاجانب على معظم حركة التجـارة المصرية — مما فيها التجارة الخارجية — بما جعلهم يشكلون جل كبار التجار ، كان هناك بعض التجار المصريين ، ممن عدوا من كبار التجار ، بالنسبة للتجار المصريين انفسهم ، عملوا بمجالات تجارية مختلفة ، امثال موسى العقاد ، وعبد السلام المويلحى ، وحسن وعبد الخالق مدكور وعبد الحميد السيوفى ، الذين كانوا يمثلون تجار القاهـرة والاسكندرية فى الاجتماعات المختلفـة ، قبل واثنـاء الاحتـلال البريطـانى (١٠٤) •

وقد استمر بعض هذه البيوت فى تخريج عديد من كبار التجار المصريين ممن عملوا بالتجارة فى النصف الاول من القرن العشرين ، فكان بيت مدكور ، ثلاثة من كبار تجار العاصمة ، هم محمد عبـد

---

(١٠٣) الجريدة التجارية المصرية ، عدد ٢٤٣٤ ، ٢١ مارس ١٩٣٠ « الازمة المالية سر تاثيرها فى الوطنيين دون النزلاء » مد د أسعد الولاية ، صحيفة مصلحة التجارة والصناعة ، السنة الخامسة ، العدد الاول ، اكتوبر ١٩٢٨ ، ص ٨٣ .

(104) Deeb, Marius : op. cit, p. 17.

الخالق مدكور — سر تجار مصر وعضو الجمعية التشريعية — ومحمد عبد العظيم مدكور بك ، وسعيد مدكور ، كما كان من بيت السيوفى ، كل من حسين السيوفى باشا ، وعبد الحميد السيوفى . هذا الى جانب عديد من كبار التجار الذين عجت بهم السوق المصرية فى ذلك الوقت امثال حامد الماوردى افندى ، ومصطفى الجمال افندى ، وحسن سعيد باشا وعبد الحميد الكازولى بك ، ومحمود دسوقى الشباس بالقاهرة ، وحكيم بولس جاد الكريم افندى باسيوط ، ومصطفى الصعيدى افندى بميت غمــر ، واولاد القزق بالبحيرة (١٠٥) ، ومحمد بك السراج بالاسكندرية ومحمد حسين حبيب ، ومحمد فتح الباب بالمنيا ، والحاج خليل عفيفى بالزقازيق (١٠٦) .

وغير هؤلاء التجار المصريين الذين عملوا بالتجارة الداخلية ، وعرفوا بكبار التجار والاعيان وذوى الحيثية بالبلاد ، وجد كثير من التجار المصريين ، ممن جمعوا بين الملكية الزراعية والاشتغال بالتجارة، وخاصة تجارة الاقطان ، والذين اتاح لهم مركزهم المالى الثابت فرصة العمل الى جانب كبار التجار الاجانب فى تصدير الاقطان المصرية منذ عشرينات القرن الحالى ، ومن هؤلاء التجار امين يحيى باشا ، وأحمد

---

(١٠٥) لمزيد من أسماء كبار التجار وأعيانهم ارجع الى : عابدين محفظة ٣٤٧ رتب ونياشين « كشوف باسماء أعيان البلاد من الوجهــاء وذوى الحيثية المستوطنين بدائرة مدينة مصر ، والبحيرة ، صـــحيفة الاقتصاد والتجارة ، المجلد الثانى ، العدد الاول ، يناير ١٩٢٦ ، ص ٧٤ — ٧٩ ، نفس المصدر ، المجلد الرابع ، العدد السادس ، نوفمبــر ١٩٢٨ ، ص ٤٧٦ — ٤٨٨ ، نفس المصدر ، المجلد الخامس ، العــدد الثانى ، مايو ١٩٢٩ ، ص ١١١ ، الجريدة التجارية المصرية ، عدد ٦٢٦ ، أول اغسطس ١٩٢٣ .

(١٠٦) التجارة ، عدد ٤٦ ، ١١ ابريل ١٩٢٠ ، مجلة الغـــرفة التجارية المصرية ، العدد ٦ ، ٧ يونية — يولية ١٩١٩ ، ص ٢١٩ ، الجريدة التجارية المصرية ، عدد ٣٤٢٢ ، ١٥ يناير ١٩٣٤ ، وعدد ٣٤٢١ ، ١٣ يناير ١٩٣٤ .

فرغلى ، ومحمد الوكيل ، ومحمد المغازى باشا ، ومرسى محمد بلبع ، واخوان مرسى ، ومرسى محمد وشركاه ، ووهبة برسوم وشركاه ، ومحمود باشا الديب ومنصور باشا يوسف (١٠٧) .

وقد بلغت زيادة استثمارات بعض هؤلاء التجار جدا ، دفعهم الى العمل فى أكثر من مجال استثمارى والمساهمة فى أكثر من شركة ، ومن هؤلاء امين يحيى باشا ، الذى ساهم فى تأسيس عديد من الشركات أهمها شركة التجارة فى الحاصلات المصرية ، وشركة مكابس الاسكندرية وشركة التأمين الاهلية وكذلك شركة الملاحة بالاسكندرية (١٠٨) .

كذلك كان هناك عديد من كبار التجار المصريين عملوا بتجارة الاقطان فى الداخل ، وكانوا ينتمون الى عائلات من كبار الملاك ، منها عائلة الطوبجى بالمنيا ، والوكيل وغزال بدمنهور ، وعقدة بالدلنجات ، وفرغلى بالاسكندرية (١٠٩) .

وقد تبلور لدى كبار التجار فى مصر احساس بالمصلحة المشتركة ، لذلك ارتبطوا مع بعضهم البعض ، فى جمعيات احيانا واتحادات أحيانا اخرى ، اقتصرت العضوية فى بعضها على الاجانب ، وبعضها على المصريين ، والبعض الاخر ضم العنصرين معا .

ونظرا لضآلة الدور الذى كان يلعبه كبار التجار المصريين بالسوق

---

(١٠٧) الجريدة التجارية المصرية ، عدد ٢٨٠١ ، ١٤ سبتمبر ١٩٣١ ، مجلة غرفة القاهرة — السنة الثالثة ، العدد العاشر ، ديسمبر ١٩٣٩ ، ص ١٢٨٩ ، صحيفة مصلحة التجارة والصناعة ، السنة الاولى ، العدد الثالث ، ابريل ١٩٢٥ ، ص ٦٩ — ٧٠ .

(١٠٨) الجريدة التجارية المصرية ، عدد ٣٣٦٨ ، ٧ نوفمبر ١٩٣٣ ، وعدد ٢٦٢٩ ، ٦ يناير ١٩٣١ .

(١٠٩) محافظ عابدين ، محفظة ٣٤٧ « رتب ونياشين » كشوف بأسماء اعيان البلاد من الوجهاء وذوى الحيثية بالبحيرة والمنيا ، الجريدة التجارية المصرية ، عدد ٣٥٧٣ ، ١٠ اغسطس ١٩٣٤ ، وعدد ٣٣٠٥ ، ١١ اغسطس ١٩٣٣ ، التجارة ، عدد ٩٣٥ ، ٢٣ اغسطس ١٩٣٢ .

المصرية ، فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر فقد افتقدوا التمثيل فى تجمعات التجار الاجانب ، بدليل ان شركة المحاصيل العمومية ، التى تأسست فى اوائل ثمانينات القرن التاسع عشر ، جاءت خلوا من العناصر الوطنية ، وبالتالى مثلت اول تجمع لكبار التجار الاجانب فى مصر • وقد انبثقت هذه الشركة عن الجمعية التى عقدت من تجـار الاسكندرية ، وسماسرتها الاجانب فى ١٧ يناير ١٨٨٣ ، ثم تألفت الشركة فى ٢٤ يناير من العام نفسه ، واخذت منذ ٢٦ مايو ١٨٨٤ تقوم على ادارة المعاملات الخاصة بتجارة الاقطان ، التى قام عليها الاجانب، ولذلك جاءت القوانين المنظمة لهذه التجارة والتى وضعتها فى خدمـة الاجانب ، لانها وضعت بيدهم ، كما اشرفوا بأنفسهم على تنفيذهـا، ومن ثم جاءت تخدم مصالحهم وتدافع عنها بالدرجة الاولى • والـى جانب هذا التجمع للاجانب ، كانت هناك الغرف التجارية الاجنبيـة لتى بدأ الاجانب فى انشائها منذ العقد الاخير من القرن التاسع عشر لحماية مصالح تجارهم والدفاع عنهم (١١٠) •

وبعد الحرب العالمية الاولى • ظهرت اتحادات مشـتركة بين الرأسماليين التجاريين المصريين والاجانب ، بعد ان احست الرأسمالية الاجنبية بأن الرأسمالية المصرية قد شبت عن الطوق ، ومن ثم عملت على التنسيق معها بدلا من الاصطدام بها • ففى اواخـر سنة ١٩١٩ ، تألفت بالاسكندرية جمعية اطلق عليها « جمعية تجار القطن » ضمت كل من التجار المصريين والاجانب ، وكان من بين المصريين الذين انضموا اليها حسن افندى محمد حسن احد تجار مينا البصل ، ومنصور يوسف باشا سر تجار الاسكندرية ، ومرسى افندى بلبـع ، والحاج محمـد النجيلى ، ومحمد افندى المغازى ، والشيخ حسن يونس (١١١) •

---

(١١٠) احمد الشربينى : المرجع السابق ، ص ٣٦ — ٣٧ ، ٢٣٥ — ٢٣٨ •

(١١١) الاهالى ، عدد ٢٧٢٦ ، ١٦ اغسطس ١٩١٩ •

هذا فضلا عن كل من اتحاد الصـــناعات المصرية ، واتحـــاد التجـــار السكندرى اللذين ضما عناصر وطنية الى جانب الاجانب .

وشهدت أيضا فترة ما بعد الحرب الاولى تأسيس تجمعات ضمت التجار المصريين دون الاجانب ، ففى أوائل سنة ١٩٢٠ اجتمع لفيف من تجار الاقطان المصريين ، وقرروا انشاء نقابة لتجار الاقطان بمصر اطلق عليها « نقابة تجار الاقطان المصرية » مركزها الاسكندرية ، بغرض الحفاظ على مصالح كل من تجار الاقطان والمزارعين وعـــدم تلاعب بهم . وتم انتخاب لجنة تنفيذية من كبار التجار بالاسكندرية للتحضير للمشروع ، منهم محمد محمد العتال ، ومحمد بك مفتاح ، وحسن افندى حسين ، ولبيب افندى ابراهيم ، وعلى نجاتى ، ومحمود بك الوكيل ، وعبد السلام بك الدليل ، وجورجى افندى جرجس ، وسليمان افندى محمد ، وأيوب افندى يوسف (١١٢) .

اضافة الى ذلك اخذ التجار المصريون يلتفون حول الغـــرف التجارية التى راحوا يؤسسونها بكل انحاء مصر ، على يد اعيان التجار ، لحماية مصالحهم والدفاع عن حقوقهم ، وتكوين رأى عام تجارى سليم فى البلاد ومعاونة الحكومة على بحث جميع المسائل التجارية والصناعية ، ويرجع عهد التجار المصريين بالغرف التجارية الى سنة ١٩١٣ ، عندما انشأ تجار العاصمة اول غرفة تجارية مصرية ، الا انها لم تتقـــدم للتجار وخاصة صغارهم شيئا يذكر حتـــى نهاية الحـــرب الاولى ، وبنشاط جميع المرافق الاقتصادية فى البلاد منذ ١٩٢٠ اخـــذ التجـــار المصريون يتحركون من سباتهم لاحياء الغرف التجارية ، فاجتمعت نخبة ممتازة من تجار مصر فى سنة ١٩٢١ لتنشيط عمل غـــرفة القاهـــرة التجارية ، بعد ان حددوا مكانها . وتعتبـــر هذه الخطوة بحق أول عهد هؤلاء التجار بالاهتمام لايجاد نقابة تحمى مصالحهم وتدافع عنهم ، وتثبت كيانهم بالسوق المصرية ، ومنذ ذلك الحين توالى انشاء الغرف

---

(١١٢) التجارة ، عدد ١٤٢ ، ١٤ مارس ١٩٢٠ .

التجارية بانحاء مصر ، فوجدت غرفة بميت غمـر واخـرى بالفيـوم وغيرها من المدن المصرية • ثم جاءت سنة ١٩٣٣ لتشهد اعتراف الحكومة المصرية بالغرف التجارية والتدخل فى تشريعاتها (١١٣) •

وهكذا شكل التجار الاجانب معظم فئة كبار التجار والى جانبهم بعض كبار التجار المصريين ، الذين لم يرتفع مستواهم المـادى الى مستوى الاجانب،بل جاء ارفع من مستوى نظرائهم من المصريين،وبالتالى اعتبروا بالنسبة لهم اعيان البلاد وذوى الحيثية بها • وقد عمل معظم كبار التجار المصريين فى تجارة الداخل ، فى حين ان قلة منهم عملت بالتجارة الخارجية خاصة بعد الحرب العالمية الاولى ، مما أدى الى ظهور مصالح مشتركة تجمع بينهم وبين كبار التجار الاجانب ، أدت فى النهاية الى ارتباطهم سويا فى عدة تجمعات تجارية للعمل من أجل تحقيق هذه المصالح المشتركة والحفاظ عليها • والى جانب هذا اتجه بعض كبار التجار من المصريين الى الانخراط فى اتون نقابات مصرية لحماية مصالحهم والدفاع عنها •

وتلى فئة كبار التجار ، فئة متوسطى التجار ، وتتمثل فى متوسطى الملاك الذين دأبو على تسويق حاصلاتهم الزراعية بانفسهم ، وبالتالى اسـتمدوا دخلهم عـن طـريق الارباح التجارية ، وكذلك التجـار الذين كانوا يشكلون الى جانب المحامين والصحافيين وغيرهم من اصحاب

---

(١١٣) الجريدة التجارية المصرية ، عدد ٣٨٤٢ ، ١٣ اغسطس ١٩٣٥ « خطبة احمد نجيب الهلالى بك وزير التجارة والصناعة فى زيارته للغـرفة المصرية التجارية للقاهرة » ، وعدد ٣١٧ ، ٥ يوليو ١٩٢٢ ، التجارة ، عدد ٢٤٢ ، ١٦ أبريل ١٩٢٢ ، محمود متولى : الاصول التاريخية للراسـمالية المصرية وتطورها ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٤ ، ص ١١٥ .

(١١٤) محمود ابراهيما لشواربى : دور الفلاحـين فى المجتمـع المصرى فيما بين ١٩١٩ — ١٩٥٢ ، رسالة دكتوراه غير منشورة بمكتبة جامعة الاسكندرية ، ص ١٠٥ .

المهن الحـــرة ، الطبقة الوسطى (١١٥) • التى تضم كتلا بشرية هائلة لاتجانس بين اجزاءها نظرا لاختلافهم اختلافا كبيرا ، حتى ليتساءل البعض عما اذا كانت تشكل حقيقة وحدة طبقية (١١٦) •

اما فئة صغار التجار ، فقبل ان نحددها ، هناك سؤال يطرح نفسه هو ، هل هناك حدود مادية ملموسة نستطيع ان نقف عندها ونقـــول من هنا يبدأ تصنيف فئة صغار التجار ؟ فى الواقع لانستطيع ان ندعى ان هناك حدودا مادية يمكن ان نصنف صغار التجار على أساسها ، ليس لصعوبة ذلك فحسب بل ولاستحالة • ولكننا سنعتمد على النســب الواردة بالتعدادات التجارية والصناعية ــ تجــاوزا ــ للبحث عن محكات يمكن استخدامها لتحديد الوضعية الاقتصادية لفئة صـــغار التجـــــار •

وقد اشارت هذه التعدادات الى اعداد المتاجــر الموجودة بمصر وتطورها بين سنتى ١٩٢٧ و ١٩٣٧ ، والتى بموجبها وجدنا فى سنة ١٩٢٧ متاجــر بلغت ١٠٠٧٨٨ عملت فى كل السلـــع بالـــداخل من المنسوجات وحتى البقالة ، وكان ٥٣٪ من جملة هذه المتاجــر يعتبــر من الدرجة السفلى ، أى غير معين بها مستخدمين ، او بمعنى آخـــر تقوم على اصحابها فقط ، وفى سنة ١٩٣٧ بلغ عدد هذه المتاجـــــر ١٣٨٦٧٥ منها ٧٤ ٪ تعد من الدرجة السفلى • اما باقى المتاجــر فمنها ما استخدم من مستخدم الى اربع مستخدمين ، اما ما استخدم منها ما فوق ذلك ، فلم يتعد ٣٪ من جملة المتاجر فى التعدادين ، والبيان التالى يوضح ذلك :

---

(١١٥) احمد زكريا الشلق : حزب الاحرار الدستوريين ١٩٢٢ — ١٩٥٣ ، الطبعة الاولى ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٢ ، ص ١١٣ •

(١١٦) محمد ثابت : المرجع السابق ، ص ١٩٠ •

الحـــالة	١٩٢٧	١٩٣٧
عدد المتـــاجر	١٠٠٧٨٨	١٣٨٦٧٥
نسبة التاجر السفى الى جملة المتاجر	٥٣ ٪	٧٤ ٪
من يستخدم من ١ الى ٤ مستخدم	٤٤ ٪	٢٣ ٪
من يستخدم من ٥ الى ٩ مستخدم	٢ ٪	٢ ٪
من يستخدم أكثر من ٩ مستخدم	١ ٪	١ ٪

المصدر : جمال الدين محمد سعيد : التطور الاقتصادى فى مصر ، الطبعة الاولى ، مطابع رمسيس ، الاسكندرية ١٩٥٤ ، ص ١٩٨ — ١٩٩ ، ٢٣٤ — ٢٣٥ .

ومن البيان يتضح سيادة الحجم الصغير للتوزيع فى الداخـــل ، وبالتالى فان القائمين على التجارة الداخلية كانوا فى معظمهم من صغار التجار طيلة فترة الدراسة ، خاصة اذا ما أخذنا فى الاعتبار ان معظم هذه المتاجـــر قد نما فيما بين سنتى ١٩٢٨ — ١٩٣٧ بنسبة ٥٤ر٦٦٪ الى جملة المتاجـــر فى سنة ١٩٣٧ ، بينما ٧٥ر١٦ ٪ نما فيمـــا بين ١٩١٨ — ١٩٢٧ ، و ٧٠ر٦ فيما بين سنتى ١٨٩٨ — ١٩١٧ و ٦٤ر٠٪ فيما بين سنتى ١٨٧٨ — ١٨٩٧ و١٣ر٠ ٪ ١٨٥٨ — ١٨٧٧ و٠٣ر٠٪ ١٨٣٨ — ١٨٥٧ ، ثم ٠٢ر٠٪ قبل ١٨٣٧ ، اما الـــ ١٩ر٩٪ المتبقيـــة فلم يعرف عنها سنة التأسيس (١١٧) .

واذا كان نصيب التجار المصريين من هذه المتاجـــر قد بلغ ٩٥٪ ، فانهم بذلك كانوا يشكلون معظم فئة صغار التجار ، أما الـــ ٥٪ المتبقية من جملة المتاجـــر ، فخصت العنصر الاجنبى (١١٨) .

(١١٧) عاصم الدسوقى : المرجع السابق ، ص ٣٤ .
(١١٨) نفس المرجع : ص ٣٣ .

ويجب التنويه فى هذا المقام الى ان وجود العنصر الاجنبى ضمن صغار التجار كان موقوتا ومرهونا فى معظم الاحيان بقدرته على تكوين ثروات من وراء العمل التجارى الصغير تلحقه بمجالات تجارية ارفع مستوى ، ولهذا كانت دماء صغار التجار من الاجانب فى تجدد مستمر • او بمعنى آخر كانت العناصر التجارية الاجنبية الصغيرة فى حراك صاعد مستمر ، وهو ماكان غير متوفر للعناصر التجارية الوطنية •

فكان التجار الاجانب الذين يبدأون ، بداية متواضعة ، يجازفون بمجرد وصولهم الى مصر لبعض القرى النائية — جاء اليونانيون فى مقدمة هذه النوعيات وكذلك اليهود والشوام — للعمل فى اقراض الفلاحين وممارسة التجارة والبقالة ، والتى سرعان ما يحققون من ورائها اموالا جعلت كثيرا منهم يقتنى مساحات من الاراضى الزراعية ، والبعض الاخر ينتقل بنشاطه التجارى الى المدن الرئيسية ، حيث العمل بمجالات تجارية واقتصادية جديدة ، بعد ان كانوا قد جاءوا الى مصر ، وهم لا يمتلكون من حطام الدنيا شيئا سوى بضاعتهم المعهودة ، والمتمثلة فى الاقتصاد والتدبير (١١٩) •

ولهذا افتقد صغار التجار الاجانب الى المصالح المشتركة التى تدفعهم الى توحيد الجهود ، كتلك التى توفرت لدى كبار التجار ، فنيما عدا الغرف التجارية الاجنبية التى التف حولها التجار الاجانب، على اختلاف مستوياتهم المادية ، لم نسمع عن اتحادات او نقابات اسسها صغار التجار الاجانب للذود عن مصالحهم والدفاع عنهم ، باستثناء صغار التجار اليونانيين ، الذين ظلوا من اكثر التجار الاجانب

---

(١١٩) محمد طلعت حرب : علاج مصر الاقتصادى ، مشروع بنك المصريين ، مطبعة الجريدة ، القاهرة ١٩١١ ، ص ١٣ — ١٥ ، رءوف عباس : المرجع السابق ، ص ٥٣ ، ٦٤ ، ١٤٥ ،
Deeb, Marius, op. cit. p. 18.

تمسكا بالعمل فى الريف المصرى ، ولذلك كانوا عادة ما يؤسسون لانفسهم نقابات تجمعهم ، وتوحد بين اهدافهم وتدافع عنهم ، منها على سبيل المثال « نقابة البقالين اليونانيين » (١٢٠) .

واذا كانت الغرف التجارية الاجنبية — الانجليزية والفرنسية والايطالية والالمانية والسويسرية واليونانية — التى انتشرت ما بين القاهرة والاسكندرية ، قد افادت صغار التجار الاجانب بقدر ما كانت تفيد كبار تجارهم ، فان الغرف التجارية المصرية كانت على العكس من ذلك ، نظرا لضعف ميزانيتها ، وانعدام روح التعاون بين اعضائها ، وعدم وجود رقابة حكومية منظمة عليها لضمان ارشادها ومساعدتها ماديا وادبيا ، ولهذا عجزت عن تحقيق الخدمات اللازمة للتجار ، والتى كانت تنتظر من ورائها . وهذا مادفع الحكومة الى التدخل لاصلاح ما بالغرف التجارية من خلل ، عندما اصدرت قانون الغرف التجارية سنة ١٩٣٣ ، والذى حلت بمقتضاه الغرف التجارية القديمة ، واعيد تكوينها طبقا لهذا القانون ، كذلك اخذت مصلحة التجارة والصناعة ، تقدم لها المساعدات المادية والمعنوية لانجاح مهمتها (١٢١) .

ولهذا ظل التجار المصريون ، وبخاصة صغارهم حتى اوائل ثلاثينات القرن الحالى يفتقدون الى روح التعاون ، والثقة المتبادلة ، لدرجة ان أحد اعضاء غرفة القاهرة شكا مر الشكوى ... من عدم اقبال التجار على الغرفة وانصرافهم عن الاشتراك فيها ... (وعلى الرغم من) ... بذل رئيسها جهودا لتخفيض قيمة الاشتراك الى جنيه واحد « للعضو » وترغيبه التجار وعنايته بمصالحهم عناية تستدعى اقبالهم على الغرفة واشتراكهم فيها ... (الا ان) ...

---

(١٢٠) التجارة ، عدد ٤٥٦ ، ٢٢ مايو ١٩٢٥ .

(١٢١) حسين على الرفاعى : تشجيع الصناعات الاهلية ، صحيفة مصلحة التجارة والصناعة ، السنة ١١ ، عدد ٢ ، فبراير ١٩٣٥ ، ص ٣٢٩ .

عدد المشتركين فيها لايزيد عن سبعة واربعين مشتركا (فى سنة ١٩٢٢) فى حين ان المشتركين من التجار الانجليز فى غرفتهم التجارية (بلغ) ١٧٠٠ تاجــر » (١٢٢) .

ونتيجة عيش صغــار التجار فى طى النسيان بالنسبة للغــرف التجارية المصرية،فقد تحملوا معظم حالات الارتباك والكساد التىأخذت تنتاب السوق المصرية من وقت لاخــر منذ بداية القــرن العشرين ، وحتى قيام الحــرب العالمية الثانية ــ ازمة ١٩٠٧ ، وظروف الحــرب الاولى ، وازمة الكساد العالمى ــ ففى كل الظــروف استغل المستوردون ــ الذين جاءوا من الاجانب فى معظمهم ــ جهل التجار المصريين بحركة الاسواق صعودا وهبوطا ، وعملوا على تصدير مثل هذه الازمات اليهم، من خلال التخلص من البضائع التى تحت ايديهم ، وتسليمها للتجــار المصريين ، ولو على آجال طويلة ، وذلك بمجرد احساسهم باية بارقةسوء اقتصادية قد تلوح فى الافق،وهذا ما اوقع كثير من صغار التجار المصريين فى شرك الافلاس الناجم عن انتكاسهم وعجزهم عن تسديد ديونهم ، فى الوقت الذى كانت تمسك فيه البنوك يدها عن اقراضهم (١٢٣) .

ولذلك انتشرت ظاهــرة الافلاس بين صغار التجار المصريين ، منذ اواخــر العقد الاول من القــرن العشرين ، فعلى اثــر ازمة ١٩٠٧ ، اعلن عن اشهار افلاس كثير من التجار فى مصر ، لدرجة ان المحكمة قضت فى اسبوع واحــد بالحكم فى ٥٥ قضية افلاس تدور فى معظمها حول اشهار افلاس تجار مصريين (١٢٤) .

---

(١٢٢) صحيفة مصلحة التجارة والصناعة ، السنة ٥ ، العدد الاول ، اكتوبر ١٩٢٨ « غرفة مصر التجارية » ص ٨٢ ،الجريدة التجارية المصرية ، عدد ٣١٦ ، ٤ يوليو ١٩٢٢ .

(١٢٣) صحيفة مصلحة التجارة والصناعة ، الســنة الخامسة ، العدد الاول ، اكتوبر ١٩٢٨ « غرفة مصر التجارية » ، ص ٨٢ ــ ٨٣ .

(١٢٤) احمد الشربينى : المرجع السابق ، ص ٤٧ .

ثم جاءت ظروف الحـــرب العالمية الاولى ، لتوجه ضربة قاتلة للتجار بصفة عامة ، وصغارهم بصفة خاصة ، بشكل ادى الى اشهار افلاس اعداد هائلة منهم (١٢٥) • وبعد الحــرب لم تنقشع سحابة الافلاس التى سلطت على التجار المصريين ، وتشير القرائن التاريخية . الى ارتفاع اعداد التجار الذين تعرضوا للافلاس اثناء ازمة الثلاثينات، التـــى اشـــاعت حالة من الكساد الاقتصادى بالبلاد ــ قلة النقود ، توقفت حركة البيع والشراء،تزايد العرض وقلة الطلب . انخفاض اسعار السلع ــ بدرجة هددت التجارة بقدر ما هددت باقى الفئات الاجتماعية المصرية الاخــرى (١٢٦) •

هكذا شكل المصريون معظم صغار التجار ، كما شكل الاجانب معظم كبارهم ، ولما كان هؤلاء التجار الصغار يفتقدون الى الخبــرات وكذلك المساعدات من جانب الغرف التجارية المصرية ، فقد تعرضوا لحالات كثيرة من الافلاس شكلت ظاهــرة بينهم •

من العرض السابق يتضح ان من اوجـــه القصـــور فى ســـياسة محمد على الاقتصادية ــ على الرغم من مزاياها المتعددة ــ تغييب فرص

---

(١٢٥) محافظ عابدين ، محفظة ٥٣٩ ، التماسات التجار ، التماسة فى ٣ يناير ١٩١٦ ، الشعب ، عدد ٧٦٣ ، ٦ اغسطس ١٩١٤ ، وعدد ٧٦٩ ، ١٣ اغسطس ١٩١٤ والازمة التجارية فى مصر أسبابها وادواؤها .

(١٢٦) لمزيد من التفاصيل لاعداد التفاليس ارجع الى ، الاهرام ، عدد ١٦٧٣٣ ، ١٠ يوليو ١٩٣١ « الازمة التجارية وتفريجها » صحيفة مصلحة التجارة والصناعة ، السنة ١١ ، عدد ١١ نوفمبر ١٩٣٥ ، ص ٢٠٣٢ ، المجلة الاقتصادية المصرية ، السنة الاولى ، العدد الاول ، مايو ١٩٣٠ « بنيامين بوتاجى : تزعزع الثقة المصرية ، مذكرة عن الحـــالة التجارية بالقطر المصرى » ، ص ٩ ، الجريدة التجارية المصرية ، عـــدد ٢٣٧٧ ، ٩ يناير ١٩٣٠ « من تقرير السنة الثانية لغرفة مصر التجارية » وعدد ٢٥٨٠ ، اول نوفمبر ١٩٣٠ ، وعدد ٢٩٧٦ ، ٢٤ مايو ١٩٣٢ •

التطور الطبيعى للرأسمالية المصرية ، وكان لذلك أثارة السلبية على السوق المصرية بعد ان ضربت تجربة محمد على الاقتصادية من قبل الدول الغربية عندما تدخلت وفرضت معاهدة لندن ١٨٤٠ بقوة السلاح.

وبالشروع فى تنفيذ نصوص هذه المعاهدة ، اخذ دور الدولة الاقتصادى فى الغياب . فى الوقت الذى فتحت فيه ابواب مصر على مصراعيها امام الاجانب . وافتقد المجتمع المصرى الى البديل الذى يرث دور الدولة ، ولذلك جاء الاجانب وفى ركابهم اموالهم ليحلوا محل الدولة فى توجيه الاقتصاد المصرى لخدمة مصالحهم بشكل فج .

وقد ورث دور الدولة التجارى ، تجار انتموا الى اصول عرقية مختلفة ، افتقدوا التجانس مع وجود قدر واضح من التباين الداخلى ، هذا الى جانب تداخلهم بمرور الوقت مع الملاك على اختلاف مستويات ملكياتهم ، وذلك للارتباط الواضح فى التجربة المصرية بين الزراعة والتجارة ، ولهذا لم تتضح فى التجار بمصر ملامح الطبقة المتميزة ، والمنفصلة عن باقى طبقات المجتمع المصرى ، كما انهم لم يشكلوا جزءا من الطبقة الوسطى ، كما كان سائدا فى المجتمعات الغربية، بل انهم كانوا اقرب الى الفئة الاجتماعية منها الى الطبقة . وقد انتظمت فئة التجار بمصر ، كبار التجار ومتوسطيهم وصغارهم .

أما كبار التجار فقد شكل الأجانب معظمهم ، والى جانبهم بعض المصريين الذين تميزوا بمستوى مادى يفوق غيرهم من المصريين . والملاحظ أن العلاقة بين الرأسماليين التجاريين المصريين ، وكبار التجار الاجانب لم تصل حد التناقض ، بل ساد بينهما نوع من الارتباط والتعاون الذى وصل فى بعض الأحيان الى العمل لحسابهم ، والذى يعزى الى المصلحة المشتركة لكل منهما .

وفى مقابل فئة كبار التجار التى جاءت فى معظمها من الأجانب ، جاءت فئة صغار التجار فى معظمها من المصريين ، الذين

افتقــدوا الى نقابات تذود عن مصالحهم ، وتدافع عنهم ، ولهـــذا كانوا عرضة لمخاطر الافلاس التى حاقت بهم على طول الخط ، على الرغم من وجود غرف تجارية مصرية انتشرت بطول البلاد وعرضها ، وما بين الفئتين وجدت الفئة الوسطى ، وكانت أقل الفئات التجارية عــددا .

المراجعـات والتقـارير وعرض الكتب

قاعـــة بحـــث

فى العمـــارة والفنـــون الاسلامية(*)

تأليـــف

الأســـتاذ الدكتـــور/ حســـن الباشـــا
استاذ الفنون الاسلامية بجامعة القاهرة

عرض وتحليل
د. محمـــود عرفة محمـــود
كلية الآداب ـــ جامعة القاهرة

على الرغم من المؤلفات العديدة التى اختصت بالبحث العلمى ومناهجه فى مجال العلوم المختلفة ، الا أنها اهتمت بالجانب النظرى والقواعد العـــامة دون التطرق الى التطبيقات العمليـــة ، ومن هنا يأتى هذا الكتاب الكبير ليقدم لقراء العربية عامة والباحثين بمختلف مستوياتهم بصفة خاصة أساليب التطبيق العملى للقواعد العـــامة فى مجال البحث العلمى بأسلوب رشيق ، شـــيق ، مبســـط ، وبذلك فهو يســـد فراغا كبيرا مما تعانيه المكتبة العربية ، وفضـــلا عن ذلك فهو يعد مرشـــدا طيبا ينير الطريق للباحثين ويأخذ بأيديهم الى عالم البحث العلمى الجـــاد ، وهاديا يقود خطاهم الى كنـــوزه ومنابعه التى لا تنضب .

ان كتـــاب قاعة بحث فى العمارة والفنون الاسلامية ، يقـــدم لنـــا عمـــلا جديدا متميزا ، ونموذجا رصـــينا للباحثين القـــدامى والجدد على الســـواء ، ومرجعا شـــاملا لموضوع جاد يلقى اهتمام العلمـــاء المعاصرين والقدامى وكل مريد لانتاج علمى على أســـس أكاديميـــة .

(*) الناشر : دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٨٨ .

كما أن هذا الكتاب يعتبر أول مؤلف باللغة العربية يهتم بالبحث العلمى وأسسه وأساليبه نظريا وتطبيقيا فى وقت واحد ، وهو مع سلاسته ودقته وأهمية موضوعه ، فقد اشتمل على العـديد من المحـاور والموضـوعات الأكاديميـة ، المتصـلة اتصـالا وثيقـا بموضوعات هذا الكتاب .

صـدر قاعة بحث فى عام ١٩٨٨ عن دار النهضة العربية ، ويقع فى أربعمائة وخمسين صفحة من القطع المتوسطة ، ويشـتمل على مقدمة وثمانية فصـول رئيسـية ، فضـلا عن كشـاف الاعـلام والأماكن والمؤسسات والمصطلحات ، الى جانب ثلاثين شكلا تجسد النماذج المختلفة لمجالات علم الآثار الاسلامية .

جاءت الفصـول الثمانية التى احتـواها الكتاب مترابطـة ، متتالية ، ومتلاحقة من حيـث اهتماماتها ، ومن حيث موضـوعاتها المحورية التى دارت حولهـا ، وفصول الكتاب هى : موضوع البحث ، خطة البحث ، المصـادر ، المادة العلمية ، الابداع ، الكتابة ، النشر والتحقيق ، الملاحـق .

عـرض المؤلف فى مقدمة الكتاب للتعريفـات المختلفة للبحث العلمى ، والمحاور الأساسية العامة والخاصـة التى تدور حولهـا الفصول الثمانية ، وأهميتها للمشتغلين بالبحث العلمى والدراسات الأكاديميـة .

الفصـل الأول : موضـوع البحث :

عرض المؤلف فى هذا الفصل لثلاثة مباحث هامة وأساسية هى : تعريف البحث ، واختيار موضوع البحث وصـلاحيته ، وقدرات الباحث . أشـار المؤلف فى المبحث الأول الى تسميات البحـوث المختلفة ، والتى تعد رسـالة الدكتوراه أرقاها ، الى جانب البحث العلمى المنشور فى مجلة علمية متخصصة ، أو الذى يقرأ فى مؤتمر علمى أو ندوة علمية متخصصة . بينما يعد البحث المدرسى هو أقلها

قيمة ، فهو لا يعدو أن يكون جمع معلومات وترتيبها أو وصف أثر أو تحفة دون مقارنة أو تأصيل .

وبالنسبة لاختيار موضوع البحث وصلاحيته ، فقد أوصى المؤلف الباحثين أن يتحروا دراسة موضوعات أصيلة (جديدة لم تسبق دراستها) ، وعدم اختيار الموضوعات الصعبة أو التى تتعارض مع اتجاهات بعض الجامعات ، وأن تكون الموضوعات المختارة محددة غير متشعبة خالية من أى غموض ، معطاءة تتوافر لها المصادر والمراجع المختلفة .

وأما بالنسبة للمبحث الثالث ، قدرات الباحث ، فقد عرفها المؤلف بامكانات الباحث وخبراته ، وعلى ذلك يجب أن يكون الباحث ملما بالعلوم المرتبطة بموضوع البحث وأن يكون مؤهلا وعلى استعداد لفهمها . وفضلا عما سبق فيجب أن تتوافر فى الباحث قدرات ومهارات خاصة فمنها ، ضرورة اتقان الرسم المعمارى وانشاء المبانى مثلا بالنسبة للباحث فى موضوعات العمارة الاسلامية .

كما يلزم أن يلم الباحث بلغات معينة عند تناول موضوعات متخصصة ، ويلزم لدارسى الآثار خبرة كافية فى مجال أعمال التصوير الفوتوغرافى ولا سيما التقاط الصور الأثرية .

اختتم المؤلف الفصل الأول بالتركيز على صياغة عنوان البحث والاشارة الى أهمية ذلك ، لأن عنوان البحث هو واجهته ومدخله والدليل عليه ، وهو الذى يعطى الانطباع الأول عن مضمونه وقيمته . لذلك يجب مراعاة وضوح دلالته على الموضوع ، ودقة التعبير ، والخلو من الألفاظ الغريبة وملاءمته للمجتمع والجهة العلمية المقدم لها البحث .

الفصل الثانى : خطة البحث :

تناول المؤلف فى هذا الفصل ثلاث نقاط هامة أساسية هى على

التــوالى : وضع الخطة ، وأقسام الخطة ، وعناصر البحث . أشار المؤلف الى أهمية وضع خطة البحث قبل دراسته وقبل جمع مادته ، وبالنسبة لأقسام الخطة فقد أوضح المؤلف الاسلوب الأمثل لوضع خطة البحث وذلك بتقسيم الموضوع الى أقســام رئيسية يمثل كل قسم منها عنصرا رئيسيا من عناصر الموضوع ، ويقسم كل عنصر رئيسى الى أقســام فرعية ، وقد يقسم العنصر الفرعى الى عناصر تابعة له ، وفى هذا الصدد يمكن للباحث أن يتبع الاسلوب الرأسى أو التاريخى ، والأخير هو الأنسب للموضوعات التاريخية ، بينما يكون الافقى مناسبا للموضوعا تالحضارية أو الأثرية . وفى حالة تقسيم الموضــوع الى فصول ، فيتعذر الاقتصار على أسلوب واحد .

أما بالنسبة لعناصر البحث ، فقد أشار المؤلف الى أنه يجب على الباحث تدوين كل ما يعن له من عناصر وتفاصيل متصلة بموضوعه وتصنيف هذه العناصر الى عناصر أساسية وعناصر فرعية وعناصر ثانوية . ثم يدرج تحت كل عنصر أساسى العناصر الفرعية التابعــة له ، وترتيب كافة العناصر ترتيبا منطقيا حسب نــوع كل عنصر وتسلسله ، وعليه أن يحــدد لكل عنصر رئيسى أو فرعى عنــوانا مصــاغا . وقد اختتم المؤلف هذا الفصــل بوضع نماذج تفصيلية لخطط بعض رسائل الماجستير والدكتوراه فى مجال الآثار والفنون الاسلامية ، وذلك لتوكيد الجانب التطبيقى الذى ينفرد به هــذا المؤلف الضخم .

الفصــل الثــالث : المصــــادر :

يشتمل هذا الفصل على عدة موضوعات أساسية هى : أهميــة اعداد المصــادر والمراجع ، وأنواع المصــادر وتدوينها ، ونقــد المؤلفات ، والوثائق وكيفية الحصول عليها ، والمصادر المــادية ، والمصادر غير المباشرة . وقد عرض المؤلف لأهمية اعداد المصــادر التى توفر للباحث الالمام بالدراســات المتعلقة بموضوع بحثه ، وفى سبيل ذلك يتعين عليه أن يعد المصــادر والمراجع التى تناولت عناصر

موضوعه من قريب أو بعيد ، وبطريقة مباشرة أو غــير مبــاشرة . وبالتفصيل أو بالتعميم ، ومن خلال الاعداد الجيد للمصادر يستطيع الباحث أن يلم بحجم موضوعه وبالتالى تقدير الزمن اللازم لدراسته والانتهاء منه ، وفضــلا عن ذلك يتسنى الباحث معرفة المراجع التى فى متناول اليد ، وتلك التى يحتاج الاطلاع عليها الى سفر أو مراسلة أو اتصالات أخرى ، فيمكن التخطيط منذ البداية للحصــول على مصادره ومراجعه فى الوقت المناسب • وقصارى القول أن اعداد المصادر من البداية ييسر للدارس سبل البحث من جميع الوجوه •

قسم المؤلف المصادر (المؤلفات) الى عدة أنواع ، وهى اما أن تكون مطبوعة أو مخطوطة ، وتتفرع بدورها الى صنفين ، المؤلفات التى تشتمل على أقدم ما وصلنا من معلومات عن موضوع البحث وهى ما تعرف بالمصادر • والمؤلفات الحديثة التى تعتمد فى مادتها العملية بصفة أساسية على المصادر الأصلية ، وهى بصفة عامة عبارة عن دراسات نقدية وتحليلية ، أو شرح وتلخيص ، وهو ما يطلق عليــه اسم المراجع • وتنقسم المراجع الى كتب مستقلة ، وبحوث مكتبيــة وميدانية وتنشر فى دوريات ، ومقالات تظهر فى مجلات أسبوعية أو شهرية ، ورسائل علمية للماجستير والدكتوراه ، وموسوعات أو دوائر معارف ، ومعاجم • أما بالنسبة لتدوينها فيوصى المؤلف باجتهــاد الباحث فى تدوين المصادر بطريقة منتظمة موحدة حتى يستفيد منها الفائدة المرجوة ، وأمثل طريقة لذلك أن يخصص لكل مرجع بطــاقة يدون فيها اسم المؤلف كاملا ، وعنوان الكتاب كاملا وعدد أجزائه وصفحاته ، وعدد اللوحات والخرائط ، والنشر ومكان الحفظ ورقمه فى دار الكتب ، وتدوين ملاحظات الباحث الشخصية • وفى حــالة المقــالات ، يدون اسم المجلة ورقم العدد وتاريخه والصفحات • وفى حالة المخطوطات ، يدون اسم الناسخ وتاريخ النسخ • وترتب البطاقات باسم المؤلف ثم اسم الكتاب فموضوعه والرمز •

أورد المؤلف عدة ملاحظات هامة عن نقد المؤلفات ، فأشــار

الى أن أصح المخطوطات التى لم يتم تحقيقها بدقة علمية كافية هى تلك التى كتبت بخط المؤلف • أما الكتاب الذى وجد منه عدة نسـخ مخطوطة فينبغى دراسة هذه النسـخ لاتوصل الى أصحها من حيث الأمانة فى النقل والدقة وحسن الخط •

وتنقسـم الوثائق الى أنـواع مختلفة تبعا لمـادتها وأصالتها وطباعتها وموضوعها وصفتها سواء أكانت وثائق رسمية حكومية أو أهلية • وفى حالة نقد الوثيقة فيجب البحث عن مصـدرها ومؤلفها وقيمتها وتاريخها وآصالتها ويقوم بذلك الخبراء فى تخصصـاتهم المختلفة • والاعتماد على الوثائق المحققة أفضل بطبيعة الحـال من الاعتماد على الوثائق غير المحققة ، وتقل قيمة الوثيقة كلما زاد عدد النسـاخ ، والنقد السابق هو الشكلى للوثيقة بينما يجرى عليهـا ما تم ذكره بالنسبة للمخطوطات والكتب •

وبالاضافة الى الكتب والوثائق يعتمد الباحث على المصـادر المـادية وتشمل العمائر القائمة وما تكشف عنه الحفائر ، فضـلا عن التحف المنقولة من معروضـات المتاحف ومخزوناتها والمجمـوعات الخاصة وتجـار العاديات وسـجلاتها وكتالوجاتها والمجـلات التى تصـدرها المتاحف والمراكز العلمية ، والمؤلفات والرسائل الجامعية المتعلقة بهـا •

وتعد المصادر غير المباشرة من مصادر المـادة العلمية ومنهـا العادات والتقاليد التى يمكن الرجوع بها الى العصور القديمة ، ومنها أيضا مبادىء بعض العلوم التى يمكن الاسترشاد بها وتطبيقها على سلوك البشر فى القديم ، وتجارب الحياة ، والمصطلحات الفنيـة والأثرية وتاريخ الكلمات والأمثال واسـتنباط بعض المعلومات من الاعمال الأدبية والفنية القديمة • وتطبيقا على ما سبق ذكره عرض المؤلف لنماذج من مجموعات المصادر الخاصة ببعض خطط رسـائل الآثار والفنون الاسلامية •

الفصـــل الرابع : المـــادة العلمية :

تناول هذا الفصـــل أنواع المادة العلمية فى العمارة والفنـــون الاسلامية وأسلوب جمعها ونقدها ، وتفسير الظاهر وتفسير الباطن ، وملاحظات المؤلف حول النقد الايجابى والنقد السلبى . وقد بـــدأ الفصل بتعريف مادة البحث ثم أهم أنواع المادة العلمية ، وهى : الأخبـــار ، والوصف الميدانى والكشف الأثرى ، والمقتبســـات ، والتوقيعـــات ، والاوامر الادارية والمراسيم ، وألفـــاظ العناصر المعمارية أو الأماكن أو المتعلقة بأسماء بعض الوظائف ، والاحصائيات ، والاســـتنتاج ، والـــرأى الشـــخصى ، والفـــروض والنظـــريات ، والاســـتفهامات والأســـئلة ، والمعلومات الناتجة عن اتصـــالات شخصية .

عرض المؤلف لأسلوب جمع المادة العلمية وهو ما أطلق عليه اسم البطاقات أو القصاصات ، وهو عبارة عن تدوين المعلومات على بطاقات من الورق المقوى ذات مقاسات موحدة ١٠ × ١٥ سم٢ أو ١٥ × ٢٠ سم٢ أو أصغر من ذلك أو أكبر وتشمل البطاقة المعلومة ، وهى التى تكتب على شكل سطر أو أكثر ، أما فى حالة النص الطويل كأن تكون وثيقة تشتمل على معاهدة أو حجة أو قضية يفضل نقله على فرخ كبير ويشار اليها فى بطاقة عادية ، وبالنسبة للنصـــوص باللغات الاجنبية فيجب نقلها حرفيا ثم ترجمتها بعد ذلك . وتشتمل البطاقة أيضا على التاريخ ، أى تاريخ المعلومة اذ أن الزمن يلعب دورا مهما فى الأحداث ويحسن تدوين التاريخ الهجرى فى الركن الأيمن العلوى ، والتاريخ الميلادى فى الركن الأيسر العـــلوى ، والمصدر وهو المرجع المنقول منه المعلومة ويجب أن يدون كاملا أسفل البطاقة ويمكن للباحث أن يدون أى تعليقات على ظهر البطاقة .

وقد أشار المؤلف بوجوب اخضاع المعلومات للنقد ، وهـــو التقييم والفحص للاطمئنان الى صحتها والاعتماد عليها ، ويرتبـــط

بالنقد تفسير النص ظاهريا — أى التوصل الى المعنى الحرفى له ، وتفسير الباطن فقد يختلف المعنى الحقيقى عن المعنى الحرفى • ويجب على الباحث فى جميع الأحـــوال أن يكون ملما بلغة النص واعرابه ، ولغة العصر الذى يرجع اليه النص •

عرض المؤلف فى نهاية هذا الفصل الملاحظات الهامة حول النقد الايجابى ، منها أنه يلزم تحديد زمن النص ، والتفرقة بين الرأى والخبرة ، كما يجب على الباحث عند قراءة النص أن يتحرر من أى فكر مسبق حتى لا ينساق الى قراءة خاطئة ، كما يجب عليه التروى وعدم التسرع والتأمل العميق ، ومن جهة أخرى يجدر بالباحث أن يفطن الى أنه ليس من الضرورى أن يكون كل معروف حقيقة ، كما أنه من الخطأ أن يبنى حكم عام على معلومة وحيدة أو استثناءات فــردية • وفضـــلا عن ذلك يجب التفرقة بين الأســباب المباشرة الوقتية وبين الاســباب غير المباشرة التى تعــد بمثابة العــوامل الأساسية • ويرتبط بما سبق النقد السلبى والمقصود به فحص النص لاكتشاف ما به من دس أو تضليل أو ما يتضمنه من معلومات خاطئة فضـــلا عن مآرب مؤلفه وأهــوائه ودرجة أمانته ودقته وصـــحة أحكامه ، ويمكن التحقق من ذلك من خلال فحص راوى الخبر هل هو شاهد عيا نللوقعة التى يذكرها أو معاصرا لها أو ناقلا عن غيره ، كما يجدر بالباحث أن يقارن بين المعلومات ليكشف ما قد يكون بينها من تناقض ، ومع ذلك لا يجب التسرع فى الحـــكم على التنـــاقض أو التعارض بين الآراء أو الأخبار الا بعد التحقيق •

الفصـــل الخامس : الابـــداع :

كما أن بالنقود نحصل على مزيد من النقود ، فكذلك بالمعرفة نحصل على مزيد من المعرفة التى تأتى بالاسلوب العلمى ، ويتبع الاسلوب العلمى فى البحث الخطوات التالية : الملاحظة والتحليـــل والتركيب والمقـــارنة ، وذلك أن الملاحظة هى ادراك الأشياء والأحداث

وقياسها والالمام بصفاتها وخاصياتها وصلاتها وتنقسم الى ملاحظة طبيعية لا يتدخل فيها الباحث سوى بالتأمل ، وملاحظة تجريبية تخضع لرغبته ، وتطبيقا على ذلك تختلف الملاحظة باختلاف مجال الدراسة الأثرية من خطط وعمران وعمارة ، والفنون التطبيقية بأنواعها والفنون التشكيلية من تصوير ونحت وخط زخرفة ، والنمليات من مسكوكات وموازين ومكاييل وصنج زجاجية وغيرها . وقد يلجأ الباحث فى مجال الآثار والفنون الاسلامية الى اجراء التجارب فى سبيل الملاحظة أى الملاحظة التجريبية بأساليب التحليل المختلفة .

عرض المؤلف الى الاستنتاج وأساليبه بناء على شواهد الملاحظة والمقارنة والحقائق التى يستوعبها العقل وهى ما تسمى بالدليل ، والأدلة أنواع ، منها الدليل المباشر وغير المباشر والاحتمالى والافتراضى والاستنتاجى . ويلى ذلك الاستنباط الذى يتمثل فى استنتاج جزئية من حكم عام من خلال العمليات الذهنية التى يقوم بها الخبراء فى مجال الآثار والفنون الاسلامية .

ومن أساليب الاستنتاج أيضا القياس وهو عبارة عن اثبات حكمه الاصيل فى الفرع لمشاركته له فى علة الحكم ، وقد وضع علماء المسلمين للقياس أربعة أطراف : المقيس والمقيس عليه والصلة المشتركة بين المقيس والمقيس عليه ثم الحكم أى تطبيق حكم المقيس عليه على المقيس . ولعل من أهم فوائد القياس التطبيقية فى مجال البحث العلمى ، التأريخ لتحف غير مؤرخة بقياسها على تحف أخرى مؤرخة تتفق معها فى الشكل والمادة وأسلوب الصناعة وأشكال الزخارف وطريقة تنفيذها . فالتحف غير المؤرخة (المقيس) والتحف المؤرخة (المقيس عليه) والصلة المشتركة بين المقيس والمقيس عليه هى الاتفاق فى الشكل والمادة وأسلوب الصناعة وأشكال الزخارف وطريقة تنفيذها ، والحكم هو أن التحف المؤرخة ترجع الى نفس الفترة التاريخية .

كما يعد الاستدلال من أساليب الاستنتاج ، وهو عبارة عن استنتاج حقائق من مقومات حسب قوانين التفكير الصحيح • فضلا عن الاسلوب الاحصائى الذى يمكن بواسطته ترتيب مواد مختلفة بحيث يمكن استخدامها علميا وعمليا • وربما كان من أهم أساليب الاستنتاج ما اصطلح على تسميته بالاستقراء ويتمثل فى اكتشــاف نوع من النظام أو الروابط والصلات بين مجموعة من الحقائق عرفت عن طريق الملاحظة ، والتصور والتخيل . والمرحلة الرابعة من مراحل لاستقراء هى الفرض ويتمثل فى افتراض مبدئى للقانون العــام ، وفى هذه الحالة يجب ألا يتعجل الباحث فى اختيار الفرض وأن يتأنى ، وأن يكون موضوعيا وواعيا تماما لفرضه غير متعصب أو متحــيز والمرحلة الاخيرة من مراحل الاستقراء هى النظرية . ويؤكد المؤلف أن الملاحظة العلمية تظل عقيمة ما لم يتـ مالتوصل الى النظرية •

ومما تجدر الاشارة اليه أن المؤلف عرض لطرق الاســتنتاج الخمسة التى وضعها جون ستيوارت ميل ، والتطبيق عليها من خلال المجالات المختلفة للآثار الاسلامية فضلا عن وضع تطبيقات تفصيلية دقيقة للعمليات الذهنية فى الآثار والفنون الاسلامية . وبذلك يعد هذا الفصل من أهم الفصول التطبيقية العملية التى يتميز بها هــذا الكتاب الذى يعتبر بحق رائدا فى موضوع غير مسبوق •

الفصــل الســادس : الكتــابة :

عرض الكتاب فى هذا الفصــل لأدق مراحل البحث العلمى وهى الكتابة ، التى يوصى المؤلف بأن يشرع الباحث فيها فى وقت مبــكر وقبل أن ينتهى تماما من جمع المادة العلمية ، كما يجــدر بالباحث القيام ببعض البحوث الصغيرة المرتبطة بموضوع البحث ، وذلك خلال جمع المادة العلمية وذلك أن الكتابة النهائية يلزمها كثير من المــران ، وبخاصة مجابهة صعوبة تطويع اللغة والعجز عن التعبير

الدقيق عن الأفكار والعرض الجيد والتناول المبتكر • لذلك فالكتابة المبكرة توفر المران والتدريب على الكتابة السليمة •

ويعرض المؤلف لأهمية الكتابة المبكرة ، فهى تحفز الباحث على العمل لاستكمال مادته ، وتلافى النقص فى بحثه وسد الفجـوات فى المادة المجموعة • كما أنها تسـاعد على توضيح الأفكار فى وقت مبكر ، كما تقرب الباحث من موضوعه ، كما تقضى على (عقدة الخوف من الكتـابة) •

. أما عن تسلسل خطوات الكتابة فتبدأ باستخلاص البطـاقات أو المعلومات المتعلقـة بالمشكلة التى يريـد الباحث تناولها • وبعـد استخلاصها يتم ترتيبها حسب بقاعدة زمنية أو موضوعية أو كليهما ، ثم قراءة مضمونها واستيعابه استيعابا تاما ، ثم استنباط الأسـباب والنتائج ، لأ نالبحث العلمى الجاد يهدف الى الابتكار والابداع •

لم يقتصر المؤلف على عرض خطوات الكتابة بل تناول مشكلات الكتابة العلمية بالشرح وهى الاختيار ، والتوازن ، والوضـوح والتركيز ، والتناسب ، والسرد ، والتناقض ، والتكرار ، والاستطراد الذى يؤدى الى الخروج عن الموضوع ، والتعبير أو مشكلة الصنعة أو الصـياغة • ولكى يتجنب الباحث الاستطراد والاسـهاب غير الموضوعى فقد اقترح المؤلف أن تقع رسالة الماجستير فى مجـال العمـارة والفنون الاسلامية فى نحو مائتين وخمسين صـفحة . والدكتوراه فى نحو أربعمائة صفحة •

ولمـا كان الشكل والتبويب له أهميته ، لذلك وجب على الباحث أن يعنى به وعلى ذلك فقد عرض الكتاب لتقسيم الرسالة الى أبواب ، والأبواب الى فصول ، والفصول الى عناصر ، والعناصر الى فقرات ، والربط بينها جميعا ، وتناول المؤلف هذه الأقسام بشىء من التفصيل من حيث الفصل والفقرة والجملة والكلمة والاختصارات والفواصل ، وقد اهتم المؤلف بتوضيح كل موضوع بالنماذج العملية التى تعنى بالجانب التطبيقى للقواعد النظرية •

الفصــل الســابع : النشر والتحقيق :

لمـا كانت بعض البحوث تلحق بها نصوص مطولة من وثائق أو مخطوطات أو كتب نفذت طبعاتها ، ذلك عرض الكتاب فى هـذا الفصل للاسلوب العلمى الدقيق للتحقيق والنشر سواء بالنسـبة للكتب أو الوثائق . فبالنسبة لكتاب يتضمن النشر والتعليق ، مقدمة عبارة عن تعريف موجز بالكتاب موضوع النشر وما يتناوله ومنهج الباحث فى تحقيقه ونشره . كما يتضمن ترجمة لمؤلف الكتاب اعتمادا على المصادر المتخصصة وبخاصة كتب الاعلام والتراجم . ويلى ذلك التعريف بالكتاب وتوثيق نسبته الى مؤلفه وعنوانه الاساسى وطريقة المؤلف فى تناول موضوعاته . ثم التعريف بالنسخ المخطوطة من الكتاب والرمز الى صورة منها برمز موجز مع تبيان مكان حفظها واسـم الناسخ وتاريخ النسخ ونوع الورق والتجليد ومدى الاكتمال وعدد الاوراق والمسطرة ، وأخيرا يشتمل نشر الكتب وتحقيقها على التعليق ، ومكان التعليق الحاشية أو هامش سفلى وبالتالى فيطلق على التعليقات اسم الهوامش أو الحواشى .

أما بالنسبة للوثائق فيبدأ نشرها بتعريف موجز عن موضـوع الوثيقة وعصرها ومدى أصالتها ثم توضيح فهرسة الوثيقة ، ويلى ذلك دراستها من حيث الشكل والنص فيتضمن نشرها البدء بالوجه ثم الظهـر مع تعيين معنى كل سطر وترقيمه ويلى ذلك التحقيقـات والتعليقات العلمية وهى عبارة عن دراسة وشرح وتعليق على ألفاظ الوثيقة وعباراتها .

وبمناسبة الحديث عن الهوامش أو الحواشى فقد عرض المؤلف لوظائفها وعلاماتها ، فمن ذلك : تعيين مصـدر ما جاء فى المتـن لا سيما اذا كانت المعلومة جديدة أو غريبة أو رأيا للبحث ، ويشتمل المصدر فى الحاشية على اسم المؤلف فاسم الكتاب ثم الجـزء والصفحة ، واذا تكرر المرجع يكتفى بذكر (المرجع نفسه) وفى حالة

الاعتماد على مرجع بكثرة يمكن اتخاذ رمز له وذكر هذا الرمز بدلا من المرجع • ومن وظائف الحاشية أيضا ، شرح لغوى لبعض ألفاظ المتن ، وشرح لبعض المصطلحات الواردة به • فضـلا عن التعريف بأسماء الاعلام ، والاحالة الى مرجع أو صفحة أو لوحة أو شكل أو خريطة لزيادة الايضاح ، وكذلك الاستدلال بآية قرآنية أو حديث نبوى شريف أو بيت من الشعر • كما تستعمل الحاشية فى الشرح والتفصيل حتى لا يطغى على باقى أفكار المتن وتسلسلها • كما يذكر بها تتبع أصول أو تطور وحدة زخرفية أو تخطيط معمارى تناولها الباحث فى المتن • واضافة معلومات الى ما جاء فى المتن خوفا من التشويش على الفكرة الأصلية • وفى حالة نشر مخطوطة أو ترجمـة كتاب يمكن الرد على بعض المعلومات التى يرى الناشر أو المترجم انها خطـأ •

أما عن علامات الحواشى ، فيفضل أن تكون أرقاما مسلسلة ، فمن الملاحظ أن بعض الباحثين يستخدم علامات مختلفة لأنـواع الحواشى مثل علامات على هيئة نجوم للشرح ، الا أنه من المفضل استخدام الارقام مهما اختلفت من باب التيسير ، وعند ذكر أكثر من مرجع فى حاشية واحدة يراعى فى ترتيبها التسلسل الزمنى فيبدأ بالمصدر الأقدم ، ثم ما يليه • وتكتب الحاشية عادة بخط أصـغر من المتـن •

الفصـل الثامن : الملاحـق :

عرض المؤلف فى هذا الفصـل لأنواع الملاحق طبقا للاسلوب العلمى والفنى المستخدم فى اعدادها ، وقد أجملها فى تسعة أنواع كما يلى :

١ ــ القوائم أو الجداول وهى عبارة عن سرد لأسماء أو أشـياء فمنها ، أسرات حاكمة أو غير حاكمة ، ومرتبات أو قيمة نقدية ،

وآثار أو منشآت أو تحف أو أدوات ، ومتاحف ، ووظائف أو صنائع أو حرف أو ألقاب .

٢ — الصور وهى صور فوتوغرافية ملونة أو غ يرملونة ، وصور مرسومة باليد أو بالتفريغ ، وترجع أهميتها الى أنها وسيلة للتجميل ولكونها نوع من أنواع البرهنة والتدليل ، فضلا عن استخدامها لشرح ما لا يمكن شرحه باللفظ لرسمه شكل زخرفى .

٣ — الخرائط : وهى اما أن تكون خرائط جغرافية أو تاريخية أو أثرية أو معمارية ، وهى فى حد ذاتها مادة علمية فضلا عن أنها وسيلة توضيحية ، وينبغى مراعاة التوجيه الجغرافى عند عمل الخرائط ، كما لابد أن تشتمل على مقياس رسمها ، وأن يكتفى فيها بالمعالم الضرورية المتعلقة بالبحث . ويجب فى جميع الاحوال عدم نقل الخريطة من بحث الى آخر أو عدم نقلها بحذافيرها فى حالة الضرورة .

٤ — الرسوم البيانية ، وهى توضيح الصلة أو العلاقة المتبادلة أو النسبية مثل اظهار العلاقة بين ازدياد مساحة أثر من الآثار والتطور الزمنى لذا يجب أن تكون الاشياء موضوع المقارنة صالحة للتجريد الى اعداد ، وأن تكون من جنس واحد .

٥ — المعاجم : يجب ترتيب مواد المعاجم ألف بائيا وتكتب مراجع كل مادة عقبها مباشرة .

٦ — الكشاف : يشتمل على الكلمات ذات المدلول الخاص والتى ورد ذكرها فى المتن أو فى الحواشى مرتبة ترتيبا ألف بائيا ، وازاء كل منها أرقام الصفحات التى وردت فيها حسب تسلسلها ، وأهمها كشاف الأسماء سواء كانت أسماء أعلام من البشر أو مدن أو شوارع أو آثار أو منشآت أو مرافق الى غير ذلك .

كما يتضمن الكشاف ، الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأبيات الشعر والأمثال وغيرها • وتعد الكشافات بعد طباعة الكتاب وقبل تجليده •

٧ — فهرس المراجع : ويشتمل على المؤلفات التى استمد منها الباحث مادته ، وقد يكتب الفهرس مفصلا ، أى مشتملا على جميع المصادر والمراجع التى اعتمد عليها الباحث أو قرأها ، وقد يكون مجملا أى مقتصرا على المصادر الاساسية ، وقد يشتمل على مراجع مفيدة لمن يبغى الاستزادة • وينقسم هذا الفهرس الى أقسام ، هى المراجع العربية بنوعياتها المختلفة ، ويليها الموسوعات والدوريات والمجلات ، وقد تدمج ضمن المراجع ، وبعد ذلك فهرس المؤلفات الاوربية •

٨ — فهرس الصور : وهو الفهرس الذى يتضمن عناوين الصور سواء أكانت فوتوغرافية أو رسومات ، وقد يطلق عليها أحيانا اللوحات أو الاشكال ، وموضعه قبل فهرس الموضوعات •

٩ — فهرس الموضوعات : وهو الفهرس الذى يحتوى على أقسام الكتاب المختلفة وعنوانيها مرتبة حسب تسلسل صفحات الكتاب ، ويشير المؤلف الى أن الأمر قد استقر بأن يورد فهرس الموضوعات فى المؤلفات الانجليزية أول الكتابة ، وفى المؤلفات الفرنسية فى آخره ، أما المؤلفات العربية فقد يورد فى أول الكتاب أو فى آخره حسب رغبة المؤلف •

لم يقتصر المؤلف فى هذا العمل الضخم على الموضوعات الرئيسية الخاصة بالبحث العلمى وتطبيقاته العملية بل عرض لأدق التفاصيل التى لا يستغنى عنها الباحث حتى يخرج بحثه فى صورة متكاملة ، لذلك اهتم المؤلف بالحديث عن أقسام هامة فى التقليد العلمى لعمل البحوث والرسائل وهى الاهداء ، والشكر ، والتصدير

والتقديم ، والمقدمة ، والتمهيد ، والخاتمة ويؤكد المؤلف أن البحث قد يخلو من كل هذه الاشياء أو بعضها تبعا لحجم البحث .

وبعد هذا العرض الموجز لقاعـــة بحث فى العمارة والفنـــون الاسلامية ، فغنى عن البيان أن هذا العمل الضخم بهذا الجهــــد العظيم الذى احتواه قد سد فراغا كبيرا فى المكتبة العربية فى مجال البحث العلمى المتميز ــ الذى طالما افتقرت اليه ــ فقد احتوى على كم هائل من المعلومات والدراسات والموضوعات الهامة نظرية كانت أو تطبيقية عملية ، فالكتاب يتصف ولا غرو بالشمولية والدقة فى العرض ، وبالمنهجية النظرية والتطبيقية الاكاديميةو بخاصة أن مؤلفه أستاذ متخصص ، وعالم جليل أشرف على عشرات الرسائل العلمية ، وألف أكثر من مائة كتاب وبحث فى مجال الحضارة والآثار والعمارة والفنون الاسلامية .

دليـــل الرســـائل الجامعيـــة

رســائل التاريخ الحديث

ايمان عبد المنعم عامــر

١ ــ العلاقات الاقتصادية المصرية الفرنسية بين سنتى ١٨٤٠ ــ١٨٦٣ رسالة ماجستير : اعداد الباحث / عبد الكريم مدون

كانت مصر محط انظار كل من فرنسا وانجلترا •• فانجلترا كانت ترى فى مصر طريقــا مهمــا يوصلها لمستعمراتها بالهند •• أمــا فرنسا فكانت تــرى من خلالها منفذا لتطبيق سياستها فى البحــر المتوسط وبالتالى كورقة تلعبها ضد السياسة الانجليزية •• والموضوع ولو أن له خصوصية تتمحور حول دراسة العلاقات الاقتصادية المصرية والفرنسية الا أن هذه الخصوصية تنمحى حينما يعرض الباحث للحديث عن الصراع المصرى الانجليزى أو عن الصراع الانجليزى الفرنسى •• نظرا لأهمية دراسة هذه الصراعات باعتبارها تحدد الارضية التى سارت عليها السياسات الاوربية لتحقيق اهدافها •

تتألف الرسالة من خمسة فصول . يتعرض الفصل الاول للمعاهدة التجارية سنة ١٨٣٨ ومعاهدة لندن سنة ١٨٤٠ وموقف فرنسا من هاتين المعاهدتين ونتائجها ومدى ارتباط ذلك بالمصالح الاقتصادية الفرنسية فى مصر •

أما الفصل الثانى فيعالج فترة ما بين المعاهدتين لاســتخلاص وضعية مصر الاقتصادية من جهة ثم طبيعة علاقاتها مع فرنسا من جهة أخرى وذلك بعد القضاء على سياسة الاحتكار الاقتصادى التى كان ينهجها محمد على وبالتالى يعتبــر هذا الفصل محاولة لتفسير بنية مصر القانونية •

ويتناول الفصل الثالث المؤثرات العامة فى الاقتصــاد المصرى والصراع الانجليزى الفرنسى فى اطار مشروعى قناة السويس والسكة

الحديد وذلك كاطار مؤثـــر كانت نتائجه وخيمة على مصر ودراســـة المشروعين لتحديد اهداف الغرب الاستراتيجية والاقتصادية وتحديد المسار العام للتحولات التى عرفتها مصر من جراء ذلك .

ويعالج الفصل الرابع علاقة مصر بفرنسا خلال ولاية عباس الاول وسعيد وبنية العلاقات الاقتصادية المصرية الفرنسية خلال تلك الفترة وتجارة مصر الخارجية واختلاف موازين القوى بين انجلترا وفرنسا وسياسة كل من عباس وسعيد تجاه هذه المتغيرات .

وأخيرا يتناول البحث فى الفصل الخامس دور المؤسسات المتصلة بالعلاقات التجارية والقوانين التى تحكمها فالنقل كمؤسسة تجارية تلعب دورا أساسيا فى العلاقات التجارية وتربط أوروبا بالهند عبر مصر ثم الجمارك ودورها المحدد داخل الحقل الاقتصادى المصرى .. والقوانين التى تحكم النظام الجمركى .

وفضلا عما سبق تضم الرسالة عددا من الملاحق المشتملة على تقارير ورسائل متبادلة وقوائم بأسماء البيوت التجارية الفرنســية واسماء التجار والمندوبين التجاريين الفرنسيين فى مصر ، وصـــادرات وواردات مصر من والى فرنسا بالاضافة الى جداول الحركة التجارية والايرادات والمصروفات ، واعداد واسماء البواخر الفرنسية المترددة على ميناء الاسكندرية بالاضافة الى الرسوم البيانية .

٢ ـ الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية فى مصر فى عهد الحملة الفرنسية

رسالة ماجستير : اعداد الباحثة / فاطمة الدمراوى

يتناول هذا البحث دراسة الجوانب الاقتصادية والاجتماعية فى مصر طيلة وجود الفرنسيين بها •• وينقسم الى مقدمة وأربعة فصول وخاتمة •• عرضت الباحثة فى المقدمة بعض الاسباب التى حدت بفرنسا الى ارسالها حملة على مصر والاسباب التى كانت تهدف الى تحقيقها من خلال تلك الحملة ••

تناول الفصل الاول دراسة الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية فى مصر قبل مجيىء الحملة الفرنسية ، من نظام ملكية الارض ومساوىء هذا النظام بالنسبة للفلاحين •• كما تناول دراسة تجارة مصر الداخلية والخارجية وأهمية مصر كطريق تجارى كما أشار الفصل الى بعض الصناعات ونظام طوائف الحرف والتعرض للاحوال الاجتماعية القائمة قبل مجيىء الحملة •

يعد الفصل الثانى دراسة للادارة الفرنسية وأساليب الحكم وتأثير ذلك على الاحوال الاقتصادية للبلاد فقد تعرض للسياسية العامة التى نهجها الفرنسيون فى حكمهم للبلاد والاجراءات الادارية والامنية التى قاموا بها والتى كان لها أثر سىء من قيام الثورات فى وجه الفرنسيون وما تخلل هذه الثورات من انعدام للامن وكساد للتجارة وما تبعها من فرض للضرائب •

أما الفصل الثالث فقد تعرض لنظام ملكية الاراضى الزراعية فى ذلك الوقت حيث استحوذ الفرنسيون على ثلثى الاراضى واخضعوا باقى الحصص لرسم التسجيل كما شرح الفصل اهتمام الفرنسيين بتحسين الزراعة والاهتمام بمشاريع الرى واصلاح القنوات الرئيسية• واهتمامهم باقامة عدد من المنشآت الصناعية الضرورية مثل مصنع

البارود ومصنع الاجواخ واقامة الورش الميكانيكية لتزويد الجيش بما يحتاج اليه من المعدات وامداد العلماء بالادوات التى يحتاجونها فى ابحاثهم .

ولم تغفل الدراسة الصعوبات التى صاحبت مجيىء الحملـــة الفرنسية فيما يختص بالتجارة وعلى رأسها حصار الانجليز لشواطىء مصر المطلة على البحر المتوسط مما أدى الى شبه توقف للتجارة الخارجية بالاضافة الى ما أصاب التجارة الداخلية من اضرار نتيجة استخدام الفرنسيين للجمال فى نقل المـــؤن الى مختلف مراكـــزهم العســكرية واستخدامهم المراكب النيلية لنقل حبوب مصر العليا مما عطل مصالح التجـــار .

وتناول الفصل الرابع دراسة للاحوال الاجتماعية وما طــرأ عليها من تغييرات أيام الفرنسيين نتيجة للاحتكاك بينهم وبين سكان مصر ، خاصة الاحتكاك الفكرى بين كل من اعضاء الديوان من المشايخ والعلماء وبين الفرنسيين وأثر ذلك فى وقوف المشايخ على التقدم الحضارى الذى وصل اليه الفرنســيون فى ميادين عديدة .

وفضلا عن ذلك تناول الفصل الدور الذى لعبه الجامع الازهـــر فى تحريك الناس الى الثورة ضد الفرنسيين .. كما أوضحت الدراسة كيف تم القضاء على النفوذ العسكرى والاقتصادى والاجتماعى لفئة البكوات المماليك وحصول الاقباط على بعض الامتيازات التى حرمــوا منها من قبل كنتيجة لاستعانة الفرنسيين بهــم فى تطبيق كثـــير من الاجراءات الادارية .. الأمــر الذى دفع البعض من كبار الاقباط الذين اخلصوا فى خدمة الفرنسيين الى الهجــرة معهم عند انسحابهم من مصر خوفا من رد فعل الحكام العثمانيين .

اعتمدت الدراسة على وثائق الحملة الفرنسية الموجودة بدار الوثائق .. وهى تشتمل على اوامر يومية متنوعة (عسكرية واخرى

متعلقة بالتجارة والصناعة أو بالزراعة أو بالمالية أو بالدواوين) .. وغير ذلك من مراسلات بين الجنرالات حكام الاقاليم والقائد العـام الفرنسى أو بين الاخير وكبار الموظفين الاداريين بالاضافة الى بعض التقارير والمذكرات التى كتبها بعض الجنرالات .. الى جانب محافظ الحملة الفرنسية الموجودة بدار الوثائق القومية بالقلعة ، بالاضافة الى المصادر العربية والاجنبية وعلى رأسها مؤلف المؤرخ الكبير الجبرتى « عجائب الآثار فى التراجم والاخبار » .. والكتاب الذى ألفه علماء الحملة الفرنسية ، الموسوم بـ Description de l'Egypte

---

٣ ـ العلاقات الاقتصادية المصرية الفرنسية على عهد محمد على حتى سنة ١٨٤٠

رسالة ماجستير : اعداد الباحث / عبد الفاضل الصاقى

تأتى أهمية الموضوع من حيث أنه يغطى فترة هامة من تاريخ الاقتصاد المصرى الحديث ، وقد واكبت هذه الفترة زمنيا النشـاط المصرى الاقتصادى فهى فترة وضع الاسس الحديثة التى قام عليهـا الاستعمارى الاوربى .. ودخلت مصر فى خلال هذه الفترة فى علاقات اقتصادية واسعة مع فرنسا وباقى دول أوربا : فالى أى مدى استطاعت فرنسا التغلغل فى اقتصاديات مصر بعد أن أقامت معها علاقات اقتصادية؟ هذا السؤال هو محور الدراسة التى تقع فى خمسة فصول :

عرض الفصل الاول لسياسة محمد على الاقتصادية ودوره فى تنمية موارد الخزينة والاسباب التى دفعته الى الالتجاء الى هـذه السياسة الاقتصادية .

وبحث الفصل الثانى فى وضع فرنسا بين دول أوربا وسياسـة محمد على الاقتصادية والاسباب التى أدت الى التقارب بين مصر وفرنسا

ونوعية العلاقات الاقتصادية بين الطرفين المعنيين،وحاول الفصل الافصاح عن الاسباب التى أدت الى اعتبار فرنسا أكبر الدول التى تعامل معها محمد على رغم أن عددا من الدول الاجنبية الاوربية وغير الاوربية كانت تربطها مع مصر نفس العلاقات التى ربطتها مع فرنسا مما يكشف عن أن الاسباب الحقيقية لذلك هى أسباب سياسية .

تناول الفصل الثالث العلاقات التجارية بين البلدين من خلال رصد تبادل السلع بين البلدين الميزان التجارى بين البلدين . فضلا عن الاهتمام بموقف التجار الفرنسيين المتناقض من الاحتكار الذى لجأ اليه الباشا فى محاولة لا يضاح الاسباب التى جعلت موقف التجار يبدو متناقضا .

أما الفصل الرابع فقد خصص لدراسة أثر العلاقات الاقتصادية المصرية الفرنسية على الاقتصاد المصرى فى محاولة لابراز أثر الموظفين الفرنسيين فى قطاعات الاقتصاد المصرى . ودراسة الجانب المادى وأثره على الاقتصاد المصرى وأثر العلاقات التجارية المصرية الفرنسية .. وكيف ساهمت هذه العلاقات فى تراجع بعض الصناعات كصناعة السكر مثلا فى مصر كما ساهمت فى تطور بعض قطاعات الاقتصاد الاخرى .

وخصص الفصل الخامس لدراسة المؤسسات والنظم المتصلة بالتجارة فتناول بالبحث المؤسسات التجارية الفرنسية ونظام البيع والدفع وأسباب ضعف هذه المؤسسات وأثر ذلك على العلاقات التجارية .. ودور مؤسسات النقل وكيفية نقل البضائع بين البلدين والمصاعب التى تعرضت لها ، ودراسة الرسوم المفروضة على السلع الفرنسية فى مصر وكيف أثر ذلك فى التبادل التجارى بين البلدين وأهمية هذه الرسوم باعتبارها رسوم وقائية للاقتصاد المصرى .

اعتمدت الدراسة على الوثائق العربية والاجنبية المنشورة وغير المنشورة والموجودة بدار الوثائق فضلا عن العديد من المصادر والمراجع العربية والاجنبية الى جانب بعض الرسائل الجامعية المعنية بتاريخ مصر فى نفس فترة الدراسة •

وقد ضم الباحث للرسالة وثيقتين مترجمتين نظـرا لأهميتهـا فى خدمة الدراسة : الأولى : مراسلة تجارية تتضمن تقريرا عن حالة التجـارة الفرنسـية فى مصر وعن أسـباب تدهـورها • والثانية : مـذكرة مقدمـة الـى السـيد ميمـو حـول وضـع التجـارة الفرنسية فى مصر •

رقم الايداع : ٨٨/٧٣١٧
الترقيم الدولى ٩ ــ ٠٢٦ ــ ٢٢٨ ــ ٩٧٧

المطبعة الاسلامية الحديثة
٤٢ (أ) شارع دار السعادة ــ حلمية الزيتون
تليفون : ٢٤٧٥٣٥٢



The Egyptian Historian

REFEREED HISTORICAL STUDIES & RESEARCHES

Third Issue **January, 1989**

Chief Editor : Prof. Dr. Hamed Zayan Ghanem

Managing Editor : Dr. Mahmoud Arafa Mahmoud

All Correspondence to be directed to :

Prof. Dr. Hamed Zayan Ghanem, The Chief Editor, Cairo University, Faculty of Arts, A.R.E.

CAIRO UNIVERSITY
FACULTY OF ARTS



The Egyptian Historian

REFEREED HISTORICAL STUDIES & RESEARCHED

3

JANUARY
1989

ISSUED BY
HISTORY DEPARTMENT

CAIRO UNIVERSITY
FACULTY OF ARTS



The Egyptian Historian

REFEREED HISTORICAL STUDIES & RESEARCHED

3

JANUARY
1989

ISSUED BY
HISTORY DEPARTMENT

جامعة القاهرة
كلية الآداب



المؤرخ المصري

دراسات وبحوث تاريخية محكمة

٣

يناير ١٩٨٩

يصدرها قسم التاريخ

محتــوى العــدد